

ديوان أسامة بن منقذ

حققه وقّده له

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث العربي
بوزارة المعارف العمومية

الدكتور أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ ١٤٢٩

ديوان
اسامة بن منقذ

الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقية : نابعلبكي - تلکس : ٢٣٣٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الذكتور أحمد أحمد بدوي

(١)

في يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ١٤٨٨ هـ (يوليه سنة ١٩٩٥ م) ولد أسامة بن منقذ ، في أسرة توارثت إمارة شيزر ، وهي مدينة في الشمال الغربي لحماة ، تبعد عنها خمسة عشر ميلا ، وتقع على هضبة ، يحيط بها نهر العاصي من جهات ثلاث ، وتنهض فيها قلعة شامخة حصينة ، وكان لهذه القلعة قيمتها في عصر الحروب الصليبية ؛ لمركزها الحربي الحصين ، ومكانها بين الولايات السورية ؛ فكانت مطمح الطامعين ، من أمراء المسلمين والصليبيين .

ولد أسامة لأب صالح ، يقضى وقته بين تلاوة القرآن ، الصيد في النهار ، ونسخ كتاب الله في الليل ، ووالدة شهرت بالشجاعة والنخوة والإقدام . وقد تركه والده منذ صغره يقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ؛ فلا ينهيه عن أن يمضى إلى حية يحز رأسها ، ويلقى بها في الدار مئنة ، وهو ثابت رابط الجأش ، ولا يحول بينه وبين مصارعة الأسود بشيزر ، وقتل ما يصرعه منها ؛ وهكذا شب جريئا لا يهاب . ومما ساعده على ذلك أنه كان يشترك مع أبيه في رياضته المفضلة عنده ، وهي الصيد .

إلى جانب هذه النشأة التي تعدّ للحرب والنضال ، تلقى أسامة الثقافة التي كان يتلقاها الأمراء في ذلك العصر ؛ فدرس الحديث ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب واف ، يشهد له به كتبه ، وما ضمت من أحاديث كثيرة متنوعة الأغراض ، ومن ماثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومثور ، وما اقتبسه من شعر السابقين ، وما أورده في شعره من ألفاظ لغوية استعملت في معانيها الدقيقة ، مما لم يكن يجرى إلا على أقلام كبار البلغاء . أخذ ذلك عن كبار الأساتذة ، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ؛ فقد كان الأمراء من بني منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا هم علماء شعراء ، ويحفظ الأدب كثيرا من أشعار أبيه وأعمامه .

كان أسامة أميرا لدى عمّه أبي العساكر سلطان حاكم شيزر ، ولما لم يكن له عقب ، اتخذ أسامة ابنا له ، وكان يرى فيه الأمير المستقبل لشيزر ، ووارث الملك من بعده ؛ فكان يكلفه من الأمور ما يتطلب شجاعة وبراعة ، واشترك أسامة في المعارك التي دارت بين أسرته وبين الصليبيين ؛ دفاعا عن مدينتهم (شيزر) . وعاش أسامة في تلك المدينة ، بين حب والده وعطف عمّه ، غير أن هذا لم يلبث بعد أن رزق أولادا في آخر أمره ، حتى دبّ الوهن والفتور إلى العلاقة التي تربطه بأسامة ، وبدلا من حبه وعطفه عليه ، أخذ الحسد والحقد يأخذان مكانهما من قلبه . خوفا على أولاده من مكانة أسامة ، وحذرا أن يثول الملك إليه دونهم ، فضى أسامة إلى الموصل ، لدى عماد الدين زنكي ، الذي صار أكبر أبطال الحروب الصليبية في وقته ، وأول خطر حقيق داهم الصليبيين ،

فانتظم أسامة في جنده ، وحارب تحت قيادته في عدة معارك ، ولكنه لم ينس
 وطنه الأقل شيزر ، عندما هاجمه الفرنج والروم . سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م)
 فقد مضى إليه ، وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عنه ، وربما كان قد عزم على البقاء
 في شيزر ، بين أهله الذين فقدوا والده سنة ٥٣١ هـ . غير أن عمه أبا العساكر
 لم يرض عن مقام أسامة بشيزر ، فقد أيقن أنه أصبح خطرا على مملكته ، وأن
 ليس لأبنائه سلامة إذا ظل أسامة في شيزر ، فأمره وإخوته بالرحيل ، فقتلتوا
 في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، فانهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر ،
 وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ .

مضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها : معين الدين
 أئمر ، واعتمد هذا الحاكم على أسامة في تصريف الشؤون السياسية ، وقد نجح أسامة
 في ذلك ، نجاحا رفع مكانته في دمشق ، واستطاع في تلك الحقبة أن يتصل
 بالفرنج عن قرب ، وأن يعرف الكثير من عاداتهم وأخلاقهم . ولكن المقام
 لم يصف لأسامة بدمشق ، ويظهر من تلك القصيدة التي أرسلها إلى معين الدين
 أئمر يعاتبه فيها — أن السر في نبو المقام بأسامة يعود إلى وشايات ، حملها الساعون
 إلى معين الدين ، صدقها ، فأنحرف قلبه عنه . يداننا على ذلك قول أسامة :

بلغ أميري : معين الدين مالكة من نازح الدار ، لكن وده أمم
 هل في القضية يامن فضل دولته وعدل سيرته بين الوري علم
 تضييع واجب حق ، بعدما شهدت به النصيحة ، والإخلاص ، والخدم

وما ظننتك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل التهي ذم »
ولا اعتقدت الذي بيني وبينك من ود ، وإن أجلب الأبداء ، ينصرم
لكن ثقاتك مازالوا بغشهم « حتى استوت عندك الأنوار والظلم »
والله مانصحوها ، لما استشرتهم وكلهم ذو هوى في الرأي متهم
كم حرقوا من مقال في سفارتهم وكم سعوا بفساد . ضل سعيهم
ويبدو من تلك القصيدة ، وما فيها : من حياة ، وحرارة ، وقوة ، أن أسامة
كان يضم في قلبه فيضا من الحب لمعين الدين ، وقد ختم قصيدته بعد هذا
العتاب الطويل ، بقوله :

فاسلم ، فاعشت لي ، فالدهر طوع يدي وكل ما نالني من يؤسه نعم
ترك أسامة دمشق ، وسافر إلى القاهرة ، فوصل إليها في جمادى الثانية
سنة ٥٣٩ هـ (نوفمبر سنة ١١٤٤ م) ، في عهد الخليفة الحافظ لدين الله ،
وكان معه والدته ، وزوجه ، وأخوه محمد ، فأكرمه الخليفة أيما إكرام ، وأقطعه
إقطاعا ، عاش به في رغد من الحياة ، وخفض عيش . ولم يشأ أسامة في أول
الأمر أن يزج بنفسه في الأحداث السياسية المصرية ، حتى إذا ولي الظافر ألقى
بنفسه في خضم هذه الأحداث ، حتى ليروى المؤرخون أنه اشترك في المؤامرات
التي انتهت بقتل الوزير ابن السلار ، والخليفة الظافر . ورأى أسامة أن يعود
بعد هذه الخطوب والحوادث إلى دمشق ، برغم أن الصلة كانت وثيقة بينه
وبين الوزير المصري الجديد : طلائع بن رزيك .

عاد أسامة إلى دمشق سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ومضت عشرته لتلحق به ، ولكن السفينة التي كانت تحملهم أصابها عطب عند عكا ، التي كانت في يد الصليبيين ، فذهب الفرنج ما معهم من المتاع ، وساموهم سوء العذاب ، حتى إذا وصلوا إلى دمشق ، كانوا قد فقدوا كل ما حملوه معهم من مصر . وكان لذلك أكبر الأثر الأليم في نفس أسامة . وقد اتصل أسامة في دمشق بحاكمها نور الدين محمود ، أكبر أبطال الحروب الصليبية في عصره ، وكثيرا ما أرسل إليه الوزير المصري طلائع قصائد يحثه بها على أن يتوسط لدى نور الدين محمود ، حتى تجتمع كلمة سوريا ومصر على جهاد العدو المشترك ، ولكن هذه القصائد لم تثمر ثمرتها ، ولم يصغ نور الدين إليها .

ويظهر أن كبر سن أسامة قد حال بينه وبين الاشتراك في الوقائع الحربية التي شنها نور الدين ، وإن كان قد ساهم في بعضها ، فقد حدثنا أبو شامة في كتابه : الروضتين ، عما أبداه أسامة من ضروب البسالة في حصار قلعة حارم

ويظهر أنه وجد بعد زهاء عشر سنين ، قضاها في دمشق ، أنه في حاجة إلى الراحة ، والبعد عن تكاليف السلطان وخدمة الملوك ، ففضى إلى حصن كيفا ، وهناك عكف على البحث والدرس والتأليف ، وربما اختار أسامة هذا المكان لما كان فيه : من مكتبات ضخمة غنية . ولكن هذه العزلة التي أرتضاها أسامة ، قطعها عودة صلاح الدين إلى دمشق ، وقد رأى فيه أسامة البطل المنقذ للبلاد ، ففضى إليه ، واستقبله صلاح الدين استقبالا حسنا ، فقد كانت تربطه به صلات وثيقة ، عندما كانا

معا في بلاط نور الدين محمود، فأعطاه صلاح الدين دارا وإقطاعا دارة ، وجالسه وآنسه ، وذاكره في الأدب، وكان يستشيريه فيما يلم به ، وإذا مضى إلى الغزو كاتبه، وأخبره بوقائعه ، وكان صلاح الدين معجبا بشعر أسامة ، مشغوبا بقراءة ديوانه ، وتأمل خواطره ، واستحسان روائع قصائده ، وكان ولده: مرهف جليس صلاح الدين ، وصاحبه في الحلّ والترحال .

عاش أسامة في دمشق يشكو الكبر ، وثقلت الحياة عليه لطول عمره ، حتى إذا كان الثالث والعشرون من رمضان سنة ٥٨٤هـ (نوفمبر سنة ١١٨٨م) توفي أسامة، بعد أن أربى على التسعين ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق .

(٢)

ترك أسامة عدة كتب ، عرفنا منها :

١ - كتاب الاعتبار ، الذي نشره المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورج (Hratiwig Derenbourg) وقد سجل فيه أسامة ذكرياته ومشاهداته: من معارك حربية وأحداث سياسية في مصر والشام، وهو يصور الوقائع التي دارت بينه وبين الفرنج، في صدق وإخلاص ، ويعلق على ما يرى ، ويشيد بالبطولة ، سواء أكانت من المسلمين أم من الصليبيين، ويدون ما رآه من أعمال الأبطال، ولو كانوا من صغار الجند ، ويقيد الحوادث الفردية الغريبة، وينقل إلينا ضوضاء المعارك، ويصف صلة المسلمين بالفرنج يومئذ في السلم والحرب ، ويصور طبائع الفرنج وأخلاقهم وعقائدهم، ويحوى تأملات لأسامة بشأن طول العمر ، وألحق بالكتاب قصصا

ونوادر شاهد بعضها ، وسمع بعضها من ثقة . وقيمة الكتاب في أن ما رواه من حوادث تاريخية ومعارك ، سجلها بعد أن رآها ، فكان فيها شاهد عيان ؛ ولذا كان من أهم منابع التاريخ لتلك الحقبة من عصر الحروب الصليبية . وقد كتبه أسامة وهو ابن تسعين سنة .

٢- كتاب لباب الآداب ، نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وقد رتبته مؤلفه على سبعة كتب ، الأول في الوصايا ، والثاني في السياسة ، والثالث في الكرم ، والرابع في الشجاعة ، والخامس في الأدب بمعنى مكارم الأخلاق ، وقسمه خمسة عشر فصلا ، وهو يورد في هذه الكتب ما يتعلق بها ، مما جاء في القرآن الكريم ، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء ، والكتاب السادس في البلاغة ، يتحدث فيه عن إعجاز القرآن ، وأورد جوامع كلم الرسول ، ونماذج من كلام البلغاء ، وذكر كثيرا من محاسن الشعر الموجز البليغ ، الدال على مكارم الأخلاق ، وقطعا لأغراض مختلفة من الشعر ، والكتاب السابع في الحكمة ، نهج فيه نهج سلفه من الأبواب ، والكتاب يدل على اطلاع واسع ، وذوق دقيق في الاختيار .

٣- كتاب العصا ، وقد أورد فيه شواهد نثرية وشعرية ، تتحدث عن العصا التي عرفت في التاريخ ، وأثبت فيه أيضا كثيرا من شعره .

٤- كتاب البديع ، وقد جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر . وذكر محاسنه وعيوبه ، وقد انتقد هذا الكتاب ابن أبي الإصبع في كتابه بدائع القرآن . ومن الكتاب نسخة خطية بدار الكتب ، وقد أعدناه للنشر .

٥ - كتاب المنازل والديار ، قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : إنه ترجمة كتبها عن نفسه عام ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، في أثناء إقامته في حصن كيفا ، والدافع له على كتابته زلزال أغسطس سنة ١١٥٧ م ، وهو يتضمن شواهد شعرية كثيرة عن المنازل ، والديار ، والأطلال ، والربع ، والدمن ، والرسم ، وغيرها . والمتحف الآسيوي بلنجراد نسخة منه .

٦ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي .

٧ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي أيضا .
والكتابان مخطوطان بدار الكتب .

٨ - تاريخ القلاع والحصون .

٩ - أخبار النساء .

١٠ - التاريخ البدرى ، وقد جمع فيه أسماء من شهد بدرًا من الفريقين .

١١ - التجائر المربحة ، والمساعي المنجحة .

١٢ - النوم والأحلام .

١٣ - الشيب والشباب .

١٤ - التأتى والتسلى .

١٥ - ذيل يتيمة الدهر .

١٦ - أخبار النساء .

١٧ - نصيحة الرعاة .

وهذه الكتب العشرة قد نسبها إليه مؤرخوه ، أو أشار إليها في كتبه التي بين أيدينا .

(٣)

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق في كتبه : الاعتبار ، والعصا . ولباب الآداب ، وما تفرق في كتب مؤرخيه : تريدة القصر ، والروضتين ، في أخبار الدولتين ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وشذرات الذهب ، وجمهرة الإسلام ، ذات النثر والنظام . ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه ، وعنى به من بعده ابنه مرهف ، وكان صلاح الدين مشغوبا به ، كما ذكرنا ، وقد رآه ابن خلكان ، وذكر أنه بأيدي الناس . وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية من هذا الديوان^(١) ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها وموازتها بما له من شعر متفرق في الكتب ، وسنلحق بالديوان في الطبقات المقبلة إن شاء الله ما عثرنا عليه في هذه الكتب ، ولم يكن مذكورا في الديوان .

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض : فباب للغزل ، وآخر لشكوى الفراق ، وغيرهما للوصف ، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الغنائي ، ولكن ديوانه قد خلا من الهجاء ، ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون في شعره هذا اللون ، برغم الدوافع التي كانت تسوقه إلى أن يهجو ، حتى لقد قال :

ظلمت شعري ، وليس الظلم من شيعي	يطيعني ، حين أدعوه ، وأعصيه
يهمُّ أن يذكر القوم الناسام بما	فيهم ، فأزجره عنهم ، وأثنيه
وليس من خلق ثلب الغنى وإن	جنى . ولا ذكر ذى نقص بما فيه

وفى ذلك مسحة من ترفع الإمارة التي تحول بينه وبين النزول إلى مستوى
التشائم والمهاترة .

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض ، كان يجزئ القصيدة
الواحدة ، فيضع غزلها مثلاً في باب الغزل ، ومديحها أو نغرها في باب المديح
أو الفخر ، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده . ولهذا النظام فائدته
في تتبع الدراسة الفنية ، لكل فن من فنون الشاعر على حدة ، وإن كانت الحاجة
تدعو ، عند دراسة بناء القصيدة ، إلى دراسة أجزائها كلها ، لمعرفة الجو الذي
توحى به ، وإدراك مدى الصلة التي تربط بين عناصرها .

ويبدو ، لأول ما نقرأ الديوان ، أن أسامة لم يدون كل ما قاله من الشعر ،
لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه ، لحذف منه ما لم يرقه ، حيث يقول :

كلما رددت في شعري النظر بأن ضعف العى فيه ، وظهر
ليس يرضيني ، ولا يمكننى بجد ما قد شاع منه ، واشتهر
فأجبل الفكر في تقليله فإذا قل اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذى كرم إن رأى ما فيه من عيب ستر

وذاك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى ، كان ينبغي أن يصل إليه مستوى
شعره ، ولا بد أن كان لذلك أثره في تهذيب أسامة لشعره ، وأخذه إياه بالتقويم
والتنقيح ، حتى ظهر شعره في هذا الثوب من القوة والجزالة ، مما يذكرنا بشعر
المحول ، الذين سموا بفنهم عن أن يكون مظهرًا للتلاعب بالألفاظ ، أو الجرى

وراء محسن لفظي، من غير أن يكون في البيت معنى جليل، أو خاطر سام، أو شعور صادق، أما أسامة فليده ما يقوله، في أسلوب قوى، وعبرة رصينة.

وتتدفق خواطر أسامة في قصيدته، ويرتبط بعضها ببعض، حتى يصبح البيت لبنة، في بناء ملتحم مؤتلف، خذ مثلاً قوله:

لا تنزع عن خطب فكل دهرك خطب
وحادثات الليالي مملّة، ما تغب
تروح سلماً، وتغدو على الفتى، وهي حرب
ولا تضق باصطبار ذرعا، إذا اشتدّ كرب
فصبر يومك مرّ وفي غد هو عذب
كم صابر الدهر قوم فأدر كوا ما أحبوا
وكلّ نار حريق يخشى لظاها ستخبو

ترفيه التحام الخواطر وتسلسلها، ولا تجد ذلك في مقطوعاته القصيرة بحسب، بل في قصائده الطويلة أيضاً، حتى ليخيل إليك أحياناً أنك تقرأ قطعة مشوّرة، لا قصيدة منظومة. ويطول نفس أسامة أحياناً حتى تبلغ القصيدة تسعين بيتاً، كذلك التي كتبها على لسان نور الدين، يعدّد فيها وقائعه مع الفرنج.

وينهج أسامة في كثير من الأحيان المنهج التقليدي، فيبدأ قصائده بالغزل حين يفتخر، أو يمدح، أو يشكو، وحيناً يبدأ موضوعه من غير مقدّمة غزلية،

كهذه القصيدة التي بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لقي الفرخ وهزمهم ،
فقال أسامة .

كل يوم فتح مبین ، ونصر . واعتلاء على الأعادی ، وقهر
ومضى في قصيدته .

ولكثر ما اطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمّنه بعض قصائده . حتى
قد اتهمه بعض سامعي شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى
التّضمن ، الذي تراه في قوله ، يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى إليه ، ولي شكية ، أنت فيها « الخصم والحكم »
وما ظننتك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل النهى ذم »
لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم حتى « استوت عندك الأنوار والظلم »

وفي هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبي : واحر قلباه ممن قلبه شيم .
أما قصيدة أسامة التي مطاعها :

أطاع الهوى من بعدهم ، وعصى الصبر فليس له نهى عليه ، ولا أمر
فقد ضمّنها من شعر أبي فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبي ، وأبي صخر
الهندلي ، وغيرهم . وليس التّضمن بكثير في شعر أسامة . وأكثره ما جاء في
هاتين القصيدتين .

تلمس في شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ولا مزاح ، إلا قليلا
نادرا ، وليس في باب الملاح الذي عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من

الفكاهة، ولعل من أرقها قوله، وقد كان له جار من الأمراء يعرف بابن طليب،
وقعت في داره نار، فاحترقت، فقال أسامة :

أنظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا ، وكان هلاكها بالنار

(٤)

وجدت الأحداث الكبرى التي مرت بأسامة صداها في شعره ، وصور
آثارها في نفسه تصويرا قويا ، ولعل من أقوى هذه الآثار عمقا في نفسه ،
اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول : شيزر ، الذي شهد مدارج طفولته ،
وملاعب صباه ، وملاهي شبخته . وقد وجد أسامة البقاء في هذا الوطن ،
شقاء لا يطيقه ، بعد أن جفاه عمه ، وقلب له ظهر الحجن ، فكتب إلى أبيه
قصيدة، يحدثه فيها عما يعتلج في صدره من الهم ، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه
من الغدير ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له :

أشكو إلى عليك هماً ضاق عن كتمان صدرى ، وما هو ضيق
وطوارقا للهم ، أقرىها الكرى وتلظى بي صبحا ، فما تنفرق

وينبئه بأنه قد صمم على فراق دار الهون ، ما دام الحقد عليه قد وجد سبيله
إلى قلوب ذوى قرباه ، فيقول له :

دعني وقطع الأرض ، دون معاشر كل على ، لغير جرم ، مُحْتَق

تغلى على صدورهم ، من غيظهم فتكاد ، من غيظ على ، تحرق
أعيا على رضاهم ، فيئت من إدراكه ، ما التجم شيء يلحق
قد أفسدوا عيشى على ، وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبى أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوهم فإذا جفوني فالأبعاد أرفق
وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذى نأى به عن الضيم ،
وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه راضيا به ،
ما دام ذلك فى سبيل احتفاظه بأنفته وعزة نفسه :

أأسام خسفا ، ثم لا آبى ، فلست إذا أسامة
هيات ، لا ترضى المعأ لى صاحباً يرضى اهتضامه

وألقي أسامة بنفسه فى المعارك تحت لواء عماد الدين زنكى ، ولم ينقص
عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو غروا صدر أبيه عليه ، فاضطر أسامة إلى أن
يرسل إلى أبيه استعطافا ، يزيل به من نفسه أثر هذه الواقعة ، التى لم يحدثنا
التاريخ عنها شيئا ، فكتب أسامة إليه :

يا ويح قلبى من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ، ماذا من نواك لى
وناظر قرحت أجفانه ، أسفا عليك ، فى لحنة من دمعه غرق
وبعد ما بى ، فاشفاقى يهدنى بشوب رأيك بالتكدير والرتق
وأن قلبك قد رانت عليه ، من السواشين بى ، جفوة يهماء ، كالفسق
أما كفاهم نوى دارى ، وبعذك عن عيى ، وفرقة إخوان الصبا الصديق

وأنتى كل يوم قطب معركة درية السمر والهندية الدلق
أغشى الوغى مفردا من أسرقى، وهم هم إذا الخيل خاضت لجة العلق
وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يغيره كبسى ولا حمقى
وكان موقفه من دمشق حين نبت به ، كموقفه من وطنه الأول ، فارقتها ،
غير راض باحتمال الهوان ، برغم ما ألمسه فى شعره من حبه لمعين الدين ،
إذ يقول له :

ولست آسى على الترحال عن بلد شهب البزاة سواء فيه والرخم
تعلقت بجبال الشمس منه يدى ثم انثنت ، وهى صفر ، ملؤها ندم
أما حياته بمصر، فقد مرّ عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام ، وتنقل
الملك والسلطان ما صحّ أن يقول معه :

خمسون من عمرى مضت، لم أتعظ فيها ، كأتى كنت عنها غائبا
وأنت على بمصر عشر بعدها كانت عظة كلها وتجاربا
شاهدت من لعب الزمان بأهله وتقلب الدنيا الرقوب عجائبا
ولعلّ الأزمات السياسية التى مرّت به فى مصر ، كانت تملأ صدره بالهمّ حيناً،
والنقمة على الزمن الذى دفع به إلى مصر ، فيقول :

يامصر، مادرت فى وهمى ولا خلدى ولا أجالتك خلواتى بأفكارى
ما أنت أول أرض مسّ تربتها جسمى، ولا فيك أوطانى وأوطارى
لكن إذا حمت الأقدار كان لها قوى تؤلف بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حيناً إلى الثورة ، والتي لا بد أن تلم بمن يخوض لحة السياسة — وجد في مصر ما كان يصبو إليه : من مال ومجد ، كان شديد الأسف عليه ، حين أفلت من يده ، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يرتجى الـ آمل : من رفعة ومال وجاه

فاستردت ما خولتني ، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي !

كنت فيها ، كأتني في منام زال منه ما سر ، عند انتباهي

فلا جرم كان شديد الحنين إلى مصر ، بعد أن فارقتها ، وكان يتمنى أن يلي

دعوات الملك الصالح ، التي وجهها إليه مرة بعد أخرى ، يدعوها فيها إلى العودة

والعيش معه . وهنا يحسن بي أن أقف قليلاً ، أيقن رأى الملك الصالح فيما أتهم

به أسامة : من المشاركة في قتل الظافر ، فالصالح يرى أسامة براءة تامة من هذا

الإثم ، ويراها نقي الصفحة ، طاهر اليدين ، وها هو ذا يرسل إلى أسامة ، يدعوها

إلى مصر ، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر ويقول له :

على أنه قد نال بالغدر من بني نبي الهدى ما لم ينله بنو حرب

وهل نال منهم آل جرب وغيرهم من الناس فوق القتل والسبي والنهب

غدا والغا كالكلب ظلما وحزبه دماءهم ، لاحاطه الله من حزب

وياليت لو كان فيه من الوفا لمالكه بعض الذي هو في الكاب

وحاشاكم ، ما ختم العهد مثله ولا لكم فيما جرى منه من ذنب

ومن مثل ما قد نالكم من دونه يحاذر أن تدنو الصّحاح من الحرب

كان لكثرة الترحال أثره في شعر أسامة ، فكثيرا ما شكا الفُرقة والافتراق ،
وكثرة جوبه البلاد . وتحسّ في هذا الشعر لوعة الحرمان . وألم الشوق إلى الوطن
المفارق ، والآل الغائبين ، فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باقٍ العمرِ مغتربٌ ناءٍ عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرّ جياذى في معرّسها حتّى أرقّوعها بالشّدّ والظعن
ويقول :

أين السّرورُ من المروع بالنوى أبدا ، فلا وطنٌ ولا خلانٌ
عيدُ البريّة موسم لعويله وسرورهم فيه له أحزان
وإذا رأى الشّمل الجميع تراحت في قلبه الأمواه والنيران

فكان هذا الرّحيل الدّائم ، مصدر ألم لأسامة ، يؤرّق حياته ، وينغصص
عليه عيشه . وكان له أثره في مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه
عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدّد ثروته ، نهب بعضها عقب الحوادث التي جرت بعد مقتل
الظافر . وغرق بعضها في البحر عند خروج أسرته من مصر — أثره البالغ
من نفسه . وأثره القوي في شعره ، شكا ذلك إلى الملك الصالح . وطلب منه
المعونة . فقال له :

أنا أشكو إليك دهرا لحي عو دى . وأعراه ، فهو يس سليب
وخطوبا رمى بها حادث الدهر سوادى وكلّهن مصيب

أذهبت تالدى وطارفى الطارى ، فضاغ المورث والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ذا غريق قى ، وذا منهوب

ويظهر أنّ الفقر قد عضه بناه حيناً من الدهر ، حتى رأيناه يصف نفسه بأنه
لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون اليه ، ظانين فيه الغنى
واليسار :

ولكنّ مستورى كظاهر حالهم فما حيلتى؟ والحظّ حرب الفضائل
وكان أكبر ما يؤله فى حالة العسرة التى ألمت به ، هو أن شمت به أعداؤه ،
سأخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحيناً يقول لهم :

متى رآنى الشامتون ضرعاً لنكبة تعرقنى عرق المدى
هل برّنى الخطب سوى وفرى الذى كان مباحاً للنوال والتدى

فإذا نزلت كارثة زلزال شيزر ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبيكهم ،
ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسائل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه
من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به : من سامى الخلال ، وطيب الفعال . ورغم
ما كان بينه وبينهم : من إحزن وبغضاء ، عزّ عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت
حياتهم ، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة ونفور ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ،
وينبوعاً لقوته واعتزازه . قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ،
وكيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسى ، فلا يجد أسوة
يقتدى بها :

قالوا: تأس ، وما قالوا: بمَن ، وإذا أفردت بالرزء ما أنفك أسوانا
ما استدرج الموت قوماً فى هلاكهم ولا تخرمهم مثنى ووحداً

فكنت أصبر عنهم صبر محتسب وأحمل الخطب فيهم ، عز أوهانا
وأقتدى بالورى قبلى ، فكم فقدوا أخا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا
ويدفع عن نفسه أن يظنَّ به ظانٌّ وقوفه من هذه الكارثة، وقوف من لا يعنى
بها ، ولا يأبه لها ، فيقول :

لعل من يعرف الأمر الذى بعدت بعد التصاقب من جراه ، دارانا
يقول بالظنَّ إذ لم يدر ما خلقى ولا محافظتى من حان أو بانا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره كم أوغروا صدره غيظا وأضعانا
وما درى أنت فى قلبى لفقدهم نارا تلظى ، وفى الأجفان طوفانا
بنو أبى ، وبنو عمى ، دعى دمهم وإن أرونى مناواة وشتانا
كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثة وجتّى ، حين ألقى الخطب عريانا
وختم تلك القصيدة الباكية بالدعاء لهم ، فقال :

سقى ترى أودعوه رحمة ملأت مثوى قبورهم روحا وريحانا
وألبس الله هاتيك العظام ، وإن بلين تحت الثرى ، عفوا وغفرانا

ولما علت سنَّ أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل
الحياة عليه ، لحينا يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينما تنهال
عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم، وقوته فى عهده السالف،
فقد كانت كفه مألفا للسيف والرمح ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما

يمشى الأسير مثقلا بالكبل ، وحينئذ يأسف على أنه لم ينل في شببته ، من المتع
والملاذ . ما كان جديرا أن يظفر به في عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساءنى أن أحال الزمان لى ليلى نهارة ، وجهلى وقارة
ولكن يقولون : عصر الشباب يكون لكل سرور قرارا
فوجدى أنى فارقته ولم أبل ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أتر فيه يومئذ أنه رزق ابنة بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة ،
فوجد اليم ينظرها ، وكان تفكيره في يتمها وضعفها مجابة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون تخبرها أن سوف تيم عن قرب ، وتنعاني
وهي الضعيفة ، ما تنفك كاسفة ذليلة ، تتمرى دمعى وأحزاني

وصور لنا أسامة نفسه محنيا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا
وئرا لهذا القوس ، يمشى مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشى كالمقيد
بعثاره ، أو كالأسير في قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه
عاجزا عن تلبية داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنت قواى عن سعى إلى الحرب
وكنتم إن ثوب داعى الوغى لئيمه بالظعن والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا . قد مضت لداته
وأترابه ، فعاش غريبا في جيل غريب عنه ، فكان يتأوه قائلا :

ناء عن الأهلين والأوطان . والأتراب ماتوا

ولبنس عيش المرء فا رقه الأحبة واللذات
فلام أشقى بالبقا ء ، وكم تعذبني الحياة

(٥)

يصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ ، ونجم الدولة محمد ،
وعز الدولة ، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه محمد - قوية وثيقة ، يضمحل لأبيه
الحب وخالص الإجلال ، ويعني أكبر ما يعني ، بأن يكون راضيا عن خطواته ،
وأهدافه ، كتب إلى أبيه يستأذنه في فراق شيزر بعد أن ساءت حياته فيها
قصيدة طويلة ، منها :

فاسمح ببعدي عنهم برضاك لي إن الذي ترضى عليه موفق
حتى إذا آثر أسامة البعد كتب إلى أبيه قصائد يشوق فيها إليه ، ويحدثه
عن آماله في لقائه والحياة معه ، فإذا سمع أسامة أن تغيرا ألم بقلب والده عليه ،
بعث إليه يستعطفه ويسترضيه ، ومن ذلك قوله :

مالي وللشفعاء فيما أرتجى من حسن رأيك في ، وهو شفيعي
أعذبت لي من جود كفك موردى فصفا ، وأمرع من نذاك ربيعي
وبك اعتليت ، وطلت من ساميته نفرا بجذك لا بحسن صنيعي
وقضى ببعدي عنك دهر جائر وإلى جنابك إن سلمت رجوعي

وكتب مرة إليه من مقتربه قصيدة منها :

بي لوعتان عليك ، يضعف عنهما جلدى : من الأشواق والإشفاق
فالشوق أنت به العليم ، وغالب الإشفاق ممّا أنت فى ملاقى

وقد أثرت هذه القصيدة فى نفس والده ، فكتب إليه :

أنتظنّ أتى بعد بعدك باقى أبجى عن الأشواق بالأشواق
أبا المظفر ، دعوة تشفى الظما منى ، وإن أضخى بها إحراقى
لم أستكن أبدا لخطب نازل إلا لبعذك فهو غير مطاق
فاذا أطعت الوجد فىك أطاعنى قلبى ، ويبدى إن عصبت شقاقى
فاذا ذكرتك خلت أنى شارب ثمل سقاه من المدامة ساقى

ولعلّ والده رأى هذه القصيدة غير مبيّنة عما يضره قلبه لولده من لاجع
الشوق ، فقام أحد مؤدّبي أسامة بنظم قصيدة أرسلها إليه يصف فيها حال هذا
الوالد المعذب .

ولمّا شئت إخوته فى البلاد كانت رسائله إليهم تفيض بالحب وشكوى
الفراق ، فإذا عتب عليه أحدهم ، تقبل عتبه بالعنى ، وصادق الحبّ والمودة ،
وحدث أن أخاه محمدا أسره الفرنج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس
وابنه نصر ، فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشيزر من صلة مقطوعة أن
يكتب إليه ، مستعينا به على فك أسراخيه ، مبديا أرق ألوان الاستعطاف ،
إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فاجعلنى بفك أنحى من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدمي

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ولم يسع في فكك أخيه .

أما صلته بعمّه ، حاكم شيزر ، وابن عمه ، فيظهر أنّه حاول جاهدا الإبقاء على الصلة التي تربطه بهما ، وبذل في سبيل ذلك ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة ، ولعلّ خير ما يصوّر موقفه في تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ، ويثت منهم فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم قوادي كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق الحيا كأني ما سمعت ، ولا رأيت
تجنّوا لي ذنوبا ما جتها يداي ، ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا كما قد أظهره ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدا ، وتبدو صجيقة ما جنوه وما جنيت

وبعد وفاة عمّه ، حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمّه ، وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم يؤت ثمرته ، فظلت النفرة بين أسامة وأهله ، حتى مضى زلزال شيزر بهم ، فبكاهم أسامة كما ذكرنا . وكلّ هذا يدلّنا على ما امتازت به نفس أسامة : من حبّ يضمّره لأقاربه ، ورغبة خالصة في أن يعيش بينهم ، يظلالهم جميعا الودّ والوثام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق في جهد كان جديرا به أن ينجح ، وأكاد ألمس في شعره أنه لم يسع يوما إلى فصم عروة مودة بينه وبين قريب أو صديق .

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة ، الملك الصالح طلائع بن رزّيك ،
 ودار بين الاثنين كثير من المراسلات التي تنضح عن ود مكين بين قليهما ،
 وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، ففضت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه
 إلى مصر حيناً ، وتعتب عليه إشاره البعد عنها حيناً آخر ، وتأخذ عليه أحياناً
 أنه مقلّ في رسائله ، لا يوالى بعث كتبه ، وكثيراً ما حدّثه الصالح عما قام به من
 حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كي يجتمعا معا
 على حرب الصليبيين . وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية
 في حياته ، وكان الصالح معجباً بمواهب أسامة في الحرب والسلام ، يرى فيه
 محاربا شجاعا ، وشاعرا مفلحا ، وخطيبا بارعا ، وحكيما في إبداء الرأي صائبا ،
 يقول له :

وجهادُ العدوِّ بالفعل والقو ل ، على كل مسلم ، مكتوب
 ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت إذ تشب حروب
 أنت فيها الشجاع ، مالك في الطعن ولا في الضراب يوما ضريب
 وإذا ما حرّضت فالشاعر المفلح فيما تقوله والخطيب
 وإذا ما أشرت فالحزم لا ينكر أن التدبير منك مصيب
 لك رأى مذ قط إن ضعف الرأى على حاملي الصليب صليب

وهو لذلك يراه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين ، يحرضه على أن
يجمعها معا على حرب الصليبيين في وقت واحد، حتى تشتت وحدتهم، ولا يستطيعوا
الحرب في جهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح ، يجهز الاثنان جيشيهما ،
ويسيران معا في وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك
الرأى إلى نور الدين ، إذ قال له :

فانهض الآن مسرعا فبأمانا لك ، بازال يدرك المطلوب
والق عنا رسالة عند نور الدين ما في إلقاتها ما يريب
قصدا أن يكون منا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضا ق بأدناهم الفضاء الرجيب
وعلينا أن يستهل على الشام مكان الغوث مال صبيب

فهو يعد بالجيش والمال ، ويرى أن اجتماعهما معا على حرب العدو
كفيل بأن يلقي بهم في البحر . أرسل رسالة إلى أسامة يقول فيها :

فلو أنّ نور الدين يجعل فعانا فيهم مثالا
ويسير الأجناد جهرا ، كي ننازلهم نزالا
ونبي لنا ولأهل دو لته بما قد كان قالا
لرأيت للافرنج طرا في معاقلها اعقلا
وتجهزوا للسير نحو الغرب، أو تصدوا الشمالا

وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على الغزو ، والاجتماع على رأى
الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بالغ العبد فى النيابة والتحريض ، وهو المقوه المقبول
فرأى من عزيمة الغزو ما كا دت له الأرض والجال تمليل

وكان رأى أسامة كراى الصالح فى الاجتماع ووحدة الكلمة ، ومضى المالكين
معا إلى الحرب . وقصائده إلى الملك الصالح تحت على هذا التضامن والاتفاق ،
ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمانى ، ولو أنه نفذ يومئذ فربما كان قد تغير
مجرى التاريخ .

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما تصف له ما نزل بالقدس :
من محن على أيدى الصليبيين ، وما اتصف به هؤلاء : من الغدر الذى لا يحول
بينهم وبينه هدنة تعقد ، ولا عقد يرم . وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع
الصالح فى الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح وتشكر أياديه ، وكان
الصالح يبره ، ويرسل إليه خبره ، ولم يكن أسامة يجد غضاضة فى سؤال الصالح
ولا الشكوى إليه ، كتب إليه مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالجور فى ، ولم يزل يجور على مثلى ، ويعتسف
لحت نوائبه عودى ، وأنفد مو جودى ، وشتت شملى ، وهو مؤتلف
وقد دعوتك مظلوما ومرنجيا وفى يدك الغنى والعدل والخلف

ومن شكر أسامة له قوله :

والندى طبعك الكريم ، فما أهنى نوالا تنيله وتثيب
جاءنى والبعاد دونى ، كما جا بت فيا فى البلاد ربح هبوب
وعجيب أن المواهب تسرى ويقيم المسترفد الموهوب

(٧)

ومدح أسامة غير الصالح ، معين الدين أنز حاكم دمشق ، عندما كان فى كنفه ،
وبعد أن فارقه وجاء إلى مصر ، يثنى عليه بالجوهر الذى تعبده فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من يجيدى مثل أطواق الحمام

وحينا يثنى عليه ببلانه فى حرب الصليبيين وانتصاره عليهم ، فيقول له :

أنت سيف الإسلام حقاً ، فلا فل غراريك أيها السيف دهر
بك زاد الإسلام ياسيفه المخدم عزاً ، وذل شرك وكفر

ومدح الوزير الأفضل عباس بن أبى الفتح وزير الظاهر ، وابنه نصر على نعمه
وما أولاه من الفضل والكرامة . وفى ديوانه قصيدة ، لا أدرى لمن وجهها ،
مدح فيها بتشجيع العلوم وتوطيد أركان العدل . أما رأيه فى نور الدين محمود :

فهو المحامى عن بلاد الشام جمعا أن تذالا
وميد أملاك القر نج وجمعهم حالا حالا
ملك يتيه الدهر والدنيا بدولته اختيالا
فإذا بدا للناظرين رأت عيونهم الكمالا

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله الناس على الزهد ، حتى لقد أشبهت أيامه شهر الصوم : في طهارتها ، وامتلأها بالجوع والعطش . وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية في أن يستمتع بالمباح الطبية للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذا كرا فضله عليه وعلى الإسلام .

(٨)

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصبره وثباته وتجربته ، وكان ذلك كله ينبوع نغره في شعره ، فما قاله مفتخرا بشجاعته :

لخمس عشرة نازلت الكماة إلى أن شبت فيها ، وخير الخيل ما قرحا
أخوضها ، كشهاب القذف مبتسما طلق المحيا ، ووجه الموت قد كلكا
بصارم من رآه في قتام وغي أفرى به الهام ، ظن البرق قد لحا
أغدولنار الوغى في الحرب ، إن محمدت بالمبيض في البيض والهلمات مقتدحا
فسل كماة الوغى عنى ؛ لتعلم كم كرب كشفت ، وكم ضيق بي انفسحا

وهو يعلم أن مكانته في السلم رهينة بما يبيديه في الحرب من بسالة وإقدام :

إن يحسدوا في السلم منزلتي من العز المنيف
فبما أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف
فطالما أقدمت أقدام الخوف على الخوف
بعزيمة أمضى على حد السيوف من السيوف

وفي كثير من شعره ، افتخر بصبره على المكروه وأحداث الزمان .

ولأسامة نظرات صائبة في الحياة ، أوحى إليه بها تجاربه ، وطول عمره
وما تقلب عليه من حوادث الزمان ، وعبر الأيام .

يرى أسامة لكل شيء في الحياة نهاية ، فلا بقاء لأمر ، ولا خلود لحادث ،
فللسرور غاية ينتهي إليها ، وللأحزان حد تقف عنده ، وإذا كانت الحياة تجري
على هذا المنوال ، فمن الواجب استقبال حوادث الأيام ، بحسن الصبر ، وقلة
الاهتمام ، فإن الشدائد إذا كانت ستنقضي وتزول ، فمن العبث أن يزيد المرء
آلام نفسه :

خفف عليك ، فللأمور نهاية وإلى النهاية كل شيء صائر
فاستقبل صروف الزمان بالصبر :

اللق الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور
فسينقضي زمن الهموم ، كما انقضى زمن السرور

بل إن هذه النظرة تنتهي بصاحبها إلى قلة الاكتراث بما في الحياة من سعادة
وشقاء :

لما رأيت صروف هذا الدهر تلعب بالبرايا
يعلوها هذا ، ويهبط ذا ، وقصرهم المنايا
ورأيتهم مسترجعا نزر المواهب والعطايا

متغابر الأحوال مختلف الضرائب والسجايا
 لا نعمة فيه تدوم ، ولا تدوم به البلايا
 لم أغبط فيه بفا ندة ولم أخش الرزايا

والمرء يتغلب على شدائد الحياة بالصبر :

إذا ما عرا خطب من الدهر ، فاصطبر فإن الليالي بالخطوب حوامل
 فكل الذي يأتي به الدهر زائل سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائل
 وليس الصبر وسيلة لتحمل المكروه حتى ينقضي فحسب ، ولكنه الطريق
 إلى نيل الأمل ، والظفر بالأمانى :

اصبر تنل ما ترجيه ، وتفضل من جارك شأو العلا سبقاً وتبريزاً
 وأستطيع أن أعد أسامة بهذه النظرة إلى الحياة متفائلاً ، إذ هو ، عند الشدة ،
 واثق من زوالها ، وإذا كان الأمر على ذلك فلا معنى لليأس ولا خير فيه :

يا آلف الهم لا تقنط ، فأياس ما تكون يأتيك لطف الله بالفرج
 ثق بالذي يسمع النجوى ، وينجي من السبلوى ، ويستنقذ الغرقى من الهلج

وإذا كان كل شيء في هذه الحياة إلى انقضاء ، فمن الواجب ألا يدع المرء
 فرصة سعادة تمر من غير أن يأخذ منها بالنصيب الأوفى :

وتغنم اللذات إن ممرها مر السحاب

وأوحت إليه تجاربه في الحياة أن القرب من السلطان غير مأمون العواقب ،
ولا شهى الثمرة ، فنادى بالبعد عنه ، وإيثار العيش في حمول وهدوء :
ارض الحمول ، تعش به في نجوة مما تخاف ومن معاندة العدى
أما الحياة في جوار ذوى السلطان ففي خطر دائم ، وقلق لا يهدأ :
لاتقربن باب سلطان ، وإن ملأت هباته غير ممنون بها الطرقا
فإن أبوابه كالبحر ، راكمه مرقع القلب ، يخشى دهره الغرقا
وأسامه من يؤمنون بالقضاء والقدر ، ويدين بالخط ، ويرى الرزق مقسوما ،
لا حيلة في تبديله :

فؤض الأمر راضيا جف بالكائن القلم
ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
دل رزق الضعيف وهو كالحم على وضم
وافتقار القوى ترهبه الأسد في الأجم
أن للخلق خالقا لا مرء لما حكم
ولكن الناس جشعون يتكالبون على الحياة ، ولا يزهدون فيها إلا متكلفين
مكرهين .

(١٠)

وأفرد أسامة في ديوانه بابا للزئاء ، خصّ جزءا كبيرا منه برثاء ولده أبي بكر
عتيق ، وكان قد وصفه بين أترابه قائلا :
عتيق كأللال ، إذا تبدى لسارى الليل من تحت الغيوم
تقول إذا به الأتراب حقوا : أهذا البدر ما بين النجوم

وأكاد ألمس في تشبيهِه بالهلال يبدو لسارى الليل . أنه كان أملاً لأبيه ،
 طالما تمنّاه ، ليكون رفيقاً لولده الآخر مرهف ، فلا جرم كان لموته لذعة ألم
 في قلبه ، أمضته ففضى إلى شعره يشكو إليه وقدة الحزن ، ولا سِماً أنه نكب به
 وقد قارب الثمانين من العمر ، لا أمل عنده في خلف يأتى به .

وأسامة يحدثنا عن شغل فؤاده الدائم بابه الزاحل ، فيقول :

كيف أنساك يا أبا بكر ؟ أم كَيْفَ اصطبارى ؟ ! ما عنك صبرى جميل
 أنت ، حيث أتجهت ، فى أسودى عي سنى وقلبي ، عمّـل لا تزول

ويصف لنا انصرافه بعد زيارة قبره ، يملأ قلبه الأسى والشجن :

أزور قبرك ، والأشجان تمنعنى أن أهتدى لطريقى حيث أنصرف
 فما أرى غير أحجار منضدة قد احتوتك ، وماوى الذرة الصدف
 فأنثنى ، لست أدري أين منقلبي كأننى حائر فى الليل معتسف

وقد أثار فيه هذا الحادث المؤلم ذكرى من مضى من أهله ، فأخذ يندبهم ،
 ويتوجع لمصيرهم ، بل أثار فيه الألم لحياته القلقة المشردة ، التى لا تأوى إلى وطن :

رمتنى فى عشر الثمانين نكبة من النكل بودى حملها من له عشر
 على حين أفنى الدهر قومي ، ولم تزل لهم ذروة العلياء ، والعدد الذثر
 فلم يبق إلّا ذكرهم وتأسفى عليهم ، ولن يبقى التأسف والذكر
 وأصبحت لا آل يلبون دعوتى ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
 كائن من غير التراب ، فليس لى

من الأرض ذات العرض ، دون الوردى ، شبر

ولكن أسامة ينتهى بالتسليم للقدر ، ما دام ذلك مصير الأحياء أجمعين ،
وإن الدنيا كلها - مادام ذلك عقي أمرها - لا تستحق عناء طلبها ، ولا التعب
فى جمع ما يخرج المرء منه وهو صفر اليدين .

(١١)

ليس فى غزل أسامة هذه الحرارة القويّة التى تشعّرنّا بقلب دله الحبّ ،
وأضنته لوعة الغرام ، ولا أكاد أتّين له إحساسا تفرد به ، أو لحات امتاز بها ،
وليس معنى ذلك أنه لم يذق الحبّ ، بل أرجح أنّه ذاقه ، وإن كان لم يشغل
قلبه كلّهُ ، وقد استعمل أسامة تشبيهات الأقدمين وأساليهم فى وصف عواطف
الحبّ ، ومما يلحظ على غزله أنّه شاك حزين ، لا تكاد تلح فيه ابتسامة سرور ،
وقد يرقّ أسامة أحيانا ، ويتخذ أوزانا مرقصة ، ونحسّ ببعض نبضات الحياة
فى غزله ، كقوله :

قل لمن أوحش بالهجر جفونى من كراها
والذى أوهم عيني أنّ فى النوم قذاها :
يا ملولا ، قلبا استرعى عهدا فرعاه
يا ظلوما ، كلبا استعطفته ، صدّ وتاه
زدت فى تيهك ، والشئ إذا زاد تناهى
تنقضى دولة الحسن ، وإن طال مداها
راحتى لو سمع الشكوى إليه ووعاه

غير أنّ القمّ لا تسمع دعوى من دعاها
وهو لو نادى عظامى رمة لبيّ صداها

هذا وكان أسامة عندما يبدأ غرضاً من أغراض شعره يجعل روح غزله
مناسبة لهذا الغرض . واستمع إلى غزله في مفتتح قصيدة عتاب ، إذ يقول :
ولوا ، فلما رجونا عفوهم ظلّموا فليتهم حكوا فينا بما علّموا
ما مرّ يوماً بفكرى ما يريهم ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
ولا أضعت لهم عهداً، ولا أطلعت على ودائعهم في صدرى التّهم
وعلى هذا النسق مضى ، حتى قال :

وبعد ؛ لو قيل لى : ما ذا تحبّ؟ وما مناك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هم
هم مجال الكرى من مقلتيّ ، ومن قلبي محلّ المنى، جاروا ، أو اجترموا
وهاك من غزله في قصيدة استعطاف :

أطاع ما قاله الواشى ، وما هرفا فعاد ينكر منّا كلّ ما عرفا

(١٢)

وعتاب أسامة فيه رقة ورفق بالغ ، واستعطافه جدير أن يستلّ الضّغائن
من القلوب ، تشغرفيه بحرارة العاطفة ، وصدقها ، يقول لابن عمّه يستعطفه :
هبنى أتيت بجهل ما قذفت به فأين حبلك، والفضل الذى عرفا

ولا ، ومن يعلم الأسرار حلقة من يبرّ فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا

ما حدثتني نفسي عند خلوتها بما تعفني فيه إذا انكشفا

وبعد فشعر أسامة من النوع الجزل الفخم ، لا يكاد تجد فيه من الهنات

إلا ما يعدّ ويحصى ، فهو في عصره يوضع في مقدمة الشعراء الذين جدّدوا

شباب الشعر ، وكسوه حلة من الفخامة والقوّة والجلال .

أحمد أحمد بدوي

مقدمة

حامد عبد المجيد

يعد أسامة بن منقذ في طليعة رجال عصره أدبا وتصنيفا ، وممارسة لألوان النشاط السياسي في المحيط الذي عاش فيه ، أغرم بالأدب شعره ونثره ، ونهل منه حتى ارتوى ، ووجد في الشعر متنفسا يترجم به عن عواطفه ، ويسجل فيه حسه ومشاعره ، إزاء ما كان يمر به من أحداث عنيفة ، كانت تدفعه إلى القول دفعا ، فكان له مع الزمن ديوان ضخم ، عني بترديد النظر فيه بين الحين والحين ، يستعيد به ذكريات غالية عنده ، أو يصور لنفسه حوادث قوية مرت به ، وكان يجبل قلبه في أرجائه بالحو حينا والتعديل حينا آخر ، وكان تطلعه إلى مثل أعلى في البيان يدفعه إلى معاودة النظر في شعره بين وقت وآخر ، ليلبغ منه بالتهذيب إلى ما يبغيه من سمو في القول ، وقوة في البيان . واقتدى أسامة في ذلك بما يحفظه التاريخ لكبار رجال القول من إقبالهم على تنقيح شعرهم ، وتلمسهم أسباب الإجادة ، فلا يزالون يغيرون ويحورون في قريضهم حتى يصلوا به إلى الغاية ، ويروا أنهم قد أوفوا على التعبير الذي يبين عما في نفوسهم أوفى بيان وأتمه ، وحينئذ يذيعون شعرهم في الناس ، مغتبطين به ، وإن كانوا قلما يرضون عن أنفسهم ، بل يتطلعون دائما إلى مزيد من الإجادة والانتقان .

وقد عني أسامة في أثناء حياته بجمع ديوانه ، فكتبه بخطه ، ونقله عنه محبو أدبه ، وراه ابن خلكان في مجلدين بأيدي الناس ؛ وروى منه بعض ما راقه فيه وهو يترجم لصاحبه في كتابه وفيات الأعيان .

وظفر شعره منذ حياته بعناية الأدباء وتقديرهم ، فاختار له العماد الأصفهاني في حريدته ، وقرن ما اختاره له بأسمى عبارات الإعجاب والإجلال ، كما اختار له الرشيد بن الزير في كتابه جنان الجنان . وكان ديوانه مما أحب صلاح الدين الأيوبي صحبته وقراءته ، وترديد النظر فيه بين الحين والحين؛ حتى لقد دفع ذلك بعض الشعراء إلى معارضته فيما كان صلاح الدين يعجب به من قصائده .

روى العماد الكاتب قال ^(١) : "لزمت خدمة السلطان (صلاح الدين) ، أرحل برحيله ، وأنزل بنزوله ، وكنت ليلة عنده ، وهو يذكر جماعة من شعراء الزمان ، وعنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامه بن مرشد ، بن سديد الملك على بن منقذ وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، وإلى استحسانه مصروف ؛ وقد استحسن قصيدة له طائية ^(٢) لو عاش الطائيان لأقرا بفضلها ، وأن خواطر المبتكرين لتقصر عن مثلها ، على أن الشعراء المحدثين ما منهم إلا من نظم على رويها ووزنها ، واستمد خصب خاطره من مرزها "

والحق أن شعر أسامة جدير بالحب والتقدير ، فهو من النوع الجزل الفخم ، تستمع إليه فيروك معناه ، وتعجبك حلته المتينة النسيج ، التي لم يضح صاحبها بجودتها في سبيل زخرف أوزينة ، فهو من الشعراء الذين ردوا للشعر أسلوبه الرفيع الذي كان له في العصور الزاهرة للشعر العربي ، والذي ساعده على ذلك

(١) يريد القصيدة التي مطلعها :

أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شغلوا ومنية قسي أنصفوني أو اشتغلوا

راجع الديوان ص ٧٨ و ١٧٤ و ٢١١ .

(٢) الروضتين ١ : ٢٤٧ .

ثقافة واسعة من مآثور الأدب الموروث عن أساطين الأدباء وفحولهم ، وقد تجلت هذه الثقافة الأدبية الرفيعة ، فيما اختاره من نصوص ممتازة جمعها في كتابه . لباب الآداب وسواه . فقد كان الرجل واسع الاطلاع ؛ معدودا من علماء عصره و كبار مثقفيه ، فلا غرابة أن تأثر أسلوبه بأسلوب هؤلاء الرجال الممتازين ، وأن اقتبس منهم حيناً ، وضمن شعره بعض قولهم حيناً آخر ، فثقافة الشاعر ذات أثر كبير في أسلوبه .

وأسامة يعد بحق في الطليعة بين شعراء عصره الذين خلد الأدب من بين أسمائهم : المهذب بن الزبير وأخاه ، وطلائع بن رزيك ، وعمارة اليمنى ، والعماد الأصمفهانى . ولعل سرتفوقه — فضلاً عن ثقافته الأدبية الواسعة التى تحدثنا عنها — أنه كان يعنى بالتعبير عما يمر به فى الحياة من تجاربه الشخصية ، فكان لحياة التجربة فى نفسه أثرها فى قوة شعره .

ولقد هبأ له طول العمر إنتاجاً غزيراً فى الشعر ، جمعه فى ديوان كبير . ولسنا ندرى متى جمع أسامه ديوانه ، وأغلب الظن أنه قام بجمعه فى أنحريات أيامه ؛ ففيه شعره الذى قاله فى شيخوخته . ويحوى الديوان معظم شعر أسامه ، فلم نعثر فى مراجعه المختلفة إلا على النادر الذى لم يرد فى الديوان .

ولما كان أسامة هو الذى قام بجمع ديوانه ، واختار أن يقسمه إلى أبواب الشعر الغنائى المعروفة فى عصره ، ورأى أن يجزئ القصيدة الواحدة المشتملة على أغراض متنوعة ، أجزاء يضع كل جزء فى الباب الذى يناسبه — فقد احترمنا النهج الذى ارتضاه أسامة لديوانه ، وأشرنا كلما أمكننا ذلك — إلى باقى أجزاء

القصيدة في أماكنها المختلفة ، ليتسنى للباحث دراسة نظام القصيدة عند أسامة ، ومنهجه في تأليف قريضه ، وطريقته في التخلص من غرض إلى غرض .

رتب أسامة ديوانه على حسب أغراض الشعر الغنائي ، من غزل ، ومدح ، ووصف ، ورتاء ، وغيرها ، مبتدئاً بالغزل ، ولعل بدؤه الأبواب بالغزل ، لما للغزل من صلة بكل قالب ، ولأن القصيدة العربية تبدأ بدءاً تقليدياً بالغزل ، فرجح ذلك لديه بدء ديوانه بهذا اللون العاطفي المؤثر .

ومضى أسامة يرتب شعره في كل باب على حسب الحروف الأبجدية ، من غير أن يستغرق هذه الحروف في كل باب ، كما كان مقلاً في القوافي القليلة الاستعمال كالتاء والذال .

أحسن أسامة في ترتيب ديوانه على الوضع الذي ارتضاه لإذاعة شعره في الناس ، أم أنه كان من الخير أن ينهج نهجاً آخر في ترتيب ديوان ؟

لأرب أن اختيار أسامة لهذا اللون من الترتيب له مزاياه التي لا تنكر ، من خلق جو واحد للقصائد ذات اللون الواحد ، مما يهيئ للقارئ أن يدرك فن الشاعر وطريقته ومنهجه في كل غرض من أغراض شعره .

أما المنهج الذي فضله في ترتيب ديوان الشعراء فهو الترتيب التاريخي الذي يعرض فيه الديوان شعر الشاعر على حسب تاريخ إنتاجه ، منذ بدأ الشاعر يقرض الشعر إلى اليوم الذي صمت فيه قلم الشاعر عن القريض .

هذا الترتيب التاريخي هو الذي يبين في وضوح عن تطور فن الشاعر من الحداثة إلى الشيخوخة ، ويجعلنا نصحب الشاعر في كل أدوار حياته ؛ مرحلة

مرحلة ، نعرف نوازع نفسه ، ونبضات قلبه ، كلما تقدم به العمر ، إذ الشعر
صدى الأحداث ، ونظرات الحياة ، وتجارب الأيام التي تختلف من أجلها
النوازع ، وتتغير أحكام الشاعر على ما يمر به من الظروف والأحوال .

وقد كنا نفضل أن لو أضاف أسامة - وقد اختار ترتيب ديوانه على حسب
الأغراض - في رأس كل قصيدة أنشأها ، تاريخ إنشائها ، والظروف التي
أحاطت بها ، لنعرف الجو الذي أحاط به عندما قرضاها .

وبعد فقد عثرت دار الكتب على نسخة من ديوان أسامة ، كتبت في صفر
سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بخط النسخ في ثلاثمائة وتسعين صفحة ، وفي كل صفحة
ثلاثة عشر سطرا ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها ونشرها . ولما كان بعض شعر
الديوان قد ورد في مراجع أسامة المختلفة ، كحريدة القصر ، ومسالك الأبصار ،
والروضتين ، ولباب الآداب فقد وازنا بين رواية الديوان وما جاء في هذه
المراجع ، مثبتين ما جاء فيها من خلاف إن كان .

وقد شرحنا ما احتاج إلى شرح من ألفاظ الديوان ، لكيلا ندع بين القارئ
والاستمتاع بشعر الشاعر عقبة من ألفاظ قد تكون غريبة عليه .

ووضعنا في آخر الديوان عدة فهارس ، تسهل الرجوع إلى أجزاء الديوان
وقصائده ، كما رقمنا القصائد والمقطوعات ليسهل الحديث عنها في دراسة شعر
أسامة ونقده

حامد عبد المجيد

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثَقَى بِاللَّهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى آلِهِ
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ الْمُتَّقِينَ ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَقَالَكَ اللَّهُ صَفْقَةً أَنْتَدِمَ ، وَأَقْلَكَ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَعَاذَكَ مِنْ خَطَاِ الْمَقَالِ
وَاجْتِرَاحِهِ ، وَحَصَائِدِ اللِّسَانِ وَجِرَاحِهِ ، وَلَا جَعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا قَالَ ، نَدِمَ وَاسْتَقَالَ ،
فَأَنِّي [كَلَفْتُ ^(١)] بِنَظْمِ الشُّعْرِ فِي غُرَّةِ [الْعَمْرِ] ^(٢) أَظُنُّهُ مِنَ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ،
[وَأَعَدُّهُ مِنَ الذِّخَائِرِ] ^(٣) لِلْعَوَاقِبِ .

فَلَمَّا عَلَتْ سَنِّي ، وَانْجَلَتْ جَاهِلِيَّةُ بَاطِلِي عَنِّي ، وَوَضَحَ لِي أَنَّ الشُّعْرَ لَهُوٌ وَهُونٌ ،
وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَكْبَرْتُ خَطِيئِي وَأَعْظَمْتُهُ ، وَنَدِمْتُ عَلَى تَفْرِيطِي
فِيمَا نَظَّمْتُهُ . عَلَى أَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَا فَهْتُ بِرَفَقٍ وَلَا هَجَاءٍ ، وَلَا مَدَحْتُ لَطْمَعٍ
وَلَا رَجَاوٍ ، تَنَزَّهًا عَنْ رَفَقِ الْمَقَالِ ، وَتَرْفُعًا عَنْ مَنَنِ الرِّجَالِ ، فَحَاوَلْتُ أَنْ أُوَسِّلَ
عَنِّي وَضْرَةً ، وَأُعْفَى أَثَرُهُ ، فَعَصَانِي مِنْهُ مَا شَاءَ ، وَمُلِئْتُ بِهِ الْأَفْوَاهُ وَالْأَسْمَاعُ ، فَعَدْتُ
إِلَى تَقْلِيلِهِ وَتَمْحِيطِهِ ، [وَفُتَّ] بِتَنْخِيلِهِ وَتَلْخِيطِهِ ، وَفِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ عَيُوبٌ يُشْهَدُ

(١) تَكَلَّفَ لِسْقَطِ الْأَصْلِ بِظَهْرِ يَمِ الْمَعْنَى .

(٢) « « « « « يَسْتَقِمُ الْمَعْنَى .

بها لإنصافي وإفراى ، ويشفعُ في سترها اعترافي واعتذاري ، وأثبت في هذا
الجزء منه ما حصلتُ منه على الاختصار ، لا على الاختيار ، وفيه ما فيه ، مما
لا أنكره ولا أخفيه ، فمُظهره قائلُ صدقٍ وعدلٍ ، وساتره أخو كرمٍ وفضلٍ ،
وأنا القائلُ :

كَلَّمَا رَدَدْتُ فِي شِعْرِي النَّظَرَ بَانَ ضَعْفُ الْعِيِّ فِيهِ ، وَظَهَرَ
لَيْسَ يُرْضِينِي ، وَلَا يُمَكِّنِي بَحْدَ مَا قَدْ شَاعَ مِنْهُ ، وَاشْتَهَرَ
فَأَجِيلُ الْفِكْرِ فِي تَقْلِيلِهِ فَإِذَا قَلَّ اخْتَصَرْتُ الْمُخْتَصِرُ
وَبِهِ فَقَرُّ إِلَى ذِي كَرَمٍ إِنْ رَأَى مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سَتَرَ
وَقَدْ جَعَلْتُهُ مُشْتَمِلًا عَلَى سِتَةِ أَبْوَابٍ :

الباب الأول - الغزل . وينظمُ في سلكه شكوى الفراق ، ووصف الحنين
والاشتياق ، ثم ما يجوز أن يلتحق به ، من مكاتبات الإخوان ، ومعاتبات
الخلّان ، وما يجذبُ هذا المعنى بأهدابه .

الباب الثاني - الأوصاف .

الباب الثالث - المُلحُ .

الباب الرابع - المديحُ . ويتشَبَّثُ به القولُ في الفخر المتضمنُ مآثرَ الإنسان
وخلالَه ، ثم الحماسةُ الراجعُ معناها إلى التَّمَدُّج بالشجاعة والبسالة

الباب الخامس - الأدب . ويتعلق بسببه الأمثال ، وما يجري مجراها ،
أو يلاحظ مغزاها ، ثم وصف الشيب والكبر ، ثم الزهد لمن تأمل واعتبر .

الباب السادس - المراثي .

وكل باب من هذه الأبواب المذكورة مرتب على حروف المعجم ، فصلاً
فصلاً ، ليقرب تناول ما يقصد منه ، والله تعالى المستول في رحمة توجب
العُفْوان ، وتكفّر جرائم الآسان ؛ إنه جوادٌ منان .

باب الغزل

قافية الباء

(١)

قال :

صَاحِبُهُمْ بِتَرْفُقٍ مَا أَحْصَبُوا^(١) وَتَجَافَى عَنْ تَعْنِيفِهِمْ إِنْ اذْذَبُوا
وَدَعَ الْعِتَابَ ، إِذَا بَدَتْ لَكَ زَلَّةٌ إِنْ الْهَوَى مُتَجَرِّمٌ^(٢) لَا يُعْتَبُ^(٣)
وَإِذَا لَمْ يَجُورِ الْمَلَالُ ، وَحَمَلُهُ صَعَبٌ ، وَلَكِنَّ الْقَطِيعَةَ أَصْعَبُ

(٢)

وقال :

بِنَفْسِي قَرِيبُ الدَّارِ ، وَالْهَجْرُ دُونَهُ وَبَعْدُ التَّقَالِي^(٤) غَيْرُ بَعْدِ السَّبَابِ^(٥)
أَرَاهُ مَكَانَ الشَّمْسِ بَعْدًا ، وَبَيْنَنَا كَمَا بَيْنَ عَيْنِ فِي التَّدَانِي وَحَاجِبِ
وَهَلْ نَأْنِي قَرَبٌ ، وَمِنْ دُونِ قَلْبِهِ نَوَى قُدْفٌ^(٦) أَعْيَتْ ظُهُورَ الرِّكَائِبِ
تَجَنَّبَنِي لِي الذَّنْبُ الَّذِي مَا جَنَّبَنِي وَلَا هُوَ مَغْفُورٌ بِعُذْرَةٍ تَأْنِي

(١) أَحْصَبَ : أَقَادَ .

(٢) يُقَالُ تَجَرَّمُ عَلَى فُلَانٍ أَيْ ادْعَى ذَنْبًا لَمْ أَصْطَلْهُ .

(٣) الْعَتَبُ بِالضَّمِّ : الرِّضَا . وَاسْتَعْتَبَهُ : أَعْطَاهُ الْعَتَبَ ، كَأَعْتَبَهُ .

(٤) تَقَالُوا : تَبَاغَضُوا . وَبَيْنَهُمْ تَقَالٌ .

(٥) السَّبَابُ : جَمْعُ سَبَبٍ ، كَالْيَسَابِيسِ جَمْعُ يَسِيسٍ ، وَهِيَ الْمَغَازَةُ .

(٦) نَوَى وَنِيَّةٌ وَقَلَاءَةُ قُدْفٍ ، مَحْرَكَةٌ وَبِضْمَتَيْنِ وَكُسُورٌ : بَعِيدَةٌ .

وملّ ؛ فلو أهدى إلى خياله بدا لي منه في الكرى وجه عاتب
وضنّ ؛ فلو أنّ النسيم يطيعه لجنّني برد الصبا والجنائب^(١)
إذا رجعت بالياس منه مطامعي علفت بأذيال الظنون الكواذب
وأعجب ما خبرته من صبابي به ، والهوى مازال جمّ العجائب
حنّيني إلى من خلب^(٢) قلبي داره وشوق إلى من ليس عني بغائب

(٣)

وقال :

حتى متى أنا شائم إيماض بارقة خلوب؟!
والآم ألقى اللائمين عليك بالوجه القطوب؟!
وأعلل النفس العيلة فيك بالأمل الكذوب
وأقول : تصلحك الخطوب بـ ، وأنت من بعض الخطوب

(٤)

وقال :

نشدتكم يا مدعين سلاوة عن الحب ، لم تستحسن الظلم في الحب
وما بالله يلتقي البريء من الضنى حريرة ما يأتي المسىء من الذنب
وكيف استمرّ الجور فيه ، وأوجبت عقوبة ما تنجني العيون على القلب

(١) الجنوب : ريح تحالف الشمال ، مهبط من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا والجمع جنائب .

(٢) الخلب : بالكسر : حيلة رقيقة تصل بين الأخلاق ، أو السكبه .

(٥)

وقال :

قَرُّ إِذَا عَاتَبَهُ كَانَتْ قَطِيعَتُهُ جَوَانِي
مُتَجَرِّمٌ^(١) أَبَدًا يُجَرِّعُنِي مَرَارَاتِ الْعَنَابِ
كَمْ سَهَّلَتْ عَيْنَاهُ لِي مِنْ وَصْلِهِ وَغَرَّ الطَّلَابِ
حَتَّى وَقَعْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّلَوُّنُ فِي حَسَابِي

(٦)

وقال^(٢) :

ذَكَرَ الْوَفَاءَ خَيَالُكَ الْمُتَنَابُ فَأَلَمَ ، وَهُوَ بُوْدُنَا مَرْتَابُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ خِيَالٍ زَائِرٍ مُتَعَتِّبٍ^(٣) ، عِنْدِي لَهُ الْإِعْتَابُ
مُسْتَشْرِفٍ^(٤) كَالْبَدْرِ خَلْفَ حِجَابِهِ أَوْ فِي الْكَرَى أَيْضًا عَلَيْكَ حِجَابُ !
أَنْكَرْتُ هَجْرِي ، وَالزَّمَانُ بِجَوْرِهِ^(٥) يَقْضِي بَأَنَ يَتَهَاجِرُ الْأَحْبَابُ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى هَجْرِكَ طَائِعًا وَإِذَا اقْتَسَرْتُ ، فَمَا عَلَى عَنَابُ
وَدَى كَعَهْدِكَ ، وَالْدِّيَارُ قَرِيبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْقَطَعَ الْأَسْبَابُ .
ثَبَّتْ ، فَلَا طَوْلُ الزِّيَارَةِ نَاقِصُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ يَزِيدُهُ الْإِغْبَابُ^(٦)

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٢) وردت هذه القصيدة أيضا في خريدة القصر : ١٠٣ ، وياقوت : ٥ : ٢٠٣ .

(٣) في الخريدة « متعيب » . والتعب مخاطبة الإدلال . والإعتاب مصدر أعته : أعطاه العتب وهي الرضا .

(٤) هذا البيت لم يرد في ياقوت . واستشرف الشيء : رفع بهره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس .

(٥) على هامش الديوان « بآدره » .

(٦) ترتيب الأبيات الثلاثة الأخيرة في الخريدة وياقوت يخالف ترتيب الديوان . والإغياب مصدر أغب إذا نجا .

القوم يوما وغاب يوما .

(٧)

وقال :

نفسى بزهره دُنياها معدَّبةٌ فكيف حال من الدنيا تُعَدُّهُ
ومن سَمَتْ لوصولِ الشمسِ هَمُّهُ فغيرُ مُسْتَنَكِرٍ إن عَزَّ مطلبه

(٨)

وقال :

واعصِ اضطبارَكَ إن تكفَّلَ الله لك مُسَعِّدٌ ، فاهجرُ يُظهر حُوبَهُ^(١)
وَحَسْبَ قَلْبِكَ ما به : من حُبِّهم فَعَلَامَ تَقْرَفُ بالصدود نُلُوبَهُ^(٢)

(٩)

وقال :

لَيْسَ طَرَفِي جَارًا لِقَلْبِي ، وَلَكِنْ دَمٌ هَذَا بَدِمَعَ هَذَا مَشُوبٌ
خُلْطَةٌ فِي تَبَايِنِ الْحَالِ : هَذَا أَبْدًا ظَاهِرٌ ، وَذَا مَحْجُوبٌ
وَإِطْرَافِي فِي كُلِّ نَهْجٍ مِنَ الْحُبِّ وَجِيفٌ ، وَقَلْبِي الْمَجْنُوبُ^(٣)
وَسَهَامُ الْعَيُونِ أَخْفَى مِنَ الْوَهْمِ ، وَلَكِنْ بَيْنَ تَدْمِي الْقُلُوبِ

(١) الحوب : الإثم .

(٢) قرف القرحة : قشرها . والنُدوب : جمع ندبة وهى أثر الجرح الباقي على الجلد .

(٣) الوجيف : الاضطراب . والمجنوب اسم مفعول من جنبه : قاده إلى جنبه .

(١٠)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح^(١)، جواباً عن قصيدة كتبها إليه من نظمه :

أطع الهوى ، واغص المَعَاتِبَ واضدِفْ عن الواثِي المُرَاقِبِ
وتَغَنِّمِ اللَّذَاتِ إِنِّ مَمَرَهَا مَرُّ السَّحَابِ
وانظر إلى الأغصانِ حاملةً شُمُوساً في غِيَاهِبِ
من كل حَاوٍ ، قد تَكَنَّفَهُ نَعَايِنُ الذَّوَابِ
في وجهه ضِدَانٍ ، كُلُّ منهما لُبٌّ سَالِبٌ :
نَارٌ بلا لَفْجٍ تَضَرَّمُ ، وَسَطَ ماوٍ غيرِ ذَانِبِ
هَذِي بَقَايَا سِحْرِ بَا بَلٍ ، وهى من إحدى العجائبِ
خُذَارٍ يا أُسْدَ الشَّرَى من فَكِّ الحَاظِ الرَّبَّارِبِ^(٢)
غَضْبَانٍ أَفْدِيهِ عَلَى ما كان منه : من مَغَاضِبِ^(٣)
دَعْ ذَا ، فَا عُدُّرُ الْفَقَى في غَيْهِ ، والفودُ شَائِبِ

(١١)

وقال :

مَنْ زَيْنَ الْأَخْوَانَ الرُّطْبَ بِالشَّائِبِ وَنَظَّمَ الدَّرَّ بَيْنَ الرِّاجِ وَالْحَبِّبِ
وَمَنْ تَرَى غَرَسَ الْأَغْصَانِ حَامِلَةً شِسْأً تَرَدَّتْ دِيَابِحُ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
وَقُلْ لِشَادِنِ آرَامِ الْكَئَاسِ : أَلَا فَا نَظُرْ إِلَى مُلَجٍّ فِي شَادِنِ الْغَرَبِ^(٤)

(١) هو طلائع بن رزيك (٤٩٥ - ٥٥٦) ولي وزارة الخليفة الفاطمي : الفاتر بنصر الله ، ثم وزارة العاضد
وكان شجاعاً حازماً جواداً عارفاً بالأدب شاعراً ولوعاً بغزو الفرنج . (٢) الررب : القطيع من بهر الوحش .
(٣) المغاضب : جمع مضبة وهي ضد الرما . (٤) شدن الظبي : قوى واستغنى عن أمه .

نَارُ الْحَيَاءِ بِخَدَّيْهِ بِلَا لَهَبٍ قَدْ مَازَجَتْ مَاءَ حُسْنٍ غَيْرَ مُنَسَكَبٍ
سُبْحَانَ بَارِي سِهَامٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ مِنْ الْمَلَاخَةِ لَا مِنْ أَسْهُمِ الْغَرَبِ^(١)
إِذَا رَمِينَ قَمَاءُ دُونَ الْقُلُوبِ، وَإِنْ حُرْسَنَ ، مِنْ جُنَيْنٍ تَحْمَى وَلَا جُبِّ
كَانَتْ، وَلَيْلُ الصَّبَا تُنْخَفِ دَيَاجِرُهُ عَنْ سَبِيلِ النَّهْيِ وَالرُّشْدِ، مِنْ أَرْبَى
أُعْصَى النَّصِيحَةِ فِيهَا غَيْرَ مُعْذِرٍ وَأَرْكَبُ الْغَى عَمْدًا غَيْرَ مُتَنَبِّ^(٢)
وَأَحْمِلُ الضَّغْنَ فِي وَجْدِيهَا، وَأَرَى حَمَلَ الْهَوَى مِنْ وَقَارِ الْحِلْمِ أَجْمَلَ بِي
حَتَّى إِذَا نَادَتْ السَّبْعِينَ: حَسْبُكَ مِنْ تَعْلِيلِ قَلْبِكَ بِالْآمَالِ وَالْكَذِبِ

(١٢)

وقال :

مُهَفِّفٌ يُجْجِلُ بَدْرَ الدُّجَى فَإِنْ رَأَاهُ اكْتَنَنَ فِي السُّحْبِ
قَوَامُهُ يُزِرِّي ، إِذَا مَا انْتَنَى مِنْ لَيْنِهِ ، بِالْغُصْنِ الرَّطْبِ
يَبْسُمُ عَنْ دُرٍّ ، تَعَالَى الَّذِي نَظَّمَهُ فِي الْبَارِدِ الْعَذْبِ
الْأَمُّ فِيهِ ، وَهُوَ لِي شَاغِلٌ بِالْهَجَرِ عَنْ لَوِيٍّ وَعَنْ عَتَبِ

(١٣)

وقال :

أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي ، فَيَغْضَبُ مِنْ دُعَايَ ، قُلْ لِي : عَلَامَ ذَا الْغَضَبِ ؟ !
يَهْرُكُ لِي ظَالِمًا ، وَخَوْفُكَ مِنْ دُعَايَ ، يَا ظَالِمِي ، هُوَ الْعَجَبُ

يَدْعُو لِسَانِي ، وَالْقَلْبُ مِنْ وَجَلٍ عَلَيْكَ أَنْ يُسْتَجَابَ لِي ، يَجِبُ
وَبَعْدُ مَنْ لِي ، لَوْ أَنَّ وَزَرَكَ فِي صَحِيفَتِي فِي الْمَعَادِ يُكْتَتَبُ

(١٤)

وقال :

لَا تَكْثِرَنَّ عِتَابَ مَنْ لَمْ يُعْتَبِ فَمِنْ الْعَمَاءِ قِيَادُ غَيْرِ الْمُصْحَبِ^(١)
بَيْنَ السُّلُوفِ وَبَيْنَ قَلْبِ أَحْيَى الْهَوَى مَا بَيْنَ شَرْقٍ فِي الْإِعَادِ وَمَغْرِبِ
يُصْنَعِي ، فَحَسْبُهُ ارْعَوَى ، وَلَذِكْرٍ مَنْ يَهْوَى أَصَاخَ ، وَلَمْ يُصْخِ لِمُؤْنَبِ
وَالْفَنَى مَا أَبْصَرْتَهُ مِنْ رُشْدِهِ وَالْفَنَى نُصْحُ النَّاصِحِ الْمُتَقَرَّبِ

(١٥)

وكتب إلى الملك الصالح بن رزّيك قصيدة أولها :

كَفَّ عَنِّي وَاشْ ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَهَنَانِي عَنْ التَّصَانِي الْمَشِيبِ^(٢)
وَسَتَانِي هَذِهِ الْقَبْصِيدَةُ بِتَامِهَا فِي مِظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،
فكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها^(٣) :

بَأْنِي شَخْصُكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ عِيَانِي ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
يَا مُقِيمًا فِي الصَّدْرِ ، قَدْ خَفْتُ أَنْ يُؤْ ذِيكَ لِلْقَلْبِ حُرْقَةً وَوَجِيبُ
وَأَرَى الدَّمْعَ لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّ الْوُجُودِ ، إِنْ جَادَ غَيْثُهُ الْمَسْكُوبُ
كُلَّ يَوْمٍ لِنَارِ شَوْقِي مَا بَيْنَ ضُلُوعِي بِمَاءِ جَفْنِي لَهَيْبُ

(١) بيت : يعطى الرضا . والمصحب : الملقاد .

(٢) راجع ص ٢٣١ .

(٣) باقى القصيدة ص ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ .

وكذا الصَّبُّ يَحْسُنُ الْجَوْرَ فِي الْحُبِّ لَدَيْهِ ، وَيَعْدُبُ التَّعْذِيبُ
 لَا يَهَابُ الْأَسْوَدَ فِي حَوْمَةِ الْحَرِّ ب ، وَيَقْتَادُهُ الْغَزَالُ الرَّيْبُ
 وَيُجَازِي عَنْ النَّفَارِ مِنَ الْأَحْبَابِ بِ الْقَرَبِ ، إِنَّ ذَا لِعَجِيبُ
 يَا مَلِيحَ الْقَوَامِ ، عَطْفًا ، فَقَدْ يَعْطِفُ مِنْ لَيْنِهِ الْقَضِيبُ الرَطِيبُ
 لَكَ قَلْبٌ أَقْسَى عَلَيْنَا مِنَ الصَّخْرِ ، وَمَا هَكَذَا تَكُونُ الْقُلُوبُ
 وَبِحَكْمِ الْعَدُوِّ تَحْكُمُ الْحَا ظُكَ فِي قَلْبِنَا ، وَأَنْتَ الْحَبِيبُ
 أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ ابْنِ سَبْرَايَ^(١) مِنْهُ الدَّاءُ، يُرْدِي النَفْسَ وَهُوَ الطَّيِّبُ
 مَا لِدُنْيَى يُسْقَى بِهِ وَرْدُ خَدَيْكَ ، وَمَرَعَاهُ فَوْقَ خَدِّي جَدِيبُ
 وَلَأَهْلَ الصَّفَاءِ مَا مِنْهُمْ الْآنَ خَلِيلُ إِذَا دَعَوْتُ يُجِيبُ
 مَا ظَنَّنَا نَفْسَهُمْ بِانْصِدَاعِ الثَّمَلِ يَوْمًا ، وَلَا الْفِرَاقِ تَطِيبُ

قافية التاء

(١٦)

وقال :

يَا مَعْمِلَ الْأَمَالِ ، دَعْ خُدْعَ الْمَنَى فَاِلْيَاسُ يَنْقُضُ كُلَّ مَا أْبْرَمَنَه
 مَرَضٌ^(٢) فَوَادَكَ بِالسُّلُو ، لَعَلَّه مُتَيْسِّرٌ بَعْدَ النَّوَى إِنْ رُمَتَه
 فَنَ الْجَهَالَةِ أَنْ تَوَّمَلَ وَصَلَهُمْ بَعْدَ الْعِبَادِ ، وَفِي الدُّنُو حُرْمَتَه

(١) ابن سبراي هذا طبيب متقدم في صناعته ، كان ينول خدمة الملك الصالح ، وكان في أخلاقه بعض الشراسة
 والحدة فذلك كان الملك الصالح يبعث به ويداعبه مستدعيًا لفترة وحدته مع عليه فضله . (اه من هامش الديوان) .

(٢) التمر يض : حسن القيام على المريض .

قافية الجيم

(١٧)

وقال :

وَنَاقِلِي رَأْيَهُ ضَلَّالِي عَنْ نَهْجِي ، وَالْحُبُّ مَالَهُ نَهْجُ :
وَيَحْ بَنَى الْوَجْدَ كُلَّمَا عُدَلُوا فِي خَوْضِهِمْ لِحَّةَ الْهَوَىٰ بِالْخَوَا
عَلَّكَ تَنْجُو مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِيَّاكَ عَنِّي ، حَاشَىٰ أَنْ أَنْجُو
أُنْظَرُ^(١) إِلَيْهَا ، وَلَا^(٢) نَظَرْتُ ، تَرَىٰ شَخْصًا عَنِ الْعَاشِقِينَ بِمَجْتَعٍ
غُصْنٌ وَدَعُصٌ ، فَالْغُصْنُ مِنْ هَيْفٍ يَمِيسُ لَيْنًا ، وَالْدَّعُصُ بِرَنْجٍ
شَمْسٌ وَلَيْلٌ ، فَاعْجَبْ لَشَمْسٍ ضُحًى تُشْرِقُ ، وَاللَّيْلُ رَاكِدٌ يَدْجُو
رَحِيقُ رَيْقٍ عَذِيبٍ ، فِي كَبْدِي مِنْهُ سَعِيرٌ ، وَفِي فَمِي ثَلِجٌ
فِي وَجْهِهَا كَعَبَةُ الْجَمَالِ ، فَلِلْعَيْنِ إِلَى حُسْنِ وَجْهِهَا حَجٌّ

قافية الحاء

(١٨)

وقال^(٣)

نَفْسِي قَدْتُ بِدَرْتَمَامٍ ، إِذَا عَاتَنِي بِالْجِدِّ أَوْ بِالْمِزَاحِ
سَدَدْتُ بِالتَّقْيِيلِ فَاهُ عَلَى مَسِكَ ، وَدُرٍّ ، وَعَقَيْتِ^(٤) ، وَرَاحَ

(١) هذا البيت والبيتان بعده مما اختاره مسالك الأبحار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٢) هذه رواية الديوان وفي المسالك « فَن » .

(٣) هذان البيتان من اختيار مسالك الأبحار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٤) في المسالك « ورضاب » .

وقال .

بَاحُ بِشَكْوَى مَا بِهِ ، فاستراح
لَمَّا رَأَى كَتَمَانَ مَا يَنْطَوِي
دَاوَى بِمَا أَعْلَنَ مِنْ بَنِهِ
صَبَّ حَمَاهُ الْوَجْدُ طَيْبَ الْكَرَى
مُحَاطِرٌ يَرْكَبُ هَوْلَ الْهَوَى
يَا صَاحِ ، مَا أَصْحَاكَ عَنْ سَكْرَتِي
مُهِفِّهِفٍ^(١) ، صَحَّتْ عَلَى سُقْمِهَا
لِطَرَفِهِ فَتَكَّةُ بَيْضِ الطُّبَا
شَمْسُ نَهَارٍ ، تَرْتَدِي بِالدُّجَى
طَافَ عَلَيْنَا ، وَالدُّجَى رَاكِدٌ
بِقَهْوَةٍ مِنْ خَدِّهِ أَشْرَقَتْ
فَظَلْتُ فِي أَمْنٍ غَرَامِي بِهِ
فِي حِنْدَسَى طُرَّتِهِ وَالدُّجَى
غَبْطَةٌ جَادَتْ عَلَى بُحْلِهَا
حَتَّى قَضَى الدَّهْرُ بِتَفْرِيقِنَا
فَهَلْ عَلَيْهِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحٍ
عَلَيْهِ لَا يُغْنِي إِذَا الدَّمْعُ بَاحُ
قَلْبًا مِنَ الْكَتَمَانِ دَائِي الْجِرَاحِ
وَجِسْمُهُ لَلْسُقْمِ نَهْبٌ مُبَاخٍ
أَمَّا ، وَأَمَّا مِثْلُ ضَرْبِ الْقَدَاحِ
عَقَلِي بِأُخْوَى ذِي مِرَاجٍ وَرَاحٍ^(٢)
جُفُونُهُ ، فَهِيَ مَرَاضُ صِحَاحٍ
وَقَدَّهِ هَزَّةُ سُمْرِ الرِّمَاحِ
غُصْنُ مِرَاحٍ ، فَوْقَ حَقِيفِ رَدَاحٍ^(٣)
يُظَلُّنَا مِنْ جُنْحِهِ بِالْجَنَاحِ
وَنَشْرُهَا الضَّائِعُ مِنْ فِيهِ فَاحٍ
مِنْ كُلِّ وَاشٍ ، وَرَقِيبٍ ، وَلَاحٍ
وَنِيرَى غُرَّتِهِ وَالصَّبَاحِ
بِهَا اللَّيَالِي غَلَطًا لَا سَمَاحِ
فَمَا احْتِيَالِي فِي الْقَضَاءِ الْمَتَاحِ

(١) الأُخْوَى : ذو الشفة الحمراء المائلة إلى السواد . والمِرَاح : اسم من مرح كفرح : أشرب و بطروا خنثال ويختبر . والمِرَاح الخمر . يريد أن عقلي مشغوف بمرح ذي ثمر أخوى وبالراح .

(٢) هزفت الرجل إذا مثق بدنه فصار كانه غصن يميل ملاحه... ويقال : جارية مهفهفة ومهفهفة : طامرة البطان دقية الخصر .

(٣) أَرَا ح الشيء : وجد ريعه . والمراد أنه غصن ذورائحه طيبة . والزواح : الثقبلة الأوراك .

(٢٠)

وقال .

أُرثه غِرَّتُهُ^(١) في الهَجَرِ مَصْلَحَتِي جهلاً ، فأفسدني كل ما صلحاً
وقال : لَيْسَ لَهُ قَلْبٌ يُطِيقُ بِهِ صَبِراً ، ولوهم بالسُّلُوَانِ لا فِتْضَحاً
وصبوةُ الحبِّ كانت قبلَ بَذَلَتِهِ^(٢) وبعدها ، فسواءُ صَدٍّ أَوْ نَزْحاً
كالشَّعْرِ يُحْفَظُ مَا لَمْ يُتَذَلَّ ، فإذا حَلَقْتَهُ عَادَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُطَرَّحاً

(٢١)

وقال :

عَقَائِلُ^(٣) الْحَيِّ ، أَمْ سَرِبُ الْمَهَا^(٤) سَنَحَا أفسدَنَ مَا كَانَ بالسُّلُوَانِ قَدْ صَلَحَا
بَرَزْنَ كَالْبَانِ فِي الْكُتُبَانِ حَامِلَةً شَمْساً أَضَاءَتْ وَلَيْلاً رَاكِدا جَنَحَا
فَاقْتَدْنَ بِالْحَبِّ مَنْ أُعْطِيَ مَقَادَتَهُ طَوْعاً ، وَرُضْنِ^(٥) بِمَحْسَنِ الدَّلِّ مِنْ جَمْعَا
مَنْ كُلِّ غِيْدَاءٍ^(٦) مَكْسَالٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَنَفَّسَتْ عَنْ نَسِيمِ الرُّوضِ إِذْ نَفَحَا
كَانَتْ مُنَى النَّفْسِ لَوْلَا وَاعِظُ لَسَنُ لِلشَّيْبِ أَسْمَعِنِي نَاهِيهِ ، إِذْ نَصَحَا

(١) الغرة بالكسر : الغفلة وعدم التجربة .

(٢) البذل : الابتذال : ضد الصيانة .

(٣) العقيلة من النساء : الكريمة المخدرة .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية ، شبت بالمهابة وهي البلودة .

(٥) راض المهر : ذله .

(٦) الغيذاء : المثنية لنا .

قافية الدال

(٢٢)

وقال " :

حَتَّامٌ أَرْغَبُ فِي مَوْدَةٍ زَاهِدٍ وَأُرُومُ قُرْبِ الدَّارِ مِنْ مُتَبَاعِدِ
وَالْأَمَّ أَلْزَمَ الْوَفَاءَ لِغَادِرِ وَأَقْرُ بِالْعُنَى لِحَبَانِ جَاحِدِ
وَعَلَامٌ أَعْمَلُ فِكْرَتِي فِي سَادِرِ^(١) سَاهُ ، وَأَسْهَرُ مُقْلَتِي لِرَاقِدِ
وَأَرَوْضُ نَفْسِي فِي رِضَا مُتَجَرِّمِ فَاتَتْ مَوَدَّتَهُ طَلَابَ النَّاشِدِ
وَأَقُولُ : هِجْرَتُهُ خِيفَةٌ كَاشِحِ يُغْرِى بِنَا ، وَحِذَارُ وَاشِ حَاسِدِ
وَأُظَنُّهُ يُبْدِي الصَّدُودَ^(٢) ضَرُورَةً وَإِذَا قَطِيعَتُهُ قَطِيعَةٌ عَامِدِ
مَنْ لِي بِنَيْلِ مَوْدَةٍ مَمْدُوقَةٍ^(٣) مِنْهُ ، يَهْرِجُهَا اخْتِبَارُ النَّاقِدِ
أَرْضَى بِبَاطِلِهَا ، وَأَقْنَعُ بِالْمُنَى مِنْهَا ، وَأَدْفَعُ غَيْبَهَا بِالشَّاهِدِ
يَا ظَالِمًا^(٤) ، أَقْنَى اصْطِبَارِي هِجْرَهُ وَابْتَرَّ ثَوْبَ تَمَاسُكِي وَتَحَالِدِي
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى وَصَالِكَ ، بَعْدَمَا عَفَيْتُ بِالْهِجْرَانِ سُبُلَ مَقَاصِدِي
وَيَلُومُنِي فِي حِمْلِ ظُلْمِكَ جَاهِلُ يَلْقَى جَوَى قَلْبِي بِقَلْبٍ بَارِدِ
يُزِرِّي عَلَى جَزَعِي بِهَبِيرٍ مُسْعِدِ وَيَصُدُّ عَنِ دَمْعِي بِطَرْفٍ جَامِدِ
لِمَ لَا تَرَقُّ . لِنَظَرٍ أَرْقَنِهِ وَحَشَا حِشَاهُ الْوَجْدُ جَذْوَةً وَاقِدِ
وَمَرْوَعٍ يَلْقَى الْعَوَازِلَ فِي الْهَوَى بِفُؤَادٍ مَوْتُورٍ ، وَسَمِيعٍ مُعَانِدِ

(١) روى الهادي في الخريدة بعض هذا الشعر (١ : ١٠٣) .

(٢) السادر : الذي لا يتم ولا يزال ما صنع .

(٣) في الخريدة " الجفاء " .

(٤) يقال ظان يظن في الرد ، روده مغروق وهو عاذق في روده : كذاب

(٥) في الخريدة " يا حابرا " .

قَلِقَ الْوَسَادَ كَأَنَّ تَحْتَ مِهَادِهِ أَسَدًا ، وَمَضَجَعَهُ نِيُوبُ أَسَاوِدِ^(١)
 أَتْرَاكَ يَعْطِفُكَ الْعِنَابُ ، وَقَلْبًا يَنْتَنِي الْعِنَابُ عِنَانَ قَلْبٍ شَارِدِ
 هِيَاهُ ، وَصَلَّكَ عِنْدَ عَنَقَا مُغْرِبِ^(٢) وَرَضَاكَ أَبْعَدُ مِنْ سُهَّا وَفَرَاقِدِ
 وَمِنَ الْعَنَاءِ طِلَابُ وَدٍّ صَادِقٍ مِنْ مَادِقٍ ، وَصِلَاحُ قَلْبٍ فَاسِدِ

(٢٣)

وقال :

إِنْ خَانَ عَهْدَكَ مِنْ تَوَدُّهِ وَتَأْبَى ، فَلَا يَحْزُنُكَ فَقْدُهُ
 وَاهْجُرْهُ هَجْرَكَ مِنْ . مُحِبِّ ، إِذَا تَضَى وَحَوَاهُ لِحْدُهُ
 وَإِذَا سُئِلْتَ عِلَامَ تَهْجُرِهِ ، فَقُلْ : مَا صَحَّ عَهْدُهُ
 وَعِلَامَ أَرْغَبُ فِي مَلُو لٍ ، خَائِنٍ ، قَدْ بَانَ زُهْدُهُ
 وَاحْذَرِ مَقَالَهَ مِنْ يَقُو لُ : الْحُبُّ تَخَضُّعُ فِيهِ أَسَدُهُ
 وَإِذَا خَضَعْتَ لِمَنْ يَحْجُو نَكَ فَاِلْبَاءُ لِمَنْ تَعُدُّهُ !
 إِنْ رَاعَ قَلْبَكَ هَجْرُهُ فَعَدَا يَلِينُ لَهُ أَشَدُّهُ
 وَالصَّبْرُ سُمٌّ نَاقِعٌ لَكِنَّ مِنْهُ يُسَارُ^(٣) شَهْدُهُ
 وَإِذَا صَرَفْتَ الْقَلْبَ فَهَوَ كَأَمْسٍ ، لَا يُسْطَاعُ رَدُّهُ
 غَالَطْتَ نَفْسَكَ فِيهِ ، وَالْمَشْهُ خَوْفُ يَعْرُبُ عَنْهُ رُشْدُهُ
 وَظَنَنْتَهُ قَصَبًا زَرْدِيَا ذَلِكَ فِي الْهَوَى ، وَسَوَالِكُ قَصْدُهُ

(٢) عناق مغرب : طائر معروف الاسم لا الجسم

(١) أسود : جمع أسود وهو الحية .

(٣) شار السمل : استدرجه كاشاره .

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِبَاخِلٍ بِالْوَعْدِ ، وَالْأَحْلَامُ وَعْدُهُ
أَرْضَى بِيَاظِهِ ، وَيُقْنِي طُنِي تَجَهُمَهُ ، وَرَدُّهُ
لَدُنُ الْقَوَامِ ، يُعَلِّمُ الْأَغْصَانَ كَيْفَ تَمْبِسُ قَدُّهُ
يَفْتَرُّ عَنْ عَذَابِ الْمَقْبَلِ ، يُضْرَمُ الْأَحْشَاءُ بِرُدِّهِ
لَا شَكَّ ، لَوْ لَوْ ثَغْرَهُ مِنْ عَقْدِهِ أَوْ مِنْهُ عَقْدُهُ
لِلْغَمْرِ رَيْقُنُهُ ، وَلِلْوَدِّ الْجَنَى النَّصْرُ خَدُّهُ

(٢٤)

وقال :

يَا مَلُولًا قَلْبًا يَرَى عَمِي لِمَنْ يَهْوَاهُ عَهْدًا
يَا ظَلُومًا كَلَّمَ اسْتَعَطَفْتُهُ تَاهَ وَصَدًا
لَمْ جَعَلْتَ الْهَجَرَ يَا مُو لَائِي ، قَبْلَ الْبُعْدِ بُعْدًا
مَا أَرَى [لِي] ^(١) مِنْكَ فِي حَا لِ الرُّضَا وَالسُّخْطِ بُدًا

(٢٥)

وقال :

مُرُوعٌ بِالْقَلَى ، وَالصَّبْدُ ، لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ ، عَلَى الْهَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ ، يُسَعِّدُهُ
إِذَا اسْتَعْرَ ^(٢) الْكَرَى أَجْفَانَ مُقْلَتِهِ وَأَفَى الْخِلْيَالِ بِطُولِ الْهَجْرِ يُوعِدُهُ
تَذَكِّي مَدَامَعُهُ جَمْرًا تَسْعَرُ فِي حَشَاهُ ، وَالْجَمْرُ فَيُضِ الْمَاءُ يُجْمَدُهُ

(١) تَكَلَّمَ بِخُتْمِهَا الْوَزْنَ .

(٢) اسْتَعْرَفْنَا : أَنَاهَا عَلَى غَفْلَةٍ .

(٢٦)

وقال :

لَا تَحْسَبَنَّ اللّوْمَ أَجْدَى بِلِ زَادَهُ كَفًّا وَوَجْدًا
أَبْدَى صَبَابَتَهُ وَلِلْإِعْلَانِ مَا أَخْفَى وَأَبْدَى
نَمَتْ بِهِ زَفَرَاتُ شَوْقِي ، مَا أَطَاقَ لَهْنٌ رَدًّا
لَا تُكْرِئَنَّ فَا يَرَى مِمَّنْ تُعْنَفُ فِيهِ بُدًّا
فَرُّ أَعَارِ الظُّلَمَى الْحَاطَا ، وَغُصْنِ الْبَانِ قَدًّا
شُغِفَ الْجَمَالُ بِهِ ، فَلَمْ يَجْعَلْ لِمَا أَعْطَاهُ حَدًّا

(٢٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ لَمْ يَرْعَ عَهْدِي وَالَّذِي ضَيَّعَ وُدِّي :
يَا فَدَتْكَ^(١) النَّفْسُ ، قَدْ أَشْرَفَتْ فِي جَهْرِي وَصَدِّي
إِتْمَا وَصَلْكَ مَبْذُولٌ خِلِّ مُسْتَجِدٍّ
فَاقِبِ مِنْ جَهْرِكَ حَفًّا لِلَّذِي يَهْوَاكَ بَعْدِي

(١) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠: ١٠٠)

(٢٨)

وقال :

حَالٌ عَمَّا عَهْدْتُهُ مِنْ وَدَادِي وَاعْتَدَى فِي قَطِيعَتِي وَبِعَادِي
وَسَلَانِي ، وَقَالَ : كَمْ جُهْدُ مَا يَبْقَى بِجِسْمٍ مُضْنِيٍّ بِغَيْرِ فُؤَادِ
وَأَطَاعَ الْوَشَاةَ فِيَّ ، وَصَعِبُ أَنْ يُطِيعَ الْحَيِيبُ قَوْلَ الْأَعَادِي
وَهُوَ مِنْ نَاطِرِي وَقَلْبِي ، وَإِنْ مَلَّ وَأَبْدَى الْقَلِيَّ ، مَكَانُ السَّوَادِ

قافية الراء

(٢٩)

وقال :

كَمْ إِلَى كَمْ أَكْتَمْتُ النَّاسَ وَجَدِي ، وَيُظْهِرُ ؟ !
كَشَفَ الْهَجْرُ مِنْ غَرَايِي مَا كُنْتُ أَسْتُرُ
وَأَقَرَّتْ مَدَامِي بِالَّذِي كُنْتُ أَنْكُرُ
مَا احْتِيَالُ الْمُتَيْمِّمِ الصَّيْبُ ، أَمْ كَيْفَ يَصْبِرُ
رَاقِبَتَهَا ، الْعَيُونُ ، يَالَيْتَهَا لَيْسَ تَنْظُرُ !
فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ الْمُرَا قِبَ يَهْوَى وَيَهْجُرُ

(٣٠)

وقال :

أُيَرْجِعُ لِي شَرْحُ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ وَكَيْفَ رَجُوعُ اللَّيْلِ قَدْ لَاحَ بَجْرُهُ
رَدَاءُ قَشِيبٍ ، حَالٌ حَالُكَ لَوْنِهِ وَأَنْهَجُهُ^(١) طَى الزَّمَانِ وَنَشْرُهُ

(١) أنهج التوب : أخلق ، وأنهجه اللي . وحال : تغير لونه .

وكنْتُ به كُلِّ الضَّيْنِ فَبَزَهَ^(١) المَشْيِبُ ، فَوَيْحَ الشَّيْبِ لَادَرَّ دَرُهُ
 فَيَا سَعْدُ ، كَمْ أَحْسَنَتْ بِي قَبْلَ هَذِهِ فِدُونَكَ رَأَى خَالِصًا لَكَ شُكْرُهُ
 تَرَاءَ مَعِيَ دَارًا بِأَكْثَبَةِ الْحَمَى فَقَدَرَانُ^(٢) مِنْ دَمْعِي عَلَى الْعَيْنِ سِتْرُهُ
 فَإِنْ تَكُ أَطْلَالِي فَقَفْ بِي بِرَبِّعِهَا لِأَبْرَدَ قَلْبًا قَدْ تَوَهَّجَ بِحَمَرِهِ
 وَأُفْرَغَ فِيهَا قَطَرُ دَمْعٍ يُغَيِّرُهُ إِذَا جَادَهَا مِنْ صَيْبِ الْغَيْثِ قَطَرُهُ
 وَعَاهَدْتُ قَلْبِي أَنَّهُ لِي مُنْجِدٌ مَتَى خُتِمَ ، وَالْآنَ قَدْ بَانَ غَدَرُهُ
 وَأَبْدَى الْهَوَى مِنْهُ نَجْهَمَ خَاذِلٍ فَمَنْ خَاتَنِي مِنْ بَعْدِهِ قَامَ عُذْرُهُ
 وَقَدْ كَانَ سُكْرُ الْحُبِّ يَهْوَ بِلَبِّهِ وَمَا خَلْتَهُ يَبْقَى مَعَ الْغَدْرِ سُكْرُهُ
 وَلَمْ أَتَّبِعْ ضَنْئًا بِكُمْ سَقَطَاتِكُمْ لِأَسْبِرُكُمْ ، وَالْكَلَمُ يَدُومِيهِ سَبْرُهُ^(٣)
 وَلَكِنْ أَرَانِيهَا اشْتَهَارُكُمْ بِهَا وَهَلْ يَخْتَنِي فِي حِنْدَسِ اللَّيْلِ بَدْرُهُ

(٣١)

وقال^(٤) :

مَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ غَيْرُ الذِّكْرِ وَزُورَةُ الطَّيْفِ سَرَى مِنْ مَضِرٍ
 مِنْ بَعْدِ طُولِ جَفْوَةٍ وَهَجَرٍ كَمْ خَاضَ بِحَرًا وَقَلًّا كَبَحَرٍ
 يَجُوبُهُ اللَّيْلَ حَلِيفَ ذُعُرٍ حَتَّى أَتَى طَلَانِحًا^(٥) فِي قَفَرٍ
 قَدْ انْطَوَيْنَ مِنْ سُرَى وَضُمَرٍ^(٦) حَتَّى اغْتَدَيْنَ كَهَلَالِ الشَّهْرِ
 يَحْمِلُنْ كُلَّ مَا جِدَّ كَالصَّفَرِ كَأَنَّهُ مُهَيَّئٌ ذُو أَثَرٍ^(٧)

(٢) ران : غلب .

(١) بزه : غلبه ونزعه .

(٣) السر : امتحان غورا الجرح .

(٤) اختار صاحب مسالك الأهار بعض أبيات هذه القطعة لأسامة مع اختلاف في الترتيب (المسالك ١٠ : ٥٠٢) .

(٥) طلائع : جمع طليح وهو الممزول . (٦) الضمر : الخزال .

(٧) الأثر : فريد السيف .

بعيدُ مهوى همةً وذكرِ
فأمَ رحلي، دونَ رحلِ السَّفرِ
واهاً له من زَمَنِ وعمرِ
إذ الصَّبا عند النَّصابي عُدري
غراءُ ، أبهى من ليالي البدرِ
أحسنُ من شمسٍ يَغِبُّ قَطَرِ
تَبَسُّمُ عن مثلِ نَظِيمِ الدَّرِّ
إذا انْتَنَتْ قبلَ نُمُومِ الفجرِ
كَأَنَّ فَاهَا جُودَةٌ^(١) لِعَطْرِ
مَشَى النسيمِ بِمِياهِ الغُدرِ
رَاكِدَ لَيْلٍ تَحْتَ شَمْسٍ تَسْرَى
يَا لَانِي ، إِنَّ المَلامَ يُغْرَى
لَا بَكَ مَايَ: من جَوَى وفكرِ
أَبَيْتُ أَرَعَى كلَ نَجمٍ يَسْرَى
كَيْفَ العزاءُ ، وصَروفُ الدَّهرِ
كَأَنَّهَا تَطْلُنِي بِوَتَرِ

للجد يَسعى ، لا لِكسبِ الوَفْرِ
يُذَكِّرُنِي طِيبَ الزَّمانِ النَّصْرِ
مَا كَانَ إِلَّا غُرَّةً فِي الدَّهْرِ
وِغَايَةُ المُنِيَةِ أُمِّ عَمَرِ
بَعِيدَةُ القُرطِ ، هَضِيمُ الخَصْرِ
تَفْعَلُ بِالأَلْبَابِ فَعَلَ الخَمْرِ
كَأَنَّهُ لآلِيءٌ فِي نَحْرِ
تَنَفَّسَتْ عَن مِثْلِ رَيَّا الزَّهْرِ
وَإِنْ مَشَتْ مَثْقَلَةً بِالبَّهْرِ^(٢)
رَأَيْتَ سِحْرًا أَوْ شَبِيهَ سِحْرِ
ضِدَّانَ فِيهَا اتَّفَقَا لِأَمْرِ
هَيَّجَتْ أَشْوَاقِي، وَلَسْتُ تَدْرِي
إِذَا أَرَاكَ اللَّيْلُ هَمَّ صَدْرِي
كَأَنَّمَا حَشِيَّتِي مِنْ جَمْرِ
تَقْرِفُ^(٣) قَرَحِي، وَتَهَيِّضُ كَسْرِي
وَالصَّبْرُ ، لَوْ خَبَرْتَهُ ، كَالصَّبْرِ

(٣٢)

وقال :

دعاني إلى هجرى بثينة حقة
ولا بأس بالهجران ما لم يكن قلى
من الدهر خوفي هجرها آخر الدهر
ولا الصدد، ما لم يبدد المرأة عن غدر

(١) الجوة : السَّفَط . (٢) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . (٣) قرف القرحة : قشرها .

(٣٣)

وقال :

وَبِحِ الْعَوَازِلِ ، لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَهُمُ ، وَلَمْ تَصْدُقْهُمْ الْفِكْرُ
قَالُوا : قَتَى تَسْمُو بِهِ هِمُّ مُسْتَضْعَرٌّ فِي جَنْبِهَا الْخَطَرُ
لَا يَنْتَنِي عَمَّا بِهِمْ بِهِ أَوْ يَنْتَنِي الصَّمَامَةُ الذِّكْرُ
غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ بَزْهَرَتِهَا فَصَبَا ، وَمِنْ عَادَاتِهَا الْغَرُّ
فَأَرَتْهُ مِثْلَ الشَّمْسِ طَالِعَةً غَرَاءَ يَعْنَى دُونَهَا الْبَصْرُ
وَبَدَتْ لَهُ عَطْلًا كَأَحْسَنِ مَا يَبْدُو لَعَيْنِ الْمُدْلِجِ الْقَمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا الْحُبُّ أَوْقَفَهُ حَيْرَانَ : لَا وِرْدٌ وَلَا صَدْرُ
ضَمِنَتْ لَهُ مِنْ وَصْلِهَا عِدَّةٌ إِنْ نَالَهَا فَلَيْهِنَهُ الظُّفَرُ
أَوْ كَانَ ذَلِكَ لِحَقِّهِ سَيِّئًا فَدَمُ الْفَتَى فِي مِثْلِهَا هَدَرُ

(٣٤)

وقال :

يَا حَاضِرًا بِفَوَادِ نَائٍ غَائِبِ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ مَلُولٍ حَاضِرِ
أَبْلُغْ رِضَاكَ مِنَ الْجَفَاءِ فَشِمَعِي وَصِلُ الْمَلُولِ ، وَحِفْظُ عَهْدِ الْغَادِرِ
فَلَا صَبْرَنَ عَلَيْكَ لَا مِنْ سَلْوَةٍ صَبَرَ الْكَلِيمِ عَلَى أَدَاةِ السَّابِرِ^(١)
حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرِّضَا ، وَيَصْدَكَ الْخُلُوعُ لِقَى الْكَرِيمِ عَنِ الطَّرِيقِ الْجَانِبِ

(١) السبر : امتحان غور الجرح . والكليم : الجريح .

(٣٥)

وقال ^(١) :

واهاً لليلِ خِلْتَنِي من طيبه مَتَفِيئًا في ظلِّ طَيْرٍ طَائِرِ
لو أَتَيْتِ أَشْرَى بَعْمَرِي مثله أو بالسَّيِّبَةِ لم أَكُنْ بالخَاسِرِ
ناهلتُ فيه البدرَ شمسًا تُوجَت عند المِزَاجِ بكلِ نَجْمٍ زاهرِ
ولم تُثْغِرًا ، لو نالَتْ في دُجَى أغْنَى المَحُولِ ^(٢) عن الغَمامِ الماطرِ

(٣٦)

وقال :

هُبُونِي ، كما زَعَمُوا ، مُذْنِبًا أَسَأْتُ ، وقد جِئْتُ أَسْتَغْفِرُ
فأينَ دَليْلُ الرِّضَا والقَبولِ لِي ، وَحُسْنُ تَجَاوُزٍ مَن يَقْدِرُ
ولم يَبْقَ لي بعدَ ذُلِّ الخَضو عِرجَ رِجاءٍ سِوَى أَنِّي أَصْبِرُ

(٣٧)

وقال :

يا جَانِرًا ، وهَوَايَ يَعرُده منك الذُّنُوبُ ، وَمَنَى العُذْرُ
لا تَحْسَبْنِي ، عَن مَلالِكَ لي غَرًّا ، وَلَكِنَّ الهَوَى غُرٌّ
وأرى سَبيلَ الهَجَرِ واضِحَةً مَسْلُوكَةً ، لو كان لي صَبْرٌ

(١) هذه القطعة عدا البيت الثاني مما اختاره من تلك الأبيات لأسامة (١٠ : ٥٠٢)

(٢) المحول : الجذب .

(٣٨)

وقال^(١) :

ما حيلتي في المَلُولِ ، يَظْلِمُنِي وَلَيْسَ إِنْ جَارَ مِنْهُ لِي جَارُ
وَدَادُهُ كَالسَّحَابِ ، مُتَقَلُّ وَعَهْدُهُ كَالسَّرَابِ ، غَرَارُ
أَمْنُ مَا كُنْتُ مِنْهُ فَاجَانِي بَغَاذِرُهُ ، وَالْمَلُولُ غَدَارُ
عَوْنِي نَلِيهِ مَدَامُعُ سُفْحٍ وَزَفْرَةُ دُونَ حَرِّهَا النَّارُ

(٣٩)

وقال :

لَا صَبْرَ لِي عَنْ بَدْرِ نَمُ مُشْرِقٍ أُضْحِي لَهُ الْيَنُ الْمَشْتُ سَرَارًا^(٢)
عَاتِبُهُ^(٣) فِي صَدِّهِ قَبْلَ النَّوَى فَكَأَنَّ عَنِّي زَادَهُ إِصْرَارًا
وَعَرَفْتُهُ مِنْ نَجَلِ الْعَنَابِ كَأَبَّةٍ زَادَتْ مُحَاسِنَ وَجْهِهِ أَنْوَارًا
وَرَأَيْتُ أُمُوَاهَ الْحَيَاءِ بِحَذِّهِ فَتَرَقَّرَتْ ، حَتَّى اسْتَحَالَتْ نَارًا

(٤٠)

وقال :

أَنَا أَفْدَى مُغْرَى بِصَدَى وَهَجْرِي وَهُوَ شَمْسِي ضُحَى ، وَفِي اللَّيْلِ بَدْرِي
يُذِيتُ الْوَرْدَ خَذُّهُ ، وَبِفَيْهِ الـ حَذَبُ دُرٍّ ، يُسْقَى سُلَافَةً نَعْرِ

(١) رويت هذه القصيدة أيضا في خريدة القصر (١ : ١٠٤) .

(٢) السرار : أواخر النهر .

(٣) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات المسالك لأسامة (١٠ : ٤٠٢)

(٤١)

وقال :

مَنْ عَاذِرُ لِي ! وَمَنْ لِلصَّبِّ يَعْنُرُهُ مِنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ يَنْسَانِي ، وَأَذْكُرُهُ
يَقْتَادُنِي نَحْوَهُ شَوْقِي ، وَيَصْرِفُنِي خَوْفِي عَلَيْهِ ، فَأَهْوَاهُ وَأَهْجُرُهُ
تَرَى مُحَاسِنَهُ عَنِّي ، وَتُعَرِّضُ عَنْ قَبِيحِ أَفْعَالِهِ ، أَوْ لَيْسَ تُبْصِرُهُ
يَأْتِي بِمَا سَاءَ نِي عَمْدًا ، فَأَعْنُرُهُ وَيَظْهَرُ الْغَدْرُ لِي مِنْهُ فَأَنْكَرُهُ

(٤٢)

وقال :

حَتَّامَ قَلْبِي بِالْكَاتِبَةِ مُكَمِّدُ بَاكِ ، وَوَجْهِي لِلتَّجَمُّلِ مُسْفِرُ^(١)
كَالشَّمْعِ يُشْرِقُ بِالضِّيَاءِ ، وَنَارُهُ مَشْبُوبَةٌ ، وَدَمُوعُهُ تَخْخَدَرُ

(٤٣)

وقال :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ شَادِنٍ^(٢) لَمْ أَطِقْ عَنْهُ ، مَعَ النَّسِكِ وَالتَّحَلُّمِ صَبْرًا
أَهْيَفُ ، أَنْبَتَ الْجَمَالَ فِيهِ ۖ ۖ عَذِبَ دُرًّا سَقَاهُ مَسْكًَا وَنَعْمًا
فَاعَارَ الْغَزَالَ عَيْنًا ، وَغَضَنَ ۖ ۖ بَانَ لِينًا ، وَالْأُخْوَانَةَ ثَغْرًا
اجْتَلَى مِنْهُ فِي ضَمِي الْيَوْمِ شَمْسًا وَأَرَى مِنْهُ فِي دُجَى اللَّيْلِ بَدْرًا
فِيهِ أُنْسٌ ، وَلِلْإِلَاحَةِ فِي عَ بَيْنِهِ مَعْنَى ، تَخَالَهُ الْعَيْنُ دُعْرًا
قَالَ لِي ، إِذْ رَأَيْ غَرَامِي وَصَدَى : أَنْتَ تُخْفِي وَجَدًا ، وَتُظْهِرُ هَجْرًا

(١) أسفر الصبح : أضاء . وأشرق . والتجمل : التصبر .

(٢) شادن التلي : قوي واستغنى عن أمه .

أنت كالصائم، الذي يَسْتَهِي الماءَ لقرطِ الظلِّ ، ويكره فطرًا
قُلْتُ: دَغْذَا، فأنت شَرِطِي، ولكن لم يدغ لي المشيبُ في الجهلِ عُذْرًا

(٤٤)

وقال :

قَالُوا : أَسْلُوْا عَنْ حَبِيْبِكَ ؟ قُلْتُ : لَا ، وَاللّٰهِ ، عُمَرِيُّ
قَالُوا : فَفِيْهِ تَبَدُّلٌ يَا بَاهُ مِثْلِكَ ، قُلْتُ : أَدْرِي
لَوْ كَانَتْ مُسْتَوْرًا لِمَا هُنَاكَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ سِتْرِي
وَإِذَا أَبَتْ نَفْسِي هَوَا هُ ، مَعَ الْخِيَاةِ ، حَانَ صَبْرِي

(٤٥)

وقال :

ظُبِي تَغَارُ الشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ مَاءُ الْحَيَا مِنْ خَدِّهِ يَقْطُرُ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ جَوْهَرٍ رَائِعٍ يَفُوْحُ مِنْهُ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا مَشَى أَنْجَلَ سَمَرَ الْقَنَّا وَحَارَ فِيهِ عَقْلٌ مَنْ يَنْظُرُ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ إِذَا أُرْدْنَا وَصَلَهُ يَهْجُرُ

قافية الشين

(٤٦)

وقال :

لَا تَرْجُحِ النَّجَجَ مِنْ مَوَاعِدِهِ فَهِيَ صَبَاحٌ، يَجَابُ عَنْ غَبَشٍ^(١)
مَا هِيَ إِلَّا السَّرَابُ، يَتَّبِعُهُ الظُّلْمَ -آنُ ، حَتَّى يَمُوتَ بِالْعَطَشِ

(١) الغبش : ظلة آخر الليل .

قافية الصاد

(٤٧)

وقال :

يا مَنْ مودَّتهُ سحابٌ زائلٌ وعُهودُهُ في الحبِّ ظلٌّ قالِصٌ
هل في القضية أنْ حُبَّكَ زائدٌ أبداً ، وحَظِّي كلَّ يومٍ ناقِصٌ
وتسوبٌ ودَّك بالقطيعةِ والقلِّ وهواك من كلِّ الشوائبِ خالِصٌ

(٤٨)

وقال :

يا غادرين إلَامَ يَنِّي هجرُكم وملاؤكم أَمَلِي بجِدٍّ^(١) ناكِص
أنا من هواكم بين حبٍّ زائدٍ بلغ النهايةَ بي ، وحَظُّ ناقِص
أرضي مشوبَ الودِّ منكم بالقلِّ وأُجِجْكم محضَ الودادِ الخالِص

قافية الضاد

(٤٩)

وقال^(٢) :

صَدَّ عَنِّي وأعرضاً وتَناسى الذي مَضَى
واسمَّرَ الصلودُ وأنقَطَعَ الوصلُ وانقَضَى^(٣)

(١) الجِدُّ : الخُلُق . والناكِصُ : المَهِيم .

(٢) هذه القصيدة مما روى في الخريدة لأسامة ١٠٤٦١ مع زيادة .

(٣) يمد في الخريدة : ” وانخفضت في الهوى ذنوبى ” ببدت حين أبغضا “

صَحَّ الْآنَ هِجْرُهُ لِي بِمَا كَانَ عَرَضًا^(١)
وَلِذَا اسْتَعْطَفَ الْمَلُوءُ لِي نَجِّنِي وَأَعْرِضًا^(٢)

قافية الطاء

(٥٠)

وقال :

لَكَ أَنْ أَطِيعَكَ رَاضِيًا أَوْ سَاخِطًا وَأَصُونُ سِرَّكَ رَاجِيًا أَوْ قَانِطًا
وَلِذَا تَسَقَّطَنِي الْوُشَاةُ حَدِيثُكُمْ أَلْقُوا بِسِرِّكُمْ ضَنِينًا سَاخِطًا
يَلْقَى اللَّوَائِمُ فِيكَ سَمْعًا صَادِقًا عَنْهُمْ ، وَجَاشًا لِلْهَلَامَةِ رَابِطًا
وَيُثِيرُ ذِكْرَكُمْ زَفِيرًا صَاعِدًا مُسْتَنِيطًا بِلِظَاهِ دَمْعًا سَاقِطًا
يَا هَاجِرًا ، وَافِيَ الْكَرَى بِخِيَالِهِ مُسْتَدْرِكًا بِالْوَصْلِ هِجْرًا فَارِطًا
لَوْ أَيقَنَ الْوَاشُونَ حَظِّي مِنْكُمْ وَصَبَابِي بِكُمْ لَسَرُّوا الْغَائِبَاتِ

(٥١)

وقال :

يُقَرُّ بِالذَّنْبِ يَجْنِيهِ ، فَاحْسَبْهُ قَدْ جَاءَ مُسْتَدْرِكًا ، بِالْعُذْرِ مَا فَرَطًا
وَلَيْسَ يَقْصِدُ إِلَّا أَنْ يُعْرِفَنِي أَنَّ الْإِسَاءَةَ عَمْدٌ لَمْ تَكُنْ غَلَطًا

(١) بعده في النسخة: " كل عيب بين في الخط ويغنى مع الرضا "

(٢) بعده في النسخة: " ليت من ملني وأنحل جسمي وأمرنا "
" عاد بالوصل أو قضى في بالعدل إذ قضى "

قافية الظاء

(٥٢)

وقال :

أَحْفَظْتُ^(١) قَلْبِي بِغَدْرِكُمْ وَالْقَلْبُ أَذْنَى الْغَدْرِ يُحْفَظُهُ
وَأَضَعْتُ عَهْدَ الْهَوَى ، وَبِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا زِلْتُ أَحْفَظُهُ
وَفَانَاثُمْ وَجَدِي يُكْفِّرُ مَا أَصْبَحْتُ أَسْمَعُهُ ، وَالْحَظُّهُ
هَبْ أَنْكُمْ مَاؤُ وَبِي ظَمًا أَفَلَسْتُ عِنْدَ قَدَاهُ أَلْفَظُهُ

قافية العين

(٥٣)

وقال :

يَا مُوعِدِي بِالْوَصْلِ وَعَدًا لَا يَرَى فِيهِ الْمُؤْمَلُ لِلتَّقَاضِي مَوْضِعًا
أَصْبَحْتُ فِي حُبِّكَ كَالِدَاعِي الصَّدَى مَا إِنْ لَهُ حَظٌّ سِوَى أَنْ يَسْمَعَا
لَكِنَّ حَظَّ هَوَاكَ مِنْ جِسْمِي ضَنَى بَادٍ ، نَقَى نَوِي ، وَأَفْنَى الْأَدْمَعَا

(٥٤)

وقال :

أَطِيعُ هَوَى عَصَمَاءَ ، وَهُوَ يُضِلُّنِي وَمَا أَنَا فِيهَا لِلنَّهْيِ بِمُطِيعٍ
وَيُسْمِعُنِي دَاعِيَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا وَإِنِّي لِدَاعِي النَّصِيحِ غَيْرُ سَمِيعٍ
وَأَحْفَظُهَا ، وَهِيَ الْمَضِيعُ لِعَهْدِهِ فَيَا عَجَبًا مِنْ حَافِظٍ لِمُضِيعٍ

(١) أحفظه : أغضب .

قافية الفاء.

(٥٥)

وقال :

أَطَاعَ مَا قَالَهُ الْوَاشِي وَمَا هَرَقَا فَعَادَ يُنْكَرُ مِنَّا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَصَدَّ حَتَّى اسْتَمَرَ الْهَجْرُ مِنْهُ ، فَلَوْ أَلَمَّ بِي مِنْهُ طَيْفٌ فِي الْكَرَى صَدَقَا
يَجْنِي ، وَعِنْدِي لَهُ الْعُتْبَى ، فَوَاجِبَا مِنْ مُعْتَبٍ^(١) مَا جَنَى جُرْمًا وَلَا اقْتَرَفَا
مَلَكَتُهُ طَائِعًا قَلْبًا تَعَسَّفَهُ وَقَلْبًا يَمْلِكُ الْأَحْرَارَ مَنْ عَسَفَا
لِي مِنْهُ مَا سَاءَنِي : مِنْ هَجْرِهِ ، وَلَهُ مَنِي الرِّضَا بِقَضَايَاهُ ، وَإِنْ جَنَفَا
أَلْقَاهُ بَعْدَ النَّصَا فِي مُعْرَضَا حَنِقَا وَبَعْدَ إِقْبَالِهِ بِالْوُدِّ مُنْحَرَفَا
يَا هَاجِرِينَ لِلْأَذْنِبِ^(٢) سَوَى مَلَلِ دَعَا ، فَهَبُّوا إِلَى دَاعِيهِ إِذْ هَتَفَا
مَالِي أَرَى بَيْنَنَا ، وَالْدَّارُ جَامِعَةٌ قَرِيبَةٌ ، مِنْ تَجَنُّبِكُمْ نَوَى قُدُّفَا^(٣)
لَا تَعَجَّلُوا بِفِرَاقِ سَوْفَ يُدْرِكَا كَفَى بِنَا فُرْقَةً ، رَيْبُ الْمُنُونِ ، كَفَى
صَلُّوا قَوَادًا ، إِذَا سَكَنْتُ رَوْعَتَهُ هَفَا ، وَدَمْعًا إِذَا نَهْنَهْتُ وَكَفَا
لَكُمْ هَوَايَ ، وَإِنْ جُرْتُمْ ، وَجُورُكُمْ مُسْتَحْسَنُ مِنْكُمْ ، لَوْلَمْ يَكُنْ سَرَفَا^(٤)
كَذَاكَ حَظِّي مِنَ الْأَحْبَابِ : مِنْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ حَبَابِي الْهَجْرَ وَالشَّفَا^(٥)
حَتَّى لَقَدْ غَيَّرَ الْجَدُّ الْعَثُورَ ، فَلَا لَعَا لَهُ ، مَا جَدًّا مَا كَانَ مُطَرَفَا^(٦)

(١) المحتب : طالب العتي : وهي الرضا . (٢) في رواية هل هاشم النسخة « جرم »

(٣) النوى القذف : البعده . (٤) السرف : ضد القصد .

(٥) الشفت : البفض : (٦) تمام القصيدة صفحة ١٢٥ . والمطرف : الرجل لا يثبت على محبة أحد لاله .

(٥٦)

وقال :

وْمُهْفَهَفٌ، بِي مِنْ هُنُورٍ جُفُونُهُ سُكْرٌ ، يُقْقِرُّ عَنْهُ سُكْرُ الْقَرْقَفِ ^(١)
أَبْدًا أَوَّاصِلُهُ ، وَيَهْجُرُ عَامِدًا وَمِنْ الْعَنَاءِ وَدَادُ مَنْ لَمْ يُنْصَفِ
يَسْتَعَذُّ الْقَلْبُ اللَّيْلُ عَذَابَهُ وَأَهَالَهُ ، لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُسْرِفِ
غَطَّى الْجَمَالَ عَلَى ذَمِيمِ فَعَالِهِ وَالْمَوْتُ يَسْتَرُهُ صِقَالُ الْمُرْهَفِ

(٥٧)

وقال :

لَا تَغْتَرِّزْ بِخَوْلٍ خَصِرٍ أَهْيَفٍ فَالْمَوْتُ فِي حَدِّ الْحَسَامِ الْمُرْهَفِ
وَتَوَقَّ فِتْكَهَ نَازِلٍ مُتَمَرِّضٍ ^(٢) يَسْطُو سَطَا مُتَغَشِّرِمٍ مُتَعَجِّفِ
ظَلَمَنِي مِنَ الثَّغْرِ الْبُرُودِ، فَمَنْ رَأَى ظَلَمَانَ مِنْ بَرْدٍ يُعَلِّ ^(٣) بِقَرْقَفِ ^(٤)
مَنْ لِي بَوْضِلٍ مُمَاطِلٍ بِدْيُونِهِ يَعِدُّ الْقَضَاءَ مَعَ الْيَسَارِ، فَلَا يَنْقِي
فِي ^(٥) وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَائِرٌ وَبِخَذِّهِ وَرَدُّ الْحَيَا لَمْ يَقْطِفِ
فَكَأَنَّ وَشْيَ عِذَارِهِ فِي خَدِّهِ ثَمَلٌ تَسْرِبُ فَوْقَ وَرْدٍ مُضْعَفٍ ^(٥)

(٥٨)

وقال :

مُسْتَنْصِفُ الذَّنْبِ، إِنْ عُدَّتْ إِسَاءَتُهُ وَكَلَمُهَا فِي الْحِشَا يَدْمِي، وَيَنْقَرُفُ ^(٦)
مِثْلُ الْقَذَاةِ بَعِينَ الْمَرْءِ يَحْقَرُهَا وَدَمْعُهُ أَبْدًا مِنْ وَخْزِهَا يَكْفُ

(١) القرقف : الخمر . (٢) تمريض : ضعف في أمره .

(٣) البرد بالسكون : الريق . وبالتحريك : حب الغمام . واللعل : الشرب بعد الشرب .

(٤) هذا البيت وما بعده من اختيارات مسالك الأبصار لأمانة (١٠ : ٥٠٣)

(٥) مضعف : أصابه مطر ضعيف .

(٦) الكلام : الجرح . ويدمي : يخرج منه الدم . وقرف القرحة قشرها .

(٥٩)

وقال :

قُلْ لِلَّوَانِمِ : كُفُّوا عَنِ مَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَسْتَبِيرُ الْهَمَّ وَالْأَسْفَا
لَا تُذَكِّرُونِي تَجَنِّيهِ ، وَهَجَرْتَهُ خَبُّهُ شَاغِلٌ عَنْ كُلِّ مَا سَلَفَا
إِذَا عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي إِسَاءَتَهُ هَفَاً^(١) ، وَأَنْكَرَ مِنْهَا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَأِنْ مِمَّتْ بِصَبْرِ عَنْهُ وَاجْهَنِي مِنْ وَجْهِهِ بِشَفِيعِ زَادَنِي شَعْفَا

(٦٠)

وقال :

بَاحَتْ بِسَرِّكَ أَدْمَعُ تَكْفُ فَإِلَامٌ تُنْكَرُ ، وَهِيَ تَعْرِفُ
هَلْ يُغْنِيَنَّ عَنْكَ الْجُودُ ، إِذَا شَهِدَ النُّحُولُ عَلَيْكَ وَالْكَفُّ

منها :

أَخْفَى غَرَامِي ، وَهُوَ مُشْتَهَرٌ بِإِدٍ ، وَأُسْتَرَهُ ، وَيُنْكَشِفُ
أَسْنَى لِعُمُرٍ ، ضَاعَ مُذْهَبُهُ^(٢) فِي حُبِّكُمْ ، لَوَرَدَهُ الْأَسْفُ
وَهَوَى عَيْتُ بَرْعِي ذِمَّتِهِ فَأَضَاعَهُ الْمُتَلَوُّنُ الطَّرْفُ^(٣)
أَنْفَقْتُ فِي كَسْبِي مَوَدَّتَهُمْ شَرَحَ الشَّبَابُ^(٤) ، فَأَعْوَزَ الْخَلْفُ
وَصَدَفْتُ عَنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ ، وَمَا قَالُوهُ فِيَّ بِسَمْعِهِمْ شَنْفُ^(٥)
وَتَنَكَّرُوا ، حَتَّى كَانَتْهُمْ مَا أَنْكَرُوا وَدَّى ، وَلَا عَرَفُوا
وَلَهُمْ لَدَيَّ ، عَلَى مَلَاهِمُ وَدَّ يَخْلِبُ الْقَلْبَ مُلْتَحِفُ^(٦)

(١) هفا : خفق .

(٢) المذهب : الذاهب .

(٣) الطَّرْف : من لا يثبت على صاحب . (٤) مرغ الشباب : أوله .

(٥) الشف : القوط . (٦) الخلب بالكر : لحية رقيقة تصل بين الأملع . أو الكبد .

بَنَى وَبَيْنَهُمْ ، وَلَمَّ قُرْبُوا مِنْ هَجَرِهِمْ أَبَدًا ، نَوَى قُدْفُ
يَا جَانِرِينَ ، وَهُمْ أَعَزُّ عَلَى قَلْبِي مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
أَغْرَاكُمْ بِالْهَجْرِ عَلَيْهِمُ أَنِّي بِكُمْ مُسْتَهْتَرٌ كَلَفُ (١)

(٦١)

وقال :

مَا بِالْمَلَأَةِ حِينَ تَعْرِضُ مِنْ خَفَا إِنْ لَمْ تَحْنُ فَابْلُغِ رِضَاكَ مِنْ ابْلَحَا
فَالْبَاسُ مِنْكَ ، إِذَا صَدَدْتَ ، خِيَانَةً وَإِذَا مَلَّتْ رَجُوتُ أَنْ تَتَعَطَّفَا
إِنِّي لِأَضْعُفُ عَنْ صُدُودِكَ سَاعَةً وَأَرَى قُوَايَ عَنِ الْخِيَانَةِ أَضْعَفَا

قافية القاف

(٦٢)

وقال :

حَتَّى مَتَى يَا قَلْبُ ، لَا تَسْتَفِيقُ ! حَسْبُكَ ، قَدْ حُمِلَتْ مَا لَا تُطِيقُ
أَضْنَاكَ إِشْفَاؤَكَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَمَا عَسَى يُجْدِي حِذَارُ الشَّفِيقِ
إِنْ أَخْلَفُوا عَهْدَكَ ، أَوْ بَدَّلُوا فَكُنْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْهُمْ خَلِيقُ
وَاعِزِّمْ عَلَى سُلُوكِهِمْ عَزْمَةً تَنْذِيكَ بَعْدَ الرِّقِّ حَرًّا طَلِيقُ
لَا تَبْكِهِمْ إِنْ تَزَحَّتْ دَارُهُمْ وَاهْجَرَهُمْ هَجْرَ الْخَلَى الْمُفِيقِ
لَنْ تَعْدَمَ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنْ أَنْتَ تَرَجَلْتَ ضَيْقُ
دَعْ ذَا ، فَا النَّاسُ سُوءًا ، وَلَا يَلْقَى الْفَتَى فِي كُلِّ أَرْضٍ صَدِيقُ

(١) تمام القصيدة ص ١٢٦ . والمستهتر بالثاء : المولع . لا يزال بما فعل وشتمه .

وهبك تلقى عوضاً عنهم أراجعُ عصرُ الشباب الأنيق
عَلِقَتْهُمْ حِينَ رَدَاءِ الصَّبَا ضَافٌ، وَغُصْنِي دُو اعْتِدَالٍ وَرَيْقُ
حَتَّى إِذَا أَشْرَبَ قَلْبِي لَهُمْ حُبًّا جَرَى فِي الْجَسَمِ جَرَى الرَّحِيقِ^(١)
أَلْتَسُّ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، لَقَدْ أَتَيْتُ مَا لَيْسَ بِمِثْلِي يَلِيقُ !
أُرْوِعُهُم بِالْعَنْبِ مُسْتَصْلَحًا وَتَحْتَ ذَلِكَ الْعَنْبِ قَلْبُ شَفِيقِ
يَرَعَى لَهُمْ مَا ضَيَّعُوا ، إِنَّهُ زَاهِمٌ ، عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ ، رَفِيقُ

(٦٣)

وقال^(٢)

قُرْ إِذَا عَاتَبْتَهُ^(٣) شَغَفًا بِهِ غَرَسَ الْحَيَاءُ بَوْجُنَيْهِ شَقِيقًا
وَتَلَهَّبَتْ نَجَلًا ، فَلَوْلَا مَاؤُهَا مَتَرِقُ فِيهَا^(٤) ، لَصَارَ حَرِيقًا
وَأَزُورُ عَنِّي مُطَرِقًا ، فَاضْلَنِي أَنْ أَهْتَدِيَ نَحْوَ السُّلُوفِ طَرِيقًا
فَلْيَلْحَنِي مَنْ شَاءَ فِيهِ ؛ فَصَبَوْتِي بِهِوَهِ سَكْرُ لَسْتُ مِنْهُ مُفِيقًا

(٦٤)

وقال^(٥)

أَنْظُرْ شِمَاتَةَ عَاذِلِي وَسُرُورَهُ بَكْسُوفٍ بَدْرِي ، وَاشْتِهَارَ حِمَاقِهِ
غَطَّى ظِلَامُ الشَّعْرِ مِنْ وَجَنَاتِهِ صُبْحًا تَضِيءُ الْأَرْضُ مِنْ إِشْرَاقِهِ
وَهُوَ الْجُهْلُ ، يَقُولُ : هَذَا عَارِضٌ هُوَ عَارِضٌ ، لَكِنْ عَلَى عُشَاقِهِ

(١) الرحيق : انخرا وأطيبها .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في ياقوت ٢٠٥ : ٥ وخريدة القصر ١ : ١٠٣ ولم تذكر الخريدة البيت الأخير .

(٣) في ياقوت « عَاتَبْتَهُ » . (٤) في ياقوت والخريدة « فِيهِ » .

(٥) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٢ ..

(٦٥)

وقال :

بُئِينَةٌ ، ما أَعْرَضْتُ عَنْكَ مَلَلَةً ولا أَنَا عما تَعْلِبِينَ مُهَيِّقُ
ولكن خَشِيتُ الكَاشِحِينَ فَأَنَّى على سَرَّنا مِنْ أَنْ يَذِيعَ شَفِيقُ
فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيَّانِ ، عَيْنَ مُورِدًا بَرودًا ، ولكن ما إِلَيْهِ طَرِيقُ

(٦٦)

وقال^(١) :

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي رُحِبَتْ لَنَا فِيهَا الْمَسْرَةُ فِي مَجَالِ صَبِيٍّ
ما شَابَهَا لولا مَشِيبُ ظَلَامِهَا كَدْرٌ ، ولا رَاعَتْ بِوَاشٍ مُحَنِيٍّ
فلو اسْتَطَعْتُ خَضْبُتُهَا بِسَبِيَّتِي وجعلْتُ لَوْنَ صَبَاحِهَا فِي مَفْرِقِي

(٦٧)

وقال :

يَا لَأَنِّمِي ، أُنْظُرُ إِلَى قَبْرِ فِي الْأَرْضِ فِي وَجَنَاتِهِ شَفَقُ
وَبِحَدِّهِ وَرَدُّ ، إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهِ تَنَازَرُ الْوَرَقُ
سَبْحَانَ مَنْ أَذْكَى بَوَجَّتِهِ نَارَ الْحَيَاءِ ، وَلَيْسَ يَحْتَرِقُ

(١) هذه القطعة مما روي لأسامة في مسالك الأبحار (١٠: ٥٠٣) .

(٦٨)

وقال :

وَعَزَّالٍ فِي فِيهِ رَاحٌ وَدُرٌّ وَعَقِيقٌ رَطْبٌ ، وَمِسْكٌ فُتِيقٌ^(١)
 شَبَّهُوا دُرَّ ثَغْرِهِ بِالْأَقَاحِي لَيْسَ لِلْأَفْحُوَانِ ذَاكَ الْبَرِيقُ
 بَنَى سَكْرٌ مِنْهُ وَنَحْرٌ ، فَلَا أُرَى قَى لِهَذَا ، وَلَسْتُ مِنْ ذَا أَفِيقُ

قافية الكاف

(٦٩)

وقال :

عَادَيْتَنِي حِينَ عَادَيْتُ الْوَرَى فَيْكَأ هَجَّرَ الْقَلَى وَالتَّجْنَى كَانَ يَكْفِيكَأ
 أَحِينَ خَالَفْتُ فَيْكَ الْخَلْقَ كَأَهُمُّ أَطَعْتَ بِي وَاشِيَاءَ بِالْهَجْرِ يُغْرِيكَا !
 تُصَدِّقُ الطَّيْفَ ، يَسْعَى بِي ، قَهْجُرْنِي وَأَكْذَبُ الْعَيْنَ فِيمَا عَايَنْتَ فَيْكَأ
 تَزَّهَ مُحَاسِنَكَ اللَّاتِي خُصِصَتْ بِهَا عَمَّا يَسِينُ ، وَمَا يَهْوَاهُ شَانِيكَأ
 أَغْضَيْتُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا زَمْنًا وَخَلْتُ أَنَّ الرُّضَا بِالْجَوْرِ يُرْضِيكَأ
 فَمَا نَهَاكَ وَلَوْ عَى عَنْ مُبَاعَدَتِي وَلَا ثَنَاكَ خُضُوعَى عَنْ تَعْدِيكَأ
 بِاللَّهِ يَا غُصْنَ بَانَ ، حَامِلًا قَرَأَ صُلِّ مُغْرَمًا بِكَ يُغْرِيه تَجْنِيكَأ
 يَدْنُو ، وَهَجْرُكَ يُقْصِيهِ ، وَيُبْعِدُهُ وَتَنْتَنِي عَنْهُ ، وَالْأَشْوَاقُ تُدْنِيكَأ
 سَكَرَانَ فِي الْحُبِّ ، لَا يَدْرِي أَسْكْرُهُ لِسِحْرِ عَيْنِكَ ، أَمْ لِلْخَمْرِ مِنْ فَيْكَأ

(١) فتق : قوى الراححة .

قافية اللّام

(٧٠)

وقال :

أَمَا فِي الْهَوَى حَاكُمٌ يَعْدِلُ وَلَا مَنْ يَكُفُّ وَلَا يَعْدُلُ
وَلَا مَنْ يَفُكُّ أُسَارَى الْغَرَا وَمِ الْوَجْدِ مِنْ ثِقَلٍ مَا حُمِّلُوا
وَلَا مُنْصَفٌ عَالَمٌ أَنَّهُ إِذَا قَالَ بِالظَّنِّ يُسْتَجْهَلُ
إِذَا هُوَ لَمْ يَدْرِ مَا يَلْتَقِي أَخُو الْوَجْدِ مِنْ دَانِهِ يَسْأَلُ
لِيَعْلَمَ أَنْتَ سَهَامَ الْغَرَامِ قَبْلَ إِصَابَتِهَا تَقُولُ
وَأَنْ الدَّمُوعَ إِذَا مَا سُفِحَ أَنْ أَثَرُنْ لَظَى فِي الْحِشَا يُسْعَلُ
وَأِنْ قَالَ: هُنَّ مَيَاهٌ ، فَقُلْ : صَدَقْتَ ، وَفِي الْمَاءِ مَا يَسْمَلُ^(١)
مَسَاكِينُ أَهْلِ الْهَوَى ، مَا لَهُمْ مُجِيرٌ ، وَلَا لَهُمْ مَوْتَلُ
وَلَا رَاحِمٌ لَهُمْ يَسْتَدِ يَمُ حُسْنَ الْمَعَاةِ مِمَّا بُلُوا
قَتِيلُهُمْ مَالَهُ وَاتَرُ وَمَظْلُومُهُمْ أَبَدًا يُحْدَلُ
وَأِعْلَانُهُمْ لِلْهَوَى فَاضِحٌ قَتُولٌ ، وَكِتْمَانُهُمْ أَقْتَلُ
وَأِنْ بَحَدُوا الْحَبَّ خَوْفَ الْوُشَا أَقَرَّتْ بِهِ أَدْمَعُ تَهْمَلُ
وَفِي سُقْمِهِمْ ، إِنْ هُمْ أَنْكَرُوا صَبَابَتَهُمْ ، شَرَحَهَا الْمُجْمَلُ
وَكُلُّهُمْ خَاضِعٌ ، يَسْتَكِينُ لِلظُّلَمِ ، أَوْ وَالَهُ^(٢) يُعُولُ

(٢) الوله : الحيرة والخوف . وأعول : رفع صوته بالبكاء .

(١) سئل عنه : فاعا .

وَعَيْشُهُمْ تَعَبٌ كُلُّهُ وَبِالْمَوْتِ رَاحَتُهُمْ تَحْصُلُ
 بِنَفْسِي مُسْتَهْتَرٌ بِالْصَّدُوقِ دِ ، حَازَ الْجَمَالَ ، وَلَا يُجْمَلُ^(١)
 جُنُونِي بِهِ أَبَدًا زَائِدٌ وَمَاضِي غَرَامِي مُسْتَقْبَلُ
 مَلِيحٌ بِإِجْمَاعِ كُلِّ الْأَنَا مِ ، سِوَاهُ مَحَبَّةٍ وَالْعَدْلُ
 مِنَ الْخَوَرِ ، رِضْوَانُهُ بُخْلُهُ وَرِيقَتُهُ الْبَارِدُ السَّلْسَلُ
 وَمَا ذُقْتُهَا ، غَيْرَ أَنَّ الْعِيُونَ شَهِادَتُهَا أَبَدًا تُقْبَلُ
 بِخَيْلٍ عَلَى مُقَلَّتِي بِالرَّفَا دِ ، وَلَسْتُ عَلَيْهِ بِهَا أَبْخَلُ
 سَقَامِي مُسْتَصْفَرٌ عِنْدَهُ وَأَمْرِي مُطَرَّحٌ مُهْمَلُ
 يَرَانِي مِنْ حُبِّهِ فِي السَّيَا قِ^(٢) ، وَهُوَ بِمَا بِي لَا يَخْفَلُ
 أَغَاتِبُهُ وَهُوَ لَا يَرَعَوِي وَأَعِذُّهُ ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ
 فَلَا الْوَضْلُ لِي فِيهِ مِنْ مَطْمَعٍ وَلَا الْهَجْرُ فِيَّ لَهُ مَحْمَلُ
 وَلَا فِيهِ عَاطِفَةٌ تُرْتَجَى وَكُلُّ بَلَانِي بِهِ مُشْكِلُ
 وَسُكْرِي مِنْ حُبِّهِ لَا أَفِيقُ مِنْهُ ، فَأَعْلَمَ مَا أَعْمَلُ
 وَبَعْدُ ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مَقَالِي ، فَإِنِّي بِهِ أَهْزَلُ
 وَمَا أَنَا بِالْحُبِّ ذُو خَبْرَةٍ وَلَا هُوَ لِي عَنْ عُلَا مُشْغَلُ
 وَلَكِنْ كَمَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دِ فِينَا : نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ

(١) أجل الصنعة : حسنها وكثرها .

(٢) يقال فلان في السياق أى في النزاع . واليباق نزاع الروح .

(٧١)

وقال :

قَالُوا : قَلَاكَ ، وَمَلَّا فَقُلْتُ : حَاشَا ، وَكَلَّا
مَا صَدَّعَنِي مَلَالًا وَإِنَّمَا يَتَحَلَّى
وَهُوَ السَّوَادُ لِعَيْنِي لَا بَلْ أَعَزُّ وَأَغْلَى
وَكَلَّمَا زَادَ عَزًّا عَلَيَّ ، قَدْ زِدْتُ ذُلًّا

(٧٢)

وقال :

كَمْ ذَا التَّجَنُّيْ ، وَكَثْرَةُ الْعِلَلِ لَا تَأْمَنُوا مِنْ حَوَادِثِ الْمَلَالِ
وَلَا تَقُولُوا : صَبُّ بِنَا كَلَفٌ فَأَوَّلُ الْبَاسِ آخِرُ الْأَمَلِ
وَلَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ شَقَّ عَصَا الذَّنْبُ ذَنْبِي ، وَالْحُبُّ يَشْفَعُ لِي
هَبُونِي أَحْطَاتُ عَامِدًا ، فَهَبُوا نَجَلَةَ عُذْرِي مَا كَانَ مِنْ زَلَى
وَاعْتَمُوا الْقَرَبَ قَبْلَ يَفْجُؤَنَا الْبَاسِ فَكُلُّ مَنْهُ عَلَى وَجَلِ

(٧٣)

وقال :

قُلْ لِلْمَلُولِ الَّذِي أُعْيَا تَلَوْنُهُ : تُرَى مَلَائِكَ هَذَا غَيْرَ مَمْلُولٍ
إِذَا تَجَاهَلْتُ عَمَّا سَاءَ مِنْهُ أَتَى مِنَ الصَّدُودِ بِذَنْبٍ غَيْرِ مَجْهُولٍ
وَمَا جَنَى قَطُّ إِلَّا جُنْتُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ ، لَكِنَّ عُذْرِي غَيْرُ مَقْبُولٍ

(٧٤)

وقال :

كَيْفَ انْخِلَاصُ لِقَلْبِي مِنْ يَدَيْ قَرِيرٍ أَسِيرٌ نَاطِرُهُ بِالْوَجْدِ مَغْلُولُ
بُحْرِي لَدَيْهِ جُبَارٌ^(١) ، لَاقِصَاصٌ لَهُ فِي حَكِمِهِ ، وَدَمِي فِي الْحَبِّ مَطْلُولُ

(٧٥)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، إِنْ كَانَ هَجْرُكُمْ غَدْرًا ، فُودَى غَيْرُ مَسْتَقِيلٍ
أَوْ كَانَ مِنْ مَلِكٍ طَرَا ، فَعَسَى تَطَرًا مَلَأَةً ذَلِكَ الْمَلَلُ
وَالصَبْرُ دَائِي ، أَوْ تَفَاجَيْتِي بُشْرَى الرِّضَا ، أَوْ رَاحَةُ الْأَجَلِ

(٧٦)

وقال :

يَلُومُونَنِي فِي حَبِّ لَيْلِي ، وَلِمَنِّي لِأُكْرِمُهَا عَنْ عُرْضَةِ اللَّوْمِ وَالْعَذْلِ
وَقَالُوا : هَوَاهَا خَائِلٌ لَكَ ، فَاسْلُهَا وَمِنْ لَوْمِهِمْ ، لَامِنْ هَوَايَ لَهَا ، خَبْلِي
هِيَ الشَّمْسُ ، تَبْدُو فِي رِذَاءٍ مِنَ الدَّجَى عَلَى خُوطٍ^(٢) بَانٍ ، فِي كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ
تَهَادَى تَهَادَى الظِّلُّ هَوْنًا ، كَأَنَّمَا تَخَافُ عَثَارَ الْحَزْنِ فِي الدَّهْسِ^(٣) السَّهْلِ
وَتَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي مَهَاةٍ^(٤) ، كَفَاهُمَا وَأَغْنَاهُمَا تَحُلُّ الْمَلَاةَ عَنْ تَحُلِّ

(١) الجبار بالضم : الهدير . يقال ذهب دمه جبارا .

(٢) الخوط بالضم : الفصن الناعم .

(٣) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب . والحزن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية .

(٧٧)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح ، أولها :

ما خَطَرَ السُّلُوَانُ فِي بَابِي فَمَا الَّذِي أَطْمَعَ عُذَّالِي
وَجَدِي بِهِمْ فِي الْيَوْمِ كَالْأَمْسِ ، مَا غَيْرَهُ مَا حَالَ مِنْ حَالِي
أَهْوَى ، وَمَا حَظَّيْ مِنْهُمْ كَمَا أَهْوَى ، وَلَا قَلْبِي بِالسَّالِي
لِحَاجَةٍ فِي الْحُبِّ ، مَا تَحْتَهَا سِوَى صَبَابَاتِي وَبِلْبَالِي^(١)
لِي الْقَلْبِي مِنْهُمْ ، وَمِنْ لَأْنِي فِيهِمْ طَوِيلُ الْقِيلِ وَالْقَالِ
وَمَا أَبَالِي بِالَّذِي نَالَنِي لَوْ أَتَيْتُ مِنْهُمْ عَلَى بَالِ
يَا قَرَأَ فِي غُصْنٍ^(٢) بَانَ عَلَى نَقَا^(٣) مَهُولٍ غَيْرِ مُنْهَالِ
مَيْلَكَ الْوَائِي ، فَمَا حَبْلَتِي فِي أَهْوِيفِ الْقَامَةِ مِيَالِ
مُسْتَهْتَرٍ^(٤) بِالْهَجْرِ الْقَاهُ فِي الْأَحْلَامِ ، وَهُوَ الْمُعْرِضُ الْقَالِي
نَاطِرُهُ الْفَتَاكَ لَا نَاطِرُ عَلَى تَعْدِيهِ ، وَلَا وَالِي
يَحْكُمُ فِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُهُ حَكَمَ أَبِي الْغَارَاتِ فِي الْمَالِ

(٧٨)

وقال :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ فَخَفْ بِهَا وَاسْأَلْ مَعَالِمَهَا بِدَمْعِ سَائِلِ
مَا ظَنُّهَا بِطَعْنِ أَغْصَانِ النَّقَا مَا سَتَ مُنْصَلَّةً بِأَسْهُمِ بَائِلِ
هَدَرَ الْهَوَى دَمَهُ ، لِأَنَّ لِحَافَهُ أَرْدَتْهُ ، أَمْ أَقْبَى بِقَتْلِ الْقَائِلِ

(١) الببال بالفتح : الوسوس والبرحاء في الصدر . وبالكسر : مصدر ببله : هيج وحركه .

(٢) في هامش النسخة "خوط" .

(٣) النقا من الرمل : القطة تنقاد محمودة .

(٤) المستهتر بالثو . (بالفتح) المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له .

(٧٩)

وقال :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي فَاسِدٌ فَاهُ الْعَذَبُ بِالْقُبَلِ
وَأُضْمُهُ ضَمَّ الشَّقِيقِ ، كَمَا صَمَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ لِلْمُقَلِ
فَبَحَارُ مَنْ كَلَّفِي ، وَيُشْرِقُ فِي خَدَّيْهِ وَرْدُ الْحُسْنِ وَالْحَجَلِ
وَيَعُودُ بَعْدَ الْعَتَبِ مُعْتَذِرًا عُذْرَ الْمُسِيءِ إِلَى ، مَنْ زَلَّى

(٨٠)

وقال^(١) :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي وَفِي عَلَى فَمِهِ يَقْبَلُهُ
وَيُرِيدُ يُوضِحُ وَجَهَ حُجَّتِهِ وَاللَّثْمُ يُعَجِّلُهُ ، وَيُنْجِلُهُ
حَتَّى إِذَا أَضْجَرَّتْهُ سَتَرَتْ مَا بَيْنَ فِي وَفِيهِ أَتَمَلُهُ
وَيَعُودُ مُعْتَذِرًا لِبِشْغَلِي عَنْهُ بَعْدِي لَسْتُ أَقْبَلُهُ

(٨١)

وقال :

كُنْتُ بَنِي ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أُطِقْ كِتْمَانَ فَيْضِ الْمَدْمَعِ الْهَامِلِ
السَّافِحِ السَّائِبِ الْمَاطِرِ

(١) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٤) .

ولَيْسَ يُدْرَى ، لِقَدْىِ جَائِلٍ فِي الْعَيْنِ فَاضَتْ أَمْ هَوَى دَاخِلٍ

فَاضِحٍ غَالِبٍ ظَاهِرٍ

كَالْوَرَقِ^(١) لَا يُدْرَى عَلَى هَالِكٍ نَاحَتْ ، أَمْ ارْتَاخَتْ إِلَى رَاحِلٍ^(٢)

نَازِحٍ غَائِبٍ هَاجِرٍ

قافية الميم

(٨٢)

وقال^(٣) :

وَلَوْ ، فَلَمَّا^(٤) رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيهِمْ
وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطْلَعْتُ
فَلَيْتَ^(٥) شَعْرِي بِمَا اسْتَوْجَبْتُ هَجْرَهُمْ
حَفِظْتُ مَا ضَيَّعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَوْنَا
حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وَدَادِهِمْ
مَحَاسِنِي ، مِنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ
فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَ لَهُمْ قَدَمُ
عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَدْرِي أَلْتَهُمْ
مَلُّوا ، فَصَدَّهُمْ عَنْ وَضَلِي السَّأَمُ
وَقَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصِلْتُ إِذْ صَرَمُوا
مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرَى بِهِ الْقَسَمُ
قَدْىِ ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَمُّ

(١) الورقاء : الخامة .

(٢) ارتاح إليه : حزن إليه .

(٣) رويت هذه القصيدة أيضا في الخريدة ١ : ١٠٧ ومعجم البلدان ٥ : ١٠ والروضتين ١ : ١١٣

(٤) في الخريدة (ولمّا) .

(٥) في معجم البلدان هذا البيت واليهتين بعده .

وبعد ، لو قيل لى : ماذا تُحب ، وما
همُ مجالُ الكرى من مُقلتي ، ومن
تبدّلوا بى ، ولا أبغى بهم بدلاً
مُنّاك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هم
قلبي محلُّ المنى ، جاروا أو اجترموا^(١)
حسبى هم ، أنصفوا فى الحزم ، أو ظلموا^(٢)

(٨٣)

وقال :

أقصر ، فلو بى فى حبهم لم^(٣) وناصحُ العاشقين منهم
ما الغى والرشد بالملامة والإغراء فى الحب ، بل هما قسم
بالعذل فيهم ، وشقوتى بهم وسوء حظى منهم ، جرى القلم
طرفى أعمى عن عيهم ، فإذا رأيته عني ، أقول : ذا حلم
أصم عن نصيح من يعنني فيهم ، وما بى لولا الهوى صم
وهم إذا خطرة التوهم نا جتهم بذنب لم أجنيه صرموا
ضلالة فى الغرام : يكذب رأى العين فيها ، ويصدق الحلم
فلا تردنى جورى بلومك ، إن الحسب نار بالعدل تضطرم
لو يعلم الحاسدون حظى ، وما ألقاه منهم ، وفيهم ، رحوا
فوضت أمرى إليهم ، ثقة بهم ، فلما تحكّموا ظلّوا
وما كذا تحفظ الموائيق فى الحسب ، وترعى العهود والدم
فيا لها هفوة ، ندمت على ما كان منها ، لو ينفع الندم
وما احتيال الفتى إذا عثر الجحد ، وزلت بسعيه القدم

(١) اجترم : أذنب .

(٢) تمام القصيدة ص ١٤٦ .

(٣) اللهم محرّكة : الجنون .

(٨٤)

وقال^(١) :

لا تَسْتَعِرْ جَلَدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ فُقُوكَ تَضَعُفٌ عَنْ صُدُودِ دَائِمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا ، وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةً رَاغِمِ

(٨٥)

وقال :

قُلْ لِمَنْ تَاهَ بِالْجَمَالِ عَلَيْنَا : مَا عَسَى دَوْلَةُ الصَّبَا أَنْ تَدُومَا
عَنْ قَلِيلٍ^(٢) نَرَى قِوَامَكَ ذَا الْمَانَسِ ، قَدْ عَادَ ذَا اعْتِدَالِ قَوِيَمَا
وَنَرَى طَرَفَكَ السَّقِيمَ وَقَدْ صَحَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَرِيضًا سَقِيمَا
وَنَرَى جَمْرَ وَجْنَتِكَ وَقَدْ عَا دَ رَمَادَا ، وَبَقْلَهُنَّ هَشِيمَا
وَنُنَادَى : عَدُلْ مِنْ اللَّهِ أَنْ أَصْبَحَ ذَاكَ النَّهَارُ لَيْلَا بَيْهَمَا

(٨٦)

وقال :

جُفُونُ تَسْتَهْلُ^(٣) دَمًا وَجِسْمٌ مُشْعَرٌ سَقَمًا
وَأَنَّهُ مُوجِعٌ تُبْدِي مِنَ الْأَشْجَانِ مَا كَتَمَا
وَقَلْبٌ لَوْ فُرِيَ^(٤) بِمِيسَمِ النَّيْرَانِ مَا عَلَمَا
وَحَالٌ لَوْ رَأَاهَا شَامَتٌ أَوْ حَاسَدٌ رَحِمَا

(١) هذان البيتان من مختارات مسالك الأبيصار لأسامة (١٠ : ٥٠٤) .

(٢) في هامش الديوان " قريب " . (٣) استهل المطر : اشتد انصبابه .

(٤) فراه : شفه .

وقال :

مَلَّ ، وَأَبْدَى نَجْمَهُمُ السَّامِ وَضَاعَ وَدَى فِي الظَّنِّ وَالْثَمِّ
وَحَانَ عَهْدِي ، وَقَلَّ اجْتَمَعَ الْحُسْنُ وَرَغَى الْعَهْدِ وَالذَّمِّ
وَصَدَّ عَنِّي ، فَصَرْتُ أَجْتَنِبُ النَّوْمَ ، حَذَارَ الصُّدُودِ فِي الْحُلْمِ
وَلَسْتُ أَدْرَى مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى أَنِّي عَنْ الرُّشْدِ فِي هَوَاهُ عَمِي

وقال :

يَا نَاسِيًا عَشْرَةَ التَّصَافِي وَخَافِرًا^(١) حُرْمَةَ الدِّمَامِ
إِلَامَ أَغْرَتْ بِالْأَمَانِي فَيْكَ كُتِمَتْ طَرِيقُ الْجَهَامِ^(٢)
كَأَنِّي ، فِي الَّذِي أُرْجَى بُلُوغَهُ مِنْكَ ، فِي الْمَنَامِ
وَطَالِبُ الْوَصْلِ مِنْ مَلُولٍ^(٣) كَطَالِبِ الْمَاءِ فِي الضَّرَامِ

وقال :

يَرِينِي مَا أَرَى مِنْكُمْ ، وَيَعْطِفُنِي إِلَى هَوَاكُمْ وَفَاءُ لَسْتُ أُسَامُهُ
كَأَنِّي أُمُّ بَوٍّ^(١) تَسْتَرِبُّ بِمَا تَرَاهُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْفَكُ تَرَامُهُ

(١) حفر به وخفّره خفرا وخفورا : قفض عهده وغدّره ، كما خفّره .

(٢) الجَهَام : السحاب لا ماء فيه أو قد هراق مائه .

(٣) يقال أملني وأمل علي : أبرئني فهو ملول وملولة وهي ملول وملولة .

(٤) البو : الحوار . وقيل جلده يحشى تبّا أو ثما ما أو حشيشا ليعطف عليه الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم
الفصيل لترأّمه فندرعليه . والبو أيضا ولد الناقة . ورثمت الناقة ولدها : عطفك عليه ولزمته .

(٩٠)

وقال :

أَجْبِدُوا عِيَالَهُمْ بِالْأَدْمُجِ السُّجْمِ^(١) وَبُحْ ، فَمَا الْحُبُّ فِي حَالٍ بِمَكْتَمٍ
أَسْمَعَتْ يَا دَاعِمِ الْأَشْوَاقِ ذَا كَلْفٍ نَأْنِي الْحَلِّ ، وَإِنْ لَمْ تَدْعُ مِنْ أَمٍّ^(٢)
لِلَّهِ أَنْتَ ، فَمَا أَغْرَاكَ مِنْ مَلَلٍ يُنْسِي الْعَهْدَ ، وَمَا أُرْعَاكَ لِلذَّمِّ
وَقُلْ لِمَنْ لَأَمَ : مَا السُّلْوَانُ مِنْ خُلُقٍ وَلَا مُلَاءَمَةُ اللَّوَامِ مِنْ شِيَمِي
أَهْوَى بِلَا مَلَلٍ يُسَلِّ ، وَلَا طَمَعٍ يُمَلِّ ، وَلَا رِيْبَةً تُزْرِي بَذَى كَرَمٍ
فَمَا وَفَانِي بَرْتُ الْعَهْدَ مَتَكَثٍ وَلَا هَوَاىَ بَوَاهِي الْعَقْدِ^(٣) مُنْصَرِمٍ
يَزِيدُهُ كَرَمًا مَرُّ السَّيْنِ كَمَا زَادَ الْمُدَامَةَ إِشْرَاقًا مَدَى الْقَدَمِ^(٤)

(٩١)

وقال :

مَا أَنْصَفُوا فِي الْحَبِّ إِذَا حُكِّمُوا سَلَوْا ، وَقَلْبِي بِهِمْ مُغْرَمٌ
أَحْيَيْتُهُمْ فِي عُفْوَانِ الصَّبَا وَلَيْلُ فَوْدِي حَالِكٌ أَسْتَحْمُ^(٥)
حَتَّى إِذَا عَصَرُ الشَّبَابِ انْقَضَى وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِي الْأَنْجُمُ
صَدُّوا ، وَأَنْسَاهُمْ ذِمَامَ الْهَوَى مَا اخْتَلَقَ الْوَاشُونَ وَالْأَوَمُ
فَن تَرَى يُحْفَظُ عَهْدُ الْهَوَى إِنْ ضَيَّعُوهُ ، وَهُمْ مَا هُمُ
وَالْحَبُّ كَالْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْوَرَى يُرْزَقُ ذِمَامُهُ ، وَذَا يُحْرَمُ
سَعَى بَنِي الْوَاشِي إِلَيْهِمْ ، فَمَا تَتَيْنُوا الْحَقَّ ، وَلَا اسْتَفْهَمُوا
وَسَمِعُ مِنْ مَلٍّ قَبُولٌ لِمَا يُزْخَرُفُ الْكَاشِخُ أَوْ يَزْعُمُ

(٢) من أم : من كتب .

(١) سِجْمُ الدَّمْعِ : سَال .

(٤) باقى القصيدة ص ١٩٤ .

(٣) الْعَقْدُ : الْعَهْد .

(٥) الْفَوْدُ : نَاحِيَةُ الرَّأْسِ . وَالْأَسْمُجُ : الْأَسْوَدُ .

وَلَا وَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبِي لَمْ حُبَّاجَرِي مِنْ حَيْثُ يَجْرِي الدَّمُّ
مَا خُتُّهُمْ عَهْدًا ، وَلَا فَاهَ لِي بِمَا رَوَى الْوَاشُونَ عَنِّي فَمُ
فَلَوْ رَأَوْا قَلْبِي رَضُوا كُلَّ مَا يُعْلِنُهُ فِيهِمْ ، وَمَا يَكْتُمُ
دَغْ ذَا ، فَمَا يُسْمَعُ عُنْدَ الْهَوَى بَعْدَ التَّقَالِي ، فَالْقَلَى أَبْكُمُ
بِرَاءَةُ الْمَلُولِ مَسْنُورَةٌ وَعُذْرُهُ الْوَاضِحُ مُسْتَنِيمٌ^(١)
وَلَوْ سَعَى الطَّيْفُ بِهِ فِي الْكَرَى لَقِيلَ : هَذَا الْمُنْزَلُ الْمُحْكَمُ
فَاصْبِرْ عَلَى جَوْرِ الْهَوَى ، إِنَّهُ بِهِ تَقْضَى الزَّمَنُ الْأَقْدَمُ

(٩٢)

وقال^(٢) :

قَسَمًا بَمَنْ لَمْ يَبْقَ خَوْ فُ رَقِيهِ لِي مِنْهُ قَسَمًا^(٣)
خَافَ الْوَشَاءَ ، فَصَدَّ ، حَسَنِي فِي الرِّقَادِ ، إِذَا أَلَمَّا
لَا خَاطِرُنَّ بِمُهْجَتِي فِي حَبِّهِ ، إِمَّا ، وَإِمَّا

(٩٣)

وقال :

قُولًا لَدَا الْغَضْبَانِ : يَا ظَالِمًا يَغْضَبُ ، أَنْ أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي
أُظْهِرُهُ أَنْتَ ، وَإِلَّا فَلِمُ تَخْشَى دُعَانِي دُونَ ذَا الْعَالَمِ
يَا رَبِّ ، لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ - وَإِنْ جَارَ - دُعَاءُ الْمُغْرِمِ الْهَانِمِ

(١) أبهم الأمر : اشتبه كاستيهم .

(٢) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٥) .

(٣) القسم بالكسر : التعجب .

(٩٤)

وقال :

لَمَّا رَأَوْا وَجْدِي بِهِمْ تَجَرَّمُوا^(١) وَأُزْمُونِي الذَّنْبَ ، وَالْجَانِي هُمُ
قَالُوا : اسْتَزَارَ طَيْفَنَا ، تَبَّأَ لَهُ مِنْ مُغْرَمٍ ، وَهَلْ يَنَامُ الْمَغْرَمُ
أَيْنَ شُهُودٍ مَا أَدَّعَى مِنْ حُجَيْنَا أَيْنَ الشَّهَادُ ، وَالْجَوَى ، وَالسَّقَمُ
أَيُّهُ دُمُوعٌ كَلَّمَا غِيَضَتْهَا^(٢) تَدَفَّقَتْ ، وَمَا زَجَّ الدَّمْعَ دُمُ
أَخْنَى الْمَلَأُ عَنْهُمْ مَا بِي : مِنْ بَرَجٍ قَلَاهُمُ ، وَالْمَلَأُ أَبْكُمْ
كَذِبْتُ فِيهِمْ مَا رَأَيْتُ مِنْ قَلِي فَلَيْمَ أَطَاعُوا فِيَّ مَا تَوَهَّمُوا

قافية النون

(٩٥)

وقال :

مُحْيَا مَا أَرَى ، أَمْ بَدُرُ دَجَنٍ وَبَارِقُ مَبِيسِمٍ^(٣) أَمْ بَرَقُ مُزْنٍ^(٤)
وَتَغَرُّ ، أَمْ لَالٍ ، أَمْ أَقَاجٍ وَرَيْقُ ، أَمْ رَحِيقُ بِنْتُ دَنَ
وَلَحْظُ ، أَمْ سِنَانُ رَكْبِهِ بِأَسْمَرٍ مِنْ نَبَاتِ انْخِطَ لَدِنِ
وَأَيْنَ مِنَ الظُّلَا أَلْحَاطُ ظَلِي ثَنَانِي عَنْ سُلوَى بَالَتَنِّي
إِذَا جَاءَ الْمَلَأُ لَهُ يُجْرِمُ مَحَاهُ وَجْهَهُ بِشَفِيعِ حُسْنِ

(٢) غيَّضَ دمه : نقصه .

(٤) المزن : السحاب .

(١) تجرَّم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٣) الميسم كنزل : التغر . وفقط : التيسم .

فيا مَنْ مِنْهُ قَلْبِي فِي سَعِيرٍ وَعَنِي مِنْهُ فِي جَنَاتِ عَدَنٍ
حَبَاكَ هَوَايَ مَنِّي مُحَضُّ وَدٍّ تَنَزَّهَ عَنْ مُدَاجَاةٍ^(١) وَضَغِنٍ
وَقَبْلَكَ مَا تَمْلِكُهُ حَيْبٌ وَلَا سَمَحَتْ بِهِ نَفْسِي لِخُذْنٍ
أَحِينَ خَلَبْتَنِي ، وَمَلَكْتَ قَلْبِي قَلْبَتَ نُلْطِي ظَاهِرَ الْمَجْنِ
فَهَلَّا قَبْلَ يَعْلُقُ فِي قَوَادِي هَوَاكَ ، وَقَبْلَ يَغْلُقُ^(٢) فَيْكَ رَهْنِي
تُسَاوِرُنِي هُمُومِي بَعْدَ وَهْنٍ^(٣) فَتَرِي كُلَّ جَارِحَةٍ بَوَهْنٍ
أَلَمْ يَكِفِ الْعَوَازِلَ مِنْكَ هَجْرِي وَقَلْبَكَ مَا يُجْنُ مِنْ التَّجْنِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي إِنْتَاقِ عُمْرِي ضَيَاعًا فِي هَوَاكَ قَرَعْتُ سِنِّي
وَأَسَفُ ، كَيْفَ أَخْلَقَ عَهْدُودِي وَأَتَى كَيْفَ أَخْلَفَ فَيْكَ ظَنِّي
وَأَوْجَعُ مَا لَقِيتُ مِنَ اللَّيَالِي وَأَيَّ فِعَالِهَاتِي لَمْ يَسُونِي
تَقَلُّبُ قَلْبٍ مِنْ مَثَوَاهُ قَلْبِي وَجَفْوَةٌ مِنْ طَبَقَتْ^(٤) عَلَيْهِ جَفْنِي

(٩٦)

وقال :

إِصْلَاحُ قَلْبِكَ أَعْيَانِي ، فَأَحْيَانِي وَالْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى السَّلْوَانِ الْجَنَانِي
كَمْ ذَا التَّجْنِي ، وَمَا ذَنْبِي إِلَيْكَ سِوَى حُبِّي ، فَصَفْعًا عَنِ الْمُسْتَغْفَرِ الْجَنَانِي

(١) المداجاة : المداراة .

(٢) غلق الزمن في يد المرتين : إذا لم يقدر على اضكاكه .

(٣) الوهن من الليل : الطاقاة منه . وقيل هو نحو من نصف الليل ، أو هو بعد ساعة منه . وقيل هو حين دبر الليل . والوهن في آخر البيت : الضعف .

(٤) في تحريدة القصر " ضمنت " وقد ذكر العباد من هذه القصيدة ص ١٠٣ ثمانية أبيات : الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة والسادس والثالث عشر :

هواك أخطأتني قصدي، وكنت أرى أن الهوى منك يُدِينِي ، فأقصاني
أغراك ظنك أنني لا يطاوعني قلبي إذا سُمْتُه صبراً بهجراني
ولست أنكرُ منه فرطَ صبرِهِ لَكِنَّهُ عن هَوَى بالهونِ يَنهَانِي

(٩٧)

وقال :

يَا رَبِّ خُذْ بِيَدِي مِنْ ظَلَمٍ مُقْتَدِرٍ عَلَى قَدْ لَجَّ فِي صَدْدِي وَهَجْرَانِي
لَيْنَ قَسَاوَتِهِ لِي ، أَوْ قَيْسَرٍ لِي صَبْرًا ؛ لِأَحْظَى بَوْضِلٍ أَوْ بُسْلَوَانٍ
أَوْ فَاطِفٍ جَمْرَةَ خَدَيْهِ ، وَأَيْقُظَ جَفْنَ نَبِيهِ الَّذِينَ أَرَاكَ مَاءَ أَجْضَانِي

(٩٨)

وقال :

إِذَا أَوْحَشْتَنِي جَفْوَةَ الْخَلِّ رَدَّنِي إِلَيْهِ وَفَاءً بِالْإِخَاءِ ضَايِنٌ
كَأَنِّي أُمُّ الْبَوِّ^(١) تُنْكِرُ شَخْصَهُ وَيُعْطِفُهَا وَجْدٌ بِهِ وَحْنِينَ

(٩٩)

وقال :

إِلَهِ يَا مُغْرَى بِهِجْرَانِي وَيَا مُبِيحَ الدَّمْعِ أَجْضَانِي
هَلْ فِي الْقَضَايَا أَنَّ مَنْ مَاجَنِي يَخْضَعُ بِالْعُذْرِ إِلَى الْجَانِي

(١٠٠)

وقال :

إلى كم أُرجمُ فيك الظنونا وأدفعُ بالشكِّ عنك اليقيناً
وأملُ عطفك بعدَ الحفا ، وقسوةَ قلبك لي أن تليناً
وأصبرُ للهجرِ صبرَ الأسيرِ على قده^(١) ، صاغراً مُستكيناً
وآبى ، وقد خنت عهدَ الهوى ولم ترعَ ذمته ، أن أخوناً

(١٠١)

وقال :

زدني جوى ياحبهم ، وأضلني
لا تنهني عنهم ، فإنَّ صبابتي
أحييتهم ، أزمان غصني ناضراً
فارجع بيابنك ، لست أول أمرٍ
يامرشدي عن منهج السلوان
لا تستطيعُ تطيعُ من ينهاني
حتى عسا^(٢) ، وعصى بنان الحاني
شق الغرامُ عصاه بالهصيان

(١٠٢)

وقال :

أياهاجرًا كلَّما زدتُ في
ترفُّقٍ بقلبٍ إذا ما ذكرُ
محلَّك منه محلُّ السوا
خضوعي له زادَ هجرانه
تَ بدا للمحدثِ كتمانهُ
د من ناظرٍ أنتَ إنسانهُ

(١) يقال أمره بالقد : بالسير من الجلاء غير المدبوغ .

(٢) عسا النبات سوا : غلظ واشتد .

(١٠٣)

وقال ^(١) :

يَا مُعْرِضًا ^(٢) ، رَاضِيًا وَغَضْبَانًا وَهَاجِرِي هَاجِعًا وَيَقْظَانًا ^(٣)
صَدَدْتُ ^(٤) ، إِمَّا لَهْفَةٍ فَرَطْتُ مَنِي ، وَإِمَّا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا
طَبِيقُكَ ، مَا بِالْهُ يَهْجُرُنِي مَنَ أَعْلَمَ الطَّيْفَ بِالَّذِي كَانَا

(١٠٤)

وقال :

يَا فِتْنَةً عَرَضَتْ لِي بَعْدَ مَا عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الْأَمْرِ وَاقْتَادَ الْهَوَى رَسَنِي ^(٥)
هَلَاءً ، وَلِبَلِي غَرِيبٌ ^(٦) ، وَأُنْجِهْ غَوَارِبُ ، وَشَبَابِي نَاضِرُ الْغُصْنِ

(١٠٥)

وقال :

أَحْبَبْتُهَا فِي عُفْوَانِ الْجَبَا وَقُلْتُ : إِنَّ الشَّيْبَ يُسْلِنِي
فَزَادَنِي شَبَبِي جُنُونًا بِهَا حَتَّى كَأَنَّ الشَّيْبَ يُغْرِيبُنِي
وَالشَّبَابَ الشَّيْبُ ، لَا مِيزَةَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الْحَبَائِينِ !

(١) رويت هذه الأبيات في الخريدة ١ : ١٠٦ .

(٢) في الخريدة « يا هاجرا »

(٣) في الأمل « وسنانا » والتصويب من الخريدة

(٤) في الخريدة « هجرت » .

(٥) الرسن : الخليل وما كان من زمام على أف .

(٦) أسود غريب : حالف .

قافية الهاء

(١٠٦)

وقال :

يَا هَلَالًا إِذَا تَبَدَّى يَرَاهُ السَّوْرَى لَا يَمْلُ رَاعُوهُ مِنْهُ
وَتَرَانِي الْهَلَالِ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَيْلَةً ، ثُمَّ تُعْرَضُ الْعَيْنُ عَنْهُ
لَمْ يَخُنْ عَهْدَكَ الَّذِي لَمْ يُطْعَ فِيكَ نَصِيحًا ، فَلِمَ ، فَدَاكَ ، تَخُنُهُ ^(١)
كُلُّ حُسْنٍ فِي الْخَلْقِ مُجْتَمِعٌ فِيكَ ، فَإِنَّهُ لَا تَسْنُهُ ، وَضُنُّهُ
إِنْ تَكُنْ مَا رَأَيْتَ مِنْ جَمْعِ الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ فِي الْمَلَايِكَةِ فَكُنُّهُ

(١٠٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ أَوْحَشَ بِالْهَجَرِ جُفُونِي مِنْ كَرَاهَا
وَالَّذِي أَوْهَمَ عَيْنِي أَنَّ فِي النَّوْمِ قَذَاهَا
يَا مَلُولًا ، قَلْبًا اسْتُرَّ عِيْ عُهُودًا فَرَعَاهَا
يَا ظُلُومًا كَلِمًا اسْتَعَطَفْتُهُ صَدَّ وَتَاهَا
زِدْتَ فِي تِهْكَ وَالشَّيْءُ إِذَا زَادَ تَنَاهَى

(١) جزم الفعل للضرورة . وما استغفامية لا جازمة .

تَتَقَضَّى دَوْلَةُ الْحُسْنِ ، وَإِنْ طَالَ مَدَاهَا
رَاحَتِي لَوْ سَمِعَ الشَّكْوَى إِلَيْهِ ، وَوَعَاهَا
غَيْرَ أَنْ الثَّمَّ لَا تَسْمَعُ نَجْوَى مَنْ دَعَاها
وَهُوَ لَوْ نَادَى عِظَامِي رِمَةً لَبَيَّ صَدَاهَا
مُتَلِفٌ بِالْهَجْرِ نَفْسِي وَإِلَيْهِ مُشْتَكَاها
مُسْتَقْلٌ كُلِّ مَا تَلَقَّاهُ فِيهِ : مِنْ أَذَاهَا

(١٠٨)

وقال^(١) :

تَخْفَى عَلَى ذُنُوبُهُ فِي حَبَّةٍ وَيَرَى ذُنُوبِي قَبْلَ أَنْ أُجْزِيَهَا
فَكَأَنَّهُ عَيْنِي تَرَى عَيْنِي ، وَلَا يَبْدُو لِي الْعَيْبُ الَّذِي هُوَ فِيهَا

(١٠٩)

وقال :

بُنِيتُ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْإِعَادِ نُسُوا عَهْدِي ، وَقَالُوا : مَضَى أَمْسٌ بِمَا فِيهِ
وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ هَوَى وَقَلِي إِنْسَانٌ عَيْنِي ، قَبِيحٌ بِي تَنَاسِيهِ
وَكَلَّمَا اقْتَرَفُوا ذَنْبًا يُزْهَدُنِي أَقَامَ حَتَّى لَهُمْ عُذْرًا يُعْفِيهِ

(١) البيان من مروبات المسالك لأسماء (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(١١٠)

وقال :

يَغَالِطُنِي فِيكُمْ هَوَايَ ، فَأَنْتَنِي إِلَيْكُمْ ، عَلَى إِنْكَارِ مَا قَدْ بَدَأَ لِيَا
كَعْظَمَةَ أُمِّ الْبِرِّ^(١) تَرَأُّمُ شِلْوُهُ^(٢) وَقَدْ رَأَبَهَا مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا^(٣)

(١١١)

وقال :

يَا سَائِلِي عَمَّا بَيْنَهُ سِرُّ الْحُبِّ عَلَانِيَهُ
أَنْظُرْ لِي جَسَدِي ، لَتُخْبِرَكَ الْعِظَامُ الْعَارِيَهُ
عَنْ مُهْجَةٍ بِالْهَجْرِ قَدْ تَلَفَتْ وَعَيْنِ جَارِيَهُ
وَصَبَابَةٍ لَا أَسْتَطِيعُ أَثْبُتُهَا ، هِيَ مَا هَبَهُ
وَلَمِنْ أَلْوَمُ ، وَإِنَّمَا عَنَى عَلَى الْجَانِيَهُ

(١١٢)

وقال :

يَا قَرُّ ، أَعْجَبُ مَا فِيهِ دُرٌّ بِدِيعِ النَّظْمِ فِي فِيهِ
قَدْ زِدْتَ فِي التَّيِّهِ ، وَمِنْ لَا يَرَى مَثَلًا لَهُ يُعْذَرُ فِي التَّيِّهِ

(١) انظر ما سبق في شرحه ص ٤٣ .

(٢) الشلو : العضو والجسد من كل شيء .

(٣) البتان من إختيارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق

قافية الباء

(١١٣)

قال :

أَحْبَابَنَا مَن غَابَ عَمَّنْ يَوْمُهُ فسيانَ عَندي بَعْدَهُ واقْتِرَابُهُ
إِذَا الْمَيِّتُ وَارَى شَخْصَهُ عَفْرُ الثَّرَى فَهَلْ يُدَيِّنُهُ أَنْ يَقْلَّ تَرَابُهُ
وَكُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ فَالْأَرْضُ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَالْحِمَامُ اغْتِرَابُهُ

(١١٤)

وقال :

أَلْمِيَاءُ^(١) ، إِنْ شَطَّتْ بَنَى الدَّارُ عَنوَةً فَدَارَكَ أَجْفَانِي الْقَرِيحَةُ وَانْخِلَبُ^(٢)
تَدَانَتْ بَنَى الْأَهْوَاءُ ، وَالبَعْدُ بَيْنَنَا وَمَا فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ حَزَنٌ وَلَا سَهْبُ^(٣)
وَلَكِنَّمَا الْبَيْنُ الْمُشْتُّ هُوَ الْقَلَى وَإِنْ قَرَبُوا ، وَالبُعْدُ أَنْ يَبْعَدَ الْقَلْبُ
وَكَمْ مَهْمَةٍ^(٤) تَسْتَهْوِلُ الشَّمْسُ قِطْعَهُ طَوْتُهُ لَنَا الْأَشْوَاقُ نَحْوَكِ وَالْحَبُ
عَقَلْتُ بِهِ الْعَيْسَ^(٥) الْمَرَاسِيلَ بِالْوَجَى^(٦) إِلَيْكَ ، فَأَدْنَتْنا الْمَطْهَمَةُ^(٧) الْقُبُ^(٨)

(١) لى كرضى لى وكى لى : اسودت شفته ، وهو ألى وهى لى .

(٢) انخلب بالكسر : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو جهاها .

(٣) المهب : الفلاة . والحنن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهمة : المغازاة البعيدة .

(٥) العيس بالكسر : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة .

(٦) الوجى : الحنى وهو أن برق القدم والحافر .

(٧) المطهمة : التامة الخلق .

(٨) انخيل القب : الضوامر .

فلما وصلنا (برقعيد^(١)) تحاشدت على صباباتي ، وعثني الركب
ولج اشتياق ، كنت أنهم النوى عليه ، إلى أن زاد سورته^(٢) القرب
فأيقنت أن لا قرب يشني من الجوى ولا ينقضي ذا الحب أو ينقضي النحب^(٣)

(١١٥)

وقال :

يا آمري بالصبر ، إنَّ الين موعده الغروب
والصبر محمرد العواقب ، لو أطاقته القلوب
لكن أباه على أحشاء يقلقلها النحب
ومدامع كالبحر ، لا يربح لمفعمه نضوب

(١١٦)

وقال^(٤) :

يادهر ، مالك لا يصدك عن إساءتي العتاب
أمرضت من أهوى ، وبأبي أن أمرضه الجباب
لو كنت تنصف كانت الأمراض بي^(٥) ، وله الثواب

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقاء الموصل من جهة نصيبين (بالحوت).

(٢) سورة النمر وغيرها : حدثها .

(٣) النحب : الأجل .

(٤) هذه القطعة مما روى لأسامة في بالحوت ٢ : ١٩٧ ونريدة القصير ١ : ٥٠٠ .

(٥) الرواية في بالحوت « ل » .

(١١٧)

وقال :

عَلَامَ يَادَهُرُ ، بِالْعِدْوَانِ نَحْسُنِي فِي غَيْرِ جَنْسِي ، وَلَمْ أَفْقَدَ ، وَلَمْ أَغِبْ
هَلَّا بِأَذْنِي الْعَذَائِينَ اقْتَنَعَتْ لَنَا فَالذَّبْحُ أَرْوَحُ مِنْ تَعْلِيْبٍ مُغْتَرَبِ

(١١٨)

وقال :

رَمَتْنَا اللَّيَالِي بِاقْتِرَاقٍ مُشْتَبِ أَشْتَى ، وَأَتَأَى مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ ^(١)
تَحَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ ، وَانْشَقَّتِ الْعَصَا وَشَعْبُهُمْ وَشَكُّ النَّوَى كُلُّ مَشْعَبِ ^(٢)
وَقَدْ نَثَرَ التَّوْدِيْعُ مِنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَلَى كُلِّ خَدٍّ لَوْ لَوْأَ لَمْ يُثَقِّبْ

(١١٩)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَيْشَةً قَدْ تَنَكَّدَتْ عَلَيَّ ، وَدَهْرًا قَدْ أَلَحَّتْ نَوَائِبُهُ
تَنَكَّدَرُ مِنْ بَعْدِ الصَّفَاءِ نَمِيرُهُ وَأَحْزَنَ مِنْ بَعْدِ السَّهْوَةِ جَانِبُهُ
وَقَصَّرَ كَفِّي عَنْ نَوَالٍ تُنِيلُهُ وَزَاوَلَهَا عَنْ نِيلٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

(١) المحصب : موضع ري الجمار بني .

(٢) المشعب : الطريق .

(١٢٠)

وقال :

إلى كم أُنْعَى بالشرى والسَّابِيب^(١) وَيُصَدِّعُ شَمْلِي بِالنَّوَى وَالنَّوَابِ
فَنَ لَاقَهْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَنْزِلُ فَمَا مَنَزَلِي إِلَّا ظُهُور النَّجَابِ^(٢)
وَمَنْ رَأَاهُ خِلُّ يُسْرِ بِقُرْبِهِ فَيَا وَجَعَ قَلْبِي مِنْ فِرَاقِ الْأَقَارِبِ
فَلِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ جَوَى الْهَمِّ صَاحِبٌ يُجَدِّدُ أَحْزَانِي عَلَى فَقْدِ صَاحِبِ
وَلِي مَنْزِلُ مَا مَسَّ جِلْدِي تَرَابُهُ وَلَا فِيهِ أَتْرَابِي ، وَمَلَهَى مَلَاعِبِي

(١٢١)

وقال :

أَمْسَبْتُ مِثْلَ الشَّمْعِ : يُسْرِقُ نَوْرُهُ وَالنَّارُ فِي أَحْشَائِهِ تَتَلَهَّبُ
حَيْرَانًا ، وَجْهِي لِلتَّجْمِلِ^(٣) ضَاحِكٌ طَلَقَ ، وَقَلْبِي لِلْهَمِّ مَقْطَبُ

قافية الجيم

(١٢٢)

وقال :

لَمْ يَنْهَ الْعَدْلُ ، لَكِنْ زَادَهُ لَهَجًا وَالْعَالُ مَا يَزِيدُ الْمُسْتَهَامَ شَجَى
أَضَعْتَ نُصْحَكَ فِيمَنْ لَيْسَ بِسَمْعِهِ وَلَا يَرَى فِي ضَلَالَاتِ الْهَوَى حَرَجًا

(٢) النجائب : جمع نجبية ، وهي الناقة الكريمة .

(١) انظر ما سبق من شرحه ص ١ .

(٣) التجميل : التصبر .

ما قلبه حاضرُ النجوى ، فبردعه الذِّ
مُدله ، فارقَ الأحبابَ أغبطَ ما
يستخبرُ الدَّارَ عنهم صبوةً ، فإذا
فاضت بِقَانِي الدِّمِ المنهلُ مقلتهُ
يا ويحه من جوى يغدو عليه ، ومن
أفدى خيالاً سرى ليلاً ، فأشرقَ الله
عجبتُ منه ، تخطى الهولَ مُعترِضاً
إذا رأيتُ حبابَ الرّاجِ مُستظلاً
يألى من الين ، لازالت مَظِيئُهُمُ
سارت بإنسانِ عيني في هَوادِجِها
فارقَهُم ، فكأنّى ما سررتُ بِهِمُ
أهى ، ولا نهيّةً في سمعه وِلحاً
كانوا ، وكانَ بِهِمُ جدلانَ مُبتهِجاً
أعيتَ عليه جواباً ناحَ أو نَشِجاً^(١)
فكلُّ راءٍ رآها ظنّها ودَجاً^(٢)
جوى يروحُ ، إذا ليلُ الهمومِ دَجاً
نيا بأنواره ، والصبحُ ما انبَلَجاً
أرضُ العدا ووشاةُ الحى ، كيف نَجاً
ذكرتُ ذاك الرُّضابَ العذبَ والبَلَجاً^(٣)
حسرى ، إذا ارتحلتُ ، معقولةٌ يوجى^(٤)
فما رأتُ منظرًا من بعدهم بهجاً
يوماً ، وقد عشتُ مسروراً بِهِمُ حجاً

قافية الحاء

(١٢٣)

وقال :

كَمَ الْجَوَى الْقَلْبُ الْقَرِيبُ فَادَاعَهُ الدَّمْعُ الْفَضُوحُ
إِنَّ الدَّمْعَ لَهَا لَسَ إِنَّ بِالْأَمَى لَسَنُ فَصِيحُ

(١) نشج الباكى نشيجا : غص بالبكاء فى حلقه من غير انتخاب .

(٢) الودج : عرق فى العنق .

(٣) البلج : قنطرة ما بين الحاجين .

(٤) الوجى : الحنى . رابع ص ٥٤

وإذا الدَّمْعُ تَزَحْنُ فَالزَّفَرَاتُ بِالشَّكْوَى تَبُوحُ
أَحْبَابَنَا ، كَمْ ذَا يُشْتَتُّ شَمَلَنَا الْبَيْنُ الطَّرُوحُ^(١)
وَكَمْ التَّفَرُّقُ ؟ ! آتَ أَنْ تَدْنُو الدِّيَارُ ، وَأَنْ تَرَوْحُوا
مَاذَا يُجِنُّ مِنَ الْحَيْنِ إِلَيْكُمْ الْقَلْبُ الْقَرِيبُ
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالْوَرَقِ^(٢) فِي أَغْصَابِهَا أَبَدًا تَنُوحُ
لَكِنَّا غَاضَتِ مَدَا مَعَهَا ، وَلِي دَمْعٌ سَفُوحُ
مَرْجَتُهُ بِالْدَّمِ مَقْلَةٌ إِنْسَانُهَا أَرْقُ جَرِيجُ
يَا لَأَنَمِي^(٣) فِيهِمْ سَهْرٌ تُوَامَ عَنْ لَيْلِي النَّصِيحُ
يَلْحَى الْمُرُوعَ بِالنَّوَى وَهُوَ الْخَلِي الْمُسْتَرِيحُ
يَالِي مِنَ الْحَسَرَاتِ ، كَمْ تَغْدُو عَلَى ، وَكَمْ تَرُوحُ
لَمْ يَبَقْ مِنْ لَدُنِي وَأَتَرَابِ الصَّبَا خِلُّ نَصُوحُ
غَالَتُهُمُ الدُّنْيَا ، رَصَدَ عَ شَمَلَهُمْ زَمَنٌ نَطُوحُ
أَنَا بَعْدَهُمْ مَيَتْ ، وَلِي مِنْ جَسَمِي الْبَالِي ضَرِيحُ
فِيهِ ذِمَّا^(٤) رُوحٌ مَنِيَّتُهَا غَبُوقٌ أَوْ صَبُوحُ
وَلَقَلْنَا تَبَقَى ، وَكَمْ تَبَقَى مَعَ التَّعْذِيبِ رُوحُ
أَفَلَا لِقَاءً يَذْهَبُ الْحَسَرَاتِ ، أَوْ مَوْتُ مُرِيحُ

(١) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحسامة .

(٢) الدماء : بقية النفس .

(٣) طرحه . رماده وأبعده .

(٤) في هامش الديوان (بأناصحي) .

(١٢٤)

وقال :

يَا نَازِحِينَ واصْطَبَارِي وَالْأُمِّيَّ يُجِئُ^(١) ذَا دَمْعِي ، وَهَذَا يَنْزَحُ
لَا أَسْأَلُ الْأَيَّامَ تَعْوِيضًا بِكُمْ لَأَنهَا بِمِثْلِكُمْ لَا تَسْمَحُ
غَيْبُكُمْ ، وَأَشْبَاحُكُمْ يَنْظُرِي كَانَهَا إِنْسَانُهُ ، لَا تَسْبِرُ
وَلَا نِيَمُ يَلُومُ فَيْكُمْ ، وَالْهُوَى يُصَحِّبُهُ^(٢) طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَجْمَعُ
يَلِجُ فِي نُصْحِي ، وَمَا أَشْغَلْنِي بِالْيَيْنِ وَالْهِجْرَانِ عَمَّنْ يَنْصَحُ

قافية الدال

(١٢٥)

وقال :

يَا دَارُ ، إِنْ بَحَلْتَ عَلَى مَغْنَاكِ سَارِيَةَ الْعِيَادِ^(٣)
فَلَا تُطِرَنَّكَ مِنْ دُمُوعِي مَا يَنْوِبُ عَنِ الْغَوَادِي
كَمْ حَلَّ رَبْعَكَ مِنْ غَضَبِيضِ الطَّرَفِ مِمَّنْوعِ الْوَدَادِ
يَسْتَوْفُ الْأَبْصَارَ فَهِيَ عَلَيْهِ حَائِثَةُ صَوَادِي
فَرَمَتْ جُمُوعَهُمُ اللَّيَالِي بِالْتَشَتِّ وَالْإِعَادِ
وَصُرُوفُ هَذَا الدَّهْرِ تَطْرُقُ بِالْجَوَادِثِ ، أَوْ تَقَادِي
يُحْسِنُ لَا عَمْدًا ، وَيَا تَيْنَ الْإِسَاءَةِ بِاعْتِمَادِ

(٢) أحسب : ذل واثقاد .

(١) أجم الماء : تركه يجتمع .

(٣) في أساس البلاغة : سقطت العياد وهي أقطار الربيع بعد الوسم . الواحدة عيدة .

مالى وللايام ؟ ! كم تُصِبي نوافذها^(١) فؤادى
 رنقن^(٢) من وردى، وأهـل جورها عمداً مرادى^(٣)
 وقصدتني نوابٍ والينن بلا اقتصاد
 ومنها :

وإليك أشكو برح هم كل يوم فى ازدياد
 حَظَر الشُّرورَ على فؤادٍ لا يُسرُّ بِمُسْتَفَادٍ
 لولا تألمه لما يلقى لعدَّ من الجداد

(١٢٦)

وقال :

أَتُظُنَّ صَبْرَكَ مُنْجِداً إِنْ أَنْجَدُوا
 إِنْى لَأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبَكَ ذَاهِلٌ
 هذا الفراق هو الفراق، فإن تَطُنَّ
 قالوا : غداً لنوى الأُحبة موعداً
 فالأم تَحْتَبِسُ الدَّمْعَ ، ولِلنوى
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ بِاضْعِيفُ مِنَ الْهَوَى
 ووردت جهلاً مورداً لا مَصْدَرُ
 هيات : ليس لِسُتْهَامٍ مُسْعِدُ^(٤)
 عما سَيْلِقَى فى غَدٍ أَوْ جَلَدُ
 جَلداً ، فَيُعَادُ اللِّقَاءَ الْمَوْعَدُ^(٥)
 والدَّهْرُ أَجْمَعُ بَعْدَ لَيْلَتِنَا غَدُ
 ذُنِرْتُ ، وأى ذُخِيرَةٍ لَا تَنْفَدُ
 ما لَيْسَ لِلْجَلْدِ الْخَلْقُ بِهِ يَدُ
 عنه ، فقد أَلْهَكَ ذَاكَ الْمَوْرَدُ

(١) أصمى الصيد : رماه قتل مكانه . والنوافذ : السهام النافذة .

(٢) رنقه : كدده .

(٣) المراد بالرنق : مرعى الإبل ، من راد النعم فى المرعى ريادة .

(٤) أسعد : أعان . وأنجد : دخل نجداً . (٥) الموعود : يوم القيامة .

أَنى جَسَرْتَ عَلَى الْفِرَاقِ وَأَنْتَ فِي قُرْبِ الدِّيَارِ بِهِمْ مَعْنَى مُكْمَدُ
فَارَقْتَهُمْ ثَقَّةً بِصَبْرِكَ عَنْهُمْ فَاصْبِرْ لِنِيرَانِ الْأَسَى يَا مُوقِدُ
لَوْ رُضْتَ قَلْبَكَ فِي الدُّنُوِّ بِهِجْرَهُمْ لَعَلِمْتَ بَعْدَ الْيَنِّ هَلْ تَنْجَلِدُ

(١٢٧)

وقال :

مَا يُنْكِرُ الْأَخْلِيَاءُ مِنْ كَدِّى لَا جَزَعِي مُسْعِدِي ، وَلَا جَلْدِي
خَانَ اصْطِبَارِي ، وَغَاضَ بَعْدَ نَوَى الْأَحْبَابِ دَمْعِي ، وَكَانَ مِنْ عُدْدِي
وَكَلَّمَا أَضْرِمْتَ حَشَايَ لَذَكُّرَاهِمُ ، تَأَوَّهْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : قَدَى ^(١)
فَلَوْ رَمَتْ بِالْشَّرَارِ بَعْدَهُمْ أَخْنَاءُ صَدْرِي ، مَا قُلْتُ : وَيْكَ قَدَى
أَحْبَابَنَا ، دَعْوَةً أَحْسَ لَهَا - لَوْ أَسْمَعْتَكُمْ - بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
أَهْ لِعَيْشِي ، مَا كَانَ أَنْعَمَهُ بِقُرْبِكُمْ ، وَالزَّمَانُ طَوَّعَ يَدِي
أَيَّامٌ وَرَدَّتْ مِنْ مَاءِ أَوْجِهِكُمْ عَذَبٌ ، وَقَلْبِي بَعْدَ الْوُرُودِ صَدَى
فَفَرَّقْتَنَا النَّوَى ، فَوَاطَمَتْنِي إِلَى ارْتِشَافِ الْعُقَارِ ^(٢) مِنْ بَرْدِ
وَيَا أَيْمَى الْبَرِّي ، أَعْيُذُكَ مِنْ لَوْمِي ، فَكُلُّ الْعُقُوقِ فِي قَدَى ^(٣)
أَفْضَى مَعِيَ عِبْرَةَ النَّجْمِ لِإِسْعَافًا لِبَاكِ بَعِيرَةِ الْكَمَدِ

(١٢٨)

وقال :

دَعُونِي أُتِّجْ ، مَا مِثْلُ وَجْدِي يُجْعِدُ عَمَى جِمَارَاتٍ فِي الْجَوَانِحِ تَمَحْدُ
أَجْسَمُ نَفْسِي كَتَمَ مَا أَنَا كَاطِمٌ عَلَيْهِ ، وَمَا لِي بِالَّذِي رُمْتَهُ يَدُ

(١) قد : اسم فعل مرادة ليكنف ، واسم مرادف لحسب . (٢) العقار : الحمر .

(٣) الداء بضم الفاء والنون : ابتكار العقل من الحرمان أو المرض ولا يستعمل في غير الكبير .

ووجدى بمن فارقتُ ، لولا تجلدى وما قدّر^(١) ما يُجدى على التجلد !
كوجد ليدي ، أو كوجد متهم ومن مالك مع من فقدت وأربد^(٢)

(١٢٩)

وقال :

أيلامُ مسلوبُ الفؤادِ فقيدُهُ جحد الغرام ، فأنبتته شهودُهُ
والسرُّ في يومِ الوداعِ كأنه قبسٌ تضرّم في الظلام وقودُهُ
ولإذا أقرّت بالهوى زفراته لم يُغن عنه ، وإن أصرَّ جُحوده
برح الخفاء ، وبان يأسك منهم فإلام أنت جوى الفؤاد عميده
يُبلى الزمانُ هوى القلوب ، وحبهم لا يضمحل ، ولا يربث^(٣) جديده
وكان دمعك حين يخطر ذكركم عقد وهى ، فانتال منه فريده
تحكى الغمام : زفيرُ شوقك برقه ونشيج دمعك وبله ورعوده
تبكى لأنّك الحام ، وطالما هاج الجوى لأبى الهوى تغريده
ياراقد الأجفان عن قلب الحشا ولهان أفدى طزفه تسهده
ماذا عليك إذا بكى أحبابه ذو غربة نأى المحل بعيده

(١٣٠)

وقال :

ولما تصافينا وأخلص ودنا وردّ يباس كاشح وحسود
طرت هجرة لم تُحتسب ، وتقطعت علائق وصل ، واستمرَّ صُدود

(١) في هامش الديوان : " وإن قل " .

(٢) مالك بن نويرة وأخوه متهم شاعران وليدين ربيعة وأربد بن ربيعة شاعران . وانظر النخلة : (٣٣١) ص ٢١٠

(٣) رث : على .

فَلَيْتَ زَمَانَ الْهَجْرِ يَنْقُصُ مِنْ مَدَى حَيَاتِي ، وَسَاعَاتِ الْوَصَالِ تَعُودُ
وَكُنْتُ لَيْلَى الْوَصْلِ مُشْرِقَةً بِهِ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْقَطِيعَةِ سُورِدُ

(١٣١)

وقال :

أَسِيرُ إِلَى أَرْضِ الْأَعَادَى ، وَفِي الْحَشَا لِيُغْضَهُمْ نَارُ تَلْظَى وَقُودَهَا
إِذَا زُرْتُمَهَا طَالَتْ طَرِيقُ ، وَإِنْ أَعُدَّ "أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّى لِي ، وَيَدُنُو بَعِيدَهَا"

(١٣٢)

وقال :

إِذَا مَرَّ ذِكْرًا لَمْ يَبْقَى تَضَائِقَتْ ضُلُوعِي عَمَّا تَحْتَنَنْ مِنَ الْوَجْدِ
وَأَعْجَبُ مِنْ كَسْتَيْنَا بَعْدَ أَلْفَةٍ وَمِنْ نَقْلِنَا بَعْدَ الدُّنُوِّ إِلَى الْبُعْدِ

(١٣٣)

وقال :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ يَا قَلْبِي ، فَإِنْ خَفِيتُ سَبِيلُهُ عَنْكَ ، فَاسْأَلْ عَنْهُ مِنْ فَقْدَا
فَلَنْ تَرَى وَاجِدًا فِي النَّاسِ فَارِقَ مَنْ يَهْوَى ، فَأَجِدِي عَلَيْهِ أَنْ قَضَى ^(١) كَمَدَا
بِالْأَمْسِ رَاعَكَ يَنْ مَا احْتَسَبْتَ بِهِ عَسَى الْلِقَاءُ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْ غَدَا

(١) قضى : مات .

(١٣٤)

وقال :

هَبْ أَنْ مِصْرَ جَنَّانُ الْخُلْدِ : مَا اشْتَهَتْ النُّفُوسُ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ مَوْجُودُ
مَاذَا انْتَفَاعِي إِذَا كَانَتْ زَخَارِفُهَا مَوْجُودَةً ، وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
وَمَا الْحَيَاةُ لِمَنْ بَانَتْ أَحَبَّتُهُ رِضًا ، وَلَا هُوَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْدُودُ

(١٣٥)

وقال :

بِنَفْسِي بَعِيدَ الدَّارِ ، بِي مِنْ فِرَاقِهِ جَوَى لَوْرَاهُ الْبُعْدُ رَقَّ لِي الْبُعْدُ
يَقْلِبُنِي مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ ، وَلَوْعَةٍ عَلَيْهِ ، غَلِيلٌ لَيْسَ يُبْرِدُهُ الْوَرْدُ
وَمَا بَرَدُ أَحْشَانِي عَلَى مَا تَضَمَّنْتُ مِنْ الْوَجْدِ إِلَّا مِثْلَمَا بَرَدَ الزَّيْتُ

(١٣٦)

وقال :

تَنَاءَتْ بِنَا عَنْ أَرْضِ تَجْدٍ وَأَهْلِهِ نَوَى غُرْبَةً كَالصَّدْعِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَقَدْ قِيلَ : فِي الْيَأْسِ الشُّفَاعُ مِنَ الْهَوَى وَدَانِي الَّذِي أَقْضَى بِهِ الْيَأْسُ مِنْ تَجْدٍ
بِلَادُهَا صَاحِبَتْ شَرْخَ شَيْبَتِي وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الْكَرَامَ ذَوِي وَدَى
إِذَا خَطَرَتْ مِنْهُمْ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ تَدَمَّنْتُ حَتَّى مَا أُعِيدُ ، وَلَا أَبْدَى

(١٣٧)

وقال :

أَقُولُ لِعَيْنِي يَوْمَ تَوَدِّعِهِمْ وَقَدْ جَرَتْ بَنَجِيعٌ^(١) فَوْقَ خَدَّيْ مُرْبِدٍ :
خُدَى بَنَصِيبٍ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ وَدُونَكَ ، وَالْدمْعَ [الْمُخْضِبَ]^(٢) فِي غَدِّ

(١٣٨)

وقال :

قَدْ مَرِنْتَ قَلُوبُنَا عَلَى النَّوَى فَإِذَا تَشَكَّى مِنَ أَلِيمِ الْوَجْدِ
كَأَنَّ حُسْنَ صَبْرَهَا عَلَى لَفَى أَشْوَاقِهَا حُسْنُ اصْطِبَارِ الزَّئِدِ

(١٣٩)

وقال من قصيدة عند الخروج من مصر مع الأفضل عباس^(٣) :

أَتَمُّهُمْ فَيْكُمُ لَا نَمِي ، وَأَنْجِدَا وَمَا أَفَادَ سُلُوءٌ إِذْ فَتَدَا^(٤)
أَرْشَدَنِي بِزَعْمِهِ ، وَمَا أَرَى سُلُوءٌ قَلْبِي عَنْ هَوَاكُمُ رَشَدَا
يَا لَا نَمِي فَيْكُمُ ، أَعِدْ ذِكْرَهُمُ وَاللَّوَمَ فَيْكُمُ ، وَأَنْجِدْ عِنْدِي يَدَا
رُوحَ بَذْكَرَاهُمْ فَوَادَا مُضْرَمًا لَوْ مَاتَ حَوْلًا كَامِلًا مَا بَرَدَا
لَوْ كَانَ مَا يَشْكُوهُ مِنْ حَرِّ الْأَسَى نَارًا لَبَاخَتْ ، أَوْ زَنَادَا أَصْلَدَا
لَا تَحْسَبَنَّ الْيَأْسَ أَسْلَانِي ، وَلَا أَنْسَانِي النَّأْيُ هَوَى مِنْ بَعْدَا
شَرِطُ الْهَوَى لَمْ يَكُنْ عَلَى أَنْبِي بِهِمْ مَعْنَى الْقَلْبِ صَبٌّ أَبَدَا

(١) النجيع : دم الجوف . (٢) نكبة يابض بالأمل بمثلها يستقيم الوزن ويحمل المعنى .

(٣) هو عباس بن يحيى الصنهاجي وزير الطاهر القاطم ، وهو الذي اتهم ولده نصر بقتل الخليفة ، فهربا من مصر .
وصحبا في خروجهما أسامة .

(٤) أتهم : أتى تهامة . وأنجد : دخل نجدا . وفند : خطا الرأي .

لا أَسْتَفِيقُ مِنْ هَوًى، وَلَا إِلَى
أَفْدَى خَبَالًا زَارَ رَحْلِي مَوْهِنًا^(١)
عَهْدُهُ مُوسِنًا رَأْدُ^(٢) الضُّحَى
عُلَالَةً عَلَّيَ الشَّوْقُ بِهَا
ثُمَّ هَيَّيْتُ، لَا بِكَ الْوَجْدُ الَّذِي
مُدْمَعًا، أَمْسَحُ عَيْنِي، عَسَى
كَفَانِيصَ فَاتَ الْقَنِيصُ يَدَهُ
أَحَابِبَنَا وَحَبْدًا نَدَاؤُكُمْ
غَالَتْ يَدُ الْإِيَّامِ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا لَاضْطَبَّارِي مَدَدُ بَعْدِ النَّوَى
لَكِنِّي مَا رُمْتُ إِطْفَاءَ الْجَوَى
يَا رَوْعَتَا لَطَائِرِ نَاحٍ عَلَى
أُظُنُّهُ فَارِقَ الْأَفَّا، كَمَا
أَدْمَى جِرَاحَاتِ بَقْلِي لِلنَّوَى
لَكِنْ يَبْهَجُ لِلْحَزِينِ بَنُو
ومنها :

فَقُلْ لِمَنْ أَشْمَتَهُ فِرَاقُنَا
إِنْ سَرَّكَ الدَّهْرُ بَنَا الْيَوْمَ فَهَلْ
وَسَرَّهُ أَنْ جَارَ دَهْرٌ وَاعْتَدَى:
أَمْنَتَ أَنْ يَسْرَنَا فَبِكَ غَدَاً^(٥)

(١) الموهن : نحو من نصف الليل .

(٢) رَأْدُ الضُّحَى : وقت ارتفاع الشمس عند الخس الأول من النهار وانسباط ضوئها وذلك شاب النهار . وموسنا :

من الوسن وهو شدة النوم .

(٣) القُدْفُ : القلابة . (٤) الإسوة بالكسر وتضم : القدوة وما يأتي به الحزين . الجمع : إيسى بالكسر ويضم .

(٥) راجع القطعة (٣٣٢) ص ٢١٠ .

قافية الذال

(١٤٠)

وقال :

صَدُّوهُ ، وَهُوَ صَدِيّ^(١) الْفَوَادِ إِلَيْهِمْ ظَالِمٌ ، يَحُومُ عَلَيْهِمْ وَيَلُودُ
وَبَعْدَهُمْ إِنْ حَافَظُوا مِيثَاقَهُ زَمَنَ الْوِصَالِ مِنَ الصُّدُودِ يَعُودُ
وَبَلِيَّةُ الْمَشْتَانِ أَنَّ هَمُومَهُ مَجْمُوعَةٌ ، وَفَوَادُهُ مَشْدُودُ

قافية الراء

(١٤١)

وقال :

لَا غَرَوْا إِنْ هَجَرَ الْخِيَالُ الزَّائِرُ مَا يَسْتَزِيرُ الطَّيْفَ طَرْفُ سَاهِرُ
دُونَ الْكَرَى خَطَرَاتُ هَمٍّ ذُنَّةً عَنْ نَاطِرِي ، فَهُوَ النَّوَارُ^(٢) النَّافِرُ
لَا سَوْرَةَ الصَّبَاءِ^(٣) تَصْرِفُهُ ، وَلَا يُلْهِى فَوَادِي حِينَ يَطْرُقُ سَامِرُ
وإِذَا فَرِغْتُ إِلَى الْأَمَانِي صَدَنِي يَأْسٌ يُحَقِّقُهُ الزَّمَانُ الْخَائِرُ^(٤)
أَسْتَعِطُفُ الْأَيَّامَ ، وَهِيَ صِرَادِفُ وَالْوُمُهَا ، وَهِيَ الْمَصْرُ الْجَائِرُ
وَتَزِيدُهَا الشَّكْوَى إِلَيْهَا قَسْوَةً وَلَقَلَّابًا يُسْكِي^(٥) الظُّلُومَ الْقَادِرُ
أَشْكُو حَرَاحَاتٍ بَقَلْبِي تُعْجِزُ الْآ سَى ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا السَّابِرُ

(١) الصدى : الطنّان .

(٢) النّوار : المرأة الفود من الرية .

(٣) الصباء : الغمر .

(٤) النخر : النذر والخديعة ، أو أفعى النذر .

(٥) أشكى : أزال شكايته .

غِيَرْتُ عَلَى دَخَلٍ، وَرَوَعَاتُ النَّوَى يَقْرِفْنَ^(١) مَا دَمَلَ الزَّمَانُ الْغَابِرُ
وَعَلَى الرَّاكِبِ، لَوْ أَبَاحَ الدَّمْعُ لِي نَظَرًا إِلَى تِلْكَ الْخُدُورِ، جَاذِرُ
سَارُوا بِقَلْبٍ أَسِيرِهِمْ بَعْدَهُمْ مُتَلَدِّدٍ^(٢)، فَهُوَ الْمَقِيمُ السَّائِرُ
ثَاوَصَتْ دُمُوعِي فِي الْمَنَازِلِ وَارَعَوِي صَبْرِي، وَرَاجَعَنِي الرَّقَادُ النَّافِرُ
إِنْ لَمْ أُسَمِّحْ بِهَا سَحَابٌ أَدْمِجْ يَنْجَابُ خَشِيَّتَهَا الْغَامُ الْبَاكِرُ
أَحْمِلُ الْأُطْلَالَ مَنَّةً عَارِضٍ^(٣) وَسَحَابٌ دَمَعِي مُسْتَهْلٌ مَاطِرُ
إِنِّي إِذَنْ بِسُئُونٍ غَنِيَّ بَاخِلُ وَبِعَهْدٍ مَنْ سَكَنَ الْمَنَازِلَ ثَاوِرُ

(١٤٢)

وقال :

تَنَاءَوْا، وَمَا شَطَّتْ هُنَا عَنْهُمْ الدَّارُ وَمَالَتْ بِهِمْ عَنَّا خُطُوبٌ وَأَقْدَارُ
هُمْ جِيرَتِي، وَالْبَعْدُ بَنَى وَبَيْنَهُمْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدُ مَنْ هُوَ لِي جَارُ
لَهُمْ مَنِيَّ الْعُتْبَى، إِذَا مَا تَجَرَّمُوا وَبَذَلَ الرِّضَا، إِنْ أَنْصَفُونِي، أَوْ جَارُوا
أَجِيرَةُ قَلْبِي، وَالَّذِينَ هَوَاهُمْ تَوَافَقَ إِعْلَانُ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
تَظُنُّونَ أَنَّ الصَّبْرَ يُنْجِدُ بَعْدَكُمْ عَلَى بُعْدِكُمْ، هَيَّاتَ، صَبْرِي غَيْرَارُ
إِذَا عَنْ ذِكْرَاكُمْ عَرَّتِي سَكْرَةٌ كَأَنِّي سَقَانِي الْبَابِلِيَّةَ نَحَارُ^(٤)
حَفِظْتُ هَوَاكُمْ حِفْظَ جَفْنٍ لِمُقْلَةٍ وَضَاعَتْ مَوَدَّاتٌ لَدَيْكُمْ وَأَسْرَارُ
وَعَارُكُمْ أَنْ تَعْتَرِيكُمْ مَلَالَةٌ وَحَاشِيَ هَوَاكُمْ أَنْ يُدْنِسَهُ الْعَارُ

(١) القرف : التمسك في المرض . والدخل : الغدو والمكر . والغبر : فساد الجرح .

(٢) تلدد : تلفت يمينا وشمالا وتغير متبدا وتلبث .

(٣) العارض : السحاب الملتصق في الأفق .

(٤) البابلية : منسوب إلى بابل : مكان فساد العار .

أَعَاتِبْكُمْ ، أَرْجُو عَوَاطِفَ وُدِّكُمْ وَفِيكُمْ عَلَى مَا أُوجِبَ الْعَنْبَ إِصْرَارُ
وَمَنْ عَجِبَ أَنِّي أَرِقْتُ لِرَاقِدٍ وَالزَّمَنِي حَفَظَ الْمَوَدَّةَ غَدَارُ
أَحِينَ اسْتَرَقَّ الْقَلْبَ ، وَاقْتَادَنِي الْهَوَى وَأَسْلَنَنِي مِنْ حُسْنِ صَبْرِي أَنْصَارُ
تَصَدَّى لَصَدَّى ، وَاعْتَرَتْهُ مَلَالَةٌ قَضَتْ بِبِعَادِي ، وَالْمَلَالَاتُ أَطْوَارُ
فَهَلَّا وَدَمَعِي ، مَا أَرِيقَتْ جِهَامُهُ ^(١) وَتَلْبِي لَمْ تُسْعَرْ بِأَرْجَانِهِ النَّارُ

(١٤٣)

وقال ^(٢) :

مَا أَنتَ أَوَّلُ مَنْ تَنَاءَتْ دَارُهُ فَعَلَامَ قَلْبِكَ لَيْسَ نَحْبُو نَارُهُ
إِمَّا السُّلُوْ أَوْ الْحُمَامُ ، وَمَا سِوَى هَذَيْنِ قَسْمٌ ثَالِثٌ تَخْتَارُهُ
مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ لِقَاءٍ يُرْتَجَى أَوْ يَلْتَقِي جُنْحُ الدُّجَى وَنَهَارُهُ
هَذَا وَتُحْفُوكَ لِلْوَدَاعِ ، وَهَذِهِ أَطْعَانُ مَنْ تَهَوَّى ، وَتِلْكَ دِيَارُهُ
فَاسْتَبِقْ دَمْعَكَ فَهُوَ أَوَّلُ خَاذِلٍ بَعْدَ الْفِرَاقِ وَإِنْ طَمَا تَيَّارُهُ
مَدَدُ الدُّمُوعِ يَقِلُّ عَنْ أَمْدِ النَّوَى إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ لُحَّةٍ تَمْتَارُهُ ^(٣)
لَيْتَ الْمُطَايَا مَا خُلِقْنَ ، فَكَمْ دِمٍ سَفَكَتَهُ يُنْقَلُ غَيْرَهَا أَوْزَارُهُ
مَا مَاتَ صَبٌّ إِثْرَ الْإِفِّ نَازِحٍ وَجَدًّا بِهِ إِلَّا لَدَيْهَا ثَارُهُ
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَجَحْتُ سَبِي سَوْقَهَا حَتَّى يَعَافَ دِمَاءُهُنَّ ذِرَارُهُ ^(٤)
لَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَبِيسِ نَاقَةٌ صَالِحٍ مَا سَاعَنِي أَنِّي الْغَدَاةُ قُدَارُهُ ^(٥)

(٢) روى بعض هذه القصيدة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٤) الفرار : حد السيف .

(١) الجلام : مظم الماء .

(٣) امتار : جلب الطعام .

(٥) قدار : عافرة ناقة صالح .

ما حَتَفَ أَنْفُسَنَا سِوَاهَا ، إِنَّمَا
 وَاهَاً لِمَغْلُوبِ الْعِزَاءِ تَنَاصَرَتْ
 هَاجَتْ لَهُ الدَّاءُ الْقَدِيمَ أُسَانُهُ
 كَتَمَ الْهَوَى ، حَتَّى وَنَتْ لُؤَامُهُ
 وَمَحَجَّبٍ كَالْبَسْدِرِ : يَدْنُو نُورُهُ
 يَحْكِي الْغِزَالَةَ وَالْقَضِيبَ قَوَامُهُ
 فِي غَلَّةٍ أَقْضَى بِهَا مِنْ حُبِّهِ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَعَافَ مَعَ الظُّلَمِ
 أَشْتَاقُهُ ، وَهُوَ السَّوَادُ بِنَازِرِي
 إِنْ لَمْ أَمُتْ أَسْفًا عَلَيْهِ ، فَإِنِّي
 يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا ، وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ
 مَالِي إِذَا عَاتَبْتُ قَلْبِي فِيكُمْ
 وَإِذَا عَرَضْتُ عَلَيْهِ وَصَلَكَ صَدَّهُ
 فَإِلَى مَتَى يُمَسَى وَيُصْبِحُ فِي لُطْفِي .
 مُتَضَادِدَ الْأَحْوَالِ بَيْنَ غَرَامِهِ
 أَمَلْتُ مِنْ دَاءِ الْهَوَى إِفْرَاقَهُ (١)
 وَفِرَاقُ مَجْدِ الَّذِينَ مُعْظَمُ دَائِهِ
 فَارِقَتُهُ وَظَنَنْتُ أَنَّ كَيْبِنَنَا

لَهِيَ الْحِمَامُ أَتَيْحَ ، أَوْ لِنَذَارِهِ
 أَشْوَاقُهُ ، وَتَحَاذَلَتْ أَنْصَارُهُ
 وَتَفَى الْكَرَى عَنْ جَفْنِهِ سُمَامُهُ
 فَطَفَتْ عَلَى دَمْعِ الْأَمْسَى أَسْرَارُهُ
 مِنْ عَيْنِ رَائِيهِ ، وَتَنَائَى دَارُهُ
 وَلِحَاطُهُ ، وَبَهَاؤُهُ ، وَنِفَارُهُ
 وَأَرَى الْوَرُودَ يَذُودُ عَنْهُ عَارُهُ
 مَاءَ الْفُرَاتِ لِأَنَّ بَدَتْ أَكْدَارُهُ
 مَا حِيلَتِي ، وَغَدًا يَشُطُّ مَرَارُهُ
 مَذَقُ (٢) الْوَدَادِ عَلَى النَّوَى غَدَارُهُ
 رَوْضًا سِوَاكَ يَشُوقِي نُورَهُ
 أَبْدَى الْجَنَاحَ ، وَسَاءَنِي إِضْرَارُهُ
 عَنْهُ الْعَفَافُ ، فَمَا عَسَى إِيْثَارُهُ
 مِنْ وَجْدِهِ ، يَسِيمُ الْمَطَى أَوَارُهُ (٣)
 وَإِبَانِهِ ، مَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ
 فَرَمْتُهُ مِنْكَ بِنُكْسِهِ سَنَجَارُهُ (٤)
 وَشَفَاؤُهُ رُؤْيَاهُ أَوْ أَخْبَارُهُ
 أَمْدًا ، فَطَالَ مَدَاهُ وَاسْتَرَارُهُ

(٢) الأوار : اللب .

(٤) سنجار : مدينة .

(١) مذاق الود : لم يخلصه فهو مذاق وعماذق .

(٣) أفرق من مرضه : برى .

وأخافُ أنَّ الينَ يُقْدِي ناظري بفراقِهِ ، ما أومَضَتْ أَشْفارُهُ
ظَنًّا سَرَى الإِشْفاقُ في تَرْجيمِهِ^(١) ولربَّما أَرْدَى الشَّفِيقَ حَدَارُهُ
وإذا القُنُوطُ دَجَى عَلَى ظَلامِهِ وَضَحَ الرَّجاءُ ، ولاحَ لى إِسْفارُهُ^(٢)
ووثقتُ بِاللُّطْفِ الخَفِيِّ مِنَ الَّذِي تَجْرى بِما يَلْقَى الفَتَى أَقْدارُهُ

(١٤٤)

وقال بمصر من قصيدة ، وقد بلغه أن بعض من أشار إليهم في القصيدة التي على حرف الميم لما سمعها ، قال : هذه كلها مسروقة ، ولم يفرق بين التضمين والسرقة ، فقصد التضمين في هذه القصيدة^(٣) :

أطاعَ الهوى من بعدهم ، وعصى الصَّبْرُ فليسَ لَهُ نهيٌ عَلَيْهِ ولا أمرُ^(٤)
وعاودَهُ الوجدُ القديمُ ، فَشَقَّهُ^(٥) جَوَى ضاقَ عن كِتمانِهِ الصَّدْرُ والصَّبْرُ
كَانَ النَّوى لَمْ يَخْتَرِمَ غيرَ شَمْلِهِ ولم يَجْرِ إِلَّا بِالَّذِي ساءَهُ القَدْرُ^(٦)
وهل لِنَبِيِّ الدُّنيا سرورٌ ، وإلَّمَّا هو العيشُ والبُوسى ، أو الموتُ والقَبْرُ
وكلُّ اجْتِماعٍ مُرَصَّدٌ لَتَفَرُّقٍ وكلُّ وصالٍ سوفَ يَعقبُهُ هَجْرُ
وما يدفعُ الخُطْبَ المُلَمَّ إذا عَرى سوى الصَّبْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ كاسِيهِ صَبْرُ
أَسْكَانَ أَخفافِ العواصِمِ دَعْوَةً يَفِيَّ بِرُودًا ، وهى فى كَبْدى جَمْرُ^(٧)

(٢) أسفر الصبح : أضاء .

(١) الترجيم : الطلق .

(٣) راجع بقية هذه القصيدة ص ١١٩ .

(٤) مضمّن ليت أبي فراس الحمداني :

أراك عصى الدمع شبتك الصبر أما لروى نهي عليك ولا أمر

(٦) القدر محرّكة القضاء والحكم ، كالقدر يسكون الدال .

(٥) شفه الهم : هزله .

(٧) عجز بيت المتنبي :

أرى بك أم ماء الغمامة أم بحر بنى برودا وهو فى كبدى جمر

لقد أظلمت دُنْيَايَ بعد فِرَاقِكُمْ فكلُّ زَمَانِي لَيْلَةٌ مَاهَا بَحْرٌ
أُعَاتِبُ آبَائِي عَلَيْكُمْ ، وَمَاهَا وَلَا لِلْبَالِي فِي الَّذِي بَيْنَنَا عُدْرٌ
لقد صَدَعَتْ بعد التَّفَرُّقِ شَمَلَنَا كَصَدْعِ الصَّفا، مَا إِنَّ لَهُ أَبَدًا جَبْرٌ
وَمَا زَالَ صِرْفُ الدَّهْرِ يَسْعَى بَيْنَنَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)
فَوَيْحَ زَمَانٍ فَزَعْتَنَا صُرُوفُهُ أَكَانَ عَلَيْهِ فِي تَفَرُّقِنَا نَذْرٌ
إِذَا عَنَّ ذِكْرَاكُم نَبَائِي مَضْجَعِي كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
فَأَذْهَلُ حَتَّى لَا أُجِيبَ مَنَادِيًا وَأَبْهَتْ، لَا عَرَفٌ لَدَيَّ ، وَلَا يُنْكِرُ^(٢)
وَأُرْمِي فِجَاجَ الْأَرْضِ نَحْوَ بِلَادِكُمْ بِطَرْفِ كَلِيلٍ دَمْعُهُ بَعْدَكُمْ قَطْرٌ
أَرَاكَ جِهَامَ^(٣) الدَّمْعِ فِيكُمْ فَإِنْ دَعَا بِهِ الْوَجْدُ لَبِّي ، وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ قَزْرٌ
وَجَانِبَ طَيْبِ النَّوْمِ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ فَمَا تَلَقَّنِي مِنْهُ عَلَى سِنَةِ شَفْرِ
عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكُمْ يُمِيطُ بِهَا الْقَذَى وَهِيَاتَ، عَرَضُ الْأَرْضِ مِنْ دُونِكُمْ سِتْرٌ
وَإِنِ وَعَدْتَنِي بِاقْتِرَابِكُمُ الْمُنَى نَهْنِي عَنْ تَصْدِيقِ مَوْعِدِهَا مَصْرٌ
وَكَيْفَ بَكُمْ . وَالِدَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ وَدُونَكُمْ الْأَعْدَاءُ وَاللَّجُجُ الْخَضْرُ

(١) مجزيت لأبي صخر الهذلي (الجماعة ج ٢ : ٦١) :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(٢) مضمّن قول أبي صخر الهذلي :

وما هو إلا أن أراها بغداة فأبتهت لا عرف لدى ولا نكر

(٣) جهام : جمع جهم ، وهو من الماء معطّله .

مهالك لو سارت بها الریح عاقها السوجى^(١)، وثناها عن تقحّمها الذعرُ
ولم يبق إلا ذكر ما كان بيننا ولا عجب للدهر أن يدرس الذكر
وروعة شوق تعزّينى إليكم كما انتفض العصفور، بلله القطر^(٢)
فباروعى ، لا تسكنى بعد بعدهم وياسلوة الأيام ، موعداك الحشر^(٣)

(١٤٥)

وقال ،

أحبابنا ، ما أشنكى بعد بعدهم سوى أننى باقٍ ، ولّى حاضراً
وما هكذا يقضى وقائى ، ولأنا جرت بهواها لا هواى المقادر
وقد كان للين المشت أوائل وليس له ، حتى المات ، أواخر

(١٤٦)

وقال^(٤) :

يا عين ، فى ساعة التوديع يشغلك السبكا عن لذة^(٥) التوديع والنظر
خذى بحظك منهم قبل بينهم وبعدهم^(٦) فاجهدى فى الدمع والسهر^(٧)

(١) وجى الماشى : إذا حنى ، وهو أن يرق القدم والخافرو ينسجج .

(٢) عجريت أبى صخر :

ولمى لتعزّينى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(٣) عجريت أبى صخر :

فياحبها زدى جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعداك الحشر

(٤) هذان البيتان رواهما العماد أيضاً فى الخريدة (١٠٤ : ١) وباب الآداب ص ٤١٨ .

(٥) هذه رواية لباب الآداب فى الأصل « آثر التسليم » .

(٦) رواية الخريدة « ثم اجهدى بدمعك والدمع والسهر » . ورواية لباب الآداب « فنى عند تفرغى للدمع ... » .

(٧) عر عن هذا الخط فى بيتين آخرين ص ٦٦ (وانظر القطعة ١٧٥) .

(١٤٧)

وقال :

يَا مَصْرُ ، مَا دَرَيْتَ فِي وَهْمِي ، وَلَا خَلَدِي وَلَا أَجَالَتَكَ خَلَوَاتِي بِأَفْكَارِي
مَا أَنْتِ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ ثَرْبَتُهَا جَسْمِي ، وَلَا فَيْكِ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي
لَكِنْ إِذَا حُمِتِ الْأَقْدَارُ كَانَ لَهَا قُوِّي ، تُؤَلَّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

(١٤٨)

وقال :

يَا غَائِبِينَ ، رَجَايَ طِيءَ بَابِ الْعَيْشِ مُدَّ بِتَمِّ غُرُورِ
أُنْسِنِي الْيَوْمَ كَيْفَ يَكُونُ بَعْدَكُمْ السَّرُورُ

(١٤٩)

وقال :

يَا دَمْعُ ، انْجِدْنِي عَلَى بُعْدِهِمْ فَقَدْ تَرَى قِلَّةَ أَنْصَارِي
بَرْدَ جَوِّي فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَحَرَّ نَارًا مِنْ لَظْيِ النَّارِ
فَلَيْسَ شَيْءٌ مُذْهِبٌ لِلشَّجَى مِثْلَ انْهْمَالِ الْمَدْمَعِ الْجَارِي

(١٥٠)

وقال بمدينة حلب ، وقد وصله إليها بعض أصحابه ، وأخبره أن من كان له
بمصر : من الأهل والأولاد وصلوا ، وأن المركب انكسر بهم في ساحل عكا ،

ونهب الإفرنج كل ما فيه ، ولم يصلُّوا إلى دمشق إلا بأنفسهم ، وأنَّ ملكَ الفرنج
أعطاهم خمسمائة دينار ، توصَّلوا بها إلى دمشق^(١) :

إلى الله أشكرو فرقةً دَمِيتْ لها جُفُونِي، وأذْكَتْ بالهمومِ صَمِيرِي
تَمَادَتْ إلى أنْ لَأَذَتْ النَّفْسُ بالمتى وطارَتْ بها الأشواقُ كلَّ مَطِيرِ
فلها قَضَى اللهُ اللَّقَاءَ تَعَرَّضْتُ مساءهُ دَهْرِي في طريقِ سُروَرِي

(١٥١)

وقال :

وَجَدَدَوْجَدِي بعدما كان قد عفا وراجَعَنِي حُلِي، ووَأَزَّرَنِي صَبْرِي
هتوفُ الضُّحَى مفجوعةً باليفها تُهَيِّجُ أَشْجَانَ القُوَادِ ، وما تَدْرِي
ولو أَنَّهَا إِذْ أَعُولَتْ فَاضَ دُمُعُهَا لَقَلْتُ: هي الخنساءُ، تَبْكِي على صَخْرِ
ولكنَّها لم تُذِرْ دُمُعاً ، وأدْمَعِي إِذَا قُرِنتِ بالقَطَرِ زادت على القَطَرِ

(١٥٢)

وقال :

كَأَنِّي مَجُولٌ^(٢)، أَوْ كُنُؤُلٌ، إِذَا جَرَى بِسَمْعِي عن غيرِ اعتِمَادٍ لَكُمْ ذِكْرُ
ولو أَسْعَفَتْنِي مُقْلَتَايَ بِقَطْرَةٍ شَفَّتْ دَاءَ أَحْشَائِي ، ولو أَنَّهَا قَطْرُ^(٣)

(١) رويت الأبيات الثلاثة في الروضتين ١ : ٩٩ .

(٢) المَجُولُ : الواله من النساء والأبل .

(٣) القَطْرُ بالكسر : النحاس الدائب .

(١٥٣)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح :

نَاوَا ، فَأَدْنَتَكَ مِنْهُمْ الذِّكْرُ وَمَثَلَتْهُمْ لِقَابِكَ الْفَكْرُ
يَرَاهُمُ بِالْوِدَادِ قَلْبِي ، عَلَى الْبُعْدِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُمْ النَّظَرُ
وَحَسَرْتِي أَنْتِي أَنَا الْمُعْرَضُ النَّافِي ، وَمَا أَعْرَضُوا ، وَلَا هَجَرُوا
بُعِذْتُ عَنْهُمْ ، إِذْ كُلُّ عَصْرِهِمْ رُبْعٌ رُبْعٌ ، وَلَيْلُهُ سَحَرٌ
وَنَافَسْتِي الْأَيَّامُ فِيهِمْ ، وَنَجَّيْتُ السَّعِيشَ دَانٍ ، وَرَوْضَهُ نَضْرُ^(١)

(١٥٤)

وقال :

عَرَضْتُ^(٢) مِنَ الْهَجْرَانِ ، وَالشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَمْ يَتَعَمَّدْنَا بِفُرْقَتِنَا الدَّهْرُ
فَلَبَّا تَفَرَّقْنَا ، وَشَطَّتْ بِنَا النَّوَى تَمَنَيْتُ لَوْ دَامَ التَّجَاوُرُ وَالْهَجْرُ

(١٥٥)

وقال :

وَصَفَ الصَّبْرَ لِي جَهْلٌ بِأَمْرِي فَارْغُ الْبَالِ مِنْ هُمُومِي وَفِكْرِي
مُسْتَرِيحٌ مَا قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي لَا ، وَلَا دَهْرُهُ ظُلُومٌ كَدَهْرِي
مَالَهُ بِالْهُمُومِ عَهْدٌ ، وَلَا اضْطُرَّ إِلَى الصَّبْرِ بِاقْتِسَارٍ وَقَهْرٍ
وَأَنَا ، الدَّهْرُ ، فِي خَطُوبِ زَمَانٍ أَشْرَبُ الصَّبْرَ فِيهِ مِنْ حُسْنِ صَبْرِي
صَارَ لِي عَادَةً ، فَلَوْ ضَاقَ رَحْبُ الْأَرْضِ عَنِّي ، مَا ضَاقَ بِالصَّبْرِ صَدْرِي

(١) بقية القصيدة في ص ١٧٢ .

(٢) الفرض محركة : الضجرو والملال . غرض كفرج .

قافية الضاد

(١٥٦)

وقال :

في ذلك الحىّ المعرض لى هوى ودّعته حذرا بطرفٍ معرض
أخشى عليه الكاشين ، فكأهم غضبانٌ يُسخطه هوانا ، لأرضى
فتلفت عيني المريضةً بالبا والين ، تأملُ نظرةً من مُرضى
وقبأهم فى الآل^(١) تطفو مثلما يطفو الحبابُ على الرحيقِ الأبيض
حتى إذا يثست دعت زفرائها قبض المدامع بالشجا المتعرض

قافية الطاء

(١٥٧)

وقال من قصيدة فى الملك الصالح رحمه الله :

أجيرة قلبى ، إن تدانوا ، وإن شطوا ومنية نفسى ، أنصفونى أو اشتطوا^(٢)
عصبت اللواحى فيكم ، وأطعتم مقالمهم ، ما هكذا فى الهوى الشرط
ولو علموا مقدار حنئى منكم وهمى بكم زال التنافس والغبط^(٣)
إذا كان حظى منكم فى دنوكم صدود وهجر ، فالتداني هو الشحط^(٤)

(١) الآل : السراب .

(٢) هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبى العلاء :

لمن جيرة سحوا النوال فلم ينطوا يظلالهم ما ظل ينبت الخط

وشط : بعد . واشتط : جار .

(٣) الغبط من قولهم : غبطت الرجل أغبطه إذا تمت أن يكون لك مثل حاله من غير أن يزول عنه . والمسد أن

ريد إزالتها عنه .

(٤) الشحط : البعد . يقال شحطت الدار ، إذا بعدت .

إذا هَجَرُوا ، مثلُ التَّنَائِي إذا شَطَّوْا
لَدَيْنَا ، وَلَا عَالِيَهُ بِالْهَجْرِ يَنْخَطُ
جَرَتْ فِي دَمِي وَالرَّوْحُ فَهِيَ لَهَا خَلَطُ^(١)
أَحْضُ هَوَاهُمْ فِي سُودَانِهِ وَخَطُ^(٢)
وَجِيبُ الدُّجَى عَنْ وَاضِعِ الصَّبْحِ مُنْخَطُ^(٣)
إِلَى أَنْ دَعَاهُ فِي مَغَارِبِهِ الْهَبَطُ^(٤)
وَكَمْ لِلْوَى مِنْ دُونِ تَعْرِيسِنَا سَقَطُ^(٥)
وَيَهْرُهُ^(٦) فِي جَانِبِ الْخَلْدِ أَنْ يَخْطُو
نُجُومُ الدُّجَى فِيهِ تَغُورُ ، وَتَنْغَطُ^(٧)
وَمَا زَارَنِي مُذْ كَانَ مُسْتَقِظًا قَطُ
وَحَا مَرَهَا مِنْ سُورَةِ الْوَجْدِ اسْفَنْطُ^(٨)
وَمَا قَدَّهُ مَا يُنْبِتُ الْبَانُ وَالْخَطُ
بِجِدِكَ تَزْدَانُ الْقَلَانْدُ وَالْقُرْطُ
رُبًّا مَسَّهَا ، مِمَّا تَسْرِبْلَتِهِ ، مَرْطُ^(٩)
وَلَوْ أَنَّ الدِّيَابِجِي شَعْرُكَ الْفَاحِمُ السَّبَطُ

فِيَا قَلْبُ مَهْلًا ، لَا تُرْعَ ، إِنَّ قُرْبَهُمْ
هَوَاهُمْ هَوَى ، لَا الْبَعْدُ يُتَلَى جَدِيدَهُ
أَحْبَبُهُمْ حُبِّي الْحَيَاةَ ، مَحَبَّةُ
لَهُمْ مِنْ قُوَادِي مَوْضِعِ السَّرِّ وَالْهَوَى
يُعْلَانِي شَوْقِي بِزُورَةٍ طَبِيفِهِمْ
وَطَرْفِي يُرَاعِي النَّجْمَ حَيْرَانَ مِثْلَهُ
عَجِبْتُ لَهُ ، كَيْفَ اهْتَدَى لِرَحَالِنَا
وَكَيْفَ فَرَى عَرْضَ الْقَلَا مِنْ يُوْدِهِ
فَلَمَّا اسْتَقَاضَ الْفَجْرُ كَالْبَحْرِ ، وَانْبَرَتْ
أُسْفَتْ عَلَى زُورٍ^(١٠) أَتَانِي بِهِ الْكُرَى
إِذَا مَاسَ خَلْتُ الْمَسَّ غَالِ عَقُولِنَا
يَقُولُونَ : خُوطُ ، أَوْ قَنَاءَةُ قَوِيْمَةٍ
شَبِيهَةٍ أَمْ الْخَشْفُ^(١١) جِيدًا وَمُقْلَةً
تَرْوُضُ جَوْ جُبَيْتِهِ ، وَتَضَوَّعَتْ
حَكِي وَجْهُكَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ فِي الضُّحَى

(٢) وخطه : خالطه .

(٤) الهبط : التسفل .

يسقط اللوى بين الدخول لغولم

(٦) فرى : شق . ويؤوده : يبلغ منه المجهود . والهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٧) خطه في الماء : غمسه ، فاذنط .

(٨) الزور : الزائر وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صام ونام .

(٩) الاسفط بكسر الهمزة : انفتح : انخر .

(١٠) الخشف مثلثة : ولد الطي أول ما يولد .

(١١) المرط بكسر الميم : كساء من صوف أو خز .

فتكت بَيْنَاكَ الحُسَامَ ، إذا هَوَى
وما خَلْتُ آسَادَ الشَّرَى إِذْ تَبَهَّنَسْتُ^(١)
فيا عَجَباً من قَاتِرِ الطَّرَفِ ، قَاتِرِ
فَارْدَاهُ فَرْدُ الحُسْنِ فَرْداً ، وإِنَّه
أَيَا سَاكِنِي مَصِيرٍ ، رَضَانَا لِبُعْدِكُمْ
إِذَا عَن ذَكَرَاكُمْ ظَلَلْتُ كَأَنِّي
وَالزِّم كَفَى صَدْعَ قَلْبٍ ، أَطَارُهُ
فَهَلْ لِي إِلَيْكُمْ ، أَوْ لَكُمْ بَعْدُ بُعْدَكُمْ
أَرَاكُمْ عَلَى بَعْدِ الدِّيَارِ بِنَاضِرٍ
إِذَا عَايَنَ التَّوْدِيْعَ أَرْسَلَ لُؤْلُؤاً
وَمَا شَفَّهَ إِلَّا نَوَى من يَوْدَه
فِرَاقُ أَنِّي لَمْ تُخْبِرِ الطَّيْرُ كَوْنَه
تَلَقَّيْتُهُ مِنِّي سُلْطَةً وَصَرِيْمَةً^(٢)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ لِلشَّوْقِ زَفْرَةً
عَلَى مُفْرِدٍ ثَنَاهُ^(٣) فِي المَعْرَكِ القَطْ
فِرَاسٌ غَزَلَانِ الصَّرِيْمَةِ^(٤) ، إِذْ تَعْطَوُ^(٥)
سَطَا بِكُمُ ، لَمْ يَزَلْ فِي الوَعَى يَسْطُو
لِيَرْهَبُهُ مِنْ رَهْطٍ قَاتِلِهِ الرَّهْطُ
عَنِ العَيْشِ وَالْأَيَّامِ - لَا تَبْعُدُوا - سَخَطُ
غَرِيقُ بَحَارٍ مَا لَجَّتْهَا شَطُ
جَوَى الشَّوْقِ ، لَوْلَا أَنْ تَدَارِكُهُ الضَّبْطُ
إِيَابٌ ، فَقَدْ طَالَ التَّفَرُّقُ وَالشَّطُ
لِكَلِّ فِرَاقٍ مِنْ مَدَامِعِهِ قَسَطُ
مِنْ الدَّمْعِ لَمْ يَجْمَعْ فِرَائِدَهُ اللَّقْطُ
وَفُرْقَةُ الْأَفِّ هِيَ الْمِيْتَةُ الْعَبْطُ^(٦)
وَلَا رَفَعُوا فِيهِ الحُدُوجَ^(٧) وَلَا حَطُّوا
وَمِنْ لِي أَنِّي بَعْدَ وَشِكِ النَّوَى سَلَطُ^(٨)
تَزِيدُ ، كَمَا يَنْمِي ، وَيَضْطَرِمُ السَّقَطُ^(٩)

(١) أى أن حسامه الباتك يشق الشخص نصفين . والقط والقند والبنك : القطع .

(٢) تبهنس : تجتر . والتبهنس : التبخر والأسد يبهنس في شيه ويتهنس أى يتبخر .

(٣) الصريمية : القطعة الضخمة من الرمل تنصرم عن سائر الرمال .

(٤) تعطو : تناول . عطوته أعطوه إذا تناوته .

(٥) مات عبطة : إذا مات شاباً صحيحاً .

(٦) الحدج بالكسر : مركب للنساء كالحففة وجمعه حدوح وأحداج .

(٧) الصريمية : الغزيرة .

(٨) السلط . الحديد من كل شئ .

(٩) السقط مثالة : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الورى .

رَغِمَى أَنْ تُنْمِسَى وَتُصْبِحَ دُونَكُمْ فَيَافٍ، لِأَيْدِي الْجُرْدِ فِي وَغَرِهَا لَغَطٌ ^(١)
وَأَنْ تَنْزِلُوا دَارَ الْقَطِيعَةِ وَالْقَلَى وَجِيرَانُكُمْ بَعْدَ الْكَرَامِ بِهَا الْقَبْطُ ^(٢)

(١٥٨)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ جَوِّ لَمْ أَجِدْهُ مَسَاغًا ، وَلَا طُولُ الْبُكَاءِ يُمِيطُهُ
وَمِنْ حَرِّ قَلْبٍ ، كَلَّمَا رُمْتُ بَرْدَهُ بَنَسْوِيْفُهُ أَذْكَى جَوَاهُ قُنُوطُهُ
أَعَارَ جُفُونِي مَا يُصْعَدُّ مِنْ دَمٍ فَلَمَّا تَقَضَّى قَاضٍ مِنْهَا عَيْطُهُ ^(٣)

قافية العين

(١٥٩)

وقال :

أَحِبَابَنَا ، لِي عِنْدَ خَطَرَةٍ ذِكْرِكُمْ نَفْسٌ تَقُومُ لَهُ حَنَائِيَا أَضْلَعِي
أُنْسِيْتُ بَعْدَكُمْ السُّرُورَ ، وَأُنْكِرْتُ عَيْنِي الْكَرَى ، وَنَبَا بِحَبْنِي مَضْجَعِي
أَلْقَى نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ تِلْقَاءِكُمْ بِحُفُوتِ مَكْرُوبٍ ، وَأَنَّةٍ مُوجِعِ
وَإِذَا السَّحَابُ سَرَى فَنَارُ بُرُوقِهِ مِنْ زَفَرَتِي ، وَمِيَاهُهُ مِنْ أَدْمُعِي

(١) اللغظ ويحرك : الصوت والجلبة أو أصوات مهمة لا تفهم ج الفاعل . والجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر .

(٢) انظر تمام القصيدة في صفحتي ١٧٤ و ٢١١

(٣) يقال لحم ودم وزعفران عيط ، بين العبطة بالضم : طرى .

(١٦٠)

وقال :

يا قلبُ ، دَعَهُمْ ، فقد جَرَّبْتَ غَدْرَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزَعُ^(١) :
أَكْفَرَ البَعْدُ عَنْهُمْ مَا جَنَوَهُ ، أَمْ أَلْأَيَّامُ أُنْسَتْكَ بَعْدَ الْيَنِّ مَا صَنَعُوا
وَهَبَهُمْ أَحْسَنُوا ، هَلْ يُرْجِعُهُمْ إِلَيْكَ وَجْدُكَ ، أَوْ يُدْنِيهِمُ الْهَلَعُ
أَلَسْتَ بِالْأَمْسِ فَارَقْتَ الشَّبَابَ ، وَلَا أَعَزَّ مِنْهُ ، فَلَمْ لَا رَدَّهُ الْجَزَعُ

(١٦١)

وقال :

إِلَى مَتَى أُمْسَى وَأُضْحَى بِالنَّوَى مُرَوَّعًا
مُرْتَحِلًا كُرْهًا عَنِ الْأَحْبَابِ ، أَوْ مُودَعًا
تَرَى اللَّيَالِي تَنْزَرَتْ أَلَّا تُرَى يَوْمًا مَعًا

(١٦٢)

وقال ، وكان القاضي المكيُّ أَبُو المَعَالَى عَبْدُ العَزِيزِ بنُ الحُسَيْنِ المَعْرُوفُ بِابْنِ
الْحَبَابِ^(٢) ، رحمه الله ، قَدْ مَدَحَ المَلِكَ الصَّالِحَ بِقَصِيدَةٍ ، أَوَّلُهَا :
أَرَأَيْتَ بَيْنَ مَعَاطِفِ الْأَجْرَاعِ وَمَضَانِ ذَاكَ الْبَارِقِ اللَّمَّاعِ
فَنَفَذَ المَلِكُ الصَّالِحُ إِلَيْهِ نُسخَتَهَا ، عَطَفَ كِتَابَ مِنْهُ ، لِيُعَارِضَهَا بِقَصِيدَةٍ عَلَى
وزنها ، وقافيتها ، فعَارِضَهَا بِهَذِهِ القَصِيدَةِ وَأَوَّلُهَا :

مَا أَنْكُرُوا مِنْ عَزَمَتِي وَزَمَاعِي شَوْقُ دَعَا ، أَفَلَا أَجِيبُ الدَّاعِي !
أَأُجِيبُ دَاعِيَ الحَرْبِ فِي غَمْرَاتِهَا وَيَصُدُّ عَنْ دَاعِي الْغَرَامِ سَمَاعِي !

(١) يزع : يدفع . وذلك بحزبته الذي صدره : أهل الحفيلة إلا أن تجزئهم ...

(٢) ورد اسمه في النجوم الزاهرة والخريدة والنكت المصرية (ابن الحباب) .

هَيَاتَ ، مَاكَلَى لِأَوَّلِ سَلْوَةٍ عَرَّضَتْ ، وَلَا نَاهَى النَّهَى بِمِطْلَاعِ
أَفْدَى الدِّيَارِ ، وَسَانِيَهَا ، لِنْتَمِمْ لَمْ الْأَحْبَةُ ، وَالرِّبَاعُ رِبَاعِي
سَلَبَنِي الْيَوْمَ نِعْمَةً تُرِيهِمْ وَمَوَاهِبُ الدُّنْيَا إِلَى اسْتِجَاعِ
فَنَزَعْتُ^(١) عَنْهُمْ مَكْرَهًا ، وَإِلَيْهِمْ حَتَّى الْلِقَاءِ تَشَوَّقِي وَزَاعِي
أُودِعْتُ عَهْدَهُمْ عَلَى شَحْطِ النَّوَى قَلْبًا لَدَيْهِ الْعَهْدُ غَيْرُ مَضَاعِ
قُلْ لِلَّوْنَمِ : لَسْتُ بِالرَّاعِي الْهَوَى إِنْ مَرَّ لَوْمُكُمْ بِسَمْعٍ وَاعِ
كُفُّوا ، فَإِنَّ عَذَابَ أَبْنَاءِ الْهَوَى مُسْتَعَذَّبُ الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ
أَيْنَ السُّلُوْ مِنْ الْمَرْوَعِ دَهْرَهُ بِقَطِيعَةٍ مَوْصُولَةٍ بِوَدَاعِ !
هُوَ وَالْأَحْبَةُ ، كَالْأَصَائِلِ وَالضُّعَا لَا يَحْطِيَانِ بِسَاعَةٍ اسْتِجَاعِ

قافية الغين

(١٦٣)

وقال :

يَا لَانِمِ الْمَشْتَاقِ ، دَعُهُ ، فَقَلَمًا يُصْنَعِي إِلَى نُصْحٍ وَوَعِظٍ بَالِغِ
تَلَحَّى الْحَبِّ ، وَقَلْبُهُ مِلَانٌ مِنْ حَسْرَاتِهِ ، عَبَثًا ، بِقَلْبٍ فَارِغِ
دَعِ لَوْمَهُ ، فَكَفَاهُ تَعْذِيبُ الْهَوَى وَاسْتَبَقِ عَافِيَةَ النَّعِيمِ السَّائِغِ

قافية الفاء

(١٦٤)

وقال :

أَسِيرُ نَحْوِ بِلَادٍ لَا أَسْرِيبَا إِذَا تَبَدَّتْ لِعَيْنِي هَيْبَتُ أَسَفِي
تَطُولُ أَرْضِي ، إِذَا يَمَمْتُ سَاحَتَهَا بَعْضًا لَهَا ، ثُمَّ تُطَوِي عِنْدَ مُنْصَرَفِي

(١) نزع عنه : انتهى عنه . ونزع إليه : اشتاق .

(١٦٥)

وقال :

يَا لَانِمْ الْمَشْتَاقَ ، تَعْنِيفُ الْمَشُوقِ الصَّبُّ عُنْفُ
انْظُرْ إِلَى عَيْنِ مُسَهَّدَةٍ ، وَجَفْنِ لَا يَحِفُّ
وَسَقَامِ جَسَمِ كُلِّ سَرٍّ لِلْهَوَى مِنْهُ يَشِفُّ
وَاعْطِفْ عَلَيْهِ فَلْيَكِرَا مِ عَلَى أُولَى الضَّرَاءِ عَطْفُ

(١٦٦)

وقال ، وكان يلازمه بنصريين خياطُ اسمه مهدي ، يُحِيطُ ثياباً للغلمان
ولا يزالُ يحدثُه حديثَ معاشه ومكسبه :

أَحِبَّابَنَا ، مَنْ لِي لَوْ دَامَ التَّدَانِي وَالْجَفَا
فَلَمَّا نَبَى أَرَى النَّوَى مِنْ الصُّدُودِ أَتْلَفَا
شَتَّتِ الْأَيَّامُ ظُلُمًا شَمَلْنَا الْمُتَوَلَّفَا
وَكَدَّرَتْ مِنْ عَيْشِنَا مَا كَانَ طَابَ وَصَفَا
وَأَوْقَفْتَنِي بَعْدَكُمْ مِنْ النَّوَى عَلَى شَفَا^(١)
حَتَّى رَأَى الْحَاسِدُ بِي مَا كَانَ يَهْوَى ، وَاشْتَفَى
وَصَارَ بَعْدَ الْبَيْنِ نَدَى مَانِي مَهْدَى ، وَكَفَى
كَأَنِّي اعْتَصَمْتُ مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ الصَّدَقَا

(١) يريد : على شفا الهلاك .

(١٦٧)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح :

أذكرهم الرَّدَّ، إن صدَّوا، وإن صدَّفُوا^(١) إنَّ الكَرَامَ إذا استعطفَتْهم غَطَّفُوا
ولا تُردُّ شافعاً إلا هَوَاكَ لَمْ يكفيك ما اختبروا منه ، وما كَشَفُوا
به دَنَوْتَ ، وإخلاصُ الهوى نَسَبٌ كما نَأَيْتَ ، وإفراطُ الهوى تَلَفٌ
رأى الحسودُ تداني ودَّنا ، فسعى حتَّى غَدَتْ بَيْنَ دَارَيْنَا نَوَى قُذْفٌ
وما البعيدُ الذي تنأى الديارُ به بل مَنْ تداني ، وعنه القلبُ منصرفٌ
أجيرة القلب ، والفُسطاطُ دارهم لم تُصِقبِ الدَّارُ، لكن أصِقبِ الكَلْفُ^(٢)
أذنى التداني الهوى ، والدَّارُ نازحةٌ وأبعدُ البعد بين الجيرة الشَّنْفُ^(٣)
فارقتم مكرهاً ، والقلبُ يُخبرني أن ليس لي يَوْضٌ منكم ، ولا خَلْفٌ
ولو تعوّضتُ بالدنيا غِيبْتُ ، وهل يعوّضني من نَقِيسِ الجوهر الصِّدْفُ
ولستُ أنكرُ ما يأتي الزَّمانُ به كُلُّ الوَرَى لِرِزَايَا دهرهم هَدَفٌ
كم فاجأتني اللَّيالي بالخطوبِ ، فما رَأَتْ فُؤَادِي من رَوَعَاتِهَا يَجِفُ
واسترجعتُ ما أعارتُ: من مواهبها فَا هَفَايَ عَلَى آثَارِهِ اللَّهْفُ^(٤)
ولا أَسِفْتُ لأمرٍ فاتٍ مطلبه لَكِنْ لِفُرْقَةٍ من فارقته الأَسَفُ^(٥)

(١) صدف : انصرف وأعرض .

(٢) يقال أصِيبَ دارهم : دنت . والكلف : شدة الحب .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكر له .

(٤) اللهف : الحزن والتحسر .

(٥) انظر تمام القصيدة في باب المدح وهي القصيدة رقم ٣٠٩ من ١٧٩

(١٦٨)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح ، رحمه الله :

ما منهم لك مُعْتَاضٌ ، ولا خَلْفٌ فكَيْفَ يَصْبِرُ عَنْهُمْ قَلْبُكَ الْكَلْفُ
 إِنْ جَارَ صَرْفُ اللَّيْلِ فِي فِرَاقِهِمْ فليس عَنْهُمْ ، على الْحَالَاتِ ، مُنْصَرَفُ
 هُمُ الْهَوَى ، إِنْ تَنَاءَوْا عَنْكَ أَوْ قَرَّبُوا هُمُ الْمُنَى ، أَقْبَلُوا بِالْوُدِّ أَوْ صَدَفُوا^(١)
 لَا تَعْتَذِرِ بِالنَّوَى ، إِنْ الْهَوَى أَبَدًا سَيَّانٍ فِيهِ التَّدَانِي ، وَالنَّوَى الْقُدْفُ
 فَالشَّوْقُ تَطْوِي لَهُ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ ، كَمَا تُطْوِي إِذَا اسْتَوْعَبَتْ مَضْمُونَهَا الصُّحُفُ
 جَاهِزٌ بِوَجْدِكَ وَاعِصِ اللَّائِمِينَ ، وَبِحُجِّ بِحُبِّهِمْ ؛ إِنْ كَثَمَانَ الْهَوَى تَلَفُ
 فَكَاتِمُ الْحُبِّ إِنْ لَمْ يَقْضِ مِنْ كَمْدٍ فَإِنَّهُ لِإِصَابَاتٍ ارْدَى هَدَفُ
 كَسَاتِرِ النَّارِ فِي أَثْوَابِهِ غَرَرًا بِهَا ، تُحْرِقُهُ يَوْمًا وَتُنْكَشِفُ
 هَلْ يَحْتَنِي الْحُبُّ ، أَوْ يُغْنِي الْجُحُودُ ، إِذَا تَحَدَّثَتْ بِالْهَوَى أَجْفَانُكَ الذَّرْفُ
 كَمْ مِنْ هَوَىٍّ لِلْغَالِي فِيهِ رَتْبَةٌ مِنْ نَالَ الْمَعَالِي ، وَفِي إِسْرَافِهِ شَرْفُ
 وَبِحُجِّ الْمَفَارِقِ ، لَا صَبْرٌ يُؤَاوِزُهُ وَلَا تَسْتُدُّ شَمْلَ الْحَيِّ يَأْتَلِفُ
 يَزِيدُهُ يَأْسُهُ مِنْهُمْ بِهِمْ شَغَفًا وَقَلَمًا يَتَلَقَّى الْيَأْسُ وَالشَّغَفُ
 عَلَى شَفَا جُرْفٍ مِنْ شَوْقِهِ ، وَارَى أَنْ سَوْفَ يَنْهَارُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ الْجُرْفُ
 يَا غَافِلِينَ عَنِ الْقَلْبِ الَّذِي كَلَّمُوا^(٢) بَيْنَهُمْ ، وَعَنِ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
 تَقْدِيمُكُمْ مُهْجَتِي ، لَا أَرْضَى لَكُمْ فِدَاءَ جِسْمِي ، وَهُوَ النَّاحِلُ الدَّنْفُ^(٣)
 حَاشَاكُمْ مِنْ جَوَى قَلْبِي ، وَلَوْعَتِهِ عَلَيْكُمْ ، وَحَشًا لِلْوَجْدِ تَرْنِجُفُ

(١) صدق : أعرض . (٢) بكروا : يرحوا . (٣) الدنف : المربض .

لَنْ أَلُومُ ! وَمَنْ ذَالِي يَرْقُ إِذَا شَكُوتُ بَنَى ، أَوْ أَرْدَانِي اللَّهْفُ
أَنَا الَّذِي شَطَّ عَنْ أَحْبَابِهِ ثِقَةً بِصَبْرِهِ ، وَهُوَ بِالتَّفْرِيطِ مُعْتَرِفُ
فَارَقْتُهُمْ ، وَهُمْ عَصُرُ الشَّبَابِ ، وَمَا مِنَ الشَّبَابِ وَلَا مِنْ عَصَرِهِ خَلْفُ
وَحَيْثُ كَانُوا ، وَشَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَلَهُمْ مَنِي هَوَى بِسُودَا الْقَلْبِ مُلْتَحِفُ^(١)

قافية القاف

(١٦٩)

وقال :

لَوْ أَحْسَنُوا فِي مَلِكِنَا ، أَوْ اعْتَقُوا لَصَفَا لَهُمْ مِنْ وَدْنَا مَا رَفَقُوا^(٢)
مَلَكْتُهُمْ رَقَى ، كَمَا حَكَمَ الْهَوَى فَأَبَى اعْتِسَافُ^(٣) جَمَاهِمُ أَنْ يَرْفُقُوا
لَهَجُوا بِهِجْرَى فِي الدُّنُو ، كَانَتْهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ
أُمَشِيعِي بِاللَّحْظِ خَوْفَ رَقِيبِهِ وَالْدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَفَّقُ
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ قَبْلَ بَيْنِكَ لِلنَّوَى فَالآنَ لَسْتُ مِنَ الْتَفَرُّقِ أَفَرُّقُ
هَذِي النَّوَى ، قَدْ نَالَنِي مِنْ صَبْرِهَا مَا كُنْتُ مِنْهُ زَمَانَ وَصَلَكَ أَشْفَقُ

ومنها :

وَيَهْجُنِي بَعْدَ انْدِمَالِ صَبَابَتِي وَرَقَاءُ مَا دَرَبَا قَضِيبُ مُورِقُ
عَجَاءُ ، تَنْطِقُ بِالْحَيْنِ ، وَلَمْ يَهْنَجْ شَوْقُ الْقُلُوبِ كَالْعَجَمِيِّ يَنْطِقُ
بِي مَا بَهَا ، لَكِنْ كَتَمْتُ ، وَأَعْلَنْتُ وَدَمْعُهَا حُبْسَتْ ، وَدَمْعِي مُطْلَقُ

(١) تمام القصيدة في ص ١٨٣ .

(٢) رَقَى : كَذَر .

(٣) الاعتساف : الظلم .

ومنها :

كَمْ دُونَ رَبِّكَ مَهْمَةٌ مُتَقَاذِفٌ تَشْقَى الزَّكَابُ بِهِ ، وَيَبِيدُ سَمَلَقُ^(١)
 مَلَّ السَّرَى فِيهِ الصَّحَابُ ، فَعَرَّسُوا وَالشَّوْقُ يُوَضِّعُ بِي إِلَيْكَ ، وَيُعِيقُ^(٢)
 قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِنَا الْمَطَى ، وَحَنَّا أَشْوَاقُهَا ، وَالشَّوْقُ نَعْمَ السَّيْقُ
 بَارَتْ مَطَارِحَ لَحْظِهَا ، فَيَخَالُهَا السَّرَانِي ، تَسَابِقَ لَحْظِهَا وَالْأَسْوَاقُ^(٣)
 تَسْكُو إِلَيْنَا شَوْقَهَا ، وَحَنِينَهَا وَلَرَكْبُهَا مِنْهَا أَحْنُ وَأَشَوْقُ
 مَعْقُولَةٌ يَبِيدُ الْغَرَامُ طَلِيقَةٌ هَلْ يُفَنِّدِي ذَاكَ الْأَسِيرُ الْمَطْلُوقُ
 مُنِيتَ بِتَحْمِلِ غَرَامِنَا وَغَرَامِهَا فَجَشَّمتْ مَا لَا تُطْلِقُ الْأَيْتُقُ^(٤)

(١٧٠)

وقال :

يَا تَلْبُ ، كَمْ يَسْتَخْفُكُ الْقَلْقُ غَيْرُ جَمِيلٍ بِمَثَلِكَ الْخُرْقُ^(٥)
 أَكَلْ هَذَا خَوْفَ الْفِرَاقِ ، وَهَلْ يُجْدِي عَلَيْكَ الْحِذَارُ وَالْفَرْقُ
 ابْنَ تَصُونِ الْأَسْرَارِ فَيْكَ ، إِذَا تَحَكَّمَ الْوَجْدُ فَيْكَ وَالْخُرْقُ
 لَكَ التَّائِبِي بِالنَّاسِ ، كَمْ عَثَرَ الدَّهْرُ بِشَمْلِ الْجَمِيعِ ، فَاغْتَرَقُوا
 مَا أَنْتَ بِدَعُ فِي سَخَطِ سِيرَتِهِ كُلُّ عَلَى الدَّهْرِ سَاخِطٌ حَتَّى
 دَعُ ذَا ، فَبِهِ عَنِ لَوْمِنَا صَمٌّ وَهُوَ بِنَا — مَا عَلِمْتَهُ — عُقُقُ^(٦)

(١) سَمَلَقُ : قاع صنف . والمهمه : المفازة البعيدة . ومتقاذف : تقذف السائر بها من مكان إلى آخر .

(٢) أَوْضَعْتُ النَّاقَةَ : أَمَرْتُ فِي سِيرَتِهَا . وَأَعَيْتُ : أَسْرَعُ .

(٣) الْأَسْوَاقُ : جَمْعُ سَاقٍ .

(٤) جَمْعُ نَاقَةٍ . وَانْظُرْ تَمَامَ الْقَصِيدَةِ ص ١٢٧ .

(٥) الْخُرْقُ بِالضَّمِّ وَبِالتَّحْرِيكِ : ضِدُّ الْرَفْقِ ، وَالْأَيْ يَحْسِنُ الرَّجُلُ الْعَمَلَ وَالتَّصَرَّفَ فِي الْأُمُورِ ، وَالْخُرْقُ .

(٦) عَقَى : ضِدُّ بَرٍّ ، فَهُوَ عَاقٍ . وَعَقَى وَعَقَقَ بِحَرَكَةِ وَبِضْمَتَيْنِ .

وقال :

مَاذَا يَرُوعُكَ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ قَلَقِي
هَنَّاكَ بُرُّكَ مِنْ دَائِي ، وَمَنْ سَقَمِي
إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أَنَّ الْحَبَّ مَوْرَدُهُ
لِتَسْتَبِيحَ مَلَامِي ، أَوْ لِيَفْسَحَ لِي
لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَسْمَعُهُ
هَذَا الْهَوَى ، لَا هَوَى الْقَيْسَيْنِ ^(١) ، إِنَّهُمَا
فَوْزٌ بَقِيْتُ ، وَبِي مَابِي ، فَقُلْ : رَجُلٌ
وَإِنْ أَتَانِي حِمَامٌ أَسْتَرْجِحُ بِهِ
وَلَسْتُ أَشْكُو اضْطِبَارِي عِنْدَ نَائِبَةٍ
وَإِنَّمَا أَشْتَكِي دَهْرًا يُكَلِّفُنِي
يَرُوعُنِي كُلَّ يَوْمٍ بِالْفِرَاقِ ، وَمَا
فَمَا غَدَوْتُ شَمْلٍ غَيْرِ مُجْتَمِعٍ
وَلَا تَبَسَّمْتُ ، أَبَدِي لِلْعَدَا جَلْدًا
وَقَدْ غَرَضْتُ ^(٢) بَعِيشِي مِنْ مُفَارَقَتِي
أَمْ مَا يَرِيْبُكَ مِنْ أَجْفَانِي الذَّفَقِ
وَنَوْمُ جَفْنَيْكَ عَنْ هَمِّي ، وَعَنْ أَرْقِي
سَهْلٌ فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ بِهِ ، فَذُقِ
سِدَادُ رَأْيِكَ فِي جَهْلِي ، وَفِي نُحْرِي
مِنْ مُدَّعٍ لَمْ يُعَالِجْهُ ، وَمُخْتَلِقِ
عَاشَا مَلِيًّا . وَذَا مُرِفٍ عَلَى زَمَقِي
فِي الْمَيْتَيْنِ ، وَلَكِنْ لِلشَّقَاءِ بَقِي
فَيَالَهَا مِنْهُ لَلْوَيْ فِي عُقْنِي
وَلَا فَوَادِي بِخَفَاقٍ ، وَلَا قَلَقِي
مَا لَا أُطِيقُ ، فِعَالٌ الْقَادِرِ الْحَنِقِ
بِقَاءُ صَبْرِي مَعَ الرُّوْعَاتِ وَالْفِرَقِ
إِلَّا وَرُحْتُ بِـمِـغْـمٍ غَيْرِ مُفْتَرِقِ
إِلَّا تَمَيَّزْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنْقِ
أَغْرَّ أَرْوَعَ طَلَقَ الرَّاحَتَيْنِ تَقَى ^(٣)

(١) القيسان : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح .

(٢) غرض كفرح : ضمير وصل .

(٣) باقى القصيدة ص ١٢٩ .

(١٧٢)

وقال :

ولمّا وقفنا للوداع عشيّةً وطرفي وقلبي أدمعٌ وخُفوقٌ
بكيتُ ، فاضحكتُ الوُشاةَ شِماتَةً كأني سحابٌ ، والوُشاةُ بروقُ

(١٧٣)

وقال :

ألفَ القلبُ ، وأجابَ دَاعِيَةَ النَّوَى فبليتُ منه بهجرةٍ وفراقِ
والصَّبُّ راحتهُ البكاءُ ، ومُذَنَّاى إنسانُ عيني أنحاتِ آماقِ
لو كنتُ أطمعُ في بقاءِ عهوده سكنتُ بلابلُ قلبي الخلفاقِ

(١٧٤)

وقال :

رفقاً بقلب الصَّبِّ ، رفقاً هو دُونكم بالينِ يَشَقِي
لا تَحْسَبَنَّهُ يَا خَلِيَّ القلبُ بعدَ البعدِ يَبْقَى
في زُمرَةِ الشَّهَدَاءِ يُحْشَرُ فِي غَدٍ ، إن مَاتَ عَشَقاً

(١٧٥)

وقال ^(١) :

أقولُ للعينِ في يومِ الفراقِ ، وقد فاضتْ بدمعٍ على الخلدَيْنِ مُسْتَبِقِ
تَزَوَّدِي اليَوْمَ من تَوَديعِهِمْ نظراً فَنِي غَدٍ تَفْرُغِي ^(٢) لِلدَّمْعِ والأَرْقِ ^(٣)

(١) هذه القصيدة مما يروى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ . ومساك الأبعاد ١٠ : ٥٠٣ .

(٢) في خريدة القصر (ثم أفرغى في غد ...) .

(٣) عبر عن هذا العاطف في بيتين سبقا ص ٦٦ ، وآخرين ص ٧٤ . وما رقم ١٣٧ و ١٤٦ .

(١٧٦)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ النَّانِي المقيم نَحِيَّةً مِنْ رَاحِلِ شَاكٍ جَوَى أَشْوَاقِهِ
لَهَجٍ مَعَ الْبَاسِ المِينِ بَذْكِرِهِ قَلْبِي الحِشَا لِبِعَادِهِ خَفَّاقِهِ
وَهُوَ الخَلِيقُ بَانَ يَمُوتَ كَلْبَةً لَكِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ

(١٧٧)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، مَا لِي إِلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ دَلِيلٌ ، وَقَدْ ضَلَلْتُ عَلَى طَرِيقُهُ
فَهَلْ نَظَرَةٌ مِنْكُمْ عَلَى بُعْدِ دَارِكُمْ يُدَاوِي بِهَا صَبُّ الفُؤَادِ مَشُوقُهُ

(١٧٨)

وقال :

إِنْ تَقَطَّعَ الْآيَامُ مِنْكَ عِلَاقَتِي فَأَنَا المُواصِلُ بِالوَدَادِ الصَّادِقِ
أَرْضَى مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ رَغْبِهِ وَمَنْ الزَّيَارَةِ بِالْخِيَالِ الطَّارِقِ
هَذَا ، وَعِنْدِي لِلْفِرَاقِ مَا تَمُّ فِيهَا التَّجْمُلُ وَالْعَزَاءُ مُفَارِقِي
وَالْأَمُّ فِي شَكْوَى جَوَايَ ، وَقَلْبًا يَحْطِي المُفَارِقُ بِالرَّفِيقِ الرَّافِقِ
هَلْ يُغْنِيَنَّ صَمْتِي عَنِ الشَّكْوَى ، إِذَا شَكَتِ الْجَوَى زَفَرَاتُ قَلْبِي الْخَافِقِ
هَبْنِي ^(١) أَكْفِكُفْ زَقْرَتِي وَمَدَامِي مَا حِيلَتِي ، وَشَجَا التَّجْمُلِ خَانِقِي !!
أَنَا كَالْهَامِ : تَبُوحُ ، حِينَ تُنُوحُ ، بِالشَّكْوَى ، وَلَمْ تَفْغَرْ لَهَا فَمَ نَاطِقِ

(١) هذا البيت وما بعده اختيرا الأسماء في مسالك الأبحار (١٠ : ٦٠٣) .

(١٧٩)

وقال :

طَالَتْ يَدُ الْبَيْنِ فِي تَفْرِيقِ الْفَتْنَا قَالَهَا قُصِّرَتْ عَنْ جَمْعِ مَا اقْتَرَفَا !
كَأَنَّ الْمَاءَ سَهْلٌ حِينَ تُهْرِقُهُ وَجَمْعُهُ مُعْجَزٌ مِنْ بَعْدِ مَا انْتَهَرَقَا
لَكِنْ قُدْرَةٌ مَنْ يَطْوِي الظَّلَامَ^(١) عَنِ الدُّنْيَا ، وَيَنْشُرُ فِي آفَاقِهَا الْفَلَقَا^(٢)
يَرُدُّ شَمْلِيَّ جَمْعًا ، وَقَلْبِي مَسْرُورًا ، وَيَأْسَ عُودِي كَاسِيًا وَرَقًا

(١٨٠)

وقال :

بِالْغُورِ أَهْلُكَ يَا بَيْنَ ، وَأَهْلُنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ ، فَأَيْنَ أَيْنَ الْمُلتَقَى !!
بَعْدَ الْمَزَارِ ، فَلَوْ سَرَى لَزِيَارِي طَيْفُ الْخِيَالِ ثَنَاهُ هَوْلُ الْمُرتَقَى
كَمْ شِئْتُ بَرَقًا مِنْكَ أَخْلَفَ نَوْءَهُ قَبْلَ النَّوَى ، وَظَنَنْتُ ظَنًّا أَنْخَفَقَا
فَعَلَامَ أَجْزَعُ لِلْفِرَاقِ ، وَلِمَئِنِّي لَأَرَاهُ أَرَأَفَ بِالْقُلُوبِ وَأَرْفَقَا

(١٨١)

وقال :

كَمْ تُرْزِمِي^(٣) وَمَ تَحْنِي يَا نَاقَ حَسْبُكَ ، قَدْ هَجَّتِ الْجَوَى وَالْأَشَوَاقَ
هِيَ النَّوَى ، فَمَا غَنَاءُ الْإِشْفَاقِ تَقَسَّمْتَنَا بِالشَّاتِ الْآفَاقِ
كَأَنَّهَا خَلَقُ ، وَنَحْنُ أَرْزَاقُ حَتَّى إِذَا أَدْمَى الْبُكَاءُ الْآمَاقَ
أَصْغَبَتِ الدَّارُ ، وَقَلْبِي مُشْتَاقُ مَا أَتَعَبَ الْحَامِلَ قَلْبًا تَوَاقَ
كَالْبَرْقِ ، مَشْبُوبَ الضَّرَامِ خَفَاقَ

(١) في الأصل الضياء. تحريف والتعريب لانه مرهف مثبنا في هامش الصفحة .

(٢) الفلق : الصبح . (٣) أرزمت الافة : حنت على وندها .

(١٨٢)

وقال :

لَيْتَ مَنْ يَسْأَلُ جِيرَانَ النَّقَا هَلْ لَنَا بَعْدَ افْتِرَاقٍ مُلْتَقَى
عَانَتَا^(١) الدَّهْرُ ، فَأَضْحَى شَمْلُنَا بَعْدَ مَا كَانَ جَمِيعًا فَرَقَا
وَهِيَ الْأَيَّامُ مِنْ عَادَاتِهَا رَدَّ صَفِيرِ الْعَيْشِ طَرَقًا رَفَقَا^(٢)
كُلَّ شَيْءٍ غَيَّرَتْ مِنِّي النَّوَى بَعْدَكُمْ إِلَّا الْجَوَى وَالْحَرَقَا
خَانَ فِيكُمْ حُسْنُ صَبْرِي ، وَوَفَى لَكُمْ الدَّمْعُ ، فَأَلَى : لَا رَقَا^(٣)
لَيْتَ مَنْ يَغْبِطُ أَبْنَاءَ الْهَوَى ذَاقَ مَا يَلْقَوْنَ فِيهِ : مِنْ شَقَا

(١٨٣)

وقال :

أَشْنَأُكُمْ ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ زَادَ الدُّنُو صَبَابِي وَتَشَوَّى
فَتَى أَفِيقٌ ، وَبَعْدَكُمْ يُذَكِّي جَوَى قَلْبِي ، وَيُضْرِمُ شَوْقَهُ أَنْ نَلْتَقَى؟!

(١٨٤)

وقال :

خَلِيلِي ، زُورَانِي "رُؤْيَقَةً" ، إِنِّي إِلَيْهَا ، عَلَى قُرْبِ الزَّيَارَةِ ، شَيْقُ
خَلِيلِي ، مَا أَلْتَذُّ عَيْشًا ، وَلَا لَهُ إِذَا مَا نَأَتْ عَنِّي "رُؤْيَقَةً" - رَوْتُ
إِذَا بَرَزْتَ بَيْنَ النَّسَاءِ حَسِبْتُهَا هِيَ الشَّمْسُ ، أَوْ مِنْ وَجْهِهَا الشَّمْسُ تُسْرِقُ
تُنَازِعُهُمْ تَزْرَأُ عَلَيْهِ سَكِينَةً وَتُعْرِضُ عَنْ لَمَعِ الْحَدِثِ وَتُطْرُقُ

(١) عانا : حسنا . (٢) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل و بولت فيه كالطروق . والرتق : الكدر .

(٣) رقا الدمع : جف .

قافية الكاف

(١٨٥)

وقال ^(١) :

نَافَقْتُ دَهْرِي ، فَوَجَّهِي ضَاحِكُ جَدُلْ طَلَّقْ ، وَقَلْبِي كَيْبُ ، مُكَمِّدُ ، بَاكِ
وَرَاةُ الْقَلْبِ فِي الشَّكْوَى ، وَلَذَتْهَا لَوْ أَمَكَنْتُ ، لَا تُسَاوِي ذَلَّةَ الشَّاكِي

(١٨٦)

وقال :

يَا قَلْبُ ، مَتَّ كَمَدًا عَلَى مَنْ غَبَتْ عَنْهُ ، وَغَابَ عَنْكَ
لَا تَلْتَقِ بَدَلًا بِهِ وَسَيَلْتَقِ الْإِبْدَالَ مِنْكَ

قافية اللام

(١٨٧)

وقال :

لَا ذَنْبَ لِلصَّبِّ الْمَشُوقِ ، إِذَا بَدَتْ أَسْرَارُهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، لِلْعُدِّ
زَفَرَاتُهُ نَمَّتْ ، وَلَمْ يُفْصَحْ بِمَا يُخْفِي ، بِخَاءِ الدَّمْعِ بِالْخَبْرِ الْجَلِي
أَفْتَى صَدُودُكَ فِي الدَّنُو تَصْبِرِي وَأَنَّى الْفِرَاقُ فَبَزَّ حُسْنُ تَجْمِلِ
فَالْعَمْرُ أَجْمَعُ بَيْنَ هَجْرٍ سَالِفٍ مَاضٍ ، وَبَيْنَ آتٍ مُسْتَقْبَلِ

(١) هذان البيتان ديواناً لأسامة في معجم الأدباء ٥ : ١٩٩ ، وتاريخ ابن عساكر ٥ : ١٧٣ .

(١٨٨)

وقال :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لِمَنْ قَبَّلْتُهُ عَجَلًا وَالْبَيْنُ يَعْجِبُ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ يَحْلِي
فَالَ عَنِّي فِيهِ ، ثُمَّ عَرَّضَ لِي خُذًا ، جَرَى فِيهِ مَاءُ الْحَسَنِ وَالْجَحْلِ
فَأَخْضَلْتُ أَدْمِي تَوْرِيْدَ وَجْتِهِ فزَادَ إِسْرَاقَ ذَاكَ الْوَرْدِ بِالْبَلِيلِ
فَارْتَاعَ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي ، وَحُرْقَةِ أَحْ—شَانِي ، وَهَيَّ فَاهُ الْعَذْبَ بِالْقَبِيلِ
وَرَأَيْهِ مَا رَأَى مِنْ رَوْعِي ، فَبَكَى وَقَالَ : لَا كَانَ ذَا تَوْدِيْعٍ مُرْتَحِلِ

(١٨٩)

وقال :

وَنَازِجٌ ، فِي قَوَادِي مِنْ هَوَاهُ صَدَى ^(١) لَمْ يَرَوْ غُلْتُهُ بِالْعَلِّ وَالنَّهْلِ ^(٢)
فِي فِيهِ مَا فِي جَنَانِ الْخُلْدِ مِنْ دُرِّ وَمِنْ أَقَاجٍ ، وَمِنْ نَعْرِ ، وَمِنْ عَسَلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يَفْجُوْنِي رَوَيْتُ قَبْلَ التَّوَيِّ قَلْبِي مِنَ الْقَبْلِ

(١٩٠)

بِنَفْسِي عَذُولٌ ، لَمْ فِيكُمْ ، فَرَدَّ لِي بِذِكْرِكُمْ رَوْحَ الْحَيَاةِ عَذُولُ
لَحَى نَاصِحًا فِيكُمْ ، فَأَذَكِي صَبَابِي وَتَذَكِي الرِّيَّاحُ النَّارَ ، وَهِيَ بَلِيلُ
أُسُوفُ ^(٣) صَعِيدَ الْأَرْضِ ، إِذْ وَافَقَ اسْمُهُ صَعِيدًا بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ زُرُوءُ
وَأَعْدُو عَلَى أُسْوَانَ ^(٤) أُسْوَانَ فِي الْحَشَا لِبَعْدِي عَنْهَا لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ

(١) الصدى : العطر . (٢) العلى : الشرب بعد الشرب ، والنيل : أول الشرب .

(٣) السوف : النسم .

(٤) أسوان ، بضم الهمزة : مدينة مشروقة بصعيد مصر . وأسوان بفتح الهمزة : حزين .

قافية الميم

(١٩١)

وقال :

ما استَجْهَلْتَكَ مَعْلَمٌ ورُسُومٌ إِلَّا لِيُعْلَنَ سِرُّكَ المَكْتُومُ!
أَوْ بَعْدَ نَاهِيَةِ المَشِيبِ جَهَالَةٌ يَا بِي الوَقَارُ عَلَيْكَ والتَّعْلِيمُ^(١)
مَاجَرَتْ فِي دَاخِي الشَّبَابُ، فَكَيْفَ إِذْ وَصَحَّتْ بِفُودِكَ لِلشَّيْبِ نُجُومٌ

ومنها :

أَعْوَاذِي ، كُفُّوا ، فَلَيْسَ بِمُسْمِي نُضْحٌ ، وَبَعْضُ النَّاصِحِينَ مَلُومٌ
وَقَرَّتْ دَوَاعِي الِيبِنِ سَمِي بَعْدَهُمْ فَلَنْ يُعْنَفُ نَاصِحٌ وَيَلُومُ!
لِي كُلِّ يَوْمٍ رَوْعَةٌ بِمَوَدِّعٍ وَنَوَى ، فَهَمِّي طَارِفٌ وَقَدِيمٌ
وَعَلَى الرَّاكِبِ مَا طُلَّ بِدِيُونِنَا عَسُرَ الْقَضَاءُ مَعَ الْبِسَارِ ، ظَلُومٌ
مُتَبَدِّمٌ عَنْ ذِي غُرُوبٍ^(٢) وَاضِحٍ يُعْزَى إِلَيْهِ اللُّؤْلُؤُ الْمُنْظُومُ
فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَائِزٌ فَقَلُوبُنَا الظَّمَايُ عَلَيْهِ تَحُومٌ
أَتَبَعْتُهُمْ قَرَحَى الْجَفُونِ كَلِيلَةً تُصْحِي بِدَمِي تَارَةً وَتَغِيْمُ
مَسْمُوءَةً^(٣) بِمَدَامِجٍ حَالَتْ دَمًا فَكَاثِمًا لِإِنْسَانِهَا مَكْلُومٌ
يَا نَارِ حَا ضَنْ الزَّمَانُ بِقُرْبِهِ وَجَدِي عَلَيْكَ ، وَإِنْ رَحَلْتَ ، مُقِيمٌ

(١) حله تخلياً : جعله طلياً أو امره بالحلم .

(٢) غرب القم : كثرة ريقه وبله وجهه غروب ، وغروب الأسنان مانع ريقها وقيل أطرافها وحدتها وباطنها .

(٣) سمل عنه : قضاها .

لى مقلّة قذيت ببعدك ، برّها فيض الدمرج ، وعقها التهويم^(١)
ساوى بعادك ليلها ونهارها كل ، كما قضت الموم ، بهيم
كم أنشأت ذكراك بين جوانحي من زفرة قلبي بها موسوم
نفس يقوم له اعوجاج أضالعي ويضيق عن نزواته الحيزوم^(٢)
ما أخطأت فيك النوى عادتها لكن تفرّيف^(٣) الكاوم أليم

(١٩٢)

وقال :

إن لم تُطيقا يوم رامة^(٤) أن تُسعدا ، فذرا الملامّة
عقمتاني أن مررت بمنزل أفضى ذمامه
هو منزل الأحباب ، لم يدع إليّ إلا رامة
وعلى حق أن تُصا فح سبب أجفاني رغامه
وأبيكما ، لأروين ، ولو يسح دم أوامة^(٥)
ما الدمع للأطلال لكن أهلها أجروا سجامه^(٦)
فولام لومكما ! أفي رغي العهود على آمة^(٧)
واها لقلب لا يفو زُسلوة ، تشفى هيامة
غرضاً لين لا يزا ل مفرطاً^(٨) فيه سهامة
أبدا يد الأيام تقريف^(٩) كلما اندملت كلامه^(٩)

(١) التهويم : هز الرأس من الناس . (٢) الحيزوم : الصدر .

(٣) القرف : النكس في المرض . (٤) رامة : موضع بالبادية . (٥) الأوام : شدة الطش

(٦) سجم الدمع سجاما : سال قليلا أو كثيرا . (٧) الآمة بخفيف الميم : العيب قال الشاعر :

مهلا أبيت العن مهلا إن فيها قلت آمة

(٨) في القاموس : القراطس : كل آدم ينصب لفضال . ودرى قراطس أصاب القراطس .

(٩) كلام : جمع كلم ، وهو الجرح . ووبان القصيدة في ص ١٤١ .

(١٩٣)

وقال :

إِن لَّمْ أُبْجِ بِهَوَاكَ قُلْنَ لَوَائِمِي : ذَا مُبْطِلٌ : مَا الْكُتْمُ شِيمَةً هَانِمِ
وإن أدعى خوف الوُشاة ، فما الهوى للَخَوَفِ مُذْ خُلِقَ الْهَوَى بِمَلَانِمِ
لَا تَكْذِبَنَّ ، فَمَا لِأَبْنَاءِ الْهَوَى رَأَى يَحْذَرُهُمْ عَوَاقِبَ نَادِمِ
شَغَلَتْ قُلُوبُهُمْ بَرُوعَاتِ النَّوَى وَالْهَجَرَ عَنْ خَوْفِ الزَّمَانِ الْعَارِمِ^(١)
فَرَأَاهُمْ صَوْرًا كَظَلِّ مَائِلِ^(٢) لَا يَرَعَوُونَ لِزَاجِرٍ أَوْ لَانِمِ
وَاهَا لِأَيَّامِ الْحَيِّ ، لَوْ أَنَّهَا دَامَتْ ، وَهَلْ عَيْشٌ يَسْرُ بِدَانِمِ
إِذْ أَجْتَلَى الْقَمَرَ الْمُرْدَى بِالْذُبْحَى يَجْلُو الشُّمُوسَ عَلَى الْقَضِيبِ النَّاعِمِ
مُكْرَى بِنَظَرِهِ ، وَرَاجَ رُضَايِهِ وَكُتُوسِهِ ، طَوَلَ الزَّمَانُ ، مُلَازِمِ
مَاغَالِ عَقْلٍ [قَطُّ]^(٣) سَحَرُ جُفُونِهِ إِلَّا جَعَلْتُ دُؤَابَنِيهِ تَمَانِمِ
ثُمَّ أَفَقْنَا بَغْتَةً ، فَإِذَا الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِهِ فُكَاهَةً حَالِمِ

(١٩٤)

وقال :

أَحْبَابَنَا . مُذْ أَفْرَدْتَنِي مِنْكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي ، أَفْرَدْتَنِي بِأَهْمِ
وَحَمَلْتُ ثِقَلَ الشُّبُوقِ عَنْكُمْ . وَأَيْنِي لِأَضْعَفُ عَنْ حَمْلِ التَّشَوُّقِ وَالسَّقَمِ
كَأَنَّ عَوْدًا^(٤) أَوْ هُنَّ الثَّقَلُ صَحْبَهُ فَرَدُّوا عَلَيَّ^(٥) ثِقَلُهُنَّ عَلَى رَغَمِ

(١٩٥)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ نَأَوُوا ، وَالْقَلْبُ دَارُهُمْ : وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(١)
جَهَلْتُ أَنْسَى بِكُمْ ، وَالِدَارُ دَانِيَةٌ حَتَّى إِذَا تَرَحَّتْ أَدْمَى يَدِي النَّدَمُ

(١) عزم : اشتد . (٢) مثل : زال عن موضعه . (٣) تكملة لسقط بالأصل يقتضيا الوزن .

(٤) العود : المص من الإبل والنا . (٥) تجزيت لشيء مدونه : " يا من يعز علينا أن نقارهم " .

(١٩٦)

وقال :

كَمْ قَدْ جَزَعْتُ لَبِينَ مِنْ فَارَقْتُهُ وَصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَالْحَشَا يَتَضَرَّمُ
كَالْقَوْسِ تَرِي السَّهْمَ ، ثُمَّ تَرِنُّ مِنْ جَزَعٍ ، وَيَبْدُو الْيَأْسُ مِنْهُ ، فَتَكْظِمُ
وَالْوَجْدُ لَوْ أَجْدَى عَلَى ذِي لَوْعَةٍ مَا مَاتَ بِالْكَدِ الْقَدِيمِ مَتَمُّ^(١)

(١٩٧)

وقال :

وَهَاجَ لِي الشَّوْقُ الْقَدِيمَ حَمَامَةً عَلَى غُصْنٍ فِي غَيْضَةٍ^(٢) تَرْنُمُ
دَعَتْ شَجْوَهَا مَحْزُونَةً لَمْ تَنْضِ لَهَا دُمُوعٌ ، فِقَاضَتْ أَدْمُعِي ، مَرَّجُهَا دُمُ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ كُنْتَ خَنَسَاءَ لَوْعَةٍ وَوَجِدًا فِئْتِي فِي الْبُكَاءِ مَتَمُّ^(٣)

(١٩٨)

وقال :

سَهَرْتُ بِمَخْرَبَتِ^(٤) ، فَطَالَ لَيْلِي عَلَى ، وَلَمْ يَطُلْ لَيْلُ الْيَامِ
أَفْكَرَ فِي مُفَارِقَتِي رِجَالًا هُمُ الْكُرَمَاءُ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ
كَانِيَ السَّهْمُ يُفْرَدُ ، بِاعْتِمَادٍ لِنَزْعِ الْقَوْسِ ، مِنْ بَيْنِ السَّهَامِ

(١٩٩)

وقال ، بَارِضَ مَلَطِيَّةَ^(٥) ، بِإِزَاءِ الْجَبَلِ الْأَغَرِ :

مَالِي ، وَلِلْجَبَلِ الْأَغَرِ ، وَإِنَّمَا كُلُّ الْهَوَى جَبَلٌ أَشْتَمُ بِهِمْ^(٦)
مَوْفٍ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ ، كَأَنَّمَا جُونُ السَّحَابِ فِي ذُرَاهِ جُنُومُ

(١) هو متهم بن نورية الذي حزن حزنا قاتلا على أخيه مالك ورناء ورناء مؤزرا .

(٢) النبعة : مجتمع الشجر في مفيض ماء . (٣) حصن في أقصى ديار بكر .

(٤) بلدة من بلاد الروم كانت تناخا الشام . (٥) اليم : الأسود .

ما زال مطرَحَ نَاظِرِي ، حتى إذا لا حَتَ بَعْدِي لِلشَّيْبِ مُجُومُ
فَارَقْتُهُ ، وَنَابَتْ عَنْهُ ، وَمَانَأَى وَجَدِي بِهِ ، وَهَوَى الْكَرِيمِ كَرِيمُ
فَإِذَا ذَكَرْتُ النَّازِلِينَ إِسْهَلِهِ وَبِهِمْ ، وَإِنْ شَطَّتْ نَوَاىَ ، أَهْمُ
دَارَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ ، كَأَنَّمَا بِي الْمَوْمُ^(١) أَوَلَعِبْتُ بِي الْخَرْطُومُ^(٢)

قافية النون

(٢٠٠)

وقال :

مَا يُرِيدُ الشَّوْقُ مِنْ قَلْبٍ مُعْنَى ذَكَرَ الْأَلْفَ وَالْوَصَلَ ، لَحْنًا
حَسْبُهُ مَا عِنْدَهُ : مِنْ شَوْقِهِ وَكَفَاهُ مِنْ جَوَاهُ مَا أَجْنَا
كَلِمًا شَاهِدَ شَمَلًا جَامِعًا طَارَ شَوْقًا ، وَهَفَا وَجَدًا ، وَأَنَا
عَاضُهُ الدَّهْرُ مِنَ الْقُرْبِ نَوَى وَمِنَ الْغَبْطَةِ بِالْأَحْبَابِ حُزْنًا
فَرَقَى مِنْ رَحْمَةٍ عَازِلُهُ وَرَأَى الْحَاسِدُ فِيهِ مَا تَمَنَّى
وَيَحَهُ مِنْ زَفَرَةٍ تَعْنَادُهُ وَهُمُومٍ جَمَّةٍ ، تَطْرُقُ وَهْنًا^(٣)
يَازِمَانَ الْقُرْبِ ، سُقْيَا لَكَ ، مِنْ زَمَنِ ، لَوْ كَانَ قُرْبُ الدَّارِ أَغْنَى
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَطِلِّ زَائِلٍ وَالْمَسْرَاتُ ثَلَاثِي ، ثُمَّ تَفْنَى
سَاءَنَا مَا سَرَّنَا مِنْ عَيْشِنَا بَعْدَ مَا رَاقَ لَنَا مَرَأَى وَمَجْنَى

(١) الموم : الحى .

(٢) الخروطوم : الخمر .

(٣) الوهن : الطائفة من الليل ، وقيل نحو من نصفه .

فَاقْتَرَفْنَا بَعْدَ مَا كُنَّا صَدَى
وَكَذَا الْآيَامُ : مِنْ عَادَاتِهَا
خُلِقُ لِلدَّهْرِ : مَا أَوْلَى امْرَأُ
وَكَذَا الْبَاخِلُ : مَا أَسْدَى يَدَا
قُلْ لِأَحْبَابٍ نَأَتْ دَارُهُمْ
سَاءَ ظَنِّي بِاضْطِبَارِي بَعْدَكُمْ
لَأُبَيِّنَ الْجَوَى مِنْ كِبْدِي
وَأُذِيلَنَّ^(٣) دُمُوعًا لَوْ رَأَتْ
أَسْفَا ، لَا بَلْ حَيَاءُ أَنِّي
لَا صَفَا لِي الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكُمْ
وَعَجِيبٌ ، وَالتَّنَانِي دُونَكُمْ
حَيْثُ كُنْتُمْ فَقَوَادِي دَارِكُمْ
إِنْ دَعَوْنَا ، وَكَفَنَانَا قَوْلُ : كُنَّا
أَنَّهَا تُعَقِّبُ سَهْلَ الْعَيْشِ حَزَنًا
نِعْمَةٌ مِنْهُ ، فَلَلَاهُ^(١) ، وَهَنَّا
قَطُّ ، إِلَّا كَدَّرَ الْمَنَّ ، وَمَنَّا^(٢)
وَعَلَى قُرْبِهِمْ أَقْرَعُ سِنًا :
وَلَقَدْ كُنْتُ بِهِ أَحْسَنُ ظَنًّا
مَوْضِعًا لَمْ يُبْتَدَلْ عَزَا وَضَنًا
فَيَضُنَّ الْمَزْنَ^(٤) خَالَتِهِنَّ مَرْنَا
بَعْدَكُمْ بَاقٍ ، وَإِنْ أَصْبَحْتُ مُضْنِي
مَا تَمَادَتْ مُدَّةُ الْبَيْنِ وَعِشْنَا
أَنْكُمْ مِنِّي إِلَى قَلْبِي أَدْنَى
وَعَلَى أَشْبَاحِكُمْ أَغْمِضُ جَفَنًا

(٢٠١)

وقال :

يَانَاقُ ، شَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَخَنِي
مَا أَرَزَمْتُ^(٥) وَهَنًا لَفَقْدِ لِفْهَا
تَذَكَّرْتُ الْأَفْهَا ، فَهَيَّجَتْ
أَبْكَى اشْتِيَاقًا ، وَتَحَنَّنْ وَحْشَةً
وَأُعْلِنِي الْوَجْدَ الَّذِي تُحْنِي
إِلَّا رَمَتْ جَوَارِحِي بِوَهْنٍ^(٦)
لَا عِجَّ شَوْقِي ، وَذَكَرْتُ خَدْنِي
فَقَدْ شَجَانِي حُزْنُهَا وَحُزْنِي

(١) ملاك الله حبيبك : منتك به .

(٢) المَنَّ : الإلزام . وَمَنْ عَلَيْهِ : عدوله ما فعله من الصنائع .

(٣) أَذَالَ الشَّيْءُ : أَهَانَهُ . (٤) المَزْنَ : السحاب ، أَوَ أَيْضُهُ .

(٥) أَرَزَمْتُ الْيَأَقَةَ : حَتَّ عَلَى وَلَدِهَا . (٦) الْوَهْنُ : الضعف .

حَسْبُكَ قَدْ طَالَ الْحَيْنُ وَالْأَسَى
وَلَا تَمَلِّ مِنْ مَسِيرٍ وَسُرَى
حَتَّى تُنَاجِيَ نَحْتَ بَانَاتِ الْحَمَى
أَهْوَى الْحَمَى، وَأَهْلَهُ، وَبَانَهُ
شَطُوا. وَشَطَّتْ بِي دَارِي عَنْهُمْ
لَمْ يُذَكِّرُوا لِي قَطُّ إِلَّا امْتَلَأْتُ
وَهُمْ أَعَزُّ مَنْ نَأَوْا، وَإِنْ دَنَوْا
نَفْسِي فِدَاءً مِنْ أَوْرَى بِالْحَمَى
هُمْ، إِذَا قُلْتُ: سَقَى أَرْضَ الْحَمَى
ضَنًّا بِهِمْ عَنْ أَنْ يَطُورَ^(١) ذَكَرَهُمْ
أَحْيَيْتُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَجَابُ دُجَى
حُبًّا جَرَى جَرَى الْحَيَاةِ مِنْ دَمِي
فَلَوْ تَعَوَّضْتُ بِهِمْ عَصَرَ الصَّبَا
فَارَقْتُهُمْ أَشْغَفَ مَا كُنْتُ بِهِمْ
أَلْزِمُ كَفَى قُوَادًا مَالَهُ
لَكِنِّي أَدْعُو لَجَمْعِ شَمْلِنَا

وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيْنِ يُغْنِي
فِي مَهْمِهِ سَهْلٍ وَوَعْرِ حَزْنٍ
سَقَى الْحَمَى وَالْبَانَ صَوْبُ الْمُرْنِ
وَلَمَنْ نَأَيْتُ، وَتَنَاءَوْا عَنِّي
وَهُمْ إِلَى قَلْبِي لُدْنِي مِنِّي
بِالدَّمْعِ أَجْفَانِي، وَقَالَتْ: قَطْنِي^(٢)
مِمَّا حَوَى خَلْبِي^(٣)، وَضَمَّ جَفْنِي
وَالْبَانَ عَنْ أَشْمَانِهِمْ وَأُكْنِي
وَبَانَهُ صَوْبُ الْحَيَاةِ، مَنْ أَغْنِي
بِمَسْمُوحٍ، وَهُمْ مَكَانُ الضَّنِّ
فَوَدَى عَنِ الصَّبْحِ، وَبَذَوِي غُضْنِي
أَصَمَّ عَنْ كُلِّ نَصِيحٍ أُذْنِي
لَبَانَ فِي صَفْقَةِ بَيْعِي غَنِي
وَعَدْتُ قَدْ أَدَمْتُ بَنَانِي سَنِي
مِنْ بَعْدِهِمْ رَوْحُ سَوَى التَّمَنِّي
مُسِيرَ الشَّهْبِ، وَجَرَى السُّفْنِ

(٢٠٢)

وقال^(٤) :

أَعْلَيْتَ مَا قُلْتَ بِهِ أَجْفَانَهُ
نَمَّتْ عَلَى حَسَرَاتِهِ زَقَرَاتُهُ
سَحَّتْ، فَبَاحَتْ بِالْهَوَى أَشْجَانَهُ
وَكَذَا يَنْمُ عَلَى الضَّرَامِ دُخَانَهُ

(١) قطنى : يكفى . (٢) الغلب : الحمة رقيقة تصل بين الأضلاع . (٣) طاريطور : حام ودنا .

(٤) اختار صاحب المسالك لأدانة من هذه القصيدة الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس (١٠ : ٥٠٥) عشر

وَأَخُو الْهَوَى مِثْلُ الْكَأَبِ: دَلِيلُ ذَا
تَحَكَّى الْبُرُوقُ فَوَادَهُ : فَضَرَامُهَا
ضَمِنَ الْهَوَى أَلَّا يَزَالَ أَخَا ضَنَى
يَا مُدْعَى السُّلُوانِ عَنْ أَحْبَابِهِ
شَطَّتْ دِيَارُكَ عَنْهُمْ ، وَهَفَا بِكَ الشَّوْقُ الْمُبْرُحُ ، وَالنَّظَتْ نِيرَانُهُ
وَأَبَاتَ بَيْنَهُمْ هَوَاكَ ، فَمَا عَسَى
كَأْتَمَتْ وَاشْيَكَ الْهَوَى قَبْلَ النَّوَى
وَعَصَاكَ دَمْعُكَ عِنْدَ خَطَرَةِ ذِكْرِهِمْ
فَإِذَا تَبَادَرَ مِنْ جُفُونِكَ خِلْتَهُ
لَوْ أَيقِنَ الْحَقُّ الْحُسُودَ عَلَيْهِمْ
بَيْنَ الْمَحَبِّ وَبَيْنَهُمْ مِنْ هَجَرِهِمْ
أَبْدَوَالَهُ مَلَلٌ^(٢) الْقَرِيبُ ، مَعَ النَّوَى
وَتَحَلَّقَ الطَّيْفُ الطَّرُوقُ يُحْلِلُهُمْ
وَهُمُ الصَّبَا : أَيَّامُهُ مَحْبُوبَةٌ
وَجَاهِلُهُمْ كَفَّارَةٌ لِمَلَاهِمِ
لَوْ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُمْ مَا أَضْرَمُوا
وَلَجْهَلُهُمْ طَارَفُوا بِطُولِ صُدُودِهِمْ
لَكَ حَيَاتُهُ ، وَدَلِيلُ ذَا عُنَاؤُهُ
أَشْوَاؤُهُ ، وَخُفُوقُهَا خَفَقَانُهُ
وَصَمَانُهُ^(١) ، قَوَفَى بِذَلِكَ ضَمَانُهُ
أَيْنَ السُّلُو ، وَأَيْنَ مِنْكَ أَوَانُهُ
وَالنَّظَتْ نِيرَانُهُ
بِكَ فَاعِلٌ هَذَا الْهَوَى وَبَيَانُهُ
فَبَدَّالَهُ مِنْ بَعْدِهَا كِتْمَانُهُ
وَبَقْدَرِ طَاعَتِكَ الْهَوَى عَصِيَانُهُ
نَقْدًا وَهَى مَرَجَانُهُ وَجَمَانُهُ
حَظَى لِحَالَتْ رَحْمَةً أَضْغَانُهُ^(٣)
بَيْنَ طَوِيلِ بَرَحِهِ^(٤) وَزَمَانُهُ
وَتَنَاسَى النَّاسِي ، وَهُمْ جِيرَانُهُ
فَإِذَا أَلَمَ يَرُوعْنِي هِجْرَانُهُ
وَأِنِ اعْتَدَى فِي غِيَةِ شَيْطَانُهُ
وَالْهَجْرُ ذَنْبٌ يُرَجِّى عُفْرَانُهُ
قَلْبِي بِهَجَرِهِمْ وَهُمْ سُكَّانُهُ
وَمَلَاهِمِ طَارَفِي ، وَهُمْ إِنْسَانُهُ

(١) الضمان : المرض .

(٢) أضغان : جمع ضغن وهو الحقد .

(٣) البرج : الشدة .

(٤) في الأصل (ملك) تحزيف ولعل العراب ما اختلناه .

(٢٠٣)

وقال :

أهكذا أنا ، بآقي العمر مُعْتَرِبُ نأء عن الأهل والأوطانِ والسَّكَنِ
لا تَسْتَقِرُّ جِيَادِي فِي مَعْرَسِهَا^(١) حَتَّى أُرَوِّعَهَا بِالشَّدِّ وَالظَّنِّ

(٢٠٤)

وقال :

أَيْنَ السُّرُورُ مِنَ المَرْوَعِ بِالنَّوَى أَبَدًا ، فَلَا وَطَنُ ، وَلَا خُلَانُ
عِيدُ البَرِيَّةِ مَوْسِمُ لِعَوِيلِهِ وَسُرُورُهُمْ فِيهِ لَهُ أَحْزَانُ
وإِذَا رَأَى السَّمْلَ الْجَمِيعَ تَرَاخَمَتْ فِي قَلْبِهِ الْأَمْوَاهُ وَالنِّيرَانُ

(٢٠٥)

وقال :

قَسَمَ الهَوَى دَهْرَ المَرْوَعِ بِالنَّوَى شَطْرَيْنِ بَيْنَ شُئُونِهِ وَشُجُونِهِ^(٢)
هُوَ فِي الدُّجَى كَالشَّمْعِ : يَنْقُطِرُ دَمْعُهُ نَارًا ، فَتَحْرِقُهُ مِيَاهُ جُفُونِهِ
فَإِذَا بَدَا وَضَحُ الصَّبَاحِ رَأَيْتَهُ مِثْلَ الْحَمَامِ يَنْوَحُ فَوْقَ غُصُونِهِ

(٢٠٦)

وقال بِحَمَاةَ ، فِي جَفَلَةِ أَهْلِهَا مِنَ الرُّومِ ، وَكَانَ بَدَارِهِ أَوْلَادُ لَغْلَامٍ لَهُ ، مَاتَ
فِي الزَّلَازِلِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَضَمَّ أَوْلَادَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِيهِمْ طِفْلٌ اسْمُهُ مَنْصُورٌ ،

(١) المعرس : البيت .

الشجون : جمع شجن ، وهو الهم والحزن . والشنون : جمع شان وهو يجري الدمع إلى العين .

وكان يَأْلُقُهُ ، بِفَقْلُوا مَعَ مَنْ جَفَلَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْحَاشِيَةِ إِلَى قَلْعَةِ جَعْبَرٍ
وَمَنْصُورٍ مَعَهُمْ :

مَنْصُورٌ، دَارُكَ أَضْحَكْتَ مِنْكَ مُوَحِّشَةً قَدْ أَفْقَرْتُ بَعْدَ سُكَّانِ وَجِبْرَانِ
أَضْحَى اللَّيْلُ كَانَ مِنْهَا أَمْسٍ أَضْحَكُنِي وَسَرَّنِي ، هَاجَ أَفْجَانِي وَأَبْكَانِي
عَهْدُهَا نَادِيًا لِلَّهِوِ، مُجْتَمَعًا لِلْأُنْسِ ، مَلْعَبَ أَتْرَابِ وَوَلَدَانِ
فَأَصْبَحْتُ مَا بِهَا مِمَّا عَهْدْتُ بِهَا سِوَى صَدِيِّ ، كُلَّمَا نَادَيْتُ لَبَّائِي

(٢٠٧)

وقال :

وَقَدْ أَفْرَدْتَنِي الْحَادِثَاتُ ، فَلَيْسَ لِي أَنْبَسُ ، وَلَا فِي طَارِقِ الْخَطْبِ أَعْوَانُ
كَأَنِّي مِنْ غَيْرِ الثَّرَابِ، نَبْتُ بَنِي الْبِلَادُ ، فَالَى فِي الْبَسِيطَةِ أَوْطَانُ
أَجُولُ ، كَمَا جَالَتْ قَدَاةٌ بِمُقْلَةٍ وَأُسْرِي، وَسَارِي النِّجْمِ فِي الْأَفْقِ حَيْرَانُ

قافية الهاء

(٢٠٨)

وقال :

سَلَا قَلْبِهِ : مَا غَالَ حُسْنَ سُلُوهٍ وَرَدَّاهُ فِي غَيِّ الْهَوَى وَغُلُوهٍ
وَمَا بِالْهُ يَشْكُو الْفِرَاقَ؟ وَأَيْنَ مِنْ قَسَاوَتِهِ شَكْوَى الْهَوَى وَعُتُوهٍ
وَمَا خَلَّتْهُ مَهْوَى الْهَوَى وَمَقِيلَهُ وَمَأْوَى الْأَمْسَى وَالْبَثُّ عِنْدَ هُدُوهٍ
تَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ تُجْبُونُهُ وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْهَمُّ عِنْدَ هُدُوهٍ

بِنَفْسِي مَنْ أَهْدَى إِلَى نَجِيَّةٍ عَلَى بُعْدِهِ ، وَافَتْ بَرِيًّا^(١) ذُنُوبَهُ
فَاذْكُرْ مَنْ لَمْ تُنْسِهْ عَهْدَهُ النَّوَى وَلَا طَمِعَتْ فِي يَأْسِهِ وَنُبُوهُ
يَحْنُ اشْتِيَاقًا بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَا وَيرتاحُ فِي رَوْحَتِهِ وَغُدُوهُ

(٢٠٩)

وقال :

أَلَا مَنْ لِصَادٍ ، وَالْمَوَارِدُ بَحَّةٌ لَهُ عَلَّلُ^(٢) مَنْ بَرَدِهَا لَمْ يَرَوْهُ
يُغَانُ^(٣) عَلَيْهِ ، حِينَ يَسْمَعُ نَبَأَهُ بِذِكْرِهِمْ ، أَوْدَعُوهُ مِنْ مُنْوَهِ
إِذَا مَا دَعَاهُ الشُّوقُ نَحْرًا كَأَنَّمَا بِهِ الْمَوْتُ ، لَوْلَا أَنَّهُ الْمَنَّاوَهُ

(٢١٠)

وقال^(٤) :

بُكَاءُ مِثْلِي مِنْ وَشِكِ النَّوَى سَفَهُ وَأَمْرُ صَبْرِي بَعْدَ الْيَنِّ مُشْتَبَهُ
فَلَا يُسَوِّفُنِي فِي قُرْبِهِمْ أَمَلٌ وَلَيْسَ فِي الْيَأْسِ لِي زَوْجٌ وَلَا رَفَهُ
أَكْثَمِ النَّاسِ أَفْجَانِي ، وَأَخْسَبُهَا تَخَفِي ، فَتُعْلِنُهَا الْأَسْقَامُ وَالْوَلَهُ
كَأَنَّنِي مِنْ ذُهُولِ الْهَمِّ فِي سِنَةِ وَنَظَرِي قَرِحُ الْأَجْفَانِ مُنْتَبَهُ
أُذْنِبْتُ ، ثُمَّ أَحْلَلْتُ الذَّنْبَ مِنْ سَفَهُ عَلَى النَّوَى ، وَلَيْسَ الْعَادَةُ السَّفَهُ
أَقَمْتُ طَوْعًا وَسَارُوا ، ثُمَّ أَنْدَبُهُمْ^(٥) صَحَبْتُ نَوَاهُمْ حَيْثُمَا انْجَبُوهَا !

(١) الريا : الرجح الطيبة .

(٢) اللال محركة : الشربة الثانية ، أو الشرب بعد الشرب تباعا .

(٣) غين على قلبه غينا ؛ غشى عليه .

(٤) رويت هذه القطعة في نريدة القصر أيضا ١ : ١٠٤ .

(٥) في النريدة « هلا » .

أَضْرَبَ بِي نَاطِرٌ تَدْمَى مَحَاجِرَهُ وَخَاطِرٌ، مُذْنَاوًا، حَيْرَانٌ مُنْشَدُهُ
فَمَا يُلَانِمُ ذَا بَعْدَ النَّوَى فَرَحٌ وَلَا يَرُوقُ لِهَذَا مَنَظَرُ تَزَهُ
سَقِيًّا لِدَهْرٍ ، نَعْمَانَا فِي غَضَارَتِهِ إِذْ فِي الْحَوَادِثِ عَمَّا سَاءَنَا بَلَهُ
وَعَبْسُنَا لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَدْرٌ وَوَدُنَا لَمْ تَسُبْ إِخْلَاصَهُ الشُّبُه
مَضَى ، وَجَاءَ زَمَانٌ لَا تُسْرِبُهُ كُلُّ الْبَرِيَّةِ مِنْهُ ^(١) فِي الَّذِي كَرِهُوا

(٢١١)

وقال :

يَا قَلْبُ، زَفَقًا بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَلَدِي كَمْ ذَا الْحَيْنُ إِلَى مَنْ أَنْتَ مَتَوَاهٍ
مَا غَابَ عَنِّي، فَأَنْسَاهُ، وَلَسْتُ أَرَى فِي الْخَلْقِ لِي عِوَضًا عَنْهُ ، فَأَسْلَاهُ
قَدْ كُنْتُ فِي الْقُرْبِ أَرْعَاهُ، وَأَحْفَظُهُ وَمُذْ بَعُدْتُ تَوَلَّى حَفْظَهُ اللَّهُ

(٢١٢)

وقال :

مَا وَجَدُ مَنْ فَارَقَ أَحِبَّاهُ كَوَجَدُ مَنْ فَارَقَ رَوْحَ الْحَيَاةِ
فَارَقْتُ مِنْ أَمْوَالِهِ عِنْدَهُ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ لِلْعَفَاةِ
مَنْ طَابَ لِلْجَانِي جَنَاهُ ، وَمَنْ كَفَرَ بِالْعَفْوِ ذُنُوبَ الْجَنَاهِ
أَعَزُّ مِنْ أَجْفَانِ عَيْنِي عَلَى عَيْنِي ، وَمِنْ قَلْبِ حِبَاهُ هَوَاهُ
إِذَا مَدَحْنَا مَا جَدَّا غَيْرَهُ فَمَا أَرَدْنَا بِمَدِيحِ سِوَاهُ
فَنُيَسَاوِي فَقَدْ هَذَا يُجْبُو بِ إِذَا مَا غَابَ عَنْهُ سَلَاةُ

(١) في الأصل « منها » تحريف ، والتصحيح من نردة القصر .

قافية الألف المقصورة

(٢١٣)

وقال :

بِأَبِي هَوًى فَارَقْتُهُ ، وَلِثَلْثِهِ	لَوْ كَانَ يُوجَدُ مِثْلُهُ ، خُلِقَ الْهَوَى
حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ ، لَمْ يَحْوِ مِنْ	قَتَنِ الْمَلَاخَةِ يُوسُفُ مَا قَدَ حَوَى
فِي الْقَلْبِ مِنْهُ غُلَّةٌ ، فَلَوْ اغْتَدَى	فِي مَاءِ خَدَيْهِ غَرِيقًا ، مَا ارْتَوَى
يَلْحَى عَلَيْهِ خَلِيٌّ بِإِلٍ مَا دَرَى	دَمَعَ الْغَرَامَ ، وَلَا دَرَى كَيْفَ الْجَوَى
مَنْ تَكَلَّفَ مَقَّتَ النَّصِيحَةَ ، مَا لَهُ	رُشْدُ الْمَحَبِّ ، وَلَا عَلَيْهِ إِنْ غَوَى
وَأَنَا الْمَرْوَعُ بِالنَّوَى ، لَوْ أَتَيْتِي	أَحْبَبْتُهَا لَجَرَّتْ بِفُرْقَتِهَا نَوَى
فَعَلَامَ يَلْحَى اللَّائِمُونَ بِجَهْلِهِمْ	مَنْ جُرْحُهُ فِي الْحُبِّ عِنْدَهُمْ شَوَى ^(١)

..*

(١) الشوى : الأمر الهين .

ما قاله في المكاتبات ، وما يتخَرِّطُ في سلكها من المعاتبات

قافية الهمة

(٢١٤)

قال ، وكتب بها إلى شمس الدولة أبي الحارث عبد الرحمن ابن أخيه نجم
الدولة أبي عبد الله محمد بن مُرشِد ، وكان ساراً إلى مصر ، وسار هو إلى الحجاز
سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

لئن غرَبَتْ شمسُ المنيرة في النوى	قليلي وصُبحي في الظلامِ سواء
ففي أسودى قلبي وطرفي محله	وإن بعدت أرض بنا وسما
ترحلَّ غرباً ، وارتملتُ مُشرقاً	وخلفُ ارتحالِ الطاعنينِ عناء
إذا زادنا الترحالُ بعداً ، فما الذي	يقربنا إن كان ثمَّ لقاء
بلى ، إنَّ لطفَ الله يجمعُ شملنا الشَّ	يتيت ، ويُدني الدارَ كيف يشاء

قافية الباء

(٢١٥)

وقال^(١) :

لم يبق لي في هواكم أرب	سلوتكم والقلوب تنقلب
وضعتُ عني أثقالَ حُبكم	وحاملُ الحبِّ مُثقلٌ تعب
وردى قذى ودِّكم ، وغضى أجفاً	ني عليه ، من فعلكم عجب

(١) هذا الشعر من مرديات باغوت ٥ : ١٩٦ والخريدة ١ : ١٠٠ مع اختلاف في الترتيب وقد ذكرنا المطالع

والأربعة الأبيات الأخيرة .

إِلَامَ دَمْعِي مِنْ هَجْرِكُمْ سَرِبُ قَانٍ، وَقَلْبِي مِنْ غَدْرِكُمْ يَجِبُ
 إِنْ كَانَ هَذَا لَأَنْ تَعْبَدَنِي الْحُبُّ، فَقَدْ أَعْتَقَنِي الرِّيبُ
 أَرَيْتُونِي^(١) نَهَجَ السُّلُوءِ، وَقَدْ كَانَتْ بِي الطَّرُقُ عَنْهُ تَنْشَعُ
 أَخْبَيْنَكُمْ فَوْقَ مَا تَوَهَّمَهُ النَّاسُ، وَخُتِمَ أَضْعَافَ مَا حَسِبُوا

(٢١٦)

وكتب إلى صديق له :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ ، وَبَيْنَنَا مَفَاوِزُ أَدْنَاهَا الشَّنَاحِيبُ^(٢) وَالسَّهْبُ^(٣)
 فَلَمَّا تَدَانَيْنَا يَأْسْتُ ، وَزَادَنِي تَبَارِيحُ شَوْقٍ ضَمَقْتُ ذَرْعًا بِهَا ، الْقُرْبُ

(٢١٧)

وقال^(٤) :

تَبَدَّلَ^(٥) ، حَتَّى قَدْ مَلَلْتُ دِتَابَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، لَا أُرِيدُ افْتِرَاقَهُ
 إِذَا سَقَطْتُ مِنْ مَفْرِقِ الْمَرْءِ شَعْرَةً تَأَقَّفَ مِنْهَا أَنْ تَمَسَّ ثِيَابَهُ

(٢١٨)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَيَا نَازِحًا لَمْ أَحْسَبْ بَعْدَ دَارِهِ وَقَدْ كَانَ، لَوْنِلْتُ الْمُنَى، قُرْبُهُ حَسْبِي
 تَعَرَّضْتُ الْأَخْطَارُ دُونَ لِقَائِنَا وَصَدَّ النَّتَائِي عَنْ مُوَاصَلَةِ الْكُتُبِ
 وَقَدْ صَارَ يَأْتِي بَعْدَ حَوْلٍ مُجْرِمٍ^(٦) كِتَابُكَ مَقْصُورًا عَلَى اللَّوْمِ وَالْعَتَبِ
 فَيَا أُنْسَ قَلْبِي، لَا تَزِدْنِي وَخْشَةً وَيَا رَوْحَ كَرْبِي ، لَا تَكُنْ سَبَبَ الْكَرْبِ

(١) الرواية في ياقوت وخريدة القصر "أوضحتم لي سبل السلو"

(٢) الشنوية : رأس الجبل . والجمع شنايب .

(٣) السهب : الغلاة . (٤) ما رواه المهاد لأسماء في الخريدة .

(٥) في الخريدة (نجم) . (٦) يقال حول مجرم كظم : تام .

(٢١٩)

وكتبَ إلى صديقٍ له :

يَا مَنْ بِهِ سَلَوْنِي عَنْ كُلِّ مُفْتَقِدٍ وَمَنْ مَوَدَّتْهُ أَدْنَى مِنَ النَّسَبِ
شَكَوتَ هَمَّكَ بِي لِمَا اشْتَكَيْتُ ، فَلَا زِلَّاتِ الْمُؤَوَّقِ مِنَ الْآلَامِ وَالنُّوبِ
أَبْلَ جَسَمِي مِنْ أَوْصَائِهِ ، وَأَرَى قَلْبِي مِنَ الْهَمِّ لَا يَنْفَكُ ذَا وَصَبِ
وداؤُهُ بَاطِنٌ ، لَا طِبَّ يَبْلُغُهُ إِنْ لَمْ يُدَارِكْهُ لَطْفٌ غَيْرُ مُحْتَسَبِ
وما الَّذِي نَالَهُ مِنْ دَائِهِ عَجَبٌ لَكِنْ سَلَامَتُهُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

(٢٢٠)

وقال ، وكتب بها إلى ابن أخيه شمس الدولة ، وقد سيره إلى مصر ،
لى الملك الصالح :

أَيَا غَائِبًا ، يُدْنِيهِ شَوْقِي عَلَى النَّوَى لَأَنْتَ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْفِكْرِ أَقْرَبُ
وما غَابَ مِنْ أَفْقَاهُ : عَمِي وَخَاطِرِي لَهُ مَطْلَعٌ مِنْ ذَا ، وَفِي تِلْكَ مَغْرَبُ
غَبَطْتُكَ نُعْمَى ، فُزْتُ دُونِي بَنِيْلَهَا وَغُرًّا ، لَهُ ذَيْلٌ عَلَى الشَّحْبِ يُسْحَبُ
جَوَارِكَ مَنْ يَحْمِي عَلَى الدَّهْرِ جَارَهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ جُودَهُ كَيْفَ يَطْلُبُ
هو الْبَحْرُ ، تَرَوِي الْأَرْضُ عِنْدَ سُكُونِهِ وَتَغْرُقُ فِي تَيَّارِهِ حِينَ يَغْضَبُ
فَنَنْ لِي لَوْ كُنْتُ الرَّسُولَ بِبَابِهِ لَتَبْرَدَ رُؤْيَاهُ حَشًّا تَتَلَهَّبُ
وَأَبْلَغَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَمَلِي لَهُ مِنْ الْعُمْرِ عَشْرًا ، كُلُّهَا لِي مُتَبِّبُ
فَارَقْتُ لِي فِيهَا نَسِيمُ أَصَائِلِي وَلَا رَاقَ لِي فِيهَا مِنَ الْهَمِّ مَشْرَبُ

ولولا رجاء الصالح الملك الذي به طال، واستعلى على الشرق مغرب
وأني سآوي من حماه إلى حمي يرى كل خطب دونه يتذبذب
لمت، وما موتي عجيب، وقد نأت بي الدار عنه ، بل بقائي أعجب

(٢٢١)

وقال ، وكتب بها إلى الوزير نظام الدين أبي الكرام المحسن بن الحسين بن
أبي المضاء (رحمه الله) في صدر كتاب :

وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رزيت بعد الديار من القرب
ولكن أياي قضت شتاتنا ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
ولو جمعتنا الدار بعد تفرق لكتنم من الدنيا ونعمتها حسنى

فوقف عليها الملك الصالح (رحمه الله) ، وأجاب عنها بهذه القصيدة :

من اليوم لا أغتر ما عشت بالحُب ولا أطلب العتي^(١) من الخل بالعَب
ولا أرتضى بالبعد من ذى مودة وأقع منه بالرسائل والكتب
ولا سبما إن قال لي متصنعا : ففارقكم جسمي ، وجاوركم قلبي
على أنني قد قلت حين أجبته بلا حشمة : ما أشبه العذر بالذنب
أخلاى ، لو رمت دنوا لما أبى سرى العيس^(٢) ، بل ركض المطهمة القَب
ولكنكم بعتم وفاء بغدره غداة اشتريتم وحشة البعد بالقرب
عليكم سلام الله ، إن بعادكم لأعظم ما قد كان من ذلك الخطب

(١) العتي : الرضا .

(٢) العيس : الإبل البيض يقال لها شفرة . والمطهمة : البارة الجال . والقَب : الخيل المرتفعة .

نُظَاهِرُ دُونَ النَّاسِ عِمَاسٌ^(١) بِالْحَرْبِ
نَجَى الْهَلْدَى مَا لَمْ يَنْلَهُ بَنُو حَرْبٍ^(٢)
مِنَ النَّاسِ فَوْقَ الْقَتْلِ وَالسَّيِّ وَالنَّهْبِ
دِمَاءَهُمْ ، لَاحَاطَهُ اللَّهُ مِنْ حِزْبِ
لِإِلَهِكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُوَ فِي الْكَلْبِ
وَلَا لَكُمْ فِيهَا جَرَى مِنْهُ مِنْ ذَنْبٍ
يُجَاذَرُ لَمْ تَدْنُو الصِّحَاحُ مِنَ الْجُرْبِ
عَلِيًّا ، فَلَمْ يُوقِظْ بِهَا نَائِمُ التُّرْبِ
كَأَيَّمَانَا ، لِمَا هَمَّتْ بِنْدَى سَكَبِ
تَضَاحِكُ فِي أَرْجَانِهَا أَوْجَهَ الشَّرْبِ^(٣)
بَنَانُكَ فِي تَقْوِيْفِ أِبْرَادِهِ الْقُشْبِ
بِمَسْرَاهُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ إِلَى الْغَرْبِ
إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَنَعْمَتِهَا حَسِي
عَلَى ظُلْمٍ ، أَشْمَى مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَيُخْلِفُهَا مِنْ جُودِنَا النَّيْلُ فِي الْجَدْبِ
بِأَوْطَانِنَا أَنْتَ الْعَنَاءُ لِلرَّبِّ
سُقْيَا ، إِذَا مَا أَخْلَفْتَ دَرَّةَ السُّحْبِ
بُكْرِهِ إِلَى جَدْبِ الْبِلَادِ مِنَ الْخَصْبِ
عَلَى الْوُدِّ مِنْكُمْ فِي بَعَادٍ وَفِي قُرْبِ

وَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا ظَنَّنَاهُ لَمْ نَكُنْ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْغَدْرِ مِنْ بَنِي
وَهْلٍ نَالَ مِنْهُمْ آلُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ
غَدَا وَالْغَا^(٤) كَالْكَلْبِ ظُلْمًا وَحَزْبُهُ
وَيَالَيْتَهُ ، لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِنَ الْوَفَا
وَحَاشَاكُمْ ، مَا خُتِمَ الْعَهْدُ مِثْلَهُ
وَمِنْ مِثْلِ مَا قَدْ نَالَكُمْ مِنْ دَنْبِهِ
وَمَا رَوْضَةُ غَنَاءٍ هَبْ نَسِيمُهَا
سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُزْنَةً
فَأَضْحَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحَوَانَ صَقِيلَةً
بِأَحْسَنِ ، بِمَجْدِ الدِّينِ ، مِمَّا تَصَرَّفَتْ
وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ أَضْحَى يَزُورُنَا
أَحْبَابِنَا ، يَا طَالَمَا كَانَ قَرَبُكُمْ
وَكُنْتُمْ إِلَى قَلْبِي ، إِذَا مَا لَقِينَكُمْ
تَرَكْتُمْ مُدُودَ النَّيْلِ ، يَرُوعِي بِهَا الظَّمَا
هُوَ الْآيَةُ الْعَظْمَى الَّتِي دَلَّ حُكْمُهَا
بِحَيْثُ الْأَمَانِي لَيْسَ تُخْلَفُ سَجْبُهَا
وَمَا اعْتَضْتُمْ مِنْهُمْ غَدَاةَ نُقْلَتُمْ
وَأَيُّ عَلَى مَا قَدْ عَهْدْتُمْ مُحَافَظَ

(٢) هم بنو أمية .

(١) هو الوزير عباس الصنهاجي . راجع المقدمة .

(٤) الشرب : الشاربون .

(٣) ولغ الكلب في الإلا : شرب ما فيه بأطراف لسانه .

أَحْبْتُ إِلَى أَخْلَاقِكُمْ ، وَأَعُدْتُكُمْ بِلاَ مَرِيَّةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْأَهْلِ لَا الصَّحْبِ
أَسَامَةُ^(١) لِي مِنْهُ اعْتِزَامُ أُسَامَةَ وَمَرْهَفُ^(٢) فِيهِ هَزَّةُ الْمَرْهَفِ^(٣) الْعُضْبِ
فَإِنْ تُبْعِدُوا عَنَّا ، فَنَحْفِظُ رَبَّكُمْ وَإِنْ تَقْرُبُوا مِنَّا فَنَحْفِظُ الرَّحْبِ

(٢٢٢)

وقال :

لَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمَشْتَتِ شَمَلَنَا فَأَصْبَحْتُ فِي شَرْقٍ ، وَأَمْسَيْتُ فِي غَرْبِ
لَقَدْ عَزَّهُ تَفْرِيقُ صَادِقٍ وَدَنَا وَأَعْجَزَهُ إِبْعَادُ قَلْبِكَ مِنْ قَلْبِي

(٢٢٣)

وقال ، وكتب بها إلى صديق له ، سأله السَّفارةَ عند بعض الأمراء ، لرجل
سأله ذلك ، فتأخر جوابه :

أَبَا الْبَرَكَاتِ ، لِي مَوْلَى جَوَادُ مَوَاهِبُهُ كَمَنْهَلِ السَّحَابِ
يُحْكَمُ فِي مَكَارِمِهِ الْأَمَانِي وَلَوْ كَلَّفْتَهُ رَدَّ الشَّبَابِ
فَمَا بَالِي أَرَى مَا أَبْتَغِيهِ بَعِيدًا عِنْدَ مُنْقَطِعِ السَّرَابِ
وَعَذْرُكَ فِي قَضَائِي قَضَاءُ يُصَرِّفُهُ ، فَمَا عُذْرُ الْجَوَابِ

(٢٢٤)

وقال :

لِي صَدِيقٌ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسَرِّي وَخَبَايَا صَدْرِي وَمَكْتُونِ قَلْبِي
لَا أَرَى دَوْنَهُ لَسَرِّي سِتْرًا فِي مُنَاجَاتِهِ وَمُضْمُونِ كُنِّي

(١) أسامة في أول البيت هو ابن مقلد ، ولفظ أسامة بعده يريد به الأسد .

(٢) هو مرهف بن أسامة .

(٣) المرهف : السيف الدقيق . والعُضْب : القاطع .

لو أَتَيْتَنِي صَحِيفَتِي فِي حَيَاتِي قُلْتُ : خُذْهَا ، فَانْظُرْ قَبَائِحَ ذَنْبِي
وهو إِنْ جَاءَهُ كِتَابُ طَوَاهُ وَطَوَاهُ عَنِّي أَطْرَاحًا لِعَتْبِي
وَأَرَى أَنْ كُتِبَهُ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ سَيِّئٍ ، وَغَيْرُ نَقِصٍ وَائِلِي
فلهذا عَذْرَتُهُ ، وَلَعَمْرِي إِنْ عَذِرِي لِمَوْلِي مِثْلُ ضَرْبِي

قافية الاء

(٢٢٥)

وقال^(١) :

وما أَشْكُو تَلَوْنَ أَهْلَ وُدِّي وَلَوْ أَجَدْتُ شَكَيْتُهُمْ شَكَوْتُ
مَلَلْتُ عَتَابَهُمْ ، وَيَأْسْتُ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجُوهُمْ فِيمَنْ رَجَوْتُ
إِذَا أَدُمْتُ قَوَارِصُهُمْ فَوَادِي كَظَمْتُ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَانْطَوَيْتُ
وَرُحْتُ عَلَيْهِمْ طَلَقَ الْحَبَا كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ
تَجَنَّبُوا لِي ذُنُوبًا مَا جَنَّبَهَا يَدَايَ ، وَلَا أَمَرْتُ ، وَلَا نَهَيْتُ
وَلَا وَاللَّهِ ، مَا أَضْمَرْتُ غَدْرًا كَمَا قَدْ أَظْهَرُوهُ ، وَلَا نَوَيْتُ
وَيَوْمَ الْحَشْرِ مَوْعِدُنَا ، وَتَبَدُّوْا صَحِيفَةً مَا جَنَوْهُ وَمَا جَنَيْتُ

قافية الشاء

(٢٢٦)

وقال ، وَكُتِبَ بِهَا إِلَى أَخِيهِ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ ، أَبِي الْمَغِيثِ مُنْقِذِ (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) :
أَيَا مُنْقِذِي ، وَالْحَادِثَاتُ تَنَوَّشُنِي^(٢) وَدَافِعَ هُمَى إِذْ تَرَادَفَ بَعَثُهُ
لِسَانِي عَنْ شُكْرِي أَيَادِيكَ مُفْهِمَ وَأَنْتَ ، فَأَعْلَى مِنْ ثَنَاءِ أَثْنُهُ

(١) رويت من هذه القصيدة في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٧) الآيات الأربعة الأولى .

(٢) النوش : التناول والطلب .

تَحَمَّلْتَ عَنِّي كُلَّ خَطْبٍ يَتَوَدُّنِي ^(١) وَنَاهَلْتَنِي ^(٢) عَيْشِي ، وَقَدْ بَانَ حُجْبُهُ
فَدَى لَكَ ، يَا طَوَّعَ الْإِخَاءِ أَمِينَهُ عَلَى غَيْبِهِ ، مُسْتَكْرَهُ الْوَدِّ رَثُّهُ
نَسِيٌّ لِمَا يُؤَلَّى ، وَمَا طَالَ عَهْدُهُ مُلُولٌ لِمَنْ يَهْوَى ، وَمَادَامَ لَبَنُهُ
وَمَا أَشْنَكِي شَوْقِي إِلَيْكَ تَجَلُّدًا عَلَى أَنَّهُ بَلْبَالٌ قَلْبِي وَبَنُهُ
وَقَاسَمَنِي قَلْبِي عَلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ وَلَا عَجَبٌ إِنْ بَانَ بِعَدَاكَ حِثُّهُ
وَمَا زَالَ يَذْنِبُهُ إِلَيْكَ حِفَاظُهُ وَغَدْرُ صُرُوفِ الدَّهْرِ عَنْكَ تَحْتُهُ
وَشَارَكَنِي فِيهِ هَوَاكَ ، فَهَمُّهُ وَأَفْكَارُهُ عِنْدِي ، وَعِنْدَكَ مُكْنَتُهُ
وَمَا ضَعُفَتْنِي الْحَادِثَاتُ ، وَإِنِّي كَعَهْدِكَ : وَغَرُّ الْخُلُقِ فِي الْخَطْبِ وَعَنْهُ
جَرَى عَلَى الْأَهْوَالِ ، وَالْمَوْتُ مُحْجِمٌ مَرِيرُ الْقَوَى ، وَالْدَّهْرُ قَدْ بَانَ نَكْتُهُ
كَظُومٌ عَلَى غَيْظٍ يَضِيقُ بِهِ الْحَشَا فَلَسْتُ ، وَإِنْ آدَ ^(٣) اصْطَبَارِي ، أَبْنُهُ
وَلَمْ أَرِثِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ كَلَالَةً وَلَكِنَّهُ عَنْ مُرْشِدٍ ^(٤) لِي إِرْتُهُ
عَنِ الْمُنْتَرَى أَخْلَافٌ ^(٥) دَهْرٌ تَسَابَهَتْ أَطَايِبُهُ ، إِلَّا عَلَيْهِ ، وَغَثُّهُ
تَدَاهُ رُبَيْعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَبِيهُ إِذَا أَخْلَفَ الْوَسْمَى جَادَ مُلْتُهُ ^(٦)
يُضَاعِفُ دَاءَ الْحَاسِدِينَ كَالْهُ عَلَى أَنَّهُ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ نَفْتُهُ

(١) الْأَرْدُ : الْإِحْتِمَالُ . وَيُقَالُ آدَى يَتَوَدُّنِي : أَتَقَلَّقُنِي .

(٢) التَّهْلَانُ : الزَّيَانُ .

(٣) الرَّوْحُوتُ : الشَّدَّةُ .

(٤) مُرْشِدٌ : جَدُّ أَسَاسَةٌ .

(٥) مَرَى النَّاقَةِ : مَسَحَ ضَرْعَهَا ، نَسَى : اسْتَخْرَجَهُ . وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ وَهُوَ النَّاقَةُ كَالضَّرْعِ لِلنَّاقَةِ

(٦) * الْكَتْ : دَوَامُ الْمَطَرِ وَالْبَدْيُ . وَأَلَتْ الْمَطَرُ : دَامَ أَيَّامًا لَا يَقْلَعُ . وَالْوَسْمَى : مَطَرُ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ .

(٢٢٧)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

يَا ثَانِيًا لِلنَّفْسِ ، وَفُو لِنَظَرِيٍّ أَعَزُّ نَالِثٍ
وَنَجِيٍّ فِكْرِي دُونِ سَا نِرٍ مِنْ أَنَاجِيٍّ أَوْ أَحَادِثٍ
أَشْكُو فِرَاقَكَ ، فَهُوَ أَوْ جَعُ مَالِقِيَّتٍ مِنَ الْحَوَادِثِ
شَكْوَى مَشُوقٍ يَسْتَرِيحُ إِلَيْكَ ، وَالْمَصْدُورُ نَافِثٍ
وَالْوَمُ دَهْرًا جَدًّا فِي تَسْتِيثِ شَمْلِي ، وَهُوَ عَابِثٍ
لِئِي عَلَقْتُ مِنْ اضْطِبَا رَى عَنْكَ أَسْبَابًا رَثَائِثٍ ^(١)
عَاهِدَتُهُ إِلَّا تُضَعُ ضَعْفُهُ النَّوَى ، وَأَرَاهُ نَاكِثٍ
وَكَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَخْطُرُ ذِكْرُكُمْ فِي كَفِّ ضَابِثٍ ^(٢)
وَبَقَايَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ خُطْبٌ ، لِعَمْرَأَيْكَ ، كَارِثٍ

قافية الدال

(٢٢٨)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة :

يَا مَنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَا نِيِ وَالتَّدَانِيِ فِي ازْدِيَادِ
أَصْبَحْتُ مُغْتَرِبًا لِبُعْدِكَ ، بَيْنَ أَهْلِ فِي بِلَادِي
مُسْتَوَحْشًا مَعَ كَثَرَةِ الْخُلَّانِ وَخَشَّةِ ذِي انْفِرَادِ
وَأَقْلُ مَالِقِيَّتُ بَعْدَكَ مِنْ تَبَارِجِ الْبِعَادِ
شَوْقِي إِلَيْكَ أَبَاحَ قَيْضِ مَدَامِعِي ، وَحَمَى رُقَادِي

(١) رث : بلى . (٢) ضبث به : قبض عليه بكفه .

(٢٢٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَسَاكَنَ قَلْبِي ، وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا وَإِنْسَانَ عَيْنِي ، وَالْمَزَارُ بَعِيدُ
تُمَثِّلُكَ الْأَشْوَاقُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ فَهَمِّي جَدِيدٌ ، وَالزَّرَاقُ جَدِيدُ
وَمُعْظَمُ هَمِّي أَنَّ عُمْرَ فِرَاقِنَا مَدِيدٌ ، وَعُمْرِي ، لِلشَّقَاءِ ، مَدِيدُ
فِيَا صَخْرُ ، مَا الْخِنْسَاءُ مِثْلِي ، وَلَا نَهَى بَوَادِرَ دَمْعِي مَا قَضَاهُ لَيْدٌ^(١)

(٢٣٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، وَافِي كِتَابِكَ شَاهِرًا صَوَارِمَ عَنَبٍ ، كُلُّ صَفْحٍ لَهَا حَدُ
فَقَابَلْتُ بِالْعُتْبَى مَضِيضَ عَنَابِهِ وَلَمْ يَتَجَهَّمْهُ الْحِجَاجُ وَلَا الْجَدُ
وَأَعْجَبَنِي عَيْي لَدِيهِ ، وَلَمْ أَزَلْ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَصِمِي لِي الْحِجْجُ اللَّهُ^(٢) ،
فِيَا حَبْدًا ذَنْبٌ إِلَيَّ نَسَبَتَهُ وَمَا خَطَأُ مِنِّي أَنَاهُ ، وَلَا عَمْدُ
وَلَوْ كَانَتْ مَا بُلَّغَتْهُ ، فَظَنَنْتَهُ لَكَفَّرُهُ حَقُّ الْأُخُوَّةِ وَالْوُدُ
فَاهْلًا بَعْنِبٍ تَسْتَرِيحُ بَيْتُهُ وَيُؤْمِنُنِي أَنْ يَسْتَمِرَّ بِكَ الْحَقْدُ
لَقَدْ رَاقَ فِي قَلْبِي ، وَلَدَّ سَمَاعُهُ بِسَمْعِي "فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ"

(٢٣١)

وقال :

أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي أَنَا سَاءَ صَحْبَتِهِمْ فَاحْظُوا عَهْدًا ، وَلَا رَاعُوا الْوُدَا
بِأَنِّي ، وَإِنْ حَالَتْ بِي الْحَالُ ، لَمْ أَقُلْ لَهُمْ وَاصِفًا شَوْقًا ، وَلَا شَاكِيًا وَجَدًا .

(١) يشير إلى قول ليد لابن أبيه :

إلى الحول ثم باسم السلام عليكما ومن بك حولا كاملا فقد اعتذر

(٢) عجز بيت لأبي فراس صدره ... سأسكت إجلالا لعلي أنه ...

خُذُوا بِزِمَامِي ، قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ رَجَوْعَ مُرِيدٍ ، لَا يَرَى مِنْكُمْ بُدًّا
وَلَكِنْ لِي الْأَعْوَاضُ فِي النَّاسِ مِنْكُمْ وَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَائِكُمْ أُنْدَى

قافية الراء

(٢٣٢)

وقال من قصيدة تقدم أولها ^(١) :

أَحِبَابَنَا ، خَطْبُ التَّفَرُّقِ شَاغِلٌ
لَأَسْرَعَ مَا حُلْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ بَعْدَمَا
وَلَا عَجَبٌ ، أَتُمْ بَنُو الدَّهْرِ ، مِثْلُهُ :
كَأَنَّكُمْ الدُّنْيَا : تَمُدُّ رَجَاءَنَا
مِلَّتُمْ ، فَلْتُمْ نَحْوَ دَائِيَةِ الْفَلَى
وَأَنَسَاكُمْ حَفْظُ الْعُهُودِ مَلَالُكُمْ
وَإِنِّي لَتَنِينِي إِلَيْكُمْ خَفِيطِي
وَأُكْذِبُ رَأْيَ الْعَيْنِ فِيكُمْ ، وَإِنَّكُمْ
أَسَاهِلُ فِيمَا رَابَ مِنْكُمْ ، وَدُونَ مَا
لَهَجْتُمْ بِهِجْرِي ، وَالْدِّيَارُ قَرِيبَةٌ
وَأَغْضَى تَجَنُّبِكُمْ جُفُونِي عَلَى الْقَدَى

عَنِ الْعَتَبِ لَكِنْ جَاشَ بِالْكَدِّ الصَّدْرُ
تَصَرَّمَ فِي حَفَظِي وَدَادُكُمْ الْعُمُرُ
عُهُودُكُمْ غَذَرُ ، وَوُدُّكُمْ خَتَرُ ^(٢)
بَزُنُحُفِهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهَا لَنَا قَصْرُ ^(٣)
وَحُتْمٌ ، فَدَتُمْ بِالَّذِي شَرَعَ الْغَدْرُ
”كَمَا قَدْ تُنْسَى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ“
إِذَا مَا ثَنَاكُمْ عَنْ مُحَافَظَتِي الْغَمْرُ ^(٤)
لَقَمَضُونَ فِي هَجْرِي بِمَا خَيَّلَ النِّكْرُ
أُوْمَلُ : مِنْ إِنْصَافِكُمْ مَسَلَكُ وَعَرُ
وَمَا قَرُبُ دَارِ حَالٍ مِنْ دُونِهَا الْهَجْرُ
إِلَى أَنْ تَقْضَى ذَلِكَ الزَّمَنُ النَّصْرُ

(١) انظر أول القصيدة ص ٧٢ .

(٢) الخمر : القدر والخديعة أو أقيع القدر .

(٣) قصر : غاية .

(٤) الغمر : من لم يجزب الأمور .

فلما تَفَرَّقْنَا أَتَانِي قَوَارِصُ بِهَا يَنْفُضُ الْأَحْلَاسَ ^(١) فِي السَّفَرِ السَّفَرُ
أَسْرَكْتُ أَنْ خِلْتُمْ الدَّهْرَ سَاءَنَا وَقَرَّتْ بِنَا ، لَا قَرَّتْ ، الْأَعْيُنُ الْخُزُرُ ^(٢)
وَجَاهَرُ بِالْشَّحْنَاءِ قَوْمٌ عَهْدُهُمْ يَسُوءُهُمْ ، لَوْلَمْ أَغِيبْ عَنْهُمْ ، الْجَهْرُ
وَأَصْغَيْتُمْ إِذْ لَمْ تَقُولُوا ، وَطَلَمَا تَعَرَّضَ فِي الْأَسْمَاعِ مِنْ ذِكْرِ الْوَقْرِ

(٢٣٣)

وقال ، وكتب بها في كتاب :

وَكِتَابٍ مِنْكَ فَاجَأَنِي كَبْشِيرٌ جَاءَ بِالظَّفَرِ
رَدَلِي شَرَحَ الشَّابَّ وَمَا غَالَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُمُرِي
ظَنَّهُ الرَّأْيُ مَكْتَابَةً وَهُوَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرَرٍ

(٢٣٤)

وقال :

يَا بَعِيدَا أَحَلَّهُ الشَّقُّ قَلْبِي وَنَاطِرِي
مَا نَأَى مَنْ خَيَالُهُ حَاضِرٌ فِي صَمَائِرِي
وَالْتَّنَائِي ، إِذَا صَفَا وَدُنَا ، غَيْرُ ضَائِرِ

(٢٣٥)

وكتبَ إِلَى أَخِيهِ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ مِنَ الرِّزْمِ بِطَرِي ^(٣) :

يُكَاثِرُ مَاءَ الرِّزْمِ ^(٤) عِنْدَ ادِّكَارِكُمْ دُمُوعِي ، وَلَكِنْ ذَا بَرُودٍ ، وَذِي قَطْرِ ^(٥)
وَلَوْ لَمْ أَعْرِهَا بَعْدَكُمْ كَلَّ مِنْ بَكِي لِأَعْظَمِهَا عَنْ أَنْ يُكَاثِرَهَا الْقَطَرُ

(١) المجلس : كساء على ظهر البعير تحت البردة . (٢) الأعين الخضر : الضيقة ، كناية عن الأعداء .

(٣) لعله اسم موضع . (٤) الرزم : واد في أرض أرمينية فيه ماء كثير يصب في دجلة (ياقوت) .

(٥) القطر : النحاس الذائب .

(٢٣٦)

وكتب إلى شمس الدولة ابن أخيه :

أشَمْسَ الدَّوْلَةِ ، اِسمع بَثَّ شَوْقِي يَضِيقُ بِمِثْلِهِ ذَرْعُ الصَّبُورِ
لَقَدْ أَوْحَشْتَ دُنْيَا ، كُنْتَ أَنْسَى بِهَا ، وَسَلَبْتَنِي رَغَدَ السُّرُورِ
إِذَا مَا الشَّمْسُ لَمْ تَظْهَرْ بِأَرْضٍ فَا طِيبُ الْحَيَاةِ بِغَيْرِ نُورِ
وَإِنْ أَصْبَحْتَ فِي خَلْدِي مُقِيًّا بِحَيْثُ يَجُولُ فِكْرِي مِنْ ضَمِيرِي
فَقُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنْ بَعَادٍ وَرُؤْيَا الْعَيْنِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ

(٢٣٧)

وكتب إليه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير^(١) من مصر

كاتباً افتتحه بهذه الأبيات :

أَحْبَابَنَا ، مَا مِصْرُ بَعْدَكُمْ مِصْرُ وَلَكِنَّا قَفْرٌ ، إِلَيْكُمْ بِهَا فَقْرُ
وَإِنْ تَحُلْ يَوْمًا بُقْعَةً مِنْ شُخُوصِكُمْ فَلَمْ يَحُلْ يَوْمًا مِنْ مَوَدَّتِكُمْ صَدْرُ
وَإِنْ تُنَنِّتُمْ عَنَّا الْمَهَامُ وَالسَّرَى تُقَرِّبُكُمْ مِنَّا الْمَوَدَّةُ وَالذِّكْرُ
رَحَلْتُمْ ، فَعَادَ الدَّهْرُ لَيْلًا بِأَسْرِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بِأَوْبِنِكُمْ بَحْرُ
تَرَى فَاضَ مَا أَلْقَى مِنَ الِهْمِّ وَالْأَسَى لِبَعْدِكُمْ ، فَاسْوَدَّ مِنْ صِبْغِهِ الدَّهْرُ
وَكَيْفَ أَلَوْمُ اللَّيْلِ إِنْ طَالَ بَعْدَكُمْ وَقَدْ غَابَ عَنِّي مِنْكُمُ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

فكتب إليه جواباً عنها :

تَذَكَّرُهُ أَحْبَابَهُ الْإِنْجُمُ الزُّهْرُ فَيَا وَيَحْهَ مَاذَا بِهِ صَنَعَ الذِّكْرُ
هَمْ مِثْلُهَا : بُعْدًا ، وَنُورًا ، وَرَفْعَةً وَلَكِنْ لَهَا ، إِذْ شُبِّهَتْ بِهِمْ ، الْفَخْرُ

وقد كنت أشكو هجرهم في دنوهم فن لي لو دام التّداني والهجر
سقى مصر جود الصّالح الملك ، إنّه هو الوابل المحي البريّة لا القطر
ففيها كرام أسعروا بجوانحي ببغدهم جمرأ ، به يحرق الجر
ومن عادتي الصبر الجميل ، وليس لي على بعدهم ، لادرّ درّ النوى ، صبر
إذا ما "أمين الدين" عن أذكّاره ذهلت ، كأني خامرت ليّ الخمر
يذكرنيّه الفاضلون ، وإن غدوا جدّاول إن قيسوا به ، وهو البحر
إذا حضر النّادى فرضوى رجاحةً وإن قال فالدرّ المنظم والسحر
ويعجني منه تدفق عليه وأعجب منه كيف يجمعه صدر
تناعت بنا الدّاران ، والأود مضقب^(١) فللقرب شطر ، والبعد له شطر
كأنّ اللّيل إذ قضت بفراقنا قضى جورها أن ليس تجمعنا مصر
أحلّ بها إن غاب عنها ، وإن أغب يحلّ بها ، فاعجب لما صنع الدهر
فليت تلاقينا ، ولو بعض ساعة يُحم^(٢) وشيكاً ، قبل أن ينفد العمر
لأحظى برؤياه ، وأشكر منه^(٣) وإن لم يقم عني بواجبه الشكر

(٢٣٨)

وكتب في صدر كتاب :

لأشكرنّ اهتماماً منك يذكرني في البعد ، حتّى كأني مضقب الدّار^(١)
عدت عنه ، فإنا أنكرت خلّته^(٢) مع التّاني ، وكما أنكرت من جار

(٢) حم الأمر بالضم : قضى .
(٤) الخلة بالضم : الصداقة .

(١) أصقت دارهم : دنت .
(٣) المن : الإنعام .

(٢٣٩)

وكتب إلى أخيه بهاء التّولة :

أصبحتُ بعدك يا شقيقَ النَّفسِ في بحرٍ من الهمِّ المبرِّجِ زَاحِرٍ
متفرِّداً بالهمِّ ، مَنْ لى ساعةٍ بِرِفاقٍ شَعِيّاً ، أو عُلالةٍ دَاهِرٍ
دَاهِرُ : صاحبُ للوزير الكامل أبي القاسم بن المغربي (رحمه الله) الذي
يقول فيه :

كفى حَزناً أَتَى مقيمٌ ببلدةٍ يُعلِّني بعدَ الأحبةِ دَاهِرُ
يحدِّثني ممَّا يُجمَعُ عقله أحاديثَ منها مستقيمٌ وجَانِرُ
وشعياً : صاحبُ للقاضي أبي المجد بن سليمان المعري (رحمه الله) الذي
يقول فيه :

لقد ولَّى زمانٌ نحنُ فيه فسقياً للحكامِ به ورُعياً
إساراً بين أتراكٍ ورومٍ وفقدُ أحبةً، ورفاقُ شعياً

قافية السين

(٢٤٠)

وقال ، وكتبها في كتاب :

كُتِّبِي ، ولولا أنْ يَأْسَى قد نَهَى اش
وبعدُ ، فعندي وحشةٌ لو تَقَسَّمتْ
نِياقي ، لَذَابَ الطُّرسُ من حَرِّ أَنْفَاسِي
على الخَلْقِ ، لم يَسْتَأْنِسِ النَّاسُ بالنَّاسِ

قافية العين

(٢٤١)

وكتب إلى أبيه :

مَالِي وَلِلشُّفْعَاءِ فِيمَا أُرْتَجِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فِيَّ ، وَهُوَ شَفِيعِي
أَعَدَّتْ لِي مِنْ جُودِ كِفْلِكَ مَوَدِي فَصَفَا ، وَأَمْرِعَ مِنْ نَدَاكَ رَبِّيعِي
وَبِكَ اعْتَلَيْتُ ، وَطُلْتُ^(١) مِنْ سَامِيَتِهِ نَفْرًا يَجِدُكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِي
وَقَضَى بُبُعْدَى عَنْكَ دَهْرٌ جَائِرٌ وَإِلَى جَنَابِكَ ، إِنْ سَلِمْتُ ، رُجُوعِي

(٢٤٢)

وكتب في صدر كتاب إلى الوزير نظام الدين :

نِظَامَ الدِّينِ ، لَا سُبْحًا نَخْطِبُ رَمَانًا بِالنَّوَى بَعْدَ اجْتِمَاعِ
عَدَا حَتَّى عَلَى حُسْنِ اضْطِبَارِي وَضَنَّ عَلَى حَتَّى بِالْوَدَاعِ
فَمَا قَلْبِي لُسُلُوَانٍ مُطْبِعُ وَلَا السُّلُوَانُ عَنْكَ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَوْ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ حَتَّى أَبُوكَ مُضْمَرُ الْقَلْبِ الشَّعَاعِ^(٢)
لَسَرَّنِي الْإِمَانِي أَوْ لَسَرَّتْ^(٣) جَوَى قَلْبِي ، لُبْعِدِكَ ، وَالتَّبَاعِي^(٤)

قافية الفاء

(٢٤٣)

وكتب إلى ولده مُرْهَف :

مُوَاصِلِي كُتْبِي إِلَيْكَ تَزِيدُنِي إِلَيْكَ اهْتِنَاكًا ، بَلْ عَلَيْكَ تَأْسُفًا
وَلِي أَسْوَةٌ فِي النَّاسِ لَوْ نَفَعَ الْأُمِّي فَمَنْ قَبْلَنَا يَعْقُوبُ فَارَقَ يُوسُفًا

(٢) قلب شعاع : تفرقت همه وآراؤه ، فلاتجه لأمر جزم .

(٤) الاتباع : الاحتراق من الهم .

(١) طلت : كنت أطول منه .

(٣) من سرتى عنى الهم .

ولكنّ نفسي قد تملّكها الأسى وقلبي ، إذا سكّته بالأسى هفاً
وما أحسب الأيام تقنعُ باللوى ولا أن صرف الدهر بالفرقة اشتنى

(٢٤٤)

وقال ، من قصيدة تقدّم أولها ^(١) :

وابترّني رأى عزّ الدين ، مُستلباً من بعدما عني إحسانه وضفاً ^(٢)
أضافي عنبه هماً شجيتُ به أبان عن ناظري طيب الكرى ونفى
أنته عني أحاديثٌ مُزخرقة ما إن بها عنه ، وهو الأملئ ، خفاً
لكنّها وافقت من قلبه مللاً لم يهتبن صحّة الدعوى ، ولا كشفاً
وما الرضا ببعيد من خلائقه وهي السلافة راقت رقةً وصفاً

ومنها :

يامن حوى قصبات السبق أجمعها فما يرى اثنان في تفضيله اختلفاً
أنفقتُ مذهب عمرى في رضاك ، وما رأيت مُنقَ عُمرٍ واجداً حلفاً
لكنني اعتضتُ منه حُسن رأيك لي فليت منه العلا والعزّ والشرفاً
حتى إذا أنا ما ثلث النجوم عللاً وقلتُ : قد نلت من أيامي الزلفاً ^(٣)
أريتني ، بعد بشر ، هجرةً وقلّي وبعد برّ ولطفٍ ، قسوةً وجفاً
فعدتُ صفر يدٍ مما ظفرتُ به كأنّ مانلته من كنيّ اختطفاً
هني ^(٤) أتيتُ بجهل ما قدفتُ به فأين حلّك ^(٥) والفضل الذي عُرِفاً

(١) انظر أول القصيدة ص ٢٧ . (٢) النعمو: السبق والكثرة . (٣) الزلف : جمع ذلقة وهي القرينة .

(٤) هذا البيت وتالياه رواهما أسامة أيضاً في باب الآداب ص ٣٨٠ .

(٥) رواية باب الآداب (فأين فضلك والحلم ...) .

ولاً، ومن يعلم الأسرار حلفاً من
ما حدثتني نفسي عند خلوتها
لكنها شقوة حانت ، وأقضية
تداولتني أمور غير واحدة
وأقصدتني^(١) سهام الحاسدي على
وبعد مانائي ، إن جدت لي برضا
وذاك ظني ، فإن يصدق فانت لما
حاشاك تغدو ظنوني فيك محففة
وجئت من زماني حسن رأيك لي
ألفت منك حنوا منذ كنت ، وقد
وغير مستنكر منك الحنو على
فعد لأحسن ما عودت من حسن
واسلم لنا ثالثا للتبرين علأ
أيامنا بك أعياد بأجمعها

ير فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا
بما تعفني فيه إذا انكشف
حبتي الهم مد عامين والأسفا
لو حمل الطود أدنى ثقلها نسفا
فوزي بقربك حتى قرطسوا^(٢) الهدفا
فقد غفرت لدهري كل ما سلفا
رجوت أهل ، وإن يتحقق فوا أسفا
أو ينثني أمني باليأس منصرفا
أكرم بها جنة ، لا البيض والزغفا^(٣)
فقدته ، وشديد فقد ما ألفا
مثلي ، ولو زاع يوما ضلة ، وهفا
يامن إذا جاد وفي ، أو أذم^(٤) وفي
وزد إذا نقصا ، واشرف إذا كسفا
قدم لنا ما دجا ليل ، وما عكفا

(٢٤٥)

وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدم أولها^(٥) :

لكنني أشكو قوارص من تلقائهم ، قلبي لها يجف
وملاة منهم بيبين على أثنائها الشان والشنف^(٦)

(١) أقصد السهم : أصاب ، فقتل مكانه . (٢) قرطس ، أصاب القرطاس ، وهو كل آدم ينصب للنضال .

(٣) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة ، أو الرقيقة الحسة اللال .

(٤) أذم له عليه : أخذه له الذمة ، وفلانا : أجاره .

(٥) انظر القصيدة ٢٩ وأولها : (باحت برك آدمع تكف) .

(٦) الشنف بالتحريك : البفض والتسكر . والشان : البفض .

أَنْكَرْتُ قَسَوْنَهُمْ ، وَأَعْرَفُهُمْ كُرَمَاءَ ، إِمَّا اسْتَعْطَفُوا عَطَفُوا
قَطَعُوا أَوَاصِرَ بَيْنِنَا وَشَجْتُ أَسْبَابَهَا الْأَنْسَابُ وَالسَّلَفُ
وَإِذَا سَلِمْتَ ، أَبَا سَلَامَةَ ، لِي فَصَابُ كُلِّ رِزِيَّةٍ ظَلَفُ^(١)
لِي سَلَوَةٌ بِكَ عَنْ بَنِي زَمَنِي فَلِيَجْهَدُوا فِي الْغَدْرِ ، أَوْ لِيُقُوا
قَارَعَتْ دُونِي الْحَادِثَاتِ ، فَلَا طَرَقَتْ فَنَاءَكَ ، مَادَجَا السَّدَفُ^(٢)
وَكَفَيْتَ آمَالِي بِجُودِكَ أَنْ تُضْحِي إِلَى الرَّغَبَاتِ تَشْتَرُفُ^(٣)
فَعَدَوْتُ لِأَخْطَبًا أَخَافُ ، وَلَا أَنَا لِأَثَرِ شَيْءٍ فَانَتْ أَسْفُ

قافية القاف

(٢٤٦)

وقال ، يخاطب والده من قصيدة تقدم أولها^(٤) :

يَابْنَ الْأُلَى جَمَعَ الْفَخَارَ لِبَيْتِهِمْ مَا شَتَّوْهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَفَرَّقُوا
وَتَمَلَّكُوا رَقَّ الْأَكْرَامِ بِالَّذِي فَكُّوا بِهِ رَقَّ الْعُنَاةِ^(٥) ، وَأَطْلَقُوا
أَشْكُو إِلَى عَلَيْكَ هَمًّا ضَاقَ عَنْ كَتَمَانِهِ صَدْرِي ، وَمَا هُوَ ضَيِّقُ
وَطَوَارِقًا لِلْهِمِّ . أَقْرَبِيهَا الْكَرَى^(٦) وَتَلَطُّ^(٧) بِي صُبْحًا ، فَمَا تَتَفَرَّقُ
لَوْ لَمْ أَمْنِ النَّفْسَ أَنَّكَ كَاشَفُ كُرْبَاتِهَا عَنْهَا لَكَادَتْ تَزْهَقُ
أَنَا عَائِدُ بِكَ مِنْ عُقُوقٍ مُحِيطُ عَمَلِي ، فَعَصِيَانِي لِأَمْرِكَ مُوَبِّقُ^(٨)

(٢) السدف : القلعة .

(١) الظلف : كل مين .

(٤) انظر ص ٨٧ .

(٣) تشترف : تتطلع .

(٦) أى أى أجل النوم قراها .

(٥) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٧) لظ بالمكان والظ به والظ عليه : أقام وألح . والإلفاظ : لزوم الشيء . والمتابعة عليه .

(٨) أروقه : أهلكه .

لا تَلْزِمَنِي بِالْهَوَايِبِ وَحَمَلِهِ
دَعْنِي وَقَطِّعْ الْأَرْضِ دُونَ مَعَاهِرِ
تَغْلِي عَلَى صُدُورِهِمْ ، مِنْ غَيْظِهِمْ
تَعَشَى إِذَا نَظَرُوا إِلَى عُيُونِهِمْ
كَسَدَتْ عَلَى بَصَائِعِي فِيهِمْ ، فَلَا
أَعْيَا عَلَى رِضَاهُمْ ، فَيَلَسْتُ مِنْ
إِنْ أَغْشَاهُمْ ، قَالُوا : خَلُوبٌ ^(٤) ، مَا ذِقُ ^(٥)
قَدْ أَفْسَدُوا عَيْشِي عَلَى ، وَعَيْشَهُمْ
فَاسْمَحْ بِيُعْدِي عَنْهُمْ بِرِضَاكَ لِي
فَلَعَلَّ بَعْضَ الْعُمَرِ ، وَهُوَ أَقْلُهُ
وَعَسَى قُلُوبٌ أَعْضَلَتْ أَدْوَاهُهَا
فَضَلُّ الْأَقَارِبِ بِرَّهِمْ وَخُوتِهِمْ
أَتَظَنُّي أَرْجُو عَوَاطِفَ وَدَّهِمْ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ هِنَاتٌ فِي الْحَشَا
لَا تَغْتَرِّزْ بِرَجَائِهِمْ أَنْ يُحْسِنُوا
خُذْ مَا تَرَاهُ ، وَدَعْ أَحَادِيثَ الْمُنَى
وَأَغْثْ ، فَإِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزَّبْيَ ^(٨)

إِنَّ احْتِمَالَ الْهَوْنِ ^(١) ، فَعَلَّ مُرْهَقُ
كُلُّ عَلَى لَيْسَ جُرْمٍ مُحَقِّقُ ^(٢)
فَتَكَادُ مِنْ غَيْظٍ عَلَى تَحَرُّقُ
حَتَّى كَانَ الشَّمْسُ دُونِي تُشْرِقُ
أَدْبَى ، وَلَا نَسَى ، عَلَيْهِمْ يَنْفَقُ ^(٣)
إِدْرَاكِه ، مَا النَّجْمُ شَيْءٌ يُلْحَقُ
أَوْ أَجْفُهُمْ ، قَالُوا : عَدُوٌّ أَزْرُقُ
فَأَنَا الشَّقِيُّ بِهِمْ ، وَبِئْسَ شَقَوَا
إِنَّ الَّذِي رَضَى عَلَيْهِ مُوَفَّقُ ^(٤)
أَلَّا يُكَدِّرَ بِالْمُحْمَرِ ، وَيُمَذِّقُ ^(٥)
فِي قُرْبِنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ تُفَرِّقُ ^(٦)
فَإِذَا جَفَوْنِي فَلَا بَاعِدُ أَرْفَقُ
إِنِّي إِذَا عَبْدُ الْمُطَامِعِ ، أَنْزَقُ
مِنْهَا نُدُوبٌ ^(٧) ، مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقُوا
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رَجَاءٍ يُخْفَقُ
إِنَّ الْأَمَانِي فِيهِمْ لَا تَصْدُقُ
حَقًّا ، وَأَدْرِكُنِي قَيْلَ أَمْرُقُ

(١) الهوان : الهوان . (٢) الحق : الغيظ . (٣) حق : راج .
(٤) خلبه كخصره خلبا وخبلا وخبلا بكسر الأخيرين : خلعته . (٥) مذق الود : لم يخلصه .
(٦) أفرق من مرضه : برى . (٧) ندوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .
(٨) الزبي : جمع زبية وهي الزاوية .

وكتب إليه من قصيدة تقدم أولها^(١) :

إني ، بحمقك مجد الدين تعلم أن الصبر عنك أو السلوان من خلقي
أو أنني بعد بعدى عنك مغلط بالعيش ، إني به ، لا تكذبني ، شقي
يا ويح قلبي من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ماذا من نواك لقي
وناظر قرحت أجنانه أسفا عليك في لحظة من دمه غرق
وبعد ما بي ، فإشفاقي يهددني بشوب رأيك بالتكدير والرتي
وأن قلبك قد رأت عليه من الـ وأشين بي جفوة، يهماء ، كالغسق^(٢)
ونافسوني في حسنى ظنونك بي حتى غدوت وسوء الشك في نسبي
بهم تباريح أشواق إليك ، وما أجن : من زفراي بالحوى نطن
أما كفاهم نوى دارى ، وبعدك عن عني ، وفرقة إخوان الصبا الصديق
وأنتى كل يوم قطب معركة دريئة السمر والهندية الذلي^(٣)
أغشى الوغى مفردا من أسرتى ، وهم هم إذا الخيل خاضت لحظة العلق^(٤)
هم المحامون ، والأشمال مسلمة والملتقون الردى بالأوجه الطلق
وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يُغيره كيسي^(٥) ولا حمقى
ولمّا قالة جاءت ، فضاقت لها صدرى ، ولو غيرك المعنى لم يضق
كذبها ، ثم ناجتني الظنون بأن الدهر ليس بمأمون ، فلا تتق

(١) انظر ما سبق ص ٨٩

(٢) اليهياء : الغلاة لا يتدى فيها . والأليم : من لا عقل له ولا فهم . والنسق : ظلة أول الليل . وران

مل قلبه : غلب .

(٣) الدريئة الخلفة ينظم العطن والرى عليها . والسمر : الرماح . والهندية : السيوف . والفاق : الحادة .

(٤) العلق : الدم .

(٥) الكيس : العقل .

كم قد أغص بما^(١) تمرى مذاقته ونقص البارد السلسال بالشرق
توقع الخوف من أنت آمنه قد تنكأ الكلم كف الآسي الرفق
فقلت : مالي وكنتي ما تخالحنى فيه الظنون كفعل المغضب الملق^(٢)
أدعولمابي صدى صوتى وموضع شكـ وائى وحامل ثقلى حيث لم أطق
فإن يكن ما نمتى زوراً ، وأحسبه فعنده العفو عن ذى الهفوة العقي^(٣)
وإن يكن ، وأحاشى إجمده ، تلجت عتبه حرّ حشاً بالهمّ مُحترق
هو الأبى الذى تخشى بواذره ويرنجى عفوهُ فى سورة الحنق
عتبه تلقى ذنوبى قبل معذرتى وماء وجهي مصون فيه لم يرق
لا غيرت رأيه الأيام فى ، ولا نالت مكافئ منه لقعة^(٤) الحدق

(٢٤٨)

وقال^(٥) :

أحبابنا ، هلا سبقتم بوصلنا صروف اللبالي قبل أن نتفرقا
تساغتم بالهجر ، والوصل ممكناً وليس إلينا فى الحوادث^(٦) مرتقى
كأننا أخذنا من صروف زماننا أماناً ، ومن جور الحوادث^(٧) موثقاً

(١) مرئ الطام فهو مرئى : هنى . (٢) الملق : الضيف .

(٣) الملق : الملق . (٤) قطع فلا يبه أصابه بها .

(٥) هذه القطعة مما يروى لأسامه فى تحريده القصر ١ : ١٠٣ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٢٠٥ .

(٦) فى التحريده ومعجم الأدباء (الحوادث) .

(٧) هذه رواية المصبرين السابقين فى الأصل " اللبالي " وبما أثبتنا يستقيم الوزن :

(٢٤٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

بَعُدْتُ مَسَافَةً بَيْنَنَا ، وَتَوَحَّشْتُ حَتَّى عَلَى طَيْفِ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
وَيَسْتُ مَنْ أَنْ نَلْتَقَى ، لَكُنِّي أَلْقَى تَذَكُّرُكُمْ بِقَلْبِ خَافِقِ
وَأُغِيضُ الْعِبْرَاتِ ، وَهِيَ فَرَانْدُ مِنْ لَوْلُو ، فَتَفِيضُ سَطِّ عَقَائِقِ

(٢٥٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، لَوْلَا التَّلَلُّ بِالْمُنَى قَضَى كَمَدًا قَلْبُ إِلَيْكَ مَشُوقِ
إِذَا مَا اعْتَرَتْهُ ذُكْرَةُ مِنْكَ خَلَتْهُ جَنَاحًا وَهِيَ عَظَاهُ ، فَهُوَ خَفُوقِ
يَزِيدُ اشْتِيَاقًا كُلَّمَا زَادَ يَأْسُهُ فَيَا عَجَبًا لِلْيَاسِ كَيْفَ يَسُوقِ
وَمَا سَاءَ نِيَّ أَتَى لِبَعْدِكَ جَارِعُ لِأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ عَنْكَ عُقُوقِ

(٢٥١)

وكتب إلى أبيه :

لَا تُفْسِدَنَّ نَصِيحَتِي بِشِقَاقِ وَأَبِيكَ مَا السَّلْوَانُ مِنْ أَخْلَاقِ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى أَنْ أَسْلُو ، فَلَا فَكَّ السَّلْوُ مِنَ الْغَرَامِ وَثَاقِ
لَا تَرْجُونَ لِي الشِّفَاءَ مِنَ الْجَوَى وَالْيَاسُ كُلُّ الْيَاسِ مِنْ إِفْرَاقِ^(١)
كَيْفَ الْإِفَاقَةُ لِلدَّبِغِ أُنْجَى الْهَوَى مِنْ دَانِهِ ، وَالسَّمُّ فِي الدَّرِيَّاقِ^(٢)
سُقْمُ الْجَفُونِ سَقَامُهُ ، وَشِفَاؤُهُ فِيهَا ، فَهِيَ الدَّاءُ ، وَهِيَ الرَّاقِ

(٢) الدرياق : الترياق .

(١) أفرق المريض والمحموم : برئ .

وأغن^(١) راعني النوى بفراقه
أخلو بأفكارى ، لتدني شخصه
وأكرر التسأل عنه لجاهل
فإذا تسامح لى الزمان بقربه
بانته وجدى ، وقلت : يرق لى
ويلومني فيه رفيق يدعى
إيها ، كلانا يشكى حر الهوى
أنت استضأت بناره متبصراً
أتلومني بعد الهبوب من الكرى
لأدر درك ، سوف يفردك الهوى
أسلمتني للوجد ، إن أرضاك أن
إن جرت عن نهج الكرام فرشد^(٢)
فاعمد لمجد الدين ، تلق المجد ما
فإذا وصلت إلى أغر محجب
فاربج بربح لا يزال تزيله
وابلغ نحية نازج قدفت به
قد كان بالشأي يعرف برهة
أنضى الوجيف^(٣) ركا به وجياده

ولكم بفعت ، ولا كذا ، بفراق
خدع المني من قلب الخفاق
علمي ، وتلك علالة المشتاق
من بعد بيني فرقة وشقاق
فأجابني بالصمت والإطراق
نصحي ، أضاع النصيح حق رفاقي
لكن جهلت تباين العشاق
وأنا صليت بجمره المحراق
وحشاك مثلج ، ودمعك راق
مني ، فلا تتعجلن فراق
أضني ، فكل رضاي أنك باقي
لك مرشد بمكارم الأخلاق
لاقيته ، أكرم به من لاق
مخلوقة كفاً ، للإتفاق
حسن الشاء ، وخشية الخلاق
أبدى النوى في أسحق الآفاق
من دهره ، والآن فهو عراق
فكأنهن قلاند الأعناق

(٢) جد أسامة .

(١) غني أغن : يخرج صوته من خياشيه .

(٣) الوجيف : ضرب من مير الخليل والإبل .

وهو الجليدُ على حُطوب زمانِه لا يشتكى منها سوى الأشواق
 ينزو لذكر أبي سلامة قلبُه فيكادُ يمرقُ من حشا وصفاقٍ^(١)
 واهتف به : يا خيرَ من أرجوه إـ الاواء^(٢) أو أدعوه يومَ تلاقِ
 بي لوعتانِ عليك يضعفُ عنهما جَلدي : من الأشواقِ والإشفاقِ
 فالشوقُ أنتَ به العليمُ ، وغالبُ الإِ شفاقٍ مما أنتَ في مُلاقِ
 وإذا أخطأتك الحادثاتُ ، فكلُّ ما ألقاهُ محمولٌ على الأحداقِ
 فأجابه ، رحمه الله ، بقصيدةٍ أولها :

أَتَظُنُّ أَنِّي بَعْدَ بُعْدِكَ بَاقٍ أَجْزَى عَنِ الْأَشْوَاقِ بِالْأَشْوَاقِ
 يقول فيها :

أَبَا المَظْفَرِ دَعْوَةٌ تَشْفِي الظَّمَا مِنِّي ، وَإِنْ أُخِمِّي بِهَا إِحْرَاقِ
 لَمْ أُسْتَكِنْ أَبَدًا لَخَطْبِ نَازِلٍ إِلَّا لِبُعْدِكَ ، فَهُوَ غَيْرُ مُطَاقِ
 فَإِذَا أَطَعْتُ الْوَجْدَ فَيْكَ أَطَاعَنِي قَلْبِي ، وَيُبْدِي ، إِنْ عَصَيْتُ ، شِقَاقِي
 فَإِذَا ذَكَرْتُكَ خِلْتُ أَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٌ ، سَقَاهُ مِنَ الْمُدَامَةِ سَاقِ
 قَالَ : ووقف مؤدبُ الشيخِ الحلي أبو عبدِ الله محمدُ بنُ يوسفَ المعروف
 بابنِ المنيرةِ ، رحمه الله ، على القصيدة ، فأجابني عنها بقصيدةٍ أولها :

يَا رَاكِبَ الشَّدْنِيَّةِ^(٣) الْغَيْدَاقِ^(٤) وَمُتَابِعَ الزَّمَلَانِ^(٥) بِالْإِعْنَاقِ
 فِي فِتْنَةٍ وَصَلُّوا الْبَرَى حَتَّى انْبَرَتْ أَجْسَامُهُمْ أَخْفَى مِنَ الْأَرْمَاقِ

(١) الصفاق (كتاب) : الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو ما بين الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله .

(٢) الاواء : الشدة . (٣) الشدنيات محرّكة من الإبل منسوبة إلى موضع باليمن أو غل .

(٤) الغيداق : الطويل .

(٥) زمل يثمل (بضم الميم وكسر الهاء) : عدا معتمداً في أحد شقيه راضاً جنبه الآخر . والإعناق : الإمراع .

من كل مهتز بكف نعاسه هز الوليد ثنائة المخراق^(١)
 وضع الثعاس على الألف خدودهم فكأنهم خلقوا بلا أعناق
 إماما بلغم سالمين ، فبلغوا أوفى تحية مشيم لعراق
 وتوسموا ذاك الحياء ، وامترؤا تلك البنان مفاتيح الأرزاق
 من آل منقذ الذين يرأصهم ملأى من الزوار والطراق
 اللابسين من المكارم جنة ما للعاب غيرها من واق
 يتهاون لدى النوال ، وفي الوغى يسطون بالإرعاد والإبراق
 يأبها المولى الذى بعباده غنى ، قربت من الردى المعتاق
 لى أنه الشاكي الشجى لما به إماما ذكرت ، ولوعة المشتاق
 وإذا الجفون نظرن بعدك زهه عاقبتن بدمعى المهرق
 لا تطلبن منى المسرة؛ إنها عذراء ، قد متعتها بطلاق
 أما أبوك فداؤه مستحکم ما إن له بسواك من إفرق^(٢)
 كيف السلو له ، وأنى صبره عن مصطفى بمكارم الأخلاق
 ذو مهجة تنزو إليك ، ومقلة تبكى عليك إليك بالأسواق
 لما علمت بعجزه عن نظم ما ينهى إليك ، وذاك باستحقاق
 أحریت طرفى فى سباقك دونه وعهدته أبداً من السباق !
 وبذلت جهدى بالنيابة عنه بالانزاع القليل من الكثير الباقي
 جرياً على شغنى بكم ، ومحبتى لكم وحفظ العهد والميثاق

(١) المخراق : المندبل يلف لضرب به . والثانية حبل من صوف أو شعر أو غيره .

(٢) أفرق : بىء .

(٢٥٢)

وكتب إلى أخيه عز الدولة ، رحمه الله :

قد كنتُ أحسبُ أن آ مد^(١) مُتَهَى أمد الفراق
وَأَسْكُنُ الْقَلْبَ الْخَفُو قَ إِلَيْكُمْ بِمَنَى التَّلَاقِ
وأقولُ : قد رَقَّ الزَّما نُ لِبِرْجِ وَجْدِي واشْتِياقِي
وإذا بِهِ مُسْتَصْغِرٌ ما قد لَقِيتُ ، وما أَلَقِي
يَقْضِي بِتَشْتِيِي وَإِ جاءَ اللَّقاءُ إِلَى التَّلَاقِ^(٢)

(٢٥٣)

وكتب إلى الأمير السيد ضياء الدين ، أبي عبد الله ، زيد بن محمد بن محمد
ابن عبيد الله الحسيني ، نقيب الطالبين بالموصل :

ضياء الدين ، ما شوقُ دَعَانِي فاسمَعَنِي بِمَصْرَ مِنَ الْعِرَاقِ
بمَحْدُودٍ ، فأشْرَحَهُ ، ولا فِ قُوى الْأَفْلامِ تَسْطِيرُ اشْتِياقِي
ولَكِنِّي سَأَرْجُوهُ ، وأَرْجُو مُشَافَهَتِي بِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ
إذا ما كُنْتُ جَارَكَ ذَا اشْتِياقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ بِي بَعْدَ الْفِرَاقِ
ولِي شَكْوَى مِنَ الْأَيَّامِ أَصَحَّتْ لَهَا نَفْسِي تَرَدَّدُ فِي التَّرَاقِ^(٣)
أَكَلْتُ مِنْ أَذَاهَا فَوْقَ وَسْمِي وَأَحْمَلُ كَارِها غَيْرَ الْمُطَاقِ
وَيَلْزَمُنِي الْإِبَاءُ الصَّبْرَ فِيمَا يَنْوَبُ ، وطَعْمُهُ مَرُّ الْمَذَاقِ
ومَغْفُورٌ لَهَا ، إنْ أَسْعَفَتْنِي بِقُرْبِكَ ، ما لَقِيتُ ، وما أَلَقِي

• (١) آمد : أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدرا ، وأشهرها ذكرا . (باغوت) .

• (٢) يريد يوم التلاق : يوم القيامة .

• (٣) التراق : جمع ترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيثما يترق فيه النفس .

وكتب إليه الملك الصالح رحمه الله هذه القصيدة بخط يده^(١) :

أيها المستفدى^(٢) ، أنت على البعد صديق لنا ، ونعم الصديق
ليس فيما تأتيه من برّ أفعاك لك للطالب الحقوق عُقوق
فلهذا نرى مواصلة الكتب تباعاً إليك مما يليق
ونناجيك بالمهمات إذ أنت بالقاء إليك خليق
وأهم الأمور^(٣) أمر جهاد الكفر ، فاسمع ، فعندنا التحقيق
وأصلتهم منا السرايا^(٤) فأشجأ هم^(٥) بكور منّا لهم ، وطروق
وأباح ديارهم ، فأباد القوم قتل ملازم وحرّيق
وانتظرنا بزحفنا برّ نور الدين علماً منّا بأن سيفيق
وهو الآن في أمان من الله ، وما يعتريه أمر يعوق
ما لهذا المهم مثلك ، مجد الدين ، فانهض به فانت حقيق
قل له ، لاعداءه ، رأي ولا زالا لديه لكل خير طريق :
أنت في حسيم داء طاغية الكفار ذاك المرجو والمرموق
فاغتم بالجهاد أبرك ، كي تُلغى رفيقاً له ، ونعم الرفيق

(٢٥٤)

فأجابه بهذه القصيدة :

كم إلى كم يلحى الحب المشوق^(٦) وهو من سكرة الهوى لا يفيق
مملوه ، وهو الضعيف من التعنيف فيهم واللوم ما لا يطيق
شجعوه على القطيعة ، والصائب من الصدد والفراق فروق^(٧)

(١) النص في الروضتين أيضاً : ١١٦ . (٢) نسبة إلى مقصد : أحد آباء أسامة . وفي الروضتين : المستفدى .

(٣) في الروضتين : المهم . (٤) السرايا : جمع مرية . وهي الطاقة من الجيش .

(٥) أشجاء : أجزته . (٦) يلحى : يلام . (٧) فرق كفرح : فرع .

وَلَحَوْهُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَالْمَسْكِينُ فِي بُلْجَةِ الْغَرَامِ غَرِيقُ
وَالسَّقِيمُ الْعَانِي يُعَانِي مِنَ الْأَوْ صَابٍ ^(١) مَا لَا عَاقِبَةَ الْمَعَانِي الطَّلَبُ
يَا عَدُوِّي ، إِلَيْكَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتَ ، كَمَا تَدْعَى ، الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ
لَيْسَ لِلصَّبِّ مِنْ تَبَارِيحٍ مَا يَلْسَقِي مُعِينٌ ، وَلَا رَفِيقٌ رَفِيقُ
إِنَّمَا الْحُبُّ كَالْقِيَامَةِ : مَا فِيهِ حَيْمٌ ، وَلَا شَقِيقٌ شَفِيقُ
وَأَخُو الْوَجْدِ مَا إِلَى قَلْبِهِ الْمَحْجُوبُ بِالْحُبِّ لِلْسُلُوكِ طَرِيقُ
خَانَهُ الْأَصْفِيَاءُ حَتَّى التَّائِبِي وَجَفَاءُ حَتَّى الْخِيَالِ الطَّرُوقُ
وَإِذَا نَهَنَهُ الدُّمُوعَ اسْتَجَمَّتْ ^(٢) وَهَمَّتْ ، وَهِيَ لُؤْلُؤٌ وَعَفِيقُ ^(٣)
(٢٥٥)

وَكُتِبَ إِلَى الْوَزِيرِ نَظَامُ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :
نَظَامَ الدِّينِ كَمْ فَارَقْتُ خِلَاءَ وَكَمْ صَلَّيْتُ حَشَايَ لَطْفِي اسْتِيَانِي ^(١)
فَلَمْ أَجْزَعْ لِفَجَائَتِ النَّسَانِي وَلَمْ أَفْرَقْ لِرُوعَاتِ الْهَرَاقِ
وَهَانَذَا لِيُعْسِدَكَ أَلْفَ هَمٍّ تَقْيِضُ لَهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَأَقِ
أُمْنِي قَلْبِي الْخَفَاقَ شَوْقًا إِلَيْكَ بِقُرْبِ أَيَّامِ التَّلَاقِ
(٢٥٦)

وَكُتِبَ إِلَى شَمْسِ الدُّوَلَةِ ابْنِ أَخِيهِ .:
أَبَا الْحَارِثِ ، أَسَلَمَ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِنَا
أَذُمُّ إِلَيْكَ الْبَيْنَ ، إِنَّ وَشِيكَهَ ^(١)
وَأَضَلَّتْ شَمْسِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ نَاشِدًا
أَرْوَحُ وَأَعْدُو فِي هُمُومٍ تَعُودُنِي
وَمِنْ حَرِّ أَنْفَاسِ الْمَشُوقِ الْمُفَارِقِ
رَمَى كُلَّ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِي بِعَارِقِ ^(٢)
لَهَا ، وَهِيَ فِي غَرْبٍ ، بِأَرْضِ الْمَشَارِقِ
فِيَا لِي مِنْ هَمِّينِ : غَادٍ ، وَطَارِقِ

(٢) جَمَّ وَاسْتَجَمَّ : كَثُرَ وَاجْتَمَعَ .
(٤) حَمَلِيَ النَّارَ : قَامِيَ حَرًّا . وَاللَّظَى : النَّارُ أَوْ لَهَبُهَا .
(٦) حَرَقَ الْعَظْمَ حَرَقًا : أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ .

(١) الْوَصْبُ : الْمَوْضُ .
(٣) بَاقِي الْقَصِيدَةِ ص ١٨٨ .
(٥) وَشِيكَ : مَرِيعٌ .

قافية اللام

(٢٥٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة :

أبا حَسَنَ ، قَدَرَانٌ ^(١) ، بعدِ بَعَادِكُمْ	على القلبِ ، هُم ، ما أراه يَزُولُ
أَعْلَلُ نَفْسِي أَنْتَى سَأْبُهُ	إذا ما التَّقِينَا ، وَالرَّجَاءُ مَطُولُ ^(٢)
إذا قُلْتُ : في أعقابِ ذَا العَامِ نَلْتَقِي	تَمَادَى ، وَأَيَّامُ الهُمُومِ تَطُولُ
وَأَقْتُلُ أَذْوَانِي بِعَادُ أَحِبِّي	وداءُ التَّنَانِي ، ما عِلْتِ ، قَتُولُ
وقد ساءَ لِي أَنْ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ	أَخْلَايَ ، حَتَّى ما يَدُومُ خَلِيلُ
وجفوةُ مُجِدِّ الدِّينِ أَعْدَلُ شَاهِدُ	على أَنْ أهْوَاءَ القُلُوبِ تَحُولُ ^(٣)
أَسَاءَ التَّنَانِي ظَنَّهُ لِي ، وَلِمَاتِي	لَأَعْهَدُهُ فِي القُرْبِ ، وهوَ جَمِيلُ
جَفَانِي زَمَانًا لا مَلَالًا ، وَلِمَاتِي	نَهْتَهُ حُزُونُ بَيْنَتَانَا ^(٤) وَسُهُولُ
مَفَاوِزُ لا يَسْتَطِيعُ قَطَعَ فِجَاجُهَا ^(٥)	رَسُولُ ، ولو أَنَّ الخِيَالَ رَسُولُ
ولا ذَنْبَ إِلَّا لِلْبِعَادِ فَمَا لَنَا	دُنُونًا ، وَحَفَايَ فِي الدُّنُو قَلِيلُ

(٢٥٨)

وكتب إليه ، وقد وصله منه كتابٌ غيرُ مختوم :

وإني كُتِّبْتُكَ مَفْتُوحًا ، فبَشَّرَنِي	بِفَتْحِ سُبُلِ اللَّقَاءِ الزَّجْرُ ^(٦) وَالْقَالَ
فَقُلْتُ : أَحَبُّ بِهَا بَشْرِي إِلَيَّ ، وَإِنْ	تَعَرَّضْتُ ، دُونَ ما نَزَّجُوهُ ، أهْوَالُ

(١) وان : غلب .

(٢) تحول : تحوّل .

(٣) المطل : التَّسْوِيفُ بِالْعَدَّةِ .

(٤) في رواية بها مش الدويان (دونا) .

(٥) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين . (٦) زجر الطير : تفاعل به .

ثم اعترنني أشواقٌ ، تُجهلني كيف اطمانت بقلبي بعدك الحال
وكيف يَبَق ، وما يَنفك ذَاوَجِلْ خَوْفًا عَلَيْكَ ، وفي الأوجال^(١) آجالٌ
وكتب إليه الشريف ضياء الدين أبو عبد الله زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني
وهو بظاهر الموصل :

أبا المظفر ، أشواقٌ مبرحةٌ وما استقلت^(٢) بكم للين أجمالٌ
وأتمم حيث إطلالي بينكم وما نأت دار من يديه إطلالٌ
فكيف بي إن غدا الهرماس^(٣) مشربكم وحال من دونكم مرث^(٤) وأحبال^(٥)
إذا تُخبرك الرُكبان عن كيد تدمي^(٦) ، وعين لها سح وتهمال
وعن مودع قلب قد رحلت به يعتاده لكم هم وبلبال^(٧)

(٢٥٩)

فأجابه :

يا خير من علقت كفي مودته وصدقت لي في علياه آمالٌ
ماذا أقول ، وقلبي قد تخلف عن جسمي ، وزمت لوشك الين أجمالٌ
وكم فُجعت بروعات الفراق ، ولا كهنه ، لم يرعني قط ترحالٌ
وقبل وشك التوى قد كنت أحذرهما كأن ذاك التوى قبلها فال
فإن تبادت بنا أيام فرقتنا وكل ساعات بعدى عنك آجالٌ
فاحفظ قوادًا مقيمًا في ذراك ، ولا تُسلبه للشوق ، إن الشوق قتالٌ

(١) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف . (٢) استقلت : ارتحل .
(٣) الهرماس : نهر . (٤) الموت : الغاية بلايات ، أو الأرض لا يجب تراها ولا يثبت مرعاها .
(٥) الحيل من الرمل : المجتمع الكثير العسال . (٦) تدمي : تلوث بالدم .
(٧) اللبال : الوسواس وشدة الهم . (٨) زم البعير : خطه ، وتقدم في السير .

وكتب إليه الملك الصالح ، رحمه الله قصيدة من نظمه بخط يده :
 أيها السائر الجُدُّ إلى الشَّامِ تَبَارَى^(١) رِكَابُهُ وَالْحَيُولُ
 جُدُّ عَلَى بِلْدَةٍ بِهَا دَارُ مَجْدِ الدِّينِ^(٢) ، لَا رَيْعَ رُبْعُهَا الْمَاهُولُ
 وَتَعْرِفُ أَخْبَارَهُ ، وَاقْرَأْ مِنْهَا سَلَامًا فِيهِ الْعِتَابُ يَحُولُ
 قُلْ لَهُ : أَنْتَ نِعِمَّ ذَنْجَرُ الصَّدِيقِ الْيَوْمَ ، لَكِنَّكَ الصَّدِيقُ الْمَلُولُ
 مَا ظَنَّنَّا بِأَنْ حَالَكَ فِي الْقُرْبِ وَلَا الْبَعْدِ بِالْمَلَالِ تَحُولُ^(٣)
 لَا كِتَابٌ ، وَلَا جَوَابٌ ، وَلَا قَوْلٌ ، بِهِ لِلْيَقِينِ مَنَّا حُصُولُ
 غَيْرَ أَنَا نَوَاصِلُ الْكُتُبِ إِذْ قَصَّرَ مِنْكَ الْبِرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ^(٤)

(٢٦٠)

فأجابه :

أَيْنَ سَمِعِي عَمَّا يَقُولُ الْعَذُولُ أَنَا بِالْهَجْرِ وَالنَّوَى مَشْغُولُ
 وَسَبِيلُ السُّلُوكِ بَادٍ لِعَيْنِي ، وَلَكِنْ مَالِي إِلَيْهِ سَبِيلُ
 مَا قَلِيلُ الْغَرَامِ ، يَامَسْتَرِجِ الْقَلْبِ ، مِمَّا يَلْقَى الْمَحَبُّ ، قَلِيلُ
 بِالْهَوَى هَامٌ فِي الْفَلَاقِ قَيْسُ لَيْلٍ وَهِيَ مَاتَ عُرْوَةٌ^(٥) وَجَمِيلُ
 فَاعْفِ مِنْ لَوْمِكَ الْمَحَبَّ ، كَفَاهُ مِنْ جَوَاهِ تَسْبِيحِهِ وَالنَّحُولُ
 لَا تَظَنَّ وَجَدَ مَنْ فَارَقَ الْأَظْهَانَ يَحْتَشِنُ حَادٍ عَجُولُ
 تَقْطَعُ الْيَدَ حَامِلَاتِ شُمُوسًا مَا لَهَا فِي سَوَى الْخُلُودِ أَقُولُ
 كُلُّ شَمْسٍ تُنِيرُ فَوْقَ قَضِيبٍ يَتَهَادَى بِهِ كَثِيبٌ مَهِيلُ
 لَا وَلَا وَجَدَ نَازِحَ فَارَقَ الْأَوَّ طَانٌ ، يَهْتَاجُهُ الضُّحَى وَالْأَصِيلُ

(٢) لقب أسامة .

(١) تبارى أى تبارى . وباراه : عارضه .

(٤) باقى القصيدة فى ص ٢١٧

(٣) حال الشئ : تحول .

(٥) هو عروة بن حزام من منبى العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها خفراء . وجميل هو جميل بنية .

كَلَّمَا لَامَهُ الْعَذُولُ مَرَى^(١) دَمْعًا تُبَارِيهِ زَفَرَةٌ وَعَوِيلُ^(٢)
مَثَلٌ وَجُدَى لِفَرْقَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
ومنها :

يَا أَمِيرَ الْجِيوشِ ، يَا أَعْدَلَ الْحُكَّامِ فِي نَعْلِهِ وَفِيَا يَقُولُ
أَنْتَ تَقْضِي بِالْحَقِّ ، لَسْتَ ، وَإِنْ زَالَتْ جِبَالُ الْأَرْضَيْنِ ، عَنْهُ تَزُولُ
فَمَاذَا قَضَيْتَ يَا سَيِّدَ الْحُكَّامِ طَرًّا عَلَى أَنِّي مَلُوكُ
مَنْ يَمْلُ الْحَيَاةَ ، أَمْ مَنْ عَلَيْهِ مِنْ تَوَالِي أَنْفَاسِهِ تَنْقِيلُ
لَا تَرْغَنِي بِالْعَتَبِ ، فَهُوَ ، عَلَى قَطْعِ رُسُومِ^(٣) التَّشْرِيفِ عَنِّي ، دَلِيلُ
لِي رُسُومٍ ، مِنْهَا مَوَاصِلُهُ الْكُنُوبِ ، وَأَنْتَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ
وَسِوَاهَا أَغْنَيْتَنِي عَنْهُ بِالْإِنْعَامِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي تَأْمِيلُ
فَأَعْذَنِي مِنْ قَطْعِهَا ، فَهِيَ لِي نَفْسٌ ، بِهِ أُدْرِكُ الْعُلَا ، وَأَطُولُ
فِي وَدَى لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى قَلْبِي ، فَيُبْدُو لَكَ الْوَلَاءُ الدَّخِيلُ
وَتَرَى أَنَّ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ ، لَمْ يُحْصَ رَيْعُهُ التَّجْمِيلُ^(٤)

قافية الميم

(٢٦١)

وقال ، وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدّم أولها^(٥) :

أَبْنَى السُّرَى وَالْبِيدِ ، لَا أَغْرَى الزَّمَانَ بِكُمْ عُرَامَةً^(٦)
هَلْ فِيكُمْ مِنْ مُبْلِغٍ عَنِّي السَّلَامَ أَبَا سَلَامَةٍ

(٢) العويل : رفع الصوت باليكاء .

(١) مَرَى : استخرج .

(٤) لعله يريد بالتجميل ردّ الشيء عن تفرقة . أو من أجل الحساب :

(٣) رسم بكذا : أمر به .

يقده الـ إلى الجملة . و بالهامش قفلا عن خط ولده مرهف بالهاشية :

و ترى ريع ما زرعته من الإنعام عدى لم يحصه التأمل .

(٦) السرى : سيرة نامه الليل . واليد : الغلام . و عرام الزمان :

(٥) انظر ما سبق ص ٩٧ .

وَنَحِيَّةٌ كَشِدَا فَبَقِيَ الْمَسْكُ ، صَفَقَ بِالْمُدَامَةِ^(١)
تَهْدَى ، يَضُوعُ^(٢) نَسِيمُهَا لِأَغْرَ عَصَا مَلَامَةٍ
مِنْ جَامِعِ الْعَزَمَاتِ ، لَا يَرْضَى عَلَى هُونٍ مُقَامَةٍ
وَقَعْنَ^(٣) غَارِبَهُ انْخَطَوُ بُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْتِي الظُّلَامَةُ
يَابِنِ انْخَضَارِمَةٍ^(٤) الْكَرَامِ ، أُولَى الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامَةِ
مِنْ كُلِّ بَسَامٍ تَسُحُّ يَدَاهُ لِلْعَافِينَ سَامَةً^(٥)
خَضِلَ الْجَنَابِ إِذَا تَرَدَّى الْجَوُّ مِنْ مَحَلِّ قَتَامَةٍ^(٦)
أُسَامُ خَسَفًا ، ثُمَّ لَا آبَى ، فَلَسْتُ إِذَا أُسَامَةً
هِيَهَاتَ لَا تَرْضَى الْمَعَا لِي صَاحِبًا يَرْضَى اهْتِضَامَةً^(٧)
وَعَلَامَ يَخْشَى النَّاسَ مَنْ لَمْ يَخْشَ فِي حَالِ حَمَامَةٍ
مَنْ لَا تَرَاهُ لِإِثْرِ شَيْءٍ فَاثِتٍ يُبْدَى النَّدَامَةُ
وَإِذَا حَوَى الرِّغْبَاتِ أَمْضَى لِلْعَلَا^(٨) فِيهَا احْتِكَامَةُ
لَوْ أَنْكَرْتُ أَجْفَانَهُ طَيْفَ الْخِيَالِ جَفَا مَنَامَةٍ
(٢٦٢)

وقال ، وكتب بها إلى القاضي الرشيد^(٩) ، أبي الحسين أحمد بن علي بن الزبير

إلى مصر ، في ضمن كتاب :

وكيف أشكرُ مَنْ أَسَدَى إِلَى يَدَا سَرَتْ سُرَى الطَّيْفِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ
رَأَى مَكَانِي عَلَى بُعْدِي ، وَقَدْ عَشَيْتُ عَنِّي عَيُونُ أَخْلَانِي ، وَأَيَّامِي
مُحَافِظًا لِعَهْدِي ، حِينَ أَفْرَدَنِي ظَلِي ، وَأَعْرَضَ عَنِّي طَيْفُ أَحْلَامِي

(١) فبقى الطيب : غلظه . والتصفيق تحويل الشراب من إناه إلى إناه مزوجاً ليصفو .

(٢) ضاع المسك : تحرك ، فانتشرت رائحته . (٣) وقته كوضته : كويته .

(٤) انخضارمة : جمع خضرم وهو الجواد المطا والسيد المحول .

(٥) السام : الذهب والفضة . (٦) القتام : الغبار . والمحل : الجذب .

(٧) الاحتضام : الظلم . (٨) في رواية يهاشم الديوان (للندي) . (٩) انظر ما سبق ص ١٢١ .

(٢٦٣)

وكتبت إلى الأمير السيد الشريف النقيب ضياء الدين ، أعتذر من تأخر
كتبي عنه ، في ورق أصفر :

قَصَّرْتُ فِي خِدْمِي تَقْصِيرَ مُعْتَرِفٍ وَمَا كَذَا يَفْعَلُ الْإِخْوَانُ وَالْخَدَمُ
حَتَّى تَعْصِفَ لَوْنُ الطَّرْسِ مِنْ وَجَلٍ فَإِنْ صَفَحْتَ جَرَى فِي وَجْنَتِهِ دَمُ
وَلَوْ تَجَافَتْ لِيَ الْآيَامُ عَنْ وَطَرِي لَنَابَ عَنِ قَلْبِي فِي سَعِيهِ الْقَدَمُ
وَبَعْدَ عَذْرَى فَقَدْ أَفْرَحْتُ مِنْ أَسَفٍ جَفْنِي ، وَأَدْمَى بِنَائِي بَعْدَكَ النَّدَمُ
أَطَعْتُ حُكْمَ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِي مَنْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُ عَدَمٌ^(١)
لَمْ لَا تَصَامْتُ عَنْ دَاعِي الْفِرَاقِ ، وَمَا بَالِي صَلَبْتُ لَظَاهُ ، وَهُوَ يَحْتَدِمُ
فِي تَقْلِي اللَّيَالِي عَثَرِي ، وَأَفْزُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فَيَعَادُ اللَّقَا الرَّدَمُ^(٢)

فكتب إليه جوابا عنها أبياتاً أولها :

جَاءَ الْكِتَابُ ، وَقَدْ تَعْصِفَ لَوْنُهُ خَوْفَ الْهَلَاكِ عَلَى مَنْ إِبْطَانُهُ
فَاعَادَ لِي رَوْحَ الْحَيَاةِ وَوُصُولُهُ وَلَقِيتُ قَاصِيَةَ الْمَنَى بِلِقَائِهِ

(٢٦٤)

وقال ، وكان له على ديوان الصناعة ، قبل أيام الملك الصالح (رحمه الله)
في كل سنة خروجُ دنانٍ بمائة دينار ، فأحال بها تجاراً من أهل الشام عن ثمن
كسوة قبضها منهم ، وتمادى مقامهم في الديار المصرية إلى أن نرج منها ،

(١) مضمّن قول أبي الطيب المتنبّي (٣٥٤ ط هندية) :

يا من يعز علينا أن تفارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم

(٢) الردم : بلدة بالبحرين وموضع بمكة .

فَمِنَعُوا مِنَ الْإِطْلَاقِ ، وَوَصَلُوا إِلَى الشَّامِ ، وَلَمْ يَقْبِضُوا مِمَّا لَهُمْ فِي جِهَتِهِ شَيْئًا ،
فَسَأَلُوهُ فِي رَقْعَةٍ يَرْفَعُونَهَا إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَالَعَةً ، ضَمِنَهَا
هَذِهِ الْآيَاتُ :

يُلَاطُ^(١) بِاللَّذِينَ مِنْ مَوْلَاهُ مُسْلِمُهُ حَتَّى يُخْلَصَهُ السُّلْطَانُ وَالْحَكْمُ
لَكِنَّ مَوْلَايَ يَقْضِي مَا اسْتَدْنْتُ ، وَلَا يَلْقَى سُؤَالِي مِنْهُ الْقَبْضُ وَالسَّامُ
فَكَفَّهُ الْبَحْرُ ، لَكِنْ مَوْجُهُ يَدْرُ^(٢) وَجُودُهُ الْغَيْثُ ، لَكِنْ وَبْلُهُ^(٣) نَعِمُ
فَأَمَرَ الْمَلِكُ الصَّالِحَ بِتَجْدِيدِ التَّوْقِيعِ ، وَوَفَاءِ التَّجَارِ ، وَتَخْلِيدِ التَّوْقِيعِ فِي الدَّوَاوِينِ ،
وَاسْتِمْرَارِ الْإِطْلَاقِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ نَظْمِهِ بِنَحْوِهَا :

أَقْسَمْتُ بِالْجُودِ مَنَّا ، إِنَّهُ قَسَمُ وَبِالْمُودَةِ مِنْكُمْ ، إِنَّهَا رَحِمُ
إِنَّا لَنَحْفَظُ فِيكُمْ مَعَ بَعَادِكُمْ شَرِيعَةً سَنَّا فِي دِينِنَا الْكَرَمُ
وَكَلَّمَا رَأَى وَاشِ نَقَضَ مَذْهَبَهَا أَصْحَتْ تَوَكُّدُهُ الْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
لَسْنَا كَقَوْمٍ ، وَلَا تُزْرَى^(٤) عَلَى أَحَدٍ وَلَوْ ، فَلَمَّا رَجَوْتُمْ عَدْلَكُمْ ظَلَمْتُمْ^(٥)
بِعِلْمِنَا قَدْ حَكَمْنَا فِي إِخَائِكُمْ دَهْرًا ، وَمَا حَكَمُوا فِيكُمْ بِمَا عَلِمُوا
لَمْ يَعْرِفُوا لَكُمْ قَدْرًا ، وَإِنْ كُرُمْتُ أَخْلَاقَهُمْ ، وَعَرَفْنَا قَدْرَ فَضْلِكُمْ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ بِالطَّبِيعِ لَا تَنْفَقُ^(٦) الْأَدَابُ عِنْدَهُمْ
وَالْعُرْبُ ، أَقَلُّ دَاءٍ يَهْلِكُونَ بِهِ أَنْ تَمْلِكَ الْحُكْمُ فِي أَعْنَاقِهَا عَجَمُ
تَرْفَعَتْ مِنْكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، هِمَّةٌ مِنْ نُجُومِهِ فِي سَمَوَاتِ الْعُلَا الْهِمَمُ

(٢) البدر : جمع بكرة ، وهي كبرى فيه سبعة آلاف دينار .

(٤) أزرى عليه : عابه .

(١) أَلَطُ الْفَرِيمِ : مَعَ مِنْ الْحَقِّ .

(٣) الْوَيْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ .

(٥) يَشِيرُ إِلَى قَصِيدَةِ أَسَامَةِ الْمِجِيعَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

وَلَوْ أَنَّ رَجَوْنَا عَدْلَكُمْ ظَلَمْنَا وَلِيَتِهِمْ حَكَمُوا فِيمَا بِمَا عَلِمُوا

(٦) فَتَنَ : رَاجَعَ .

(وَأَنْظُرْ ص ٤٠)

إذا تأخرت الآداب وامتنعت
وإن نظمت قريضاً في مكتبة
لله كُتِبُتْ تَوَالَتْ ضَمْنَهَا دُرٌّ
يَقْلُ فِي فَضْلِهَا أَمْثَالُهَا ، فَإِذَا
سَأَلْتَ مَا قَدْ أَجْبَنَاهُ ، وَمَا بَرَحْتَ
إِنْ أَمْسَكَ الْغَيْثُ فَانْظُرْ مَا تَجِيءُ بِهِ
وَلَوْ حَلَلْتَ بِوَادِنَا عَلَى وَجَلٍ
وَالْأَرْضُ مَا بَرَحَتْ مِثْلَ الرِّجَالِ
كَذَاكَ إِنْ قَلَّ حِطُّ الْوَدِّ عِنْدَكُمْ
يَا غَائِبِينَ ، وَقَدْ أَضَحْتَ مَنَازِلَهُمْ
قُولُوا لَنَا : هَلْ وَجَدْتُمْ مَعَ جَفَائِكُمْ
بِالسَّهْلِ مِنْهَا اعْتَصِمْتُمْ عَنْ مُعَانِدِكُمْ
قَالُوا : الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ
وَمَا نُلِطُّ^(١) بِدَيْنٍ تَدْعُونَ بِهِ
بَلْ عِنْدَنَا إِنْ سَأَلْتُمْ وَائْتَقِنَ بِنَا
بَعْدَكُمْ ، وَمُنَا الْآنَ قَرِيبُكُمْ
لَوْ أَبْصَرْتُ ، لَأَرَأْتُ سُوءَ أَعْيُونِكُمْ

تَقَدَّمْتُ لَكَ فِي إِحْرَازِهَا قَدَمٌ
فَالْبَحْرُ مَا زَالَ مِنْهُ الدَّرُّ يُنْظَمُ
مَنْ بِحَمْرِ عَلَيْكَ قَالُوا : لِمَا نَا كَلَمُ
تَلَوْتَهَا ، فَهِيَ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
قُصَادُنَا فِي الَّذِي نَحْوِيهِ نَحْتَكِمُ
أَنْوَاؤُنَا^(٢) ، فَهِيَ مَهْمَا شَتَّتَهَا دِيمُ
أَيَقُنْتَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَنَّهُ الْحَرَمُ
يُرَى مِنَ الرِّجَالِ لَهَا الْإِثْرَاءُ وَالْعُدْمُ
فَالْحِطُّ كَالرِّزْقِ مَا بَيْنَ الْوَرَى قِسْمُ
صُدُورَنَا ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا حَرَمُ
رَحَابِهَا الْيَوْمَ أَحْمَى أَمْ حَصُونَتُكُمْ
وَالنَّاسُ مِنْ قَبْلِ الْأَجْبَالِ تَعْتَصِمُ
وَقَدْ غَدَا بَيْنَنَا الْعِرْفَانُ وَالذَّمُّ^(٣)
حَتَّى يَخْلَصَهُ السَّلْطَانُ وَالْحِكْمُ
فِي حَاجَةِ نَعْمٍ ، جَوَابُهَا نَعْمُ
فَكَيْفَ يَعْتَادُنَا فِي وَدِّكُمْ سَأَمُ
جَوَارِحِي الْيَوْمَ فِيكُمْ وَهِيَ تَخْتَصِمُ

(٢) يشير إلى قول المتنبي (٢٥٤ طه هدية) :

وَبَيْنَنَا لَوْ دَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً
إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ

(١) التواء : المطر .

(٣) انظر ما سبق ص ١٤٤ .

تَقُولُ عَيْنِي لِقَلْبِي : قَدْ ظَفِرْتُ بِهِمْ دُونِي ، وَمَالَكَ مِثْلِي أَدْمَعُ هَيْجُمُ^(١)
وَقَوْلُ قَلْبِي لِعَيْنِي : إِنْ حَظِيتُ بِهِمْ مَعَ بَعْدهُمْ فَلِيَ الْأَشْوَاقُ وَالْأَلَمُ^(٢)
إِذَا رَأَيْتَ مَلِيكًا ظَلَّ يَمْلِكُهُ وَفَاؤُهُ ، وَبَنُو الدُّنْيَا لَهُ خَدَمُ

(٢٦٥)

وقال من قصيدة تقدم أولها^(٣) :

يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ لِلْجِدَاءِ هِمَّتَهُ وَالْعَيْسُ تَعْجِزُ عَمَّا تُدْرِكُ الْهِمَمُ^(٤)
بَلِّغْ أَمِيرِي : مُعِينَ الدِّينِ ، مَا لَكَ^(٥) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ ، لَكِنْ وَدَّهْ أُمُّ^(٦)
وَقُلْ لَهُ : أَنْتَ خَيْرُ التَّرِكَ فَضْلَكَ الْحَيَاءُ ، وَالدِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالكَرْمُ^(٧)
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مِنْ يُسَكِّي إِلَيْهِ ، وَلِي شَكِيَّةً ، أَنْتَ فِيهَا الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(٨)
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَأْمَنُ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمُ^(٩)
تَضْيِيعُ وَاجِبٍ حَقٍّ بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْخِدْمُ^(١٠)
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفَتِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الْإِنْتَهَى ذِمُّ^(١١)
وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنَى وَبَيْنَكَ : مِنْ وَدٍّ ، وَإِنْ أَجْلَبَ الْأَعْدَاءُ ، يَنْصَرُّ^(١٢)
لَكِنْ ثِقَاتُكَ مَا زَالُوا يَغِشُّهُمْ^(١٣) حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(١٤)
بَاغُوكَ بِالْبَخْسِ ، يَبْغُونَ الْغِنَى ، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوكَ ، الْوَيْلُ ، وَالْعَدَمُ^(١٥)

(١) هجم الدع : سال .

(٢) المالك : الرسالة .

(٣) المالك : الرسالة .

(٤) المالك : الرسالة .

(٥) مضمون قول المتنبي : (يا أعدل الناس إلا في مما ملئني)

(٦) عجز بيت المتنبي وافتقر الهاشم (٢) بالصفحة السابقة .

(٧) أجلبوا : تجمعوا .

(٨) في الخريدة (بهم) تحريف .

(٩) مضمون قول المتنبي (٢٥٣ ط هندية) :

(وما انتفاع أئمة الدنيا بناظره)

(إذا استوت عنده الأنوار والظلم)

والله ما نصَحُوا ، لما استَشَرْتَهُمْ
 كم حَرَفُوا من مَقَالٍ في سَفَارَتِهِمْ
 أَيْنَ الْحِمَّةُ^(١) وَالنَفْسُ الْأَبِيَّةُ ، إِذْ
 هَلَّا أَنْفَتَ حَيَاءً ، أَوْ مَحَافِظَةً
 أَسْلَمْتَنَا ، وَسِوْفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ
 وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالَاكَ فِي حَرَمٍ
 وَأَنْ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمْوَلِ^(٢) ، لَا
 وَمَا طُبَانُ^(٣) بَأُولَى مِنْ أَسَامَةِ بِالْـ
 هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا ، لَا يَكْفُرُهَا
 الْقِيَمُ فِي يَدِ الْإِفْرِجِ مُتَبَعًا
 هُمُ الْأَعَادَى ، وَقَاكَ اللَّهُ شَرُّهُمْ
 إِذَا نَهَضَتْ إِلَى مَجْدٍ تَوَلَّاهُ^(٤)
 وَإِنْ عَرَّتَكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَائِبَةٌ
 حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَنْهُمْ غَيَابَتُهَا^(٥)
 رَشَفْتَ آجِنَ^(٦) عَيْشٍ ، كُلُّهُ كَدْرٌ
 وَإِنْ أَتَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُخْتَلَقٍ
 وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مَتَّهِمٌ
 وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ ، ضَلَّ سَعِيهِمْ
 سَامُوكَ خُطَّةً خَسِفَ عَارُهَا يَصُمُ^(٧)
 مِنْ فَعَلٍ مَا أَنْكَرْتَهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
 وَلَمْ يُرَوْ سَنَانُ السَّهْمِيِّ^(٨) دَمٌ
 لَا يَعْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ
 يَخْشَى الْأَعَادَى ، وَلَا تَغْتَالُهُ النَّقْمُ
 وَفَاءً ، لَكِنْ جَرَى بِالْكَائِنِ الْقَلَمُ
 عُذْرٌ ، فَاذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرُمُ
 رِضَا عَدَا يُسَخِطُ الرَّحْمَنَ فَعُلُهُمْ
 وَهُمْ يَزْغُمُهُمُ الْأَعْوَاتُ وَالْخَدَمُ
 تَقَاءَلُوا ، فَإِذَا شَيْدَتَهُ هَدَمُوا
 فَكُلُّهُمْ لِلَّذِي يُبْكِيكَ مُبْتَسِمٌ
 بِحَدِّ عَزَمِكَ ، وَهُوَ الصَّارِمُ الْخَلْدَمُ^(٩)
 وَوَرْدُهُمْ مِنْ نَدَاكَ السَّلْسُلُ الشَّيْمُ^(١٠)
 وَاشِ ، فَذَاكَ الَّذِي يُحِبِّي ، وَيُحْتَرَمُ^(١١)

(١) الحمية : الأفة . (٢) وصم الشئ : عابه . وسامه : كلفه .

(٣) السهمي : الرمح الصلب .

(٤) السموءل بن عاديا .

(٥) طابن خادم تركي كان لأتابك ملك الأمراء .

(٦) زنج فيه فاشتمل عليه معين الدين أنزلي أنسية وحماه . فلما ألح في طلبه سيره إلى العرب إلى البرية ، وقام له بما احتاجه إلى أن رده إلى خدمته بدمشق (وأظفر الروضتين ١ : ١١٣) .

(٧) غيابة كل شيء : ما سترك منه .

(٨) أمله : أصله .

(٩) الخدم : القاطع .

(١٠) الشيم : البارد .

(١١) حياه : أعطاه .

وكل من ملت عنه قريوه ، ومن
 بغيا ، وكفرا لما أوليت من مني
 جربهم مثل تجربي ، لتخبرهم
 هل فيهم رجل يغني غناي إذا
 أم فيهم من له في الخطب ضاق به
 لكن رأيك أدناهم ، وأبعدني
 وما سخطت بعادي إذ رعبت به
 ولست آمي^(٥) على الترحال عن بلد
 تعلقت بجبال الشمس منه^(٦) يدي
 لكن فراقك آساني ، وآسفني
 فاسلم ، فاعشت لي فالدهر طوع يدي
 والآك فهو الذي يقص ، ويهضم^(١)
 ومرتع البغي ، لولا جهلهم ، وخم^(٢)
 فالرجال إذا ما جربوا قيم
 جلا الحوادث حد السيف والقلم
 ذرع الرجال يد يسطو بها وفم
 فليت أنا بقدر الحب نقسم^(٣)
 وما لخرج إذا أرضاكم ألم^(٤)
 شهب البزاة سواء فيه والرخم^(٦)
 ثم انتنت وهي صفر^(٨) ، ملؤها ندم
 ففي الجوانح نار منه تضطرم
 وكل مانالي من بؤسه نعم^(٩)

(٢٦٦)

وقال ، وكتب بها إلى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة أبي عبد الله
 محمد بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، رحمه الله ، يستعينه في فكك
 أخيه نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد بن علي من أسر الفرنج ، وكان أسر

(١) الاحتضام : الظلم . (٢) أرض ونحة : لا يجمع كلوفا .

(٣) عجزيت المتني :

(٤) عجزيت المتني : (إن كان يجمعا حب لغره فليت أنا بقدر الحب نقدم)

(٥) أسيت عليه : حزن . (٦) عجزيت المتني :

(٧) وش ما قصته راحتي قص

(٨) شهب البزاة سواء فيه والرخم : جمع رنحة وهي طائر ضعيف . (٩) في خريدة القصر (فيه) .

(٨) صفر : خالية .

(٩) اقتصر معجم الأدباء وتكتاب الروضتين على جزء من هذه القصيدة مع اختلاف في التقديم والتأخير أحيانا .

في طريق مصر ، وقد خرج معهم في خروجهم مع الأفضل عباس بن أبي الفتح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وزير مصر يومئذ والسلطان بها :

يَانَا صَرَ الدِّينَ ، يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ ، وَمَنْ يُغْنِي نَدَى كَهْفِهِ عَنْ وَابِلِ الدِّينِ^(١)
وَمَنْ حَوَى السَّبْقَ فِي فَضْلِ ، وَفِي وَرِيعٍ وَفِي عَفَافٍ ، وَفِي دِينٍ ، وَفِي كَرَمٍ
أَنْتَ الْعَمِيُّ ، عَلَى مَا فَيْكَ مِنْ لَسَنِ عَنْ (لَا) ، وَأَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ فِي (نَعَم)
تَوَلَّى الْجَبِلَ بَلَا مِنْ تَكَدَّرُهُ لَا كَدَّرَ اللَّهُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ
هَذَا ابْنُ عَمِّكَ فِي أَسْرِ الْفَرَنْجِ ، لَهُ حَوْلٌ تَجَرَّمُ^(٢) ، فِي الْأَغْلَالِ وَالظُّلَمِ
يَدْعُوكَ ، لَا بَلْ أَنَا الدَّاعِي نَدَاكَ لَهُ يَأْخِيزُ مِنْ عِلْقَتِهِ كَيْفَ مَعْتَصِمٍ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ تَنْبِيهِ عَاطِفَةُ الْقُرْبَى ، وَيَرْجُوهُ لِلْجَلَّى ذَوُو الرَّحِمِ
وَمَنْ تَكُنْ أَنْتَ مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ فَكَيْفَ تَسْطُو عَلَيْهِ كَيْفَ مَهْزِئِمٍ
لَا تُخَوِّجَنِي إِلَى مَنْ الرِّجَالِ ، فَمَا حَمَلُ الْأَيْدِي ، وَإِنْ أَعْسَرْتُ ، مِنْ شَيْبِي
وَلَا تَنْظِنِي أَدْعُو سِوَاكَ ، وَلَا يَفْوُهُ مَجْتَدِيًّا إِلَّا إِلَيْكَ فَيَ
عَلَامَ أَرْتَشَفَ الرَّتْقُ^(٣) الْأَجَاجَ ، وَقَدْ رَوَيْتَ كُلَّ صَيْدٍ مِنْ بَحْرِكَ الشِّيمِ
أَنَا ابْنُ عَمِّكَ ، فَاجْعَلْنِي بِفِكَ أَحْيَى مِنْ أَسْرِهِ ، لَكَ عَبْدٌ ، مَا مَشَتْ قَدَمِي
فِيكَ مِثْلَى لَا يَغْلُو بِمَا بَذَلَ الْمُسْتَاغُ فِيهِ ، وَلَا يُسْتَامُ^(٤) بِالْقِيمِ
فَلَمْ يَحْوُكْهُ الشَّعْرُ ، وَلَا سَعَى فِي خِلَاصِهِ ، وَلَا أَعَانَ عَلَيْهِ ، وَادَّخَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَجْرَ خِلَاصِهِ وَحَسَنَ ذِكْرِهِ ، لَلْوَلِيِّ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ، فَوَهَبَهُ
فَارِسًا مِنْ مَقْدَمِي الدَّوَايَةِ^(٥) ، يُقَالُ لَهُ الْمَشْطُوبُ ، قَدْ بَذَلَ الْفَرَنْجُ فِيهِ عَشْرَةَ آلَافٍ
دِينَارٍ ، فَاسْتَخْلَصَ بِهِ أَخَاهُ مِنَ الْأَسْرِ .

(١) الدِّينُ : جمع دِينَةٍ وهي مطريدوم في سكون بلا رعد و برق . (٢) تجرَّم : كل .

(٣) في الأصل : العذب . والصحيح من رواية علي هامش النسخة . ورتق المساء كفرح ونصر رقا بسكون النون فتحها ورتقا : كدر . والأجاج : الملح المر .

(٤) استام السلة : طلب بيعها . (٥) الدواية : طائفة من الفرنج الصليبيين .

قافية النون

(٢٦٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة رحمه الله :

هَذَا كِتَابُ قِيٍّ أَحَلَّتْهُ النَّوَى أَوْطَانَهَا ، وَنَبَتْ^(١) بِهِ أَوْطَانُهُ
شَطَّطَ بِهِ عَمَّنْ يُحِبُّ دِيَارَهُ وَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا^(٢) إِخْوَانُهُ
مُتَتَابِعِ الزَّفَرَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبُ يَبُوحُ بَسْرِهِ^(٣) خَفَقَانُهُ
تَأْوَى إِلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ هُومُهُ وَتَذُودُهُ^(٤) عَنْ نَوْمِهِ أَشْجَانُهُ
أَلِفَتْ مُقَارَعَةَ الْكِبَاةِ^(٥) جِيَادُهُ وَسُرَى^(٦) الْهَوَاجِرِ^(٧) ، لَا يَبِيْ ذَمْلَانُهُ^(٨)
يَوْمَانِ أَجْمَعُ دَهْرِهِ إِمَّا سُرَى أَوْ يَوْمُ حَرْبٍ تَلْتَلِظِي نِيرَانُهُ
لَكِنَّهُ لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ خَوْفِ الْحِمَامِ ، وَلَا بُرَاعِ جَنَانُهُ

(٢٦٨)

وكتب في صدر كتاب :

أَحْنُ إِلَيْكُمْ ، وَالْمَهَامُهُ بَيْنَنَا حَيْنَ الْوُفِّ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا
وَأَسْتُرُ أَشْوَاقِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي لَدَى ذِكْرِكُمْ ، أَنْفَاسَ وَجْدٍ تُبِينُهَا

(١) لم توافقه .

(٤) الذود : الطرد والدفع .

(٢) تفرقوا أيدي سبأ : تبددوا .

(٥) الكبابة : جمع كبى ، وهو الشجاع .

(٣) بها مش النسخة (بيته) رواية .

(٦) السرى : سير عامر الليل .

(٧) يقال ناقة مجهزة : فائقة في الشجع والسير . والمهجر : النجيب الجليل والجليد من كل شيء . والفاثق الفاضل على غيره .

كالهجر (ككفت) والهاجر .

(٨) الذميل ضرب من سير الإبل ، قيل هو السير اللين . ذمل يذمل ذميلاً وذملانا .

(٢٦٩)

وكتب إلى صديق له بمصر :

نفسى الفداء لمن أذودُ بِذِكْرِهِ عَنِّي عَوَادِي الهمِّ والأشجانِ
وإذا فررتُ من الخطوبِ جعلته فِتْنِي ^(١) فَيَفْرِقُهَا ^(٢) امْتِنَاعُ مَكَانِي
وكانَ مُعْجَزَةَ المسيحِ كِتَابُهُ فإذا قَضَيْتُ ^(٣) من الأسَى أحيانِي

(٢٧٠)

وكتب إلى أخيه عزّ الدولة :

وإنَّ امرأً أضْحَى "بِإِرْبِلَ" دَارُهُ وفي شِيزَرِ ^(١) أَحِبَابُهُ وشُجُونُهُ
لَغَيْرِ مَلُومٍ فِي الحَيْنِ إِلَيْهِمْ وَمَعْدُورَةٌ أَنْ تَسْتَهْلَ جُفُونُهُ ^(٥)

قافية الها.

(٢٧١)

وَمَا يَلْتَحِقُ بِهَذَا البابِ قَوْلُهُ يُعَاتِبُ ^(٦) :

إِنْ أَلْقَه سِرَّهُ قُرْبِي ، وَأَتَسَّهُ وَإِنْ أَغْبِ صَدَّ عَنِّي مُعْرِضًا، وَلَهَا
كَأَنِّي مَيِّتٌ ، فِي النِّوَمِ يُبْهَجُهُ لِقَاؤُهُ ، ثُمَّ يَنْسَاهُ إِذَا انْتَبَهَا

(١) الفتنة : الطائفة .

(٢) يفرقها : يفرعها .

(٣) قضى : مات . والأسَى : الحزن .

(٤) إربل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل . وشيزر : قلعة كانت لبنى منقذ بالقرب من حماة بالشام .

(٥) في هامش الديوان عن نسخة (شونيه) . والشئون : جمع شأن وهو جرى الدمع إلى العين . واستهل المطر :

اشتد أنصابه .

(٦) البيتان من مختارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(٢٧٢)

وقال :

وافى كتابك مُعلِنًا بسلامةٍ قدَحَتْ زنادًا في الجوانحِ وأريًا^(١)
وقرأته ، فوجدتُ طرفي ضاحِكًا فرحًا برؤيته ، وقلبي باكِيًا
وتعمَّدتني نافذاتُ سهامه حتى إذا أضْمِنَ^(٢) عُذَنَ مَكْلُوبًا
وتطلَّعتُ منه أراقمُ رَمْلَةٍ يُردى السليمُ لُعابُها والراقِيَا^(٣)
فكانَ ذاكَ الطرسَ^(٤) أضْحَى سَلَّةَ الحَاوِي ، وهاتيكَ السُّطورُ أفاعِيَا

(١) ورت النار : اتقدت .

(٢) أضْمِنَ الصيد : رماه ، قتلته ، مكانه .

(٣) الأرقم : جمع ارقم وهو أغبت الحيات وأطلبها لقاس . ويردى : يهلك . والسليم : اللدنيغ .

(٤) الطرس : الصحيفة .

باب الأوصاف

قافية الباء

(٢٧٣)

من قصيدة كتبها إليه الملك الصالح ، يصفُ الزَّلْزَلَةَ الكائنةَ بِشِيرَ :^(١)
رَقَصَتْ أَرْضُهُ عَشِيَّةً غَنَى الرَّعْدُ فِي الْجَوِّ ، وَالكَرِيمُ طَرُوبُ
وَتَنَتَّ حِيطَانُهُ ، فَأَمَلَتْهَا شِمَالُ بَزْمَرِهَا ، وَجَنُوبُ
لَا هُبُوبُ لِنَائِمٍ مِنْ أَمَانِيهِ ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا هُبُوبُ
وَأَرَى الْبَرْقَ شَامِتًا ضَاحِكًا السَّيْنِ ، وَلِلْجَوِّ بِالْغَمَامِ قُطُوبُ
ذَكَرُوا أَنَّهُ تَذُوبُ بِهِ السُّحُبُ ، فَمَا لِلصُّخُورِ أَيْضًا تَذُوبُ
أَبْذَنْبُ أَصَابَهَا قَدْرُ اللَّهِ ، فَلَا رِضَ كَالْأَنَامِ ذُنُوبُ !

قافية الدال

(٢٧٤)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

وَصَاحِبُ لَا تَمَلُّ^(٣) الدَّهْرَ مُصْحَبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي ، وَيَسْعَى سَعَى مُجْتَهِدٍ
لَمْ أَلْقَهُ مِذَّ تَصَاحِبِنَا ، لَحِينَ بَدَا لِنَظَرِي افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الْأَبَدِ

(١) راجع ص ٧ و ١٦٤ و ٢٩٦ وورد معظمه في الروضتين ١ : ١٠٦ و ١١٨

(٢) هذان البيتان رواهما ياقوت ٥ : ١٩٤ ، ومالك الألبار ١٠ : ٥٠٨ ، وكتاب الروضتين ٢ : ٢٦٤

(٣) الراوية في ياقوت والخريدة (لا أمل)

قافية العين

(٢٧٥)

وقال في الشَّعة :

أُنْبِئِي فِي لَيْلِ الْقَطِيعَةِ مُشَبِّهِي : نُحُولًا ، وَتَسْهِدًا ، وَلُونًا ، وَأَذْمَعًا
أَوَاجَهُ وَجْهًا مِنْهُ حَيْثُ رَأَيْتُهُ مِنْبِرًا إِلَى مَنْ أُمُّهُ مَتَطَلَّعًا
فَلُبَّسِ جِسْمِي سُقْمَ جَفْنَيْهِ حَيْثُمَا بَدَأَ لِي عَيْنَتُ الْمَلَاةَ أَجْمَعًا

(٢٧٦)

وقال فيها :

وَمَفْرَدَةٍ تَبْكِي إِذَا جَنَّ لَيْلُهَا خُفَاتًا ، وَفِي أَحْشَائِهَا النَّارُ وَاللَّذْعُ
تَذُوبُ جُزْئِي ، إِمَّا لَصْدٌ وَهَجْرَةٌ وَإِمَّا لَبِيبٌ ، مَا لِي تَشْتَبِيهِ جَمْعُ
فَلَمْ أَرْ جَمْرًا ذَاتَبَا غَيْرَ دَمْعِهَا وَلَا جِسْمَ بَاكِ قَبْلَهَا كُلُّهُ دَمْعُ

قافية القاف

(٢٧٧)

وقال من أبيات :

وَسَلَّ عَنْكَ الْهَمُومَ إِنْ طَرَقَتْ بِنْتُ كَرِيمٍ ، فِي الْكَاسِ تَأْتَلِقُ
إِذَا فَرَاها^(١) الْمَزَاجُ أَضْرَمَهَا وَقَلْتُ : أَيْدِي السَّقَاةِ تَحْتَرِقُ

(١) فراه يغريه : شقه . وهذا البيت والبيت بعده مما اختاره مسالك الأبحار للأسامة (١٠ : ٥٠٣) .

تَوَجَّهَ الْمَاءُ مِنْ فَوَاقِعِهِ تَاجًا ، بِهِ تَرْتَدَى وَتَنْتَطِقُ^(١)
يُقَالُ : مَا تَسْقُرُ وَالْهَمُّ فِي صَدْرٍ ، فَيَا نِعْمَتَاهُ لَوْ صَدَقُوا
وَأَيْنَ مِنْ هَمِّ الْمُدَامِ ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ دُونِهِ الطَّرُقُ

(٢٧٨)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

اَعْجَبَ لِحَنْجَبٍ عَنْ كُلِّ ذِي نَظَرٍ صَحْبَتُهُ الدَّهْرَ ، لَمْ أُسْبِرْ^(٣) خَلَائِقُهُ
حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ قَابِلَتَهُ ، فَقَضَى حَيَاؤُهُ وَإِبَانِي أَنْ أَفَارِقُهُ

قافية الميم

(٢٧٩)

وقال في مقبرة كيمخت^(٤) أسود ، أهديت إليه ، وفيها أقلامٌ مبريةٌ وسكين :

وافتك حالكه السَّوَادَ ، يَخَالُهَا صَبَغَ الشَّابَابُ النَّاطِرُ الْمَتَوَسِّمُ
فِيهَا رِمَاحُ الْخَطِّ مَرْهَفَةَ الشَّابِ^(٥) تُرْدِي الطَّعْنَ ، وَلَا يُضْرَجُهَا^(٦) دَمُ
مِنْ كُلِّ أَهْيَفٍ إِنْ جَرَى فِي طَرَسِهِ نَاجِي ، فَأَفْهَمَ ، وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
بِيضُ الْيَادِي فِي سَوَادِ لُعَابِهِ فَكَأَنَّمَا الْأَرْزَاقُ مِنْهُ تَقْسَمُ
تَحْوِي مُسَلَّطَةً^(٧) عَلَيْهَا ، يَخْدَشِي مِنْ حَدِّهَا الْمَاضِي الْحَسَامُ الْمُخْذَمُ^(٨)
تَأْدِيبُهَا لَهُمْ يَقْطَعُ رُءُوسَهُمْ إِنْ قَصَّرُوا فِي السَّعْيِ عَمَّا تَرُسُّمُ
فَانْعَمَ بِحُسْنِ قَبُولِهَا مُتَطَوَّلًا فَالشُّكْرُ لَا يَحْوِيهِ إِلَّا مُنْعَمُ

(٥) الشبا : جمع شباة ، وهي حد كل شيء .

(٦) ضرجه : لطفه .

(٧) المسلطة هنا يراد بها : السكين .

(٨) المخذم : القاطع .

(١) ترتدى : تلبس الزداء . وتنتطق : تلبس الملقطة .

(٢) راجع وصفه للضرس ص ١٥٣ .

(٣) لم أسبر : لم أختبر .

(٤) نوع من الجلود .

باب الملح

قافية الباء

(٢٨٠)

وقال على لسان الشيخ أبي صالح بن المهذب رحمه الله ، على سبيل المداعبة ،
في جارية اسمها شوق ، كانت لبعض العرب النازلين بشيرز ، وكان ينفر
من ذكرها له :

قولا لريم ^(١) في حلة ^(٢) العرب :	إليك أشكو ما يصنعُ اسمك بي
بما استجارت عينك سفك دمي	وأخذ قلبي في جحلة السلب
جارك أولى برغي ذمته	إن أنت راعيت حرمة الصقب ^(٣)
لولاك ، والدهر كله عجب	ما خفرت في ذمة العرب
هذا هوبي ، كنت في بلهنية	عنه ، فيا للرجال للعجب
أسترق الكريم ذا النسب الوا	ضج عبيد مستعجم النسب
ويحمل الثأر من به خور ^(٤)	عن احتمال الرجال والقلب ^(٥)
نشدتك الله في احتمال دمي	فعشيري ما يفوتهم طلي
ما فات قومي آل المهلب من	قبلي ثأر في سالف الحقب
فلا تربقي دما لدى أدب	يسطو بأقلامه على القضب ^(٦)

(١) التزم : الفلي الخالص البيضاء .

(٢) الحلة بكسر الحاء : القوم النزول ، وجماعة بيوت الناس .

(٣) الصقب بالتحريك : القريب والقرب .

(٤) الخور : الضعف .

(٥) الرجال : الخلائيل . والقلب : سواد المرأة .

(٦) نقضب : السيوف .

قافية الشاء

(٢٨١)

وقال بمحصن الطوبان^(١) على سبيل الدُّعابة :
متى أرى الطُّوبَانَ قد مهَّدت حيطانَه السُّودَ المحارِثُ
ما فيه إلَّا رِيحُ عادٍ ، وأجلاف طَفَّامٍ^(٢) ، وبراعِثُ

قافية الراء

(٢٨٢)

وقال ، على سبيل المجون ، في سوداء :
شبيهة حَبَاتِ القُلُوبِ ، لك الهوى وهل لفؤادٍ عن سُويدانه صَبْرُ
على تَحْرُكِ الدَّابِجِي زها الدَّرُّ مثلها زَهَتْ في دِياجِي اللَّيْلِ أَنجَمُ الزُّهْرِ
لَأَنْتِ شَبَابٌ ما يَشِينُ سِوَاهُ بياضُ مَشِيْبٍ ، والشَّبَابُ هو العَمْرُ
لقد أَكْثَرَ اللُّؤَامُ فِيكِ ، وجهلُهم إِذا عَنَّفُونِي في هِوَاكِ ، هو العُدْرُ

(٢٨٣)

وقال أيضا بمصر ، وكان له جارٌّ من الأمراء يعرف بفخر الملك بن طَلَيْبٍ ،
وقعت في داره نارٌ فاحترقت ، وقصد المجنون معه والعبث :
أُنْظِرْ إلى الأَيامِ ، كيفَ تَقْودُنَا قَسْرًا إلى الإِقْرارِ بالأَقْدَارِ
ما أوقَدَ ابنُ طَلَيْبٍ قَطُّ بِدارِهِ نارًا ، وكان هلاكُها بالنَّارِ

(١) الطوبان : حصن من أعمال حصن أرماء . (يا قوت) .

(٢) الطفام : أوغاد الناس .

قافية الشين

(٢٨٤)

وقال ^(١) :

أَمِيرُنَا ^(٢) زَاهِدٌ، وَالنَّاسُ قَدْ زَهَدُوا لَهُ ؛ فَكُلُّ عَلَى الطَّاعَاتِ ^(٣) مُنْكَشُ
أَيَّامُهُ ، مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ : طَاهِرَةٌ ^(٤) مِنَ الْمَعَاصِي ، وَفِيهَا الْجُوعُ ، وَالْعَطَشُ

قافية الصاد

(٢٨٥)

وقال :

رَمَانُ مِصْرَ كَأَنَّهُ ذُرَّةٌ أَكَلَهُ شَاخِصٌ ^(٥) مِنَ الْغُصَصِ
وَالرِّيْقُ فِيهَا ، فَدَعَّ سِوَاهُ ، إِذَا أَسَاغَهُ الْمَرْءُ كَانَ بِالنَّغَصِ
وَلَيْسَ يَرْضَى اللَّيْبُ عِيشَتَهُ فِيهَا ، وَلَكِنْ زُرِّيْقٌ ^(٦) فِي الْقَقَصِ

قافية القاف

(٢٨٦)

وقال يداعب بعض الاصحاب :

إِذَا صَاحَبْتَ عَمْرًا فِي طَرِيقٍ فَقَدْ سَايَرْتَ ظِلَّكَ فِي الطَّرِيقِ
فَإِنَّ لَمْ تَلَقَ إِنْسَانًا سِوَاهُ تَرَأَفْتُهِ ، فَأَنْتَ بِلَا رَفِيقِ

(١) هذان البيتان ممدودان بالألف في النسخة ١٠٣ : ١٠٤ ، وياقوت في معجم البلدان ٥ : ٢٠٤ ، والروستين ٢ : ١٢٩ .

(٢) في النسخة ١٠٣ : ١٠٤ ، وياقوت "سلطاننا" .

(٣) في المصدرين السابقين "الخيرات" .

(٤) في المصدرين السابقين "خالية" .

(٥) شخص بصره : فتح عينيه وجعل لا يظفر .

(٦) زريق : طائر

قافية اللام

(٢٨٧)

وقال في أعرج :

عَابُوا هَوَى شَادِنٍ^(١) فِي رَجْلِهِ قَصْرٌ مِنْ سُكْرِ الْحَاظِهِ فِي مَشْيِهِ تَمَلُّ^(٢)
وَمَا هَوَى خُوطٍ بَانَ مَاسَ مِنْ هَيْفٍ عَيْبٌ، وَإِنْ كَانَ عَيْبًا فَهُوَ مُحْتَمَلٌ

قافية الميم

(٢٨٨)

وقال ، وقد اجتاز بقرية له من أعمال بالوا^(١)، تسمى لُغَى كُوم، كثيرة الفواكه والأشجار ، باردة الماء ، وجميع فلاحيتها أُرْمَنُ لا يعرفون العربية :

نَزَلْتُ بِأَرْضٍ (بَالُوا)، وَهِيَ حِصْنٌ عَلَا ، حَتَّى تَمْنَقَ بِالنُّجُومِ
بُرُومٌ ، لَا تَلَانُهُمْ طِبَاعِي وَمَا الْعَرَبُ ذُو الْإِلْفِ بُرُومِ
سَلَامُهُمْ (هَزَارُ^(٥) بَارِيكَ) مَاذَا شَبِيهُ سَلَامِ نُخْرَانَ النَّعِيمِ
وَإِنْ كَلَّمْتَهُمْ قَالُوا: (اشْكَدِيمِ)^(٦) وَلَسْتُ بِعَالِمٍ مَعْنَى (اشْكَدِيمِ)
وَمَا تَسْوَى^(٧) (لُغَى كُومِ) وَإِنْ هِيَ سَجَا^(٧) لَيْلِي بِهَا، وَصَفَا نَسِيمِي
وَبَرْدُ مِيَاهِهَا ، وَجَنَى جَنَانٍ تُحِيطُ بِهَا ، وَيَانَعَةُ الْكُرُومِ
مُقَامِي بَيْنَ قَوْمٍ ، إِنْ تَدَاعَوْا سَمِعْتُ دَعَاءَ أَصْدَاءِ^(٩) وَبُومِ

(١) الشاهن : ولد الظبية قوى واستغنى عن أمه . (٢) التمل محركة : السكر . تمل كفرح فهو تمل .

(٣) الخوط : الفصن الناعم .

(٤) في ياقوت : بالوقلة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية بين أذن الروم وخراسان .

(٥) هذه ألفاظ غير عربية .

(٦) يقال هو لا يساوى شيئا . ولا يسوى كيرضى قليلا . (٨) سجا : سكن .

(٩) أصداء : جمع صدى : ما يردده الجبل على المصوت فيه .

(٢٨٩)

وقال في ولد له اسمه عتيق ، وكنيته أبو بكر ، على سبيل المجون :
عتيقٌ كاهللال ، إذا تبدَّى لسارى الليل من تحت النجوم
تقول ، إذا به الأترابُ حفوا : أهذا البدر ما بين النجوم

قافية النون

(٢٩٠)

وقال بدمشق ، وكتب بها إلى أصدقائه ، وهم عند سماع ، على طريقة الصوفية ،
فيهم صبيٌّ قوَّالٌ ، لاسمه رضوانٌ ، حسنُ الصَّنَاعَةِ والوجه ، على سبيل المجون :
يا ساكني جنَّةٍ ، رضوانُ خازنها هنيئُ العيش في رَوْحٍ وريحان
مرُّوا النَّسيمَ ، إذا ما الفجرُ أيقظه بحمله طيبَ نَسْرِ^(١) منه أحياني
أو قابَعُوا نَغْمَةً منه يعيشُ بها قلبي ، فقد مات مُذْ حينٍ وأزمانٍ
ظبيُّ أغن^(٢) تردى بالدُّبحى ، وجلا شمسُ النَّهار ، على غُصْنٍ من البانِ
في فيه ما في جنانِ الخلد : من دُرِّ ومن رَحِيقٍ ، ومن مسكٍ ، ومرجانٍ
إذا بداً وشداً في مجلسٍ ظنُّوا بُنيةِ النَّفسِ من حُسْنٍ وإحسانٍ
لا تَنسَني يا أبانَصير^(٣) ، إذا حضرتُ قلوبكم بين مرُمومٍ وطَرَخاني^(٤)
كن لي وكيلاً على الرؤيا ، ووكل لي سواك يسمع عني شدو رضوان

(١) النشر : الريح الطيبة .

(٢) الأغن من الغزلان وغيرها : الذي في صوته غنة .

(٣) كان أبو نصر هذا أطرؤشا . اه قلا عن الديوان .

(٤) طَرَخان : اسم للرئيس الشريف : كلمة خراسانية . وزم القرية : ملاها .

وَقُلْ لَهُ : يَتَغَنَّى مِنْ قَلَانِدِهِ صَوْتًا يُجَدِّدُ لِي شَجْوِي ، وَأُشْجَانِي
نَسِيمُهُ يَتَلَقَّانِي بِزَوْرَتِهِ مُبَشِّرًا لِي بِهِ مِنْ قَبْلِ يَلْقَائِي

(٢٩١)

وقال ببغداد ، وهو متوجه إلى مكة :

وَصَفُّوا لِي بِبَغْدَادَ حِينًا ، فَلَمَّا جِئْتُهَا ، جِئْتُ أَحْسَنَ الْبُلْدَانِ
مَنْظَرٌ مَبْهِجٌ ، وَقَوْمٌ سَرَاءُ^(١) قَدْ تَحَلَّوْا بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
لَيْسَ فِيهِمْ عَيْبٌ سِوَى أَنْ فِي كُلِّ بَنَانٍ عِلَاقَةٌ الْمِيزَانِ
وَسَمِعْنَا ، وَمَا رَأَيْنَا سِوَى أُمِّ ظُلُومٍ^(٢) فِيهَا مِنَ النِّسْوَانِ
وَهِيَ جَنِيَّةٌ كَأَقْبَجٍ مَا شَرَّهَهُ رَبُّنَا مِنَ الْغِيلَانِ
إِنَّ فِيهَا مِنَ الصَّبَايَا شُمُوسًا فِي غُصُونٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبَانِ
شَغَلْتَنَا السَّبْعُونَ وَالْحِجُّ عَنْهُمْ ، فَقَلْنَا بِالسَّمْعِ دُونَ الْعِيَانِ

(١) السراة : السادة .

(٢) أم ظلوم : عجوز كانت في الدار التي ترلها ببغداد فيبحة المنظر . أه قلاعن هاشم الديوان .

باب المديح

قافية الباء

(٢٩٢)

قال في الأفضل عباس بن أبي الفتح^(١) ، شفاعة لإنسان :

لقد عمَّ جُودُ الأفضل السَّيدَ الورى وأغنى غناء الغيث حيثُ يَصُوبُ
أعدت ربيع النَّاسِ في كُلِّ بلدةٍ فليس بها للرائدين جُذُوبُ
وجادت لهم بالمالِ يَمَّاكَ ، إنَّها بذول على بُحْلِ الزَّمانِ وهُوبُ
وفي^(٢) كلُّ حيٍّ قد خَبَطَتْ بِنِعْمَةٍ حُقَّتْ لِنَاسٍ من تَدَاكِ ذُنُوبُ^(٣)

(٢٩٣)

وكتب إلى الملك الصَّالح من قصيدة سيأتى أولها :

غرَّني لامعُ السَّرابِ ، وهذا السَّبحرُ دُونِي عَذْبُ المِياهِ شَرُوبُ
سرتُ أَسْتَفْرِئُ الحَوَّلَ ، وفي أرَضِي مَرَعِي عَيْنِ^(٤) ، ووَادٍ قَشِيبُ
وسحابٌ منه تَعَلَّيْتُ السَّحْبُ ، وإن لم تُشِيرْهُ ، كيفَ تَصُوبُ
سوءُ حِظِّ أَنَايَ عن الملكِ الصَّالحِ ، والحِظُّ يَنْتَهِي وَيُثُوبُ^(٥)
وإلى بابِهِ مَالِي ، ولَلآ بَيْتِ^(٦) حُسْنُ القَبُولِ حينَ يُنِيبُ^(٧)

(١) وزير مصرى قتله الفرنج سنة ٥٥٠ هـ . راجع المقدمة .

(٢) هذا البيت لعقمة بن عبدة كافي اللسان (خط) وشاس امم أنى عقمة . وخطه بنعمة : أعطاه .

(٣) الذنوب : الخط والنصيب . (٤) العين : بقر الوحش .

(٥) تاب : رجع . (٦) الآبق : الهارب .

(٧) أناب : تاب .

غَابَ عَنْهُ جِسْمِي ، وَقَلْبِي مَا زَا لَ مُقِيمًا بِبَابِهِ ، لَا يَغِيبُ
 فَإِذَا مَا سَمِعْتَ بِالنَّازِحِ ^(١) الدَّانِي إِيَّايَ ذَاكَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
 وَمَتَى مَا قُرْبْتُ مِنْهُ لَحْظِي مِنْ عُلَاهُ التَّقَرُّبِ وَالتَّرَحُّبِ
 وَبِمَا نِلْتُ مِنْ نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَقْسَمْتُ صَادِقًا لَا أَحُوبُ ^(٢)
 لَا ثَنَانِي الْإِعَادُ عَنْهُ ، وَإِنْ حَاكَ لَتَ أَعَادُ مِنْ دُونِهِ وَحُرُوبُ
 أَوْ يُرَوِّى بِرُؤْيِي وَجْهَهُ الْمِيمُونَ قَلْبِي الصَّادِي وَطَرَفِي السَّكُوبُ
 وَيَقُولُ الْأَنَامُ : آدَمُ قَدْ عَا دَ إِلَى الْخُلْدِ ، إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
 خِفَاتِي ، وَإِنْ بَلَغْتُ بِهِ الْمَأْمُولَ ، فِي غَيْرِ ظِلِّهِ لَا تَطِيبُ
 يَا أَخَا الْيَدِ وَالسَّرَى ، وَأَخِي السَّبَرِ ، إِذَا عَقَنِي أَخٌ وَنَسِيبُ
 قُلْ لِيَغِيثِ الْهَتُونِ فِي أَزْمَةِ الْحَلِّ ، وَغَوِيَّ إِنْ أَرَهَقَنِي الْخَطُوبُ
 كَاشِفِ الْغَمَّةِ الْمُبْرِ عَلَى الشُّحْبِ بِجُودِ مَدَى الزَّمَانِ يَصُوبُ : ^(٣)
 يَا رَبِّيعِي الْمَرْيَعِ ، حَاشَاكَ أَنْ تُنْمَحِلَ رَبِّيعِي ، وَأَنْتَ ذُنُوحِي ، الْجَدُوبُ
 أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ دَهْرًا لِحَا ^(٤) عُوْدِي ، وَأَعْرَاهُ ، فَهُوَ يَنْسُ سَلِيبُ
 وَخُطُوبًا رَمَى بِهَا حَدِيثُ الدَّهْرِ هَرِ سَوَادِي ^(٥) ، وَكُلُّهُنَّ مُصِيبُ
 أَذْهَبَتْ تَالِدِي ^(٦) وَطَارَفِي الطَّارِي فَضَاعَ الْمُرُوثُ وَالْمَكْسُوبُ
 فَهُوَ شَطْرَانِ بَيْنَ مَصْرٍ وَبَحْرِ ذَا غَرِيقٍ فِي ^(٧) ، وَذَا مَنُوبُ
 وَإِبَانِي أَرَاهُ عَنْ حَمَلِهِ الْمَنْ ضَعِيفًا ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الرَّكُوبُ

(١) تَرَج : بَعْد . (٢) الْخُوب : الْإِثْم .

(٣) الصُّوب : الْإِنْصَاب . (٤) لِحَا الشَّجَرَةِ : قَشْرُهَا .

(٥) السَّوَاد : الشَّخْص . (٦) التَّالِد : نَمَا وَلَدَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِكَ أَوْ تَنَجَّ : وَالطَّارِف : الْحَدِيثُ مِنَ الْمَالِ .

(٧) الْغَرِيقُ : الْغَنِيمَةُ .

وِيرَى كُلَّ مَنَّةٍ لِسَوَى الصَّامِ لِحْجٌ غُلًّا فِي حَمْلِهِ تَعْذِيبُ
 مَا اعْتَذَارُ الْمُنَى إِذَا مَطَّلَتْنِي بِطِلَاسِي ، وَفَضْلُكَ الْمَطْلُوبُ
 أَوْ لَيْسَتْ مِصْرًا ، وَكُلُّ بَنَانٍ لَكَ بِحَرٍّ ، وَكُلُّ عَيْدٍ خَصِيبُ
 وَاللَّيْطُ طَبْعُكَ الْكَرِيمُ ، فَمَا أَهْنَى نَوَالًا تُنِيلُهُ ، وَتُثِيبُ
 جَاءَنِي وَالْبِعَادُ دُونِي ، كَمَا جَاءَ بَتَّ فَيَافِي^(١) الْبِلَادِ رِيحُ هَبُوبُ
 وَعَجِيبُ أَنْتَ الْمَوَاهِبِ تَسْرِي وَيَقِيمُ الْمُسْتَرْفِدُ^(٢) الْمَوْهُوبُ
 سُنَّةٌ سَنَهَا نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِيهَا لِكُلِّ خَلْقٍ نَصِيبُ
 مَنْ ثَنَانِي طَوَى إِلَيْهِ الْفَيَافِي^(١) وَهَرَمَ مِنْ كُلِّ ذِي اقْتِرَابٍ قَرِيبُ
 وَلَهُ بِالْأَسْرَالِ بَاعٌ طَوِيلٌ وَيَدٌ سَبْطَةٌ ، وَصَدْرٌ رَحِيبُ
 وَبِأَيَّامِهِ تَبَسَّ مَتِ الدُّنْيَا سُورًا ، فَلَا اعْتَرَاهَا قُطُوبُ

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهَا^(٣) :

يَا أَخْلَافِي بِالشَّامِ لَنْتَ غَبِثُ ، فَشَوْقِي إِلَيْكُمْ لَا يَغِيبُ
 غَضَبَتْنَا الْأَيَّامُ قَرَبَكُمْ مِنَّا ، وَلَا بَدَأَ أَنْ تُرَدَّ الْغُصُوبُ
 وَلَكُمْ ، إِنْ نَشِطْتُمْ عِنْدَنَا إِلَّا كِرَامٌ ، وَالرَّفْدُ^(٤) ، وَالْحُلُّ الْخَصِيبُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ غَيْثَ أَيَادِينَا عَلَى النَّاسِ بِالنُّضَارِ^(٥) سَكُوبُ
 وَبِنَا يُدْرِكُ الْمُؤَمِّلُ مَا يَرَى جُوهَ قَدَمًا ، وَيُنْقَذُ الْمَكْرُوبُ
 نَحْنُ كَالشَّحْبِ : بِالْبَوَارِقِ وَالرَّعْدِ لَدَيْنَا التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهيبُ

(١) الفَيَافِي : جَمْعُ فَيْفَا ، وَهِيَ الْمَقَازَةُ لَا مَا فِيهَا .

(٢) الْمُسْتَرْفِدُ : الْمُسْتَعِينُ . (٣) مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ .

بِأَنِّي شَفَعْتُكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ حَيَاتِي ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ

وَانْظُرْ ص ٧ وَص ١٥٣ وَ ٢٩٦ . وَجَزْءٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّصِّ فِي الرَّوْضَيْنِ ١ : ١٠٦ وَ ١١٨ .

(٤) الرِّفْدُ : الْعَطَاءُ وَالصَّلَاةُ . (٥) النُّضَارُ : الذَّهَبُ الْخَالِصُ .

تَارَةً تُسْعِرُ الْحُرُوبَ عَلَى النَّاسِ ، وَطَوْرًا بِالْمَكْرَمَاتِ نَصُوبٌ ^(١)
كَرَّةَ الشَّامِ أَهْلَهُ ، فَهُوَ مُحَقَّقٌ بِالْأَلَا يُقِيمَ فِيهِ لَيْبٌ
إِنْ تَجَاثَّ عَنْهُ الْحُرُوبُ قَلِيلًا خَلَقَهَا زَلْزَلٌ ^(٢) وَخُطُوبٌ
وَمِنْهَا :

أَنْ ظَنَنْيَ ، وَالظَّنُّ مِثْلُ سَهَامِ الرَّيِّ : مِنْهَا الْمُخْطَى ، وَمِنْهَا الْمُصِيبُ
إِنْ هَذَا لِأَنَّ غَدَتِ سَاحَةُ الْقَدَسِ ، وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيبٌ
مَنْزِلُ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ الْمَحْجُوجُ وَالْمَحْجُوبُ
تَزَلَّتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخُمْرُ ، وَبَارَى النَّاقُوسَ فِيهَا الصَّلِيبُ
لَوْ رَأَاهُ الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فَعَلًا ذَكَرُوا ^(٣) أَنَّهُ لَهُ مَنَسُوبٌ
أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ قَوْمٌ إِلَهُهُمْ مَصْلُوبٌ
وَمِنْهَا :

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُنَاصِحَ لِلدِّينِ ^(٤) عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ مُحْسَبٌ
وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبٌ
وَلَكَ الرِّبَةُ الْعَلِيَّةُ فِي الْأُمُورِ مَذَكَّتٌ ، إِذْ تَشَبَّ الْحُرُوبُ
أَنْتَ فِيهَا الشَّجَاعُ ، مَا لَكَ فِي الطَّعْنِ ، وَلَا فِي الضَّرَابِ يَوْمًا ضَرِيبٌ
وَإِذَا مَا حَرَضْتَ ^(٥) فَالشَّاعِرُ الْمَفْلِقُ فِيهَا تَقْوَلُهُ ، وَالْخَطِيبُ
وَإِذَا مَا أَثَرْتَ فَالْحَزْمُ لَا يُنْكَرُ أَنْ التَّدِيرَ مِنْكَ مُصِيبٌ
لَكَ رَأْيٌ مَذْقُطٌ ^(٦) ، إِنْ ضَعَفَ الرَّأْيُ ، عَلَى حَامِلِ الصَّلِيبِ صَلِيبٌ ^(٧)

(١) الصَّوبُ : الانصباب .

(٢) يشير إلى الزلازل العنيفة التي حدثت بالشام وأنتدلى شيزرومن فيها من أهل أسامة . راجع مقدمة الديوان .

(٣) في هامش الديوان : زعموا .

(٤) في الروضتين : في الدين .

(٥) في الروضتين : قرضت .

(٦) في الروضتين : يقظان .

(٧) الصَّلِيبُ : الشَّعِيدُ .

فانهض الآن مُسرِعاً ، فبأمتنا لك ما زال يُدرك المَطْلُوبُ
والقِ عَنَّا رِسَالَةً عِنْدَ نُورِ الدِّينِ ، ما في إلقيائها ما يَرِيبُ
قُلْ لَهُ ، دَامَ مُلْكُهُ ، وَعَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الإِقْبَالِ بُرْدُ قَشِيبٍ : (١)
أَيُّهَا الْعَادِلُ الَّذِي هُوَ لِلدِّينِ شَبَابٌ ، وَلِلْحُرُوبِ شَيْبٌ (٢)
وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ قَدِيمًا عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْعَزَمِ مِنْهُ تَجَلَّى الْكُرُوبُ
وَعَدَا مِنْهُ لِلْفَرَنْجِ إِذَا لَا قُوَّةَ يَوْمٌ مِنَ الزَّمَانِ عَصِيبُ
إِنْ يَرُمُ (٣) نَزَفَ حَقْدَهُمْ فَلَأَشْطَبَ إِنْ (٤) قَنَاهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ قَلِيبُ (٥)
غَيْرِنَا مَنْ يَقُولُ مَا لَيْسَ بِمُضِيهِ بِفَعْلٍ ، وَغَيْرُكَ الْمَكْذُوبُ
قَدْ كَتَبْنَا إِلَيْكَ ، فَوَضَحْنَا لَنَا الْآنَ (٦) بِمِذَا عَنِ الْكُتَابِ مُجِيبُ
قَصْدُنَا أَنْ يَكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ أَجَلٌ فِي مَسِيرِنَا مَضْرُوبُ
فَلَدِينَا مِنَ الْعَسَاكِرِ مَا ضَا قَ بَادَانَهُمُ الْفَضَاءُ الرَّحِيبُ
وَعَلَيْنَا أَنْ يَسْتَهْلَ (٧) عَلَى الشَّائِمِ مَكَانَ الْغِيُوثِ مَا لَ صَبِيبُ
أَوْ تَرَاهَا مِثْلَ الْعُرُوسِ : تَرَاهَا كُلُّهُ مِنْ دَمِ الْعِدَا مُخَضْرُوبُ
إِطْيَانِ السُّيُوفِ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ عَلَى هَامِ أَهْلِهَا تَطْرِبُ
وَلِجَمْعِ الْحَشُودِ مِنْ كُلِّ حِصْنٍ سَلْبٌ مُهْمَلٌ لَهُمْ وَنُوبُ
وَيَحُولِ الْإِلَهِ ذَاكَ ، وَمِنْ غَا لَبِ رَبِّي فَإِنَّهُ مَغْلُوبُ (٨)

(١) قشيب : جديد .

(٢) هو شبيب بن يزيد الشيباني أحد أبطال الحروب ومن كبار الثائرين على بني أمية . توفي سنة ٧٧ هـ .

(٣) هذه رواية الروضتين وفي الأصل : ترم . (٤) الشطن محرّكة : الخيل الطويل .

(٥) القلب : البر . (٦) في الروضتين : ماوضح الآن .

(٧) استهل المطر : اشتد انصبابه .

(٨) هذه القصيدة وصفت لما أصاب القدس في عهد الحروب الصليبية واستنأض من الوزير المعمرى الملك الصالح

للكرّمادول نور الدين محمود كي يجتمع شمل البلدين لطرد العدو من الوطن المغتصب .

قافية الجيم

(٢٩٤)

وقال :

يَا مُتَهَيِّ الْأَمَلِ امْتَدَّتْ مَطَارِحُهُ وَيَا حَيِّ مَنْ إِلَيْهِ فِي الْخُطُوبِ لِحَا
هَذِي نَتِيجَةُ فِكْرٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي عَقِيمًا ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا نُنَجَّا
أَتَتْكَ تَحْمِلُ شُكْرًا لَوْ قَرَنْتَ بِهِ لَطِيمَةً^(١) لَا كَتَسْتَ مِنْ نَشْرِهِ^(٢) أَرْجَا^(٣)

قافية الحاء

(٢٩٥)

وقال^(٤) :

فَيَا أَخَا الْعِزِّ يَطْوِي الْبَيْدَ مُنْصَلِّيًا فِي سَيْرِهِ عَنْ مَسِيرِ الْعَاصِفَاتِ وَحَى^(٥)
قُلْ لِلْهَذَبِ فِي فَضْلِ ، وَفِي خُلُقٍ وَلِلْبَلِغِ ، إِذَا مَا جَدَّ أَوْ مَرَحًا
مَنْ يَنْثُرُ الدَّرَّ فِي نَثْرِ الْكَآبَةِ إِنْ شَاءَ ، وَيَنْظُمُهُ فِي النَّظْمِ إِنْ مَدَحًا
مَنْ لَفْظُهُ تُسَكَّرُ الصَّاحِي فَصَاحَتُهُ^(٦) وَلَوْ وَعَى فَضْلَهُ ذُو سَكْرَةٍ لَصَحَا :
أَتَتْكَ مُغْرِبَةُ الْأَنْبَاءِ مُعْرِبَةً عَنْ مُخْلِصٍ ، إِنْ دَنَا فِي الْوُدِّ ، أَوْ تَزَحَّا

(١) اللطيمة : المدك .

(٢) النثر : الريح الطيبة .

(٣) الأرج : توهج ريح الطيب .

(٤) لعل أول القصيدة في باب الغزل ص ١١ قوله : أَرْتَهُ غَرْتَهُ فِي الْحَجَرِ مَصْلَعِي .

أو قوله : عَقَائِلُ الْحَى أُمُّ سَرَبٍ الْمَيَّا سَبْعَا ...

(٥) الوحي : المعجزة والإيماع . وانصلت : مضى وسبق .

(٦) في دأمش الديوان : بلاغته .

فاسمع ، فلا زلت للخيرات مُستمعاً أُعجوبةً مثلها في الكتب ما شَرَحَا
مولاي إن سدَّ عني باب أنعمه ولم يزل للورى بالفضل مُنفَعَا
ولم يجذ لي بطرف من مواهبه وكم حَبَانِي ، وكم أَسْنَى ^(١) لى المنعَا
بجوْده السَّكْبُ إن أكَدْتُ ^(٢) مُحَايِلُهُ ^(٣) يوماً ، فكم سَخَّ بالنُّعْمَى ، وكم سَفَحَا
وكم له من يدٍ عُنْدِي تَزِيدُ عَلَى ما سَامَهُ الأملُ المُشْتَطُّ واقْتَرَحَا
أقلُّ مانِلْتُ من جَدْوَى ^(٤) يديه غنى ما سَاءَ نِي بَعْدَهُ مَن ضَنَّ أَوْ سَمَحَا
لقد غَنَيْتُ به عنه ، كما غَنَى السَّحْبُ بِالسُّحْبِ عَنْهَا ، بعد ما طَفَحَا
لكن بقلبي همُّ زاد سورته وهمُّ إذا قلتُ يَنْجُو زَنْدُهُ قَدَحَا ^(٥)
أظنُّ نِي العجزُ في الحربِ العَوَانِ ، وهل لها سِوَايَ من الأبطالِ قُطْبُ رَحَى
ومنها :

فَقُلْ لَهُ ، جَدَّدَ الله البقاءَ لَهُ . ما شَقَّ جِيبَ الدُّجَى صُبْحٌ وما وَضَحَا :
كم قد بعثتُ إلى عَايَاكَ من أَمَلٍ أُنَلِّتَنِيهِ ، وكم من مَطْلَبٍ نَجَحَا
وأنتَ من لو حَبَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا لم يُرْضِهِ ما حَبَا مِنْهَا وما مَنَحَا
وما سَلِمَتْ فَذُنْبُ الدَّهْرِ مَعْتَقَرُ وَضَرَفُهُ ما جَنَى جُرْماً ولا اجْتَرَحَا ^(٦)

قافية الدال

(٢٩٦)

وقال :

كناسُ سِرْبِ المَها عَرِيسَةُ الأَسَدِ ^(٧) فكيفَ بالوَصْلِ لاسْتَهْتَر ^(٨) الكَمَدُ
والْبَيْضُ ، دُونَ خُدُورِ البَيْضِ ، مُصَلَّتَةٌ حَكَتْ جَدَاوِلَ ماوٍ غيرَ مُطَّرَدُ

(١) أجزل . (٢) أكَدَى : بَحَلَ ، أو قَلَّ خَبْرُهُ . أو قَلَّ عَطَاءُهُ . (٣) مُحَايِلُهُ : جَمْعُ مُحَايِلَةٍ مِنْ خَالٍ بِمَعْنَى خَانَ .

(٤) الجَدْوَى : العَطِيَّةُ . (٥) سورة النِّبَى : حَدَّثَهُ . وَيَنْجُو : يَسْكُنُ . وَقَدَحَ بِالزَّيْدِ : رَامَ الْإِثْرَ بِهِ .

(٦) صرف الدهر : نَوَائِبُهُ . واجتَرَحَ : اكْتَسَبَ .

(٧) الكناس : مُسْتَرِ الطَّيْرِ فِي الشَّجَرِ . وَالْمَها : بَقَرُ الْوَحْشِ . وَالْعَرِيسَةُ : مَا رَى الْأَسَدُ .

(٨) اسْتَهْتَرَ بِكَذَا عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ قَاعَهُ : قَتَنَ بِهِ ، وَذَهَبَ عَقْلُهُ ، وَانْصَرَفَ هَمُّهُ إِلَيْهِ .

وَكُلُّ أَسْمَرَ فِيهِ لَهْدَمٌ ذَرَبٌ^(١) بَلَدُوه النَّارَ لَمْ تُقْبَسْ وَلَمْ تَقْدَ
 إِذَا تَسَدَّدَ دَاوَى كُلِّ ذِي لَدَدٍ^(٢) وَإِنْ تَأَوَّدَ^(٣) سَاوَى مِيلَ ذِي الْأَوْدِ
 وَالْيَضُّ وَالسُّمُّ لَا تَرَوَى بَغِيرَ دِمٍّ مِنْ كُلِّ جَانِثَةِ الْأَرْجَاءِ بِالزَّبَدِ
 صَدِينَ حَتَّى جَلَاها فِي النُّحُورِ وَفِي الْهَامَاتِ أَوْعُ يُرَوَى غُلٌّ^(٤) كُلُّ صَدٍ
 مَنْ أَظْهَرَ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَ إِذْ عُدِمَا إِلَى الْوُجُودِ بِضَرْبِ الْهَامِ وَالصَّهْفَدِ^(٥)
 وَنَفَقَ الْعِلْمُ مِنْ بَعْدِ الْكَسَادِ ، فَمَا تَرَى سِوَى طَالِبٍ لِلْعِلْمِ مُجْتَهِدٍ
 مَنْ عَدْلُهُ أَمَّنَ الشَّاءَ الْمَهْمَلُ فِي الْأَعْرَيْنِ أَنْ يَتَوَقَّى وَثْبَةَ الْأَسَدِ
 مَنْ يَلْتَقِي الْمُنْذِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا جَنُوهَ قَصْدًا بَعْفُو غَيْرِ مُقْتَصِدٍ
 يُسْنِي الْمَوَاهِبَ مَسْرُورًا بِهَا جَدَلًا فَهُنَّ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٦) وَلَا نَكِدِ
 وَمَا تَذَمَّرَ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ غَضَبٍ إِلَّا جَلَا عَنْ مُحِيٍّ بِالْحَمَاءِ نَدِ
 كَالْمَشْرِفِيَّةِ فِيهَا حُسْنُ رَوْنِقِهَا فِي السَّلَمِ ، وَالْحَرْبِ ، وَالْهَامَاتِ ، وَالْغُمْدِ

قافية الراء

(٢٩٧)

وقال :

يَا مُنْقَذِي ، وَيَدُ الزَّمَانِ تَنْوُشُنِي^(٧) وَمُقْبِلَ جَدَى ، وَهُوَ كَابٍ عَائِرُ^(٨)
 حَتَّامٌ أَنْتَ لِتَقْبِلَ هَيَّ حَامِلٌ وَمَا يَبْيِضُ^(٩) الدَّهْرُ مِنِّي جَابِرُ
 وَمُقَارِعُ دُونِي الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ مُسْتَلْثَمِينَ^(١٠) ، وَأَنْتَ فَكُذِّ حَامِرُ

- (١) الهمم : القاطع من الأسمه . والدرب : الحاد . (٢) اللدد : الخصومة الشديدة .
 (٣) أود : أعوج . (٤) الغل : العطش . والصدى : العطشان .
 (٥) الصفد محرقة . الوثاق . (٦) من الحيل : قطعه .
 (٧) تنوشني : تناولني .
 (٨) أقال جدّه : رفعه من سقوطه . والجد : الحظ . وكذا : انكب على وجهه .
 (٩) هاض : كبر .
 (١٠) استلام : لبس اللامه وهي الدرع . والحاسر : المتكشف .

مهلاً ، فِدَى لَكَ مَهْجَةً دَافَعْتَ عَنْ حَوَابِهَا^(١) ، إِذْ لَيْسَ غَيْرَكَ نَاصِرُ
خَفِضَ عَلَيْكَ ؛ فَلِلْأُمُورِ نِهَايَةٌ وَإِلَى النِّهَايَةِ كُلِّ شَيْءٍ صَائرٌ

(٢٩٨)

وقال يمدح الأمير مُعِين الدِّين أنُرُوقْد لَقِيَ الفَرَنْجِ فَهَزَمَهُمْ :
كُلَّ يَوْمٍ فَتَحَ مَبِينٌ ، وَنَصَرَ وَاعْتَلَأَ عَلَى الْأَعَادِي وَقَهَرُ
قَدْ أَتَاكَ الزَّمَانُ بِالْعُذْرِ وَالْإِعْتَابِ^(٢) مِمَّا جَنَاهُ ، إِذْ هُوَ غِرُّ
صَدَقَ النَّعْتُ فَيْكَ ، أَنْتَ مُعِينُ الدِّينِ ، إِنَّ النُّعُوتَ قَالَ وَزَحَرُ
أَنْتَ سَيْفُ الْإِسْلَامِ حَقًّا ؛ فَلَا فَلَ غِرَارِيكَ أَيُّهَا السَّيْفُ دَهْرُ
بِكَ زَادَ الْإِسْلَامُ يَاسِيفَهُ الْخِزْدَمُ^(٣) عِزًّا ، وَذَلَّ شِرْكُ وَكُفْرُ
ثِقَ بِإِدْرَاكِكَ مَا تَوْقَلُ ؛ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْعِبَادَ عَمَّا أَسْرَوْا
لَمْ تَزَلْ تُضْمِرُ الْجِهَادَ مُسِرًّا ثُمَّ أَعْلَنْتَ ، حِينَ أَمَكَنَ جَهْرُ
كُلُّ ذَخِرِ الْمُلُوكِ يَفْنَى وَذُخْرَاكَ ، هُمَا الْبَاقِيَانِ : أَجْرُ ، وَشُكْرُ
لَلنَّدَى مَالِكِ الْمُبَاحِ ، وَمَا لَكَ إِلَّا جُرْدٌ^(٤) ، وَبَيْضُ ، وَسُمْرُ
عَمَّ أَهْلَ الشَّامِ عَدْلُكَ لَكِنَّا بَعْدُنَا ، وَغَايَةُ الْبَعْدِ مِصْرُ
خُفِرْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رَيِّعَ مَا كُنَّا زَرَعْنَا ، وَقَالَ زَيْدٌ ، وَعَمْرُو
أَمِنْ الْعَدْلِ أَتْنَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ شَفْعُ ، وَأَنْتَ فِي الْغَزْوِ وَتُرُ
كَانَ حَظِّي مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا شَنِيعًا ثُمَّ مَالِي فِيمَنْ يُجَاهِدُ ذِكْرُ

(٢) أَعْتَبَهُ : أَعْطَاهُ الدِّينَ وَهُوَ الرِّضَا .

(٤) جُرْدُ : جَمْعُ أَجْرَدٍ ، وَهُوَ الْقَبْرُ الْقَصِيرُ الشَّعِيرُ .

(١) الْحَوَابِ : الْفَتَنُ .

(٣) الْخِزْدَمَةُ : قِطْعَةُ .

لَا تَتَأَمَّى مَنْ كَانَ ظِلُّكَ فِي الْعُسْرِ وَضِيقِ الزَّمَانِ إِذْ جَاءَ يُسْرُ
إِنَّ حَسْنَ الْوَفَاءِ مِنْ مَلِكٍ مِثْلَكَ فَضْلٌ ، يَرُوهُ بَدْوٌ وَحَضْرُ
فَاقٍ ، وَاسْلَمْ ، وَزِدْ عَلَى رَغَمِ أَعْدَاكَ جَدًّا ، مَا أَعْقَبَ اللَّيْلَ الْبَحْرُ
لَا أَغْبَى الزَّمَانُ قَصْدَ أَعَادِيكَ ، وَلَا شَدَّ مِنْ تَبَضُّتِ^(١) جَبْرُ

(٢٩٩)

وقال :

صَدِيقُ لَنَا كَاللَّيْلِ : يَسْتُرُ السُّدُوحَ ، وَيُبْدِي النُّورَ لِلنُّورِ
يُؤَارِي إِسَاءَاتِي ، وَيُبْدِي مَحَاسِنِي وَيَحْفَظُ غَيْبِي فِي مَغْيِي وَمَحْضَرِي

(٣٠٠)

وقال في ناصر الدين نصير بن الأفضل عباس^(٢) رحمه الله :

يَا مَنْ يُبَيِّنُ الْمَالَ فِي كَسْبِ الْعَلَا وَيَرَى النَّاءَ أَجَلَ ذُنْحٍ يُذْخِرُ
أَغْرَبْتُ فِي بَذْلِ النَّوَالِ ، وَخَاطَبْتُ الْعُلَيَّا لَيْسَ بِضَائِعٍ مَا يُبْهَرُ
وَسَعَيْتَ لِلْجَدِّ الَّذِي فِي مِثْلِهِ إِلَّا عَلَيْكَ حُزُونَةٌ وَتَوَعَّرُ
وَبَذَلْتَ جُودَكَ لِلْعُفَاةِ^(٣) ، فَأَهْلَمَ
كَمْ مِنْ يَدٍ أَوْلَيْتَ بِهَا ، أَثْمَرْتُ عِنْدِي ، وَمَا كُلُّ الْأَيَادِي تُثْمَرُ
وَكِرَامَةٌ أَبَدًا ، أَبُوحُ بِشُكْرِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْكَرَامَةِ يُشْكِرُ
وَالشُّكْرُ مِنْ مِثْلِ يَزِينُ ، وَلِئِمَّا بِنَاءٍ مِنْ بِنَائِي عَلَيْهِ يُفَخَّرُ
وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ كَالْوَسِيِّ : ذَا^(٤) مِنْ قَطْرِهِ نَبْتُ ، وَهَذَا جَوْهَرُ

(٢) راجع مقدمة الديوان .

(١) أغب : جاء يوما وترك يوما . وتبيض : انكسر .

(٣) العفاة : جمع عاف وهو طالب المعروف .

(٤) أغرب : أتى بالغريب .

(٥) الوسي : مطر الربيع الأول .

(٣٠١)

وقال في الملك الصالح ، وقد تقدم أول^(١) القصيدة :

لكن مكاني من أنعم الملك الصا لِح لا تهتدي له الغير^(٢)
أنهلي ، ثم علني جوده الغم ر ، فبعدى عن بابه صدر^(٣)
فقل لمن سره يعادى : ما تبعد أرض يؤمها المطر
ماضني البعد عن ندى ملك يبلغ ما ليس يبلغ الخبر
يطلب طلاب جوده ، فلن يرجو مقام ، وللندى سفر
أبقت عطايه لي غناي ، كما تبقى عقيب السحاب الغدر

ومنها :

يامالكا أصبحت بدولته ال أيام تزهو تبهًا ، ونفتخر
أطال باعي جميل رأيك ، فال أحدث دوني في باعها قصر
وشد أزري ، حتى رجيت أن يحمل عني أنقال ما أزر
أنشرت لي أسرتي ، فشكري ، ما فاه في ، في البلاد منتشر
واندشتم^(٤) من يد الخطوب ، ولا ملجأ منها ينجي ولا وزر
سيرهم فضلك الذي أعجز الوصف ، ولم تتل مثله السير
فأعل ، ودُم ، ماعلا النهار ، وما أضاء في حندس الدجى القمر^(٥)
مشرقاً عصرنا بهيم^(٦) ، فأبالمك فيه الأوضح والغر^(٧)

(١) أول القصيدة :

ثأروا فادتك منهم الذكر ومثلهم لقلبك الفكر

راجع ص ٧٧ .

(٣) النيل : أول الشرب . والعلل : الشرب بعد الشرب . والنمر : الماء الكثير . والصدر : الرجوع .

(٢) غير الدهر : أحداثه .

(٥) الحندس : الظلمة .

(٤) أناته : أخرجه .

(٦) البهم : الأسود .

(٧) الأوضح : جمع وض ، وهو يبيض الصبح . والغرجع غرة ، وهي يبيض في الجبهة .

وَأَجْنَحَهَا بَنَتْ يَوْمَهَا ، ثُمَّ عُمِّرُ الدَّهْرَ ، حَتَّى يَفْنَى ، لَهَا عُمُرُ
يَضُوعُ مِنْهَا فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَرْبُ ثَنَاءٍ كَأَنَّهُ قُطْرُ^(١)
وَلَوْ رَأَى الْجَوْهَرِيُّ أَلْفَاظَهَا الْغَرَّ لَمَا شَكَّ أَنَّهَا دُرٌّ
هَذَا ، وَفِيهَا ، إِنْ رُمْتُ شُكْرًا لِإِنْعَاءِ مَكَ أَوْ حَصَرَ بَعْضُهُ ، حَصَرَ

(٣٠٢)

وقال :

سَأَرْحَلُ عَنْ جَنَابِكَ غَيْرَ قَالَ بِشُكْرِ يَفْعَمُ الْآفَاقَ نَشْرًا^(٢)
وَمَا شُكْرِي لِمَا أَوْلَيْتَ كُفًّا وَلَكِنِّي سَأَلِي فِيهِ عُذْرًا^(٣)

قافية السين

(٣٠٣)

وقال :

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فِتْنَى أَبَدَتْ بِهِ أَيَّامُنَا بِشَرِّ الزَّمَانِ الْعَاسِ
صَدَقَتْ أَمَانِي الْخَيْرِ فِيهِ ، فَلَمْ تَدْعُ صَدْرًا يُضْمُّ عَلَى قُوَادِ آيِسِ
نَالَ^(٤) الْعُلَا ، حَتَّى أَقَرَّ بِفَضْلِهِ وَعُلَاهُ كُلِّ مُعَانِدٍ وَمُنَافِسِ
جُودٌ كَمَا الْمُزْنِ طَلَقُ خَالِصٍ مِنْ مَنِّ مَنَانٍ وَمَنْعٍ مَمَّا كَسِ^(٥)
وَمَوَاهِبٌ لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْوَرَى مَا كَانَ يَوْجَدُ فِيهِمْ مِنْ بَائِسِ
وَنَدَى يَدٍ لَوْ أَنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي الْأَرْضِ أَثْمَرَ كُلِّ عَوْدٍ يَابِسِ

(١) القطر بالضم : العود الذي يتجذبه . وضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

(٢) قلاه : أبغضه . وفغمه الطيب : سد خياشيمه . والنشر : الريح الطيبة .

(٣) أبلاه عذرا : أداه إليه فضله .

(٤) بهامش الديوان (حاز) رواية .

(٥) ما كسه في البيع : شاحه .

قافية العلاء

(٣٠٤)

وقل في الملك الصالح من قصيدة مضى أولها ^(١) :

ومن عَلِقَتْ بالصَّالِحِ الْمَلِكُ كَفَّهُ فليس له دُونَ الْعَلَا والغنى شَرَطُ
ومن دُونِهِ، إِنْ رَابَ خُطْبُ ذَوَابِلُ وبيضٌ، وجرْدٌ، لَا الْقَتَادَةَ وَالْخُرْطُ ^(٢)
أَمَارَتْ جُدُودِي مَذْ عَلِقْتُ بِجِلْهِ وَكَانَ لَهَا فِي خُطْبِ عَشَوَاتِهَا خَبِطُ ^(٣)
له نَائِلٌ يَسْرِي إِلَى كُلِّ أَمِلٍ "إِذَا جِيرَةٌ سَمِوا النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطُوا" ^(٤)
عَلَى كُلِّ وَجْهِ نَضْرَةٌ مِنْ نَوَالِهِ وَفِي كُلِّ جَيْدٍ مِنْ صَنَائِعِهِ قُرْطُ
وَكَمْ أَمِلَ جَعِدٌ أَتَى الْيَأْسُ دُونَهُ تَلَقَّاهُ مِنْ إِنْعَامِهِ نَائِلٌ سَبَطُ
وَكُنْتُ أُرِيحِي مِنْهُ مَا دُونَهُ الْغِنَى إِذَا مَا غَدَا فِي كَفِّهِ الرَّفْعُ وَالْحُطُ
فَلَمَّا وَرَى زَنْدُ الْمَعَالِي بِكَفِّهِ وَقَالَ نَدَاهُ لِلْوُفُودِ : أَلَا حُطُوا
نَأَتْ بِي الْيَأَالِي عَنْهُ ، لَكِنَّ جُودَهُ أَتَانِي ، وَلَمْ يَحْجِزْهُ نَأَى وَلَا شَطُ
كَذَا الْغَيْثُ يَسْرِي طَالِبًا كُلَّ طَالِبٍ فَكُلُّ لَهُ مِنْ فَيْضٍ وَابِلِهِ قَسَطُ
وإِنْعَامُهُ كَالشَّمْسِ يَغْشَى ضِيَاؤُهَا لِمَنْ زَاغَ ، أَوْ حَاذَاهُ مِنْ أَفْقِهَا خَطُ
فَأَنْزَرُ حَنْتِي مِنْ مُوَاهِبِهِ الْغِنَى وَأَيْسُرُ تَخْوِيلِي ^(٥) الْعَشِيرَةُ وَالرَّهْطُ

(١) مطلع القصيدة :

أَجِيرَةٌ عَلَى إِنْ تَدَانُوا وَإِنْ شَطُوا ،

(٢) القَتَاد : شجر صلب له شوكة كالإبر. والخُرُوط : الدابة الجروح تجتذب رُسْنَهَا مِنْ يَدِ مَسْكَهَا ، ثُمَّ تَمُضِي ،
وَالْجَمْع : خُرْط . وَالذَوَابِل : الرماح ، وَالْجَرْد : الخيل القصيرة الشعر .

(٣) العَشَوَات : العشاء . وَالطَّلَاة :

(٤) مطلع قصيدة أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِي :

لِمَنْ جِيرَةٌ سَمِوا النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطُوا يظللهم مَا ظَلَّ يَنْتِ الْخَطُ

وَأَعْطَى : أَعْطَى .

(٥) خَوَّلَهُ : أَعْطَاهُ مَغْضَلًا .

حَبَانِي نَفُوسًا ، لَا نَقِيسًا مِنَ اللَّهِى^(١) وَنَدَوْتِي مَا لَمْ يُنَلِّ مَلِكُ قَطُّ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلُ رُزِيكَ ، لَانَهُمْ بَنُوا الْحَرْبَ فِي يَوْمِ الْوَعَى ، وَبَنُوا النَّدَى
إِذَا مَا اخْتَبَوْا^(٢) فَالِرَاسِيَاتُ رَجَاحَةٌ لِهِمْ جَبَلٌ ، لَا زَعْرَعَ الْخَطْبُ رُكْنَهُ
أَقَرَّ الْوَرَى أَنْ لَيْسَ كُفْنًا لِمُلْكِهِ فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَجْرَى بِأَمْرِهِ
فَأَجَابَهُ مُحْرَضًا عَلَى الْجِهَادِ^(٣) :

هِيَ الْبَدْرُ ، لَكِنِ الثَّرِيَّا لَهَا قُرْطٌ مَشَتْ ، وَعَلَيْهَا لِلْغَمَامِ ظَلَالِلُ
تَسُومُ صَرِيْعًا فِي الرَّحَالِ كَأَنَّهُ فَمَا اخْضَرَّ تَرْبُ^(٤) الْأَرْضِ إِلَّا لَأَنَّهَُا
وَلَا طَابَ نَشْرُ الرُّوْضِ إِلَّا لَأَنَّهُ وَلَا طَارَ ذِكْرُ الظُّبَى إِلَّا لَأَنَّهُ^(٥)
مِنَ الْبَيْضِ مِثْلُ الصُّبْحِ ، مَا لِلظَّلَامِ فِي

- (١) اللهى بالضم : العطايا ، مفردة طوة .
(٢) جمع أشخط . والشخط : بياض يحاطط سواد الشعر .
(٣) احني بالثوب : اشتبل به .
(٤) نخط يخط نخطا ، والنحاط : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كأنه نخط ، والنحط شبه الزفير .
(٥) مات عبطة : شابا صحيحا .
(٦) النص بعضه في الخريدة المطبوعة ١ : ١٧٦ ، والروصتين ١ : ١١٩ . وثلاثة أبيات منه في نقد الجان : القسم الثاني ، ومرآة الزمان ج ٨ .
(٧) السخط : القلادة .
(٨) في النقد والمرآة : ثوب .
(٩) المروط بالكسر : كساء من صوف أو خز ، يجمعه مروط .
(١٠) في الخريدة : وقد غدا .
(١١) العطر ، رفع الرأس والهدين .
(١٥)

إلى العَرَبِ الْأَحَاضِ^(١) يُعْزَى قِيلُهَا
ولما غَدَتْ كَالْعَاجِ ، زَيْنَ صَدْرُهَا
وَأَرْسَلَ فَوْقَ الْخَدِّ صَدْعٌ مَكَلَّلٌ
ذَوَائِبُ زَارَ الْخَصَرَ مِنْهُنَّ فَاحِمٌ
يُنَافِي سَنَا الْكَافُورِ إِنْ مُشِطَتْ بِهِ
وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
فَأَذَكَّرْنَا ذَاكَ الْبُعَادَ مَعَاثِرًا
وَأَلْقَوْنَا ، وَقَدْ شَطُّوا ، فَوَادَ مُحِبِّهِمْ
وَلَيْسَ تَشْقُ الثُّفُنُ أُمُوجَهُ ، وَلَا
أَحْبَابُنَا بِالشَّامِ ، عَفْتُمْ جَوَارِنَا
وَمَا كَانَ بَعْدَ النَّيْلِ ، وَالنَّيْلِ زَاخِرًا
وَقَدْ عَشْتُمْ فِيهَا زَمَانًا ، فَمَا اعْتَرَى
وَكُنْتُمْ لَنَا دُونَ الْأَقَارِبِ أَسْرَةً
وَإِنَّا أَنَاسٌ ، لَيْسَ يَبْرَحُ جَارُنَا
وَيَمْتَاخُنَا^(٢) زَوَارِنَا ، فَكَاثِمًا
وَيُصْبِحُ بَسِطُ الْكَفِّ بِالْمَالِ عِنْدَنَا
وَتَخْرِقُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ خَيْلُنَا
وِظْلَاءٌ لِلشَّهْبِ الدَّارِي إِذَا سَرَتْ

وَقَدْ ضَمَّتْهَا فِي الْحَسَنِ مَعَ يُوسُفَ سَبِطُ^(٣)
بِحَقِّينَ مِنْهُ ، قَدْ أَجَادَهُمَا الْخَرْطُ
كَمَا انْسَابَ فِي الرُّوضَاتِ حَيَاتُهَا الرُّقْطُ^(٤)
تَحَدَّرَ ، لَا جَعْدُ النَّبَاتِ ، وَلَا سَبِطُ
وَيُخْفِي سَوَادَ الْمَسْكِ ، فَهَوَلَهَا خَلِطُ
تَسَاوَى الرِّضَاوُ السَّخَطُ وَالْقَرَبُ وَالشَّحَطُ^(٥)
نَاوَا ، فَكَأَنَّا مَا لَقِينَاهُمْ قَطُّ
إِلَى بَحْرِ شَوْقٍ مَا لِلْجَنَّةِ شَطُّ
بِسَاحِلِهِ لِلْعَيْسِ رَفْعٌ وَلَا حَطُّ
بِجَاوَرِكُمْ فِي أَرْضِهَا الْخَوْفُ وَالْقَحَطُ
بِمَصْرِ لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ ذَلِكَ الْخُطُّ^(٦)
رِضَاكُمْ بِهَا ، لَوْلَا تَخَوُّفُكُمْ ، سُخْطُ
وَنَحْنُ لَكُمْ ، مِنْ دُونِ رَهْطِكُمْ ، رَهْطُ
يَحْكُمُ فِي الْأَمْوَالِ مِنَّا ، فَيَسْتَنْطُ^(٧)
غَدَا لَهُمْ شَرْطُ عَلَيْنَا ، وَلَا شَرْطُ
وَكُلُّ مَلِكٍ عِنْدَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ
عَلَيْهَا الشَّبَابُ الْمَرْدُ ، وَالْجِلَّةُ الشَّمْطُ^(٨)
هَنَّاكَ مَعَ السَّارِينَ فِي جُنْحِهَا خَبِطُ

(١) في الخريدة : سبط .

(٢) الرقطة : سواد يشوبه فقط بياض أو عكسه .

(٣) الشحط : البعد .

(٤) الشحط : جاوز الحد .

(٥) الخبط بالضم : موضع الخي .

(٦) جمع أشمط . والشمط : بياض شعر الرأس يتخلط سواده . والجلّة : جمع جليل .

(٧) المنتح : الاستقاء .

(٨) جمع أشمط . والشمط : بياض شعر الرأس يتخلط سواده . والجلّة : جمع جليل .

كما أَوَّلَ الفَجْرَيْنِ سَقَطُ^(١) يُسَلُّ من حشاها، كذاك البرق في جوها سَقَطُ
سَلَلْنَا بها بِيضَ السَّيْفِ ، فلاح في شَبَابِ الدُّجَى ، لَمَّا بَدَأَ لَمْعُهَا ، وَخَطُ^(٢)
سَيْفُ لَهَا في كلِّ دَرَجٍ وَجُنَّةٍ^(٣) إِذَا مَا اعْتَلَتْ قَدَّ ، أو اعترضت قَطُ^(٤)
ذَخَرْنَا سَطَاها لَلْفَرَجِ ؛ لَأَنَّمَا بِهِمْ دونَ أَهْلِ الأَرْضِ أَجْدَرُ أَنْ تَسْطُو
لَهُمْ قَسْطُهُمْ في الحَرْبِ مِنْهَا ، وَمَا لَهَا عَلَيْهِمْ لَدَى الهِجَاءِ عَدْلٌ وَلَا قَسْطُ^(٥)
وَقَدْ كَاتَبُوا في الصُّلْحِ ، لَكِنْ جَوَابُهُمْ بِحَضْرَتِنَا مَا يُنْبِتُ الْخَطُ^(٦) لَا انْخَطُ
سُطُورُ خَيْوَلٍ لَا تُدْبِثُ دِيَارَهُمْ لَهَا بِالْمَوَاضِي وَالْقَنَا الشَّكْلُ وَالنَّقْطُ
وَحَرْبُ لَهَا الأَرْوَاحُ زَاهِقَةٌ ؛ لَمَّا تُعَايِنُ ، والأَصْوَاتُ من دَهْشٍ لَغَطُ
إِذَا أُرْسِلَتْ فَرَعًا من النَّقْعِ فَاحِجَا أَثْبَتًا^(٧) ، فَاسْنَانُ الرَّمَاكِ لَهَا مُشْطُ
كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أَنَامِلُ حَاسِبٍ أَجَدَّ بِهَا في السَّرْعَةِ الْجَمْعُ وَاللَّقْطُ
رَدَدْنَا بِهَا ابْنَ الْفُنْشِ عَنَّا ، وَإِنَّمَا يُثَبِّتُهُ في سَرَجِهِ الشَّدُّ وَالرَّبْطُ
فَقُولُوا لنُورِ الدِّينِ : لَيْسَ بِلُحَائِفِ السِّجْرَاحَاتِ إِلَّا الْكِيُّ في الطَّبِّ وَالْبَطُّ^(٨)
وَحَسَمُ أَصُولِ الدَّاءِ أَوَّلَى لِعَاقِلٍ لِيَبِّ ، إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْمُدْنَفِ انْخَلَطُ^(٩)
فَدَغْ عَنكَ مِبْلًا لِلْفَرَجِ وَهُدْنَةً بِهَا أَبَدًا يُخْطِى سَوَاهِمُ ، وَلَمْ يُخْطُوا
تَأَمَّلْ ، فَكَمْ شَرِطَ شَرِطَتْ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدَرٍ بِهِ نُقِضَ الشَّرْطُ
وَشَرٌّ ، فَإِنَّا قَدْ أَعْنَّا بِكُلِّ مَا سَأَلْتَ ، وَبَجَهْزِنَا الْحِيُوشَ ، وَلَنْ يُبْطُوا^(١٠)

(١) السقط : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوري . (٢) وخطه الشيب : خالطه . أو فشا شيبه .
(٣) الجنة : كل ما روق . (٤) القد : الشق طولاً . والقط : القطع عرضاً .
(٥) القسط بالفتح : الجور والمدول عن الحق . (٦) في الخريدة : يكتب .
(٧) الخط : سيف البحرين ومرفق السفن بالبحرين وإليه نسبت الرماح . والخط الثانية المراد بها الكتابة .
(٨) أث النبات ينث . كثروالتف . وهو أثيث . كثير عظيم .
(٩) بط الجرح وغيره . يبطه بطاً ويجه نجا : إذا شقه . (١٠) الخلاط بالكسر : أن يخالط الرجل في عقله .
(١١) في الروضتين : لم .

وَدُونَكَ، مَجْدَ الدِّينِ، عِذْرَاءَ، زَفَّهَا إِلَيْكَ الْوَفَاءَ الْمُحْضَ وَالْكَرَّمَ السَّبْطُ^(١)
 هَدِيًّا^(٢) تَهَادَى بَيْنَ حُسْنِ وَفَائِنَا وَإِنْعَامِنَا، ذَا النَّاجِ زَانَ، وَذَا الْفَرْطُ
 عَلَى أَنَّهَا تَسْتَطِئُ إِنْ هِيَ سَاجَلَتْ^(٣) (أَجِيرَةٌ قَلْبِي، إِنْ تَدَانَا وَإِنْ شَطَوَا)^(٤)

قافية العين

(٣٠٥)

وقال أيضا في الملك الصالح :

لَنْ شَتَّتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمَلَنَا بَجُودِ أَبِي الْغَارَاتِ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْجَزُلُ النَّدَى الصَّالِحُ الَّذِي بَحَارُ نَدَاهُ كَأَهْنِ شَرَائِعُ^(٥)
 يَجُودُ بِلَا مِنْ^(٦) عَلَى عُظْمِ مِنْهُ^(٧) كَأَنَّ عَطَايَاهُ لَدَيْهِ وَدَائِعُ
 يَحْكُمُ مُسْتَطَ الْمُنَى فِي نَوَالِهِ فَتَعْجَبُ مِنْ جَدْوَى يَدَيْهِ الْمَطَامِعُ

(٣٠٦)

وقال فيه من قصيدة :

فإِلَيْكَ بِنْتَ الْفِكْرِ، مِنْ بَعْدِ الْمَدَى تُهْدَى، فَشَرَّفَهَا بِحُسْنِ سَمَاعِ
 وَصَدَاقُهَا الْإِكْرَامُ، لَا مَا سَبَقَ فِي نَحْلِ الْكَرَامِ : مِنْ هُيَّ^(٨) وَمَتَاعِ
 فَهِيَ الْكَرِيمَةُ، لَيْسَ فِي أَغْرَاقِهَا عَرَقٌ إِلَى الْأَطْمَاعِ بِالنِّزَاعِ^(٩)

(١) السَّبْطُ : السُّخَى . (٢) الهدى : العروس . (٣) ساجله : باراه .
 (٤) مطلع قصيدة أسامه السابقة . راجع ص ٧٨ . (٥) الشريعة : المورد .
 (٦) منت عليه : عدت له ما فعلته من الصنائع . (٧) المن : الإنعام .
 (٨) اللهم جمع لهوة وهي العطية . والنحلة بالضم : مهر المرأة . والاسم النحلة بالكسر .
 (٩) نزع إلى الشيء : ذهب إليه .

قافية الفاء

(٣٠٧)

وقال :

هو الجوادُ الذي يلقاهُ مادحُه وإن غلا، فوقَ ما أنخى وما وصفا
مَعْدَلُ في الذِّدى ، لكنَّ راحتهُ تأبى مع العَدْلِ إلَّا البَدَلُ والسَّرَفَا
صَعْبُ الإِباو ، إذا ما هجت سَوْرَتَهُ ^(١) نَزَرُ الرِّضا ، فإذا استعطفته عَطْفَا
بَادى الحُقُودِ على أعدائه ، فإذا نالَتْهُمْ قَدْرَةٌ منه حَبَا ^(٢) ، وعَفَا
نَغَشَى مواردَ من أخلاقه كُرُمَتُ وِرْدًا ، ونَزَتَادُ منها رَوْضَةٌ أَنْفَا ^(٣)
مُسْتَهْتَرٌ ^(٤) بالمعالي، لا يزالُ على تَقَلَّبِ الدَّهْرِ مشغوفًا بها كِلَفَا
إنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لم تُخْلِفْ مواهبُه أو فَظَّ دَهْرٌ على أبنائه لَطْفَا
عَدَلُ الْقَضِيَّةِ إلَّا في مواهبِه لم يَقْبِضْ في المَالِ إلَّا جَارَ واعْتَسَفَا
تَعَمُّ نِعْمَاهُ ذا نَقْصٍ وذا شَرَفٍ كَانَهُ الْبَحْرُ يَحْوِي الدَّرَّ وَالصَّدْفَا
مَنْزَهُ الْخُلُقِ عن فِعْلٍ يُعَابِ به فَمَا تَرَى لِكَمَالٍ عنه مُنْصَرَفَا

(٣٠٨)

وقال من قصيدة في الملك الصالح ، ذكر أولها ^(٥) :

من كَانَ لِي من حِمَاهُ خَيْسُ ^(٦) ذِي لَيْدٍ ضَارٍ ، وَلِي من نَدَاهُ رَوْضَةٌ أَنْفُ ^(٣)
من لَمْ يَزَلْ لِي من جَدْوَى يَدِيهِ غِنًى وَفِي ذُرَاهِ من الْآيَامِ لِي كَنْفُ

(١) السورة : الحدة والبطش . (٢) حبا : أعطى .

(٣) روضة أنف : لم ترع . (٤) استهتر كذا : قتل به ، وذهب عقله ، وانصرفت همه إليه .

(٥) مطلع القصيدة : أذكركم الوديان صلوا ، وإن صدقوا راجع ص ٨٥ .

(٦) الخيس : موضع الأسد .

الملك الصالح الهادي الذي شهدته
ملك أقل عطاياه الغني ، فإذا
أغر ، أروع ، في كفيه سحب ندي
هو الوزير الذي يأوي إلى وزير^(٢)
تريه آراؤه في يومه غده
بصيرة كشفت ما في القلوب له
سعت إلى زهده الدنيا برغبتها
ولم تزف إلى كفء سواه ، وما
حبر ، إذا الليل آواه بجنده^(٣)
ومحرب^(٤) ما أنى المحراب مبهلا
مسهد ، وعيون الخلق هاجعة
وتشرق الأرض من لآلاء غرته
لم يدبر ما القصد^(٥) في جود ، ويعجبه
إذا حبا^(٦) عادت الآمال راضية
يأيها الملك الموفي بدمته
إليك يا عادلا في حكمه ، وعلى
أشكوزمانا قضى بالجور في ، ولم
لحت^(٧) نوابه عودي ، وأنقد مو

بفضل أيامه الأنباء والصحف
أدناك منه ، فادنى حظك الشرف
تمتار^(٨) سحب الحيا منها ، وتغترف
منه الأنا ، فيكفوا كل ما كلفوا
فيحسم الخطب فيه قبل يكتنف^(٩)
وأطلعته عليه قبل ينكشف
طوعا ، وفيها على خطاياها صلف
زالت إلى مجده تصبو ، وتشترف^(١٠)
بحر من العلم طام ليس يتزف
إلا وأدمعه من خشية تكف^(١١)
على التهجيد والقرآن معتكف
في دسته^(١٢) ، فتكاد الشمس تنكشف
في بذل أمواله الإفراط والسرف
وإن سطا كادت الآفاق ترتجف
ومن تجلى عن الدنيا به السدف^(١٣)
أمواله من قضايا جوده الجحف^(١٤)
يزل يجوز على مثلي ويعتسف
جودي ، وشنت شلي ، وهو مؤلف

(١) الميرة : جلب الطعام .
(٢) اكتننه القوم : كانوا منه بمنة وبسرة .
(٣) الخندس : الفالسة .
(٤) تكف : تقطر .
(٥) القصد : الاقتصاد .
(٦) السدف : الفالسة .
(٧) الوزر : الملجأ والمعتصم .
(٨) في الصباح : استشرقت الشئ : رفعت البصر أنظر إليه .
(٩) الحرب : رجل الحرب الشجاع .
(١٠) القبت : صدر البيت - مغرب .
(١١) حبا : أعلى .
(١٢) الجحف : الحور .
(١٣) لحا العود : قشره .

وقد دعوتك مظلوماً ومُرتجياً وفي يدك الغنى، والعدل، والخلف
فاجع بجودك شماً كان مجتمعا فعاد بعد انتلاف، وهو مختلف
وانشر بمعرفك المعروف ميمهم وشكر من هو بالإحسان مُعترف
فهو القريب مرالاةً ومُعتقداً وإن أنت دونه الغبراء والنطف^(١)
وعش على رغم من يشاك مُقْتدراً في دولة، مالهأ حد ولا طرف
فأجابه :

آدابك العُرْ بجر، ماله طرف في كل سمع بدا من حُسنه طُرف
نقول، لما أتانا ما بعثت به : هذا كتاب أتى، أم روضة أنف^(٢)
خطُ تترهت الأزهار حين بدا كأنه الدر، عنه فُتح الصدُف
إن نظمه طرق الأسماع كان لها وإن حوت عطلاً من حلية، شنف^(٣)
رقت حواشي كلام أنت ناظمة فيه، بخاء كزهر الرّوض يُقتطف
وردت بحر القوافي فاغترفت، كما قد حل يوماً بمدّ النيل مُعترف
زهت على البدر نوراً، إذ أنت بسوا د النفس^(٤) يشبه من خده كالف^(٥)
قرطست^(٦) رميا، وكم رام بأسهمه إذا تُحقق منه يسلم الهدف
بخاطر فاق غزر العد، لا وشل ولا ببرض^(٧) إذا ما حل يتنزف
إذا تطلع فوق الأرض ذو أدب فانت منه على العيوق^(٨) تسترف^(٩)

(١) النطفة بالضمّة : الماء الصافي ، قل أو كثر والجمع نطاف ونطف .

(٢) شام : أبغضه . (٣) روضة أنف : لم ترع .

(٤) الشنف بالفتح : القرط . (٥) النفس : المداد .

(٦) الكلف : سواد في صفرة . (٧) قرطس : أماب القرطاس ، وهو أديم ينصب للنصال .

(٨) البرض : القليل . والوشل : الماء القليل . (٩) العيوق : نجم .

وإن تَعَرَّى دَعَى من فَضائله
إذا تَخَفَى لِقَبْجٍ^(١) وجهه قافية
لأعين الناس نهب من محاسنها
إذا ذكرناك مجد الدين ، عاودنا
ودون ما قد وجدناه لفرقتكم
ولو عرفت الذى فى القلب منك لما
ولا عجيب إذا حاف الزمان على
فلا تكن جازعاً ، إن التجاوز عن
فإن حصلت على الصبر احتوت على
يا من جفاناً ، ولو قد شاء كان إلى
وحي من أمه وفد الحبيج ، ومن
إننا لنؤفى على حال العباد ، كما
ونعفر الذنب إن رام المسىء بنا
وإن جنى من رأى أنا نعاقبه
نعم ، ونحفظ عند الغيب صاحبنا
فلا لإيعادنا يوم الوغى ميل
فعدنا جنّة تدنو الثمار بها
هدى مصاحبنا ضوء النهار ، وكم

فأنت مُدَّرِع منها ومُلْتَحِف
فعن قوافيك شيلت دوننا الشجف^(٢)
كما القلوب تلاقها فتختطف
شوق تجدد منه الوجد^(٣) والأسف
يحيط بالقلب من أرجانه التلّف
إن^(٤) كنت عنا على الأحوال تختلف
حُرّ ، وكلّ قضاياه بها جَنَفُ^(٥)
إنفاقك الصبر فى شرع الهوى سرف
الأجر الجزيل ، وفى إحرازه شرف
جنابنا^(٦) دون أهل الأرض يتعطف
ظلت إلى بيته الركبان تختلف
نؤفى لمن ضمه فى قربنا كَنَفُ^(٧)
عفواً ، ونستره فى حين ينكشف
يردنا الصّفْحُ أو يعتاقنا الأنف^(٨)
وليس يدرُّ كما كبر ولا صلف^(٩)
ولا لموعدا يوم الندى خلف
إذا دنا مجتنب منها ، ومقتطف
قد ضلّ من فى ظلام الليل يعتسف^(١٠)

- (١) فى الأصل (الفتح) تحريف .
(٢) الوجه : شدة الحزن .
(٣) الحيف : الظلم . والجنف : الميل والجور .
(٤) الجناب : العناء . والناحية .
(٥) الكف : الجانب والظل والناحية .
(٦) الصلف : أن تملح بما ليس عندك .
(٧) السجاف : الستر .
(٨) إن زائدة بعد ما .
(٩) الجناب : العناء . والناحية .
(١٠) الاعتسف : خبط على غير هداية .

فَلِإِنِّبَا بِأَمَالٍ مُحَقَّقَةٍ وَكُفَّ غَرْبٌ^(١) دُمُوعٌ لَمْ تَزَلْ تَكْفُ
كَفَى اغْتِرَابًا ، فَعَجَّلَ بِالْإِيَابِ لَنَا فَتَكَ لَا عَوْضَ يُلْقَى وَلَا خَلْفُ
وَقَدْ أَجَبْنَا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ فَالآنَ كَيْفَ تُرَوِّى^(٢) فِيهِ أَوْ تَقْفُ
فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَضْحَى عَلَانِيَةً وَالْجُنْدُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ الَّذِي عَرَفُوا
وَقُدِّمَتْ لَكَ تَمْهِيدَاتُنَا ، وَبَهَا وَخَشُ الْفَلَاةِ ، إِذَا مَارُوعَتْ ، أَلْفُ
كَأَنَّهَا حِينَ تَجْرِي ذِكْرَةٌ لَكُمْ عَلَى اضْطِرَامٍ لَهَبِ النَّارِ نَعْتَكُفُ
فَإِنْ يَبَالِغُ أَنَاثُ فِي النَّسَاءِ عَلَى أَوْصَافِكُمْ قَصَرُوا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا
نَحْنُ نَحْذُ نَظَامًا عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبَتْ بِدَاكَ إِذْ عَدَدُ النِّظْمِينَ مُؤْتَلَفُ

(٣٠٩)

وقال فيه من قصيدة تقدم أولها^(٣) :

دَعَا ، وَقُلْ لِبَنِي الْأَمَالِ : قَدْ وَصَحَتْ لَكُمْ سَبِيلُ الْأَمَانِ وَالْحِجْلَى الْأَسْفُ
وَأَيْتَعَتْ دَوْحَةً لِلْجُودِ دَانِيَةً الْقُطُوفِ ، يُجْنِي الْغَنَى مِنْهَا ، وَيُقْتَنَطُفُ
أُمُورًا بِأَمَالِكُمْ مِصْرًا ، فَإِنَّ بِهَا سَحَابَةً مِنْ نَدَاهَا السُّحْبُ تَغْتَرِفُ
أَجْرَى بِهَا اللَّهُ نِيْلًا زَائِدًا أَبَدًا فَلَيْسَ يَنْقُصُ فِي وَقْتٍ ، وَلَا يَقْفُ
مِيَاهُهُ مِنْ نُضَارٍ جَامِدٍ ، وَعَلَى أَرْجَانِهِ ، لِلْأَمَانِ ، رَوْضَةٌ أَنْفُ
عَلَتْ بِهَا رَايَةٌ لِلْعَدْلِ ، قَاصِدُهَا يَقْتَصُّ مِنْ دَهْرِهِ الْجَانِي ، وَيَنْتَصِفُ^(٤)
سَعَى بِهَا أَرْوَعُ^(٥) فِي الرُّوعِ^(٦) ذَوُورَعٍ فِي السَّلْمِ ، حَتَّى تَجْلَى الْجُورُ وَالْجَنْفُ
وَجَادَ بِالْمَالِ ، حَتَّى لَمْ يَدْعُ أَمَلًا مَا الْجُودُ وَالْفَضْلُ إِلَّا الْبَذْلُ وَالسَّرْفُ

(١) الغرب : الحدة والنشاط والتمادي . (٢) روى في الأمر : نظروا فكر .

(٣) انظر مطلع القصيدة : « ما منهم لك متاع ولا خلف » ص ٨٦ .

(٤) انتصف منه : استوفى حقه منه . (٥) الأروع : من يبعبك بحسه وبجهازة منظره أو بشجاعته .

(٦) الروع : الفزع .

الملك الصالح الهادي الذي كشف الغمَاء^(١)، إِنَّ الدُّجَى بالصَّحْجِ مُنْكَشَفُ
 مَنْ فِيهِ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا جَوَابُهُ نَعَمْ ، فِي لَإِثْرِهَا نَعَمْ
 يُغْنِي الْعُفَاةَ^(٢) ، وَيُلْقَاهُمْ بِمَعْدَرَةٍ مَا يَبْلُغُ الشُّكْرُ مَا يُولِيهِ مِنْ مِثْنٍ
 لَكِنْ مَوَاهِبُهُ فِي الْخَلْقِ شَاهِدَةٌ كَالرَّوْضِ إِنْ لَمْ يُطَقْ شُكْرُ السَّحَابِ إِذَا
 يَا كَافِيَ الْخَلْقِ بِالنُّعْمَى ، وَكَافِلَهُمْ رَأَيْتُ مَجْدَكَ يُعَلِي قَدْرَ وَاصِفِهِ
 قَلَّدَتْنِي أَنْجُمُ الْجُوزَاءِ ، قَدْ نُظِمَتْ أَعْلَتْ مَحَلِّي ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ شَرَفِ
 حَلَا بِسْمِي ، وَحَلَّاهُ ، فَتَنَّهُ بِهِ الـ جَعَلْتُ نَظْمِي لَهُ ، ضَنْأً بِفَاحِرِهِ
 لِأَصْرِفَ الْعَيْنَ عَنْهُ ، إِنَّهَا أَبَدًا يَا كَاشِفَ الْغَمَّةِ ، أَسْمِعْ دَعْوَةَ كَلِمَتِ
 مِنْ نَازِحِ الدَّارِ بِالْإِخْلَاصِ مُقْتَرِبِ إِذَا رَأَى بُعْدَهُ عَنْ بَابِ مَا يَكِيهِ
 لَوْ حَاوَلَ الْخَلْقُ جَمْعًا حَمَلَ مَالِكَ مِنْ

مُذْ رَاوَدْتَهُ عَلَى عِلْيَانِهِ ، ظَلَفُ^(٣) وَلَا تُلَانِمُ فَاهُ اللَّامُ وَالْأَلِفُ
 كَأَنَّمَا عَاتَبُوهُ ، وَهُوَ مُقْتَرِفُ^(٤) إِنْعَامُهُ فَوْقَ مَا تُثْنِي وَمَا نَصِفُ
 بِشُكْرِ إِنْعَامِهِ ، وَالشُّكْرُ يَخْتَلِفُ هَمِي فَفَضْرَتُهُ بِالْفَضْلِ تَعْتَرِفُ
 حَتَّى لَقَدْ أَمْنُوا فِي عَدْلِهِ وَكُفُّوا فَكَيْفَ لَا يَتَعَالَى قَدْرُ مَنْ تَصِفُ
 عِقْدًا ، فَحَقَّ^(٥) لِمِثْلِي الْفَخْرُ وَالشَّرَفُ بِهَا عَلَى الْمُشْتَرَى^(٦) أَسْمُو ، وَأَشْتَرِفُ
 بُشْرَى ، بِإِدْرَاكِ مَا يَرْجُوهُ وَالشَّنْفُ^(٧) وَقَايَةُ ، وَوَقَاءُ الْجَوْهَرِ الصَّادِفُ
 عَنْ الْكَمَالِ بِرُؤْيَا النِّقْصِ تَنْصَرِفُ شُكْرًا ، تَظَلُّ لَهُ الْأَسْبَاعُ تَرْتَشِفُ
 حُرٍّ ، بِرَقِّكَ دُونَ الْخَلْقِ يَعْتَرِفُ يَكَادُ يَقْضِي عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْأَسْفُ
 مِنْ عَلَيْهِ ، وَأَدْنَى شُكْرِهِ ، ضَعُفُوا

(١) الغمَاء : الكرب .

(٢) يقال ظلف نفسه عن الشيء . بظلفها : منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفها عنه .

(٣) اقترف الذنب : أئام .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو مالب المعروف .

(٥) حق الأمر : وجب .

(٦) المشتري : أحد الكواكب السيارة .

(٧) الشنف : القرط .

كَمْ فَاجَأْنِي مِنْ نِعْمَاكَ عَارِفَةٌ
بِهَا عَنِ الْوَعْدِ كِبَرٌ ، كُلُّهُ كَرَمٌ
وَجَمْعُ شَمْلِي بِمَنْ لِي فِي ذُرَاكَ ، وَإِنْ
مُجَدِّدٌ لِي مَا أُولَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
فَابْرِدْ بِهِمْ حَرَّ قَلْبٍ لَيْسَ يَبْرِدُهُ
وَارْحَمْ ضِعَافًا وَأَطْفَالًا إِذَا ذَكَرُوا
لَهُمْ نَشِيجٌ^(١) وَإِعْوَالٌ إِذَا نَظَرُوا
فَنَظَرَةٌ مِنْكَ تُحْيِيهِمْ ، وَتَجْعَلُهُمْ
وَلَيْسَ لِي شَافِعٌ إِلَّا مَكَارِمُكَ الْـ
وَاسِلٌ ، لَتَحْيَا بِكَ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا
وَالَّذِي الْأَعَادَى بِجَدِّ لَا يَحْزُنُكَ إِنْ

سَبِيلُهَا عَنْ سَبِيلِ الْوَعْدِ مُنْحَرِفٌ
وَعَنْ تَقَاضِيهِ تَبِيهٌ ، كُلُّهُ أَنْفٌ^(٢)
أَضْحَى لَهُمْ مِنْ نَدَاكَ الْبَرِّ وَالْأَطْفُفِ
مَا زَالَ لِي تَالِدٌ مِنْهَا ، وَمَطَرُفٌ
سَوَاهِمٌ ، وَحَشَا مِنْ ذِكْرِهِمْ يَحِفُّ
بُعْدَى عَصَتِهِمْ ، فَقَاضَتْ أَدْمَعُ دُرُفٍ
مِنْ حَالِهِمْ غَيْرَ مَا اعْتَادُوا وَمَا الْفُؤَا
مُحْمُولَةٌ عَنْهُمْ الْأَنْقَالُ وَالْكُلُفُ
لَآتِي إِذَا اسْتَعْطَفْتَ لِلْفَضْلِ تَعَطُّفٌ
مَا اغْبَرَّتِ الْيَدُ ، أَوْ مَا اخْضَرَّتِ النَّطْفُ^(٣)
خَانَتْ غَدَاةَ الْإِلْقَاءِ الْيَبْسُ وَالزَّغْفُ^(٤)

فَاجَابَهُ :

عُلُومُكَ الْبَحْرُ غَمْرًا^(٥) لَيْسَ تُتَرَفُّ^(٦)
فَانْ يُجِدْ فَلْتَنَّةٌ فِي الدَّهْرِ ذُو أَدَبٍ
تُجِيلُ فِكْرَكَ فِي رَوْضِ الْعُقُولِ ، فَلَا
بَعَثَ مِنْهَا هَدِيًّا^(٨) فِي الْوَرَى ، جُلِيَتْ

أَسْمَاعُنَا لِمَعَانِي دُرِّهَا صَدَفٌ
تَجِدُهُ مِنْ بَحْرِكَ الزَّخَارِ^(٧) يَغْتَرَفُ
تَزَالُ تَخْتَارُ مَا تَجْنِي ، وَتَقْتَنِفُ
فَالْحُسْنُ وَقَفَّ عَلَيْهَا لَيْسَ يَنْصَرِفُ

(١) الْأَنْفُ : الاستنكاف .

(٢) نَشِيجٌ الْيَاكِي نَشِيجًا : غصن بالبكاء في حلقه من غير انتخاب . وَالْإِعْوَالُ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ .

(٣) النُّطْفَةُ بِالضَّمِّ : الْمَاءُ الصَّافِي .

(٤) الزَّغْفُ : الدَّرْعُ اللَّيِّنَةُ الْوَاسِعَةُ الْمَحْكَمَةُ أَوْ الرِّقِيقَةُ الْحَسَنَةُ السَّلَاسِلُ .

(٥) الْغَمْرُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ .

(٦) تُتَرَفُّ مَاءُ الْبَرِّ : تَزْحَكُهُ كُلُّهُ .

(٧) زَخْرُ الْبَحْرِ كَنْعٌ : طَلْيٌ وَتَمْلَأُ .

(٨) الْهَدْيُ بِكَسْرِ الدَّالِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ : الْعُرُوسُ تَهْدِي إِلَى زَوْجِهَا .

عَدْرَاءَ ، تُثَبِّتُ فَضْلَ الْوَاصِفِينَ لَهَا فَقَدْ أَفَادَتْ جَمَالًا كُلَّ مَنْ يَصِفُ
بَعَثْنَهَا دِيمًا^(١) تُرَوَّى بِهَا عَطَشُ الصَّادِي^(٢) ، وَمُسْكُنُهَا فِي سِيرِهَا الضَّحْفُ
تُرَوَّى الْقُلُوبُ بِهَا بَعْدَ الْعُيُونِ ، فَلَا قَلْبٌ ، وَلَا عَيْنٌ إِلَّا وَهوَ يَرْتَشِفُ
أَلْهَتُ عَنْ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانَ أَجْمَعَهُ إِذَا اسْتَبَانَ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَنْفُ^(٣)
حَسَنَاءُ تَبْرُزُ فِي عَرْنِينِهَا^(٤) شَمَمٌ مِنَ الْجَمَالِ ، وَفِي أَجْفَانِهَا وَطْفُ^(٥)
كَأَنَّ أَسْمَاعَنَا ، لَمَّا أَصْخَنَ لَهَا عَجَبًا ، أُتِيحَ لَهَا مِنْ حَالِهَا شَنْفُ^(٦)
بَدَتْ لَنَا كَصَابِجِ الظَّلَامِ ، وَفِي رَأْيِ الْعُيُونِ أَتَنَّا الرُّوضَةَ الْأَنْفُ^(٧)
قَدْ بَرَهَنْتَ بِالْمُعَانِي عَنْ فَوَادِ شَجَجٍ قَدْ هَاضَمَهُ الْأَتْقِلَانُ : الْهَمُّ ، وَالْأَسْفُ
إِنْ يَتَسِمُ غَلْطَةً فِي الدَّهْرِ ، عَاتَبَهُ قَلْبٌ مَدَامَعُهُ فِي صَدْرِهِ تَكْفُ^(٨)
وَرُبَّ صَعِبٍ بَدَا ، مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهِ لِأَضْعَفِ النَّاسِ حَوْلًا ، وَهُوَ مُنْعَطِفُ
وَكَمْ مَصَابٍ جَنَّتْهُ فِرْقَةٌ ، فَعْدَا سَحَابُهُ بِنَسِيمِ الْقُرْبِ يَنْكَشِفُ
وَكُرْبَةٍ نَزَعَتْ عَنْهَا مَلَابِسُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا بِثَوْبِ الْهَمِّ مُلْتَحِفُ
وَحِينَ تُشْرِقُ أَنْوَارُ الشُّمُوسِ ، فَمَا يَضُرُّ مَاضِي لَيَالٍ عَمَّهَا السَّدْفُ^(٩)
أَحْوَالُ ضَرْكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَاضِحَةٌ قَدْ كَانَ لِلدَّهْرِ فِي تَوَكِيدِهَا سَرَفُ
بَرَقَ الْيَقِينِ بَدَا مِنَّا إِلَيْكَ فَمَا يَغُرُّ خُلْبَهُ^(١٠) ، بَلْ سَحْبُهُ تَكْفُ
لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ مِنَّا بِالنَّجَاحِ لِمَنْ لَنَا بِأَمَالِهِ فِي الْقَصْدِ يَخْتَلِفُ^(١١)
يَقُولُ حَاسِدُنَا ، وَالْحَقُّ أَنْطَقَهُ إِذْ شَمْسُهُ ، لَا كَمِثْلِ الشَّمْسِ تَنْكَسِفُ :
أَوْلَادُ رُزْيَكٍ لَا غُرُّ كَفَخَرِهِمْ حَازُوا الْمَفَاحِرَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ نُطْفُ

(١) ديم : جمع ديمة ، وهي المطريدوم في سكون .
(٢) أنف منه كفرح : استنكف .
(٣) أنف منه كفرح : استنكف .
(٤) العرنين : كثرة شعر الحاجبين والعينين .
(٥) الروضة الأنف : التي لم ترع .
(٦) وكف : قطر .
(٧) السدف : الظلمة .
(٨) (١٠) الحول : الخلق والقدرة على التصرف .
(٩) (١١) السدف : الظلمة .
(١٢) الرق الخلب : المظلم الخلف . (١٣) اختلف إليه : تردد .

وكم أراد الورى إحصاء فضلهم
لكنهم أخذوا ما تستقل به
ندني الغنى من يدى رب المنى، فلنا
فى غيرنا نخجل الأمل إن قصدت
وقد قضى الله بى تأليف شملكم
وقد أساء لكم دهر مضى، فإذا
واقضوا ديون الهوى عن مدة سلفت
وقد بدأنا، وتممنا، فهل أمل
نحن الزلال، دفعنا غصة عرضت
وعندنا أهلكم، كانوا لعيشهم
كم جهد ذى الهم أن يبقى تجلده
لا تأسفن على فقدان غيرهم
قوم إذا ارتفعوا قدراً، هووا همما
ولا تقل إن تذكرت البلاد أسى
وإن دولتنا كنت الوحيد بها
عليكم بدع^(١) الآداب قد وقفت
من ناشد عهد ذاك الاجتماع لنا
هبت أهلك مجد الدين، فانزعج الأ

فى المكرمات فما استطاعوا، ولا عرفوا
أفهامهم، وإلى حيث انتهوا وقفوا
به المطى إلى أوطانهم تحف^(٢)
وما يحيب رجاء عندنا يقف
وكان ظنكم أن ليس يأتلف
شتتم من الدهر فاقصصوا، أو انتصفوا
تساكياً، وعلى المستأنف استلفوا
يدعو، وهل مدمع قد عاد يندرف^(٣)
لكم، فلها عرضنا لم تكن تقف
كانهم عنك ماغبوا، ولا انصرفوا
عليه، والهم فى استراره التلف
نقى الملام^(٤) قد جرت له عطف
فالمكرمات لعمرى بينهم طرف^(٥)
بأن قلبك بالأشواق يختطف
فضلاً، فكيف يرى منكم بها خلف
فهاها عنكم فى الدهر منحرف
فقد أضاعته منكم نية قذف^(٦)
فراح، وانظر، فإن الخير مؤتلف^(٧)

(٢) ذرفت العين ذمها : أسالته .

(٤) الطريقة : المال المستحدث .

(٦) نية قذف : بعيدة .

(١) الوجيف : ضرب من سیر الخيل والإبل .

(٣) الملام : جمع ملامة .

(٥) البدع بالكسر : الأمر الذى يكون أولاً .

(٧) الالتفاف : الاستئناف والابتداء .

قافية القاف

(٣١٠)

وقال :

تَهْمِي مواهبه والسُّحْبُ جَامِدَةٌ فَنِ يَدِيهِ مَصَابُ الْوَايِلِ الْغَدِ^(١)
نُعْمَاهُ تُطْلِقُ أَسْرَى ، ثُمَّ تَأْبِرُهُمْ لَهُ ، وَكَمْ مِنَّةً أَغْنَتْ عَنِ الرِّيقِ^(٢)

(٣١١)

وقال^(٣) :

مَنْ لَ مِنْهَلٍّ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الصَّا لِحْ : يَرْوَى دَانٍ بِهِ وَسَحِيقُ
سُحْبٌ ، وَبَلَّهَا النُّضَارُ وَلَلَاءُ لِدَاءٍ فِيهَا صَوَاعِقُ وَحَرِيقُ
مَلِكٌ زَادَهُ التَّوَاضُعُ لَّا بِهِ جِلَالًا ، يَرْوَعُ ، ثُمَّ يَرْوِقُ
سَطَوَاتٌ تُخَشَى ، وَحَلْمٌ يُرْجَى وَنَوَالٌ طَلَّقَ ، وَوَجْهٌ طَلِيقُ
مَنْ حَكَّى بِي وَرَقِ الْجَانِمِ فِي الْأَفْنَانِ : جِيدِي حَالٍ ، وَغُصْنِي وَرِيقُ
وَتَنَانِي كَشَذَوْنٍ مَدَى الْأَيَّامِ ، يَحْلُو سَمَاعُهُ ، وَيَرْوِقُ
رَوْتُ الصَّدَقِ فِيهِ بَادٍ ، وَمَا زَا لَ إِلَى الصَّدَقِ كُلُّ سَمِجٍ يَتَوَقُّ^(٤)
يَا أَمِيرَ الْجَبُوشِ ، مَا زَالَ لِلْإِسْلَامِ وَالِدِينَ مِنْكَ رَكْنٌ وَثِيقُ
أَسْمَعْتَ دَعْوَةَ الْجِهَادِ ، فَلَبَّا هَا مَلِيكَ بِالْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ

(١) مصاب : اضطراب . والوايل : المطر الشديد الضخم القطر . وغدقت العين : غزرت . ووجد : بخل .

(٢) الريق : جمع ريق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به الهم كل عروة رقيقة .

(٣) أول هذه القطعة قوله : كم إل كم يلحى المحب المشوق . . . راجع القطعة ٢٥٤ ص ١٣٦ .

(٤) تاق إليه : اشتاق .

ملكٌ عادلٌ ، أنار به الدينُ ، فعمَّ الإسلامَ منه الشروقُ
 ما له عن جهاده الكُفرَ والعدو ل وفعل الخيرات شغلُ يعوقُ
 هو مثلُ الحُسام : صدرٌ صقيلٌ لينٌ مسه ، وحدٌ ذليقٌ^(١)
 ذو أناةٍ يخالفُ الغرَّ إهما لاً ، وفيها حتفُ الأعادي المحيقُ^(٢)
 فاسلماً للإسلام كهنين^(٣) ماطرٌ ز ثوبَ الظلام برقُ خفوقُ

قافية اللام

(٣١٢)

وقال في الشيخ أبي ترابٍ حيدرة بن نجم الكاتب ، وقد عزل عن الكتابة :
 أبا تراب ، دهرنا جاهلٌ يرفع للشبه ذوى الجهل
 كأنه الميزان : يعلو به ذوالنقص عن رتبة ذى الفضل
 وما يغمر العزل من لم يزَل من فضله الباهر في شغل

(٣١٣)

وقال :

أبا حسين في طي كل مساءٍ من الله صنع للعباد جميل
 كرهت لك الترحال أمس ، ورجما أفاد الفتى طولَ المقام رحيل^(١)
 وقد يكره الشيء الفتى ، وهو خيره له ، ويحب الشيء وهو ويل^(٢)

(٢) أحاط به : أحاط به .

(١) ذليق : حاد . وصله : جلاه .

(٤) يشير إلى قول الشاعر .

(٣) الكهف : الورد والملا .

وتسكب عيناى الدموع لتجعدا

ساطب بعد الدار عنكم لتقربوا

(٥) الويل : الوخيم .

ولو لم تُقدِّ إلَّا الجِهَادَ ، فإنَّه ثوابٌ ، كما نصَّ الكتابُ ، جَزِيلُ
فكيف وقد أصبحتَ جَارًا لما جَدَّ يَجُودُ ، على عِلَّاتِهِ ، وَيُنِيلُ
كَرِيمُ كَالِيلِ^(١) الطَّرِفِ عن عَيْبِ جَارِهِ وما طَرَفُهُ عِنْدَ السَّوَالِ كَالِيلُ
شَرَى الحمدَ بالأموالِ ، لَا يَسْتَقِيلُ فِي شِرَاهُ ، وَلَا عِنْدَ الْبَيْعِ^(٢) يُقِيلُ
وَمَنْ كَمَعِنِ الدِّينَ ، أَمَّا جَنَابُهُ فَرَحْبُ ، وَأَمَّا ظِلُّهُ فَظَلِيلُ
إِذَا وَرَدَتْ آمَالُنَا بِحَرِّ جُودِهِ صَدَرْنَ رَوَاءَ^(٣) ، مَا بَيْنَ غَلِيلُ
فَكُنْ وَائْتِقًا بِاللَّهِ ثُمَّ بِجُودِهِ فَإِنِّي بِمَا أَمَلْتُ مِنْهُ كَغَلِيلُ

(٣١٤)

وقال في نصر بن الأفضل^(٤) :

يَا مُسْتَقْبَلَ النَّبِيِّ فِيمَا تَجُودُ بِهِ وَمَنْ مَوَاهِبُهُ كَالْعَارِضِ^(٥) الْهَاطِلِ^(٦)
وَمَنْ إِذَا جَادَ بِالدُّنْيَا لِأَمَلِهِ قَالَتْ مَعَا [رَفُهُ]^(٧) حَاشَاكَ مِنْ بَحَلٍ
وَمَنْ إِذَا جَرَّدَ الْبَيْضَ الصَّوَارِمَ فِي السَّهْمِجَاءِ [أَسْكَنَهَا]^(٨) فِي الْهَامِ وَالْقَلَلِ^(٩)
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ فِي الْخَطْبِ الْمَلَمَ ، فَمَذُ وَلَيْتَ يَنْصَرُّ عَادَ [الْخَطْبُ]^(١٠) يَخْضَعُ لِي
وَبَعْدُ ، لِي فِيكَ آمَالٌ ، وَظَنِّي فِي عُلَاكَ [أَنْتَ]^(١١) تُوفِي بِي عَلَى أَمَلِي^(١٢)

(١) كل بصره : نبا .

(٢) بايعه مبايعه وبياعا : عارضه بالبيع . وأقلته : فسخته . واستقلته : طلب إليه أن يقبله .

(٣) رواه : جمع ريان . (٤) راجع مقدمة الديوان .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق . (٦) الهطل : تتابع المطر العظيم النقط .

(٧) سقط بالأصل ولعل ما أكلنا به يستقيم به الوزن والمعنى .

(٨) القلة : أعلى الرأس . والهامة : الرأس . (٩) أوفى عليه : أشرف .

(٣١٥)

وقال من قصيدة :

فَتَبَيَّ أَلْتَجَى إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْبِ ، وَذَحْرَى إِنْ غَال وَفَرَى غَوْلُ^(١)
بِعَلَاهُ أَسْمُو ، وَمَنْ فَضِلَ مَا نَوَّلَ أَقْضَى فَرَضَ الْعُلَا وَأُنِيلُ
مَلِكٌ يَذْكُرُ الْمَوَاعِيدَ وَالْعَهْدَ ، وَيَأْسِيهِ فَضْلُهُ مَا يُنِيلُ
مُلْكُهُ مَلِكٌ رَحِمَهُ ، وَقَضَايَا هُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ التَّنْزِيلُ

ومنها :

أَنْتَ حَلَيْتَ بِالْمَكَارِمِ أَهْلَ الْعَصْرِ حَتَّى تَعْرِفَ الْمَجْهُولُ
وَعَلَا خَامِلٌ ، وَحَامَى جَبَانٌ وَوَفَى غَادِرٌ ، وَجَادَ بَخِيلُ
وَحِمَتَ الْبِلَادَ بِالسَّيْفِ ، فَاسْتَصْعَبَ مِنْهَا سَهْلٌ ، وَعَزَّ ذَلِيلُ
وَقَسَمْتَ الْفَرَنْجَ بِالْغَزْوِ شَطْرَيْنِ : فَهَذَا عَانُ^(٢) ، وَهَذَا قَتِيلُ
وَالَّذِي لَمْ يَحْنُ^(٣) بِسَيْفِكَ مِنْ خَوْفِكَ أَمْسَى وَعَقْلُهُ مَجْهُولُ
مَثَلِ الْخَوْفِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ جَيْشًا لَكَ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَا يَزُولُ
فَالرَّبِّيَ عِنْدَهُ جِيوشٌ ، وَمَوْجُ الْبَحْرِ فِي كُلِّ بَلْحَةٍ أَسْطُولُ
وَإِذَا مَا أَغْنَى^(٤) أَقْضَى^(٥) بِهِ الْمَضْجَعُ فِي الْحُلْمِ سَيْفُكَ الْمَسْلُولُ
فَابْقِ لِلْمُسْلِمِينَ كَهْفًا ، وَلِلْإِفْرَنْجِ حَنْفًا ، مَا أَعْقَبَ الْجَيْلَ جَيْلُ
بَيْنَ مُلْكٍ يَدُومُ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَحَالٍ فِي الْفَضْلِ لَيْسَتْ تَحُولُ^(٦)
ثَابَتَ الدَّسْتِ فِي اعْتِلَاوِ وَجْدٍ وَعَطَايَاكَ فِي أَلْبِلَادِ تَجُولُ
بَالِغَ الْعَبْدُ فِي النَّيَابَةِ وَالتَّخْرِيطِ ، وَهُوَ الْمَفْوَهُ الْمَقْبُولُ

(١) غاله : أهلكه . والوفر : الفنى . (٢) العانى : الأسير .

(٣) حان : هلك . (٤) أغنى : نام نوما خفيفا .

(٥) أقض المضعج : خشن . وأقضه الله ، لازم ومتعد . (٦) تحول : تحول .

فَرَأَى مِنْ عَزِيمَةِ الْغَزْوِ مَا كَا دَت لَهُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَمِيلُ
وَأَجَابَتْهُ بِالصَّلِيلِ سُيُوفٌ ظَامِثَاتٌ ، وَبِالصَّهِيلِ خُبُولُ
وَرَأَى النَّقَعَ رَاكِدًا دُونَ مَجْرَى الشَّمْسِ ، وَالْأَرْضَ بِالْجِيوشِ تَسِيلُ
كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا مِنَ الْأُسْدِ جَبِشٌ سَائِرٌ فَوْقَهُ مِنَ الشَّمْرِ غِيلٌ^(١)
وَإِذَا عَاقَتِ الْمَقَادِيرُ فَالَّلهُ إِذَا حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣١٦)

وقال :

زَدْنِي عُلَا ، لَا أُرْتَضَى بِاللَّهِى^(٢) حَسْبَى مَا تَوَلَّتْ : مِنْ مَالٍ
أُعْنَيْتَ نَفْسِي وَيَدَيَّ ، فَاسْتَوَى حَالَى فِي الْعَفَةِ وَالْمَالِ
فَلِي نَوَالٌ وَنَدَى سَيِّئِهِ^(٣) يُرْجَى ، وَمَنْ فَضْلِكَ لِإِفْضَالِي
وَأَتَمَّا أَبْنَى الْعُلَا ، لَا الْغَنَى وَمِثْلُهَا يَبْغِيهِ أُمَثَالِي

(٣١٧)

وقال :

وَالْجَوْرُ فِي حَكْمِ الصَّبَابَةِ جَائِزٌ بِخِلَافِ أَحْكَامِ الْمَلِيكِ الْعَادِلِ
الصَّالِحِ الْمَهَادِي الَّذِي فِي عَدْلِهِ سَاوَى انْخِفَاضِ الزُّجْجِ^(٤) صَدْرَ الْعَامِلِ^(٥)

(١) الفيل : الشجر الكثير الملتف ، والأبجة . والسر : الراح . (٢) اللهى : العطايا .

(٣) السيب : العطاء .

(٤) الزجج : الحديد أسفل الرمح .

(٥) عامل الرمح : صدره .

قافية الميم

(٣١٨)

وقال :

وسر إلى بحرٍ خَصِمَ له من عَزَمِه سيفٌ وعِى مَخْذَمٌ^(١)
 حتّى إذا أنطقَكَ العدلُ في جلاله والخلقُ الأَكْرَمُ
 قل لأَمرِ المسلمينَ الَّذي به استَنَارَ الزَّمنُ المَظْلَمُ :
 أنتَ الَّذي ما جُرْتَ يوماً ، ولا جرى على سيفِكَ ظُلماً دَمُ
 ساويتَ في عدلكَ بينَ الورى حتّى تَسَاوَى الزُّجُجُ واللَّهْمُ^(٢)
 وَقُتَ في اللهِ احتساباً فقد وَقُتَ^(٣) من يطعُ ومن يُجْرِمُ
 وكلُّ أَهلِ الشَّامِ أوسَعَتهم عدلاً ، فإِلى دونهم أُحْرِمُ !
 أطعْتَ في حَكَمِكَ في الهَوَى وما كذا يَفْعَلُ مَنْ يَحْكُمُ
 من يَنْصِفُ المَظْلومَ مِنّا إِذَا كنتَ ، وحاشاك ، الَّذي يَظْلِمُ
 وأنتَ ظَلُّ الله في أرضه تردُّعُ من يَظْلِمُ أو يَغْشَمُ^(٤)
 فلا يَسْبُ أَجرَ الجهادِ الَّذي فُتِزَتْ به دُونَ الورى مَأْثَمُ

(٣١٩)

وقال :

دعوتُكَ يا عُمَرَ المَكْرَمَاتِ لأَمْرِ عَرَا ، ومهمٍّ أَلَمُ
 وأنتَ السَّريعُ إلى مَنْ دَعَاكَ بِذاك قَضَى لَكَ إرْثُ الكَرَمِ
 وإِن نَأَمَ حَظِّي عَمَّا عَهِدْتُ فَإِن اِهْتَمَّكَ بِي لَمْ يَنْمِ

(١) مخذم : قهره وأذله .

(٢) اللهزم : القاطع من الأمتة .

(٣) وقته كوعده : قهره وأذله .

(٤) الغشم : الظلم .

(٣٢٠)

وقال :

لو استطعت ، ولو ملكتُ أمرى فى قضاء فرضك عما فات من خدى
مشيتُ أحملُ أثقالَ الثناء إلى جنبك الخِضِل^(١) الأذافِ كالقلم

(٣٢١)

وقال من قصيدة مضى أولها^(٢) :

خلقُ تحلى به سلمان^(٣) بدينك من أخلاقك الغر يا ذا البأس والنعم
مولى علاك ، وكم قد عاد شأنه^(٤) بياسه من ملوك العرب والعجم
يقر بالملك للملك الذى نشر الرحمن أيامه ظلاً على الأمم
للصالح الملك الميمون طائرته بجيده طوق من غير منفصم
حتى ذويه ، وكم من بأسط ليد لولا حماه ، وكم من فاغر لقيم
وذاد عنهم صروف الدهر إذ كلبت عليهم ، وهم لحم على وضم
ونالهم من توالى سحِب نائله ما نال نبت الثرى من وابل الديم
يا حاسديه ، اكظموا ، جراتكم فانا الذئب ذير من أخذه ، إن هم ، بالكظم^(٥)
إياكم عثرات البغي ، إن لمن يبغيه يوماً يوارى الشمس بالظلم
حذار من مصرع الباغين قبلكم فالسيف منصلت فى كف مضطلم^(٦)
وفى تميم ومن والاه موعظة إنذارها يسمع الأموات فى الرجم^(٧)

(١) الخِضِل : كل شئ يند يترشف نداه .

(٢) مطلع القصيدة : أجب دواعى الهوى بالأدمع السجم ... راجع القطعة (٩٠) ص ٤٤ .

(٣) سلمان الفارسي : صحابي جليل .

(٤) شاد ملائا : أصابه بالعين ، وحسده .

(٥) الجرة : ما يفيض به البعير ، فإكله ثانية . وكظم البعير : أمسك عن الجرة . والكظم محركة

الخلق أو الفم أو نخرج النفس .

(٦) السيف المنصط : الصقيل الماضى . واصطله : استأخله .

(٧) الرجم : القبر .

تَوْهَمُوا أَنَّ ضَارِي الْأَسَدِ يَنْفِرُ عَنْ
 وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ فِي جَحْفَلٍ لِحَبٍّ^(١)
 مُغَامِرٌ تَرَهُبُ الْآجَالُ سَطَوَتَهُ
 يَسْتَقْبِلُ الْحَرْبَ بَسَامًا، وَقَدْ كَثُرَتْ
 يَلْقَى الْأُلُوفَ وَيَجْبُوها ، فَنِي يَدِهِ
 مَا غَرَّمُكَ بَصَدُوقِ الظَّنِّ يُخْبِرُهُ الرَّ
 يَرَى الضَّغَائِنَ فِي قَلْبِ الْحَسُودِ لَهُ
 فَإِنْ سَطَا عَنْ يَقِينٍ ، أَوْ عَفَا كَرَمًا
 أَدَانُكُمْ ؛ فَاعْتَلَيْتُمْ عَنْ ذَوِي رَحِمٍ
 وَعَمَّكُمْ سَبَبُ جُودٍ مِنْهُ نَبَهُ ذَا
 كَمْ غَمَّةٌ كَشَفَتْ عَنْكُمْ صَوَارِمَهُ
 لَوْلَاهُ ، لَا زَالَ عَنْكُمْ ظِلُّهُ أَبَدًا ،
 إِنْ رَابَهُ مِنْكُمْ أَمْرٌ ، فَلَا وَزَرَ
 يَا مَالِكًا مَالِكًا رَقِيَ بِأَنْعَمِهِ
 مَا الشُّكْرُ كُفُّ أُولَيَاتٍ مِنْ مَنِّ
 وَإِنْ أَكُنْ كَرْهِيهِ فِي الثَّنَاءِ ، فَقَدْ
 وَإِنْ تَكُنْ مِدْحِي وَقَفًّا عَلَيْكَ فَلَا
 فَنِي يَمِينِكَ مَنِّي صَارِمٌ خَدِمٌ

عَرِيَّةَ لِحْشُودِ الْبُورِ وَالرَّخِمِ
 مِنْ بَاسِهِ ، غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا بَرِمٍ
 وَتَفَرَّقَ^(٢) الْأَسَدُ مِنْهُ فِي حِمَى الْأَجَمِ
 بِهَا الْمَنِيَّةُ عَنْ أَنْبِيَائِهَا الْأَرَمِ^(٣)
 مِنْ الْعَطَا وَالشُّطَّا بِحِرَانْدَى وَدَمٍ
 أَيْ الصَّحِيحُ بِمَا فِي الصَّدْرِ مِنْ سَقَمٍ
 تَدَبُّثُ مِثْلَ دَيْبِ النَّارِ فِي الْفَحْمِ
 فَإِنَّهُ خَيْرُ ذِي عَفْوٍ وَمُسْتَقِيمٍ
 وَحَاطَكُمْ ؛ فَاعْنَدَيْتُمْ مِنْهُ فِي حَرَمٍ
 خُضُولِ مِنْكُمْ ، وَأَغْنَى كُلِّ ذِي عُدَمٍ
 وَلَمْ يَزَلْ كَاشَفَ الْأَوَاءِ^(٤) وَالْغَمِّ
 عَلَيَّكُمْ كَيْفَ تَأْتِي بِلُحَاةِ النَّقَمِ
 لَكُمْ ، وَلَا عَاصِمٌ مِنْ سَيْلِهِ الْعَرَمِ^(٥)
 وَمِلْكُ مِثْلِي لَا يُبْتَاعُ بِالْقِيمِ
 وَإِنْ تَسَهَّلَ لِي مُسْتَوْعِرُ الْكَيْمِ
 عَلَوْتُ مَجْدًا وَجُودًا عَنْ مَدَى هَرَمِ^(٦)
 تَنْظُرُ أَنْ ثَنَائِي مَتَّحَى هَمَمِي
 يَقْرِئُ ، إِذَا كَلَّ حَذَّ الصَّارِمِ الْخَدَمِ^(٧)

(٢) فَرَّقَ : فَرَعَ .

(١) اللَّيْلُ : اللَّيْلَةُ وَالْإِضْطِرَابُ .

(٣) أَرَمَ مَا عَلَى الْمَأْتَدَةِ : أَكَلَهُ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا . وَالشَّيْءُ : شَيْءٌ .

(٤) الْأَوَاءُ : الشُّقَّةُ . (٥) الْعَرَمُ : الشَّدِيدُ .

(٦) هَرَمٌ : مَعْدُوحٌ زَهْرِيْنُ أَبِي سَلَمَى . (٧) يَقْرِئُ : يَشُقُّ . وَالْخَدَمُ : الْقَاطِعُ .

في حده حَتْفٌ من ناوأك وهولن والأك مُنْبَجَسٌ بالبارد الشِّيم
 فَرَّ بِمَا شِئْتَ ؛ أَلْقَى الْأَمْرَ مِمْتَلَأً بِهِمَّةٌ مَا اعْتَرَتْهَا فَتْرَةٌ الْحَمَمُ
 مَجْرَبًا طَاعَتِي تَجْرِبَ مُخْبِرٍ إِنَّ التَّجَارِبَ تَجْلُو شُبُهَةَ النَّهَمِ
 فَبَذَلَ نَفْسِي عِنْدِي فِي رِضَاكَ ، فَلَا حُرْمَتِهِ ، بَعْضُ مَا أَنْوِيهِ مِنْ خِدَمِي
 وَحَقَّ ذَلِكَ لِمَنْ أَنْشَرْتَ أَسْرَتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَدَّهُمْ مِنْ نَاحِرٍ ^(١) الرَّمَمِ
 صَرَفْتَ صَرْفَ اللَّيَالِي دُونَ غَشَمِهِمْ ^(٢) وَكَفَّ بِأَسْكَ عَنْهُمْ كَفَّ مُهْتَضِمِ
 وَأَوْصَلْتَهُمْ صَلَاتٌ مِنْ نَدَاكَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، لَقَدْ أَغْرَبْتُ فِي الْكَرَمِ
 وَمَا الَّذِي نِلْتُ مِنْ نِعْمَاكَ غَايَةُ آمَالِي ، وَلَا مَتَهَى حِظِّي وَلَا قِسْمِي
 نَيْلُ الْعُلَا دُونَ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ ، كَمَا أَنَّ الْغَنَى دُونَ مَا تَحْبُوهُ مِنْ نِعَمِ
 شَرَفْتَنِي ، فَاعْتَلَى قَدْرِي ، وَأَصْحَبَ لِي ^(٣) دَهْرِي ، وَأَصْبَحَ فَيَارُمْتُ مِنْ خِدَمِي
 وَطُلْتُ ^(٤) عَنْ يُسَامِينِي ، فَفَخَرُّهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا ، إِنْ سَمَتْ هِمَاتُهُمْ ، قَدَمِي
 لِلَّهِ دُرٌّ طُرُوسٌ ضَمَنْتُ دُرَرًا أَكْرَمَ بِمُتَثَرٍّ مِنْهَا وَمُسْتَظَمِ
 أَضْحَيْتُ عَلَى مَفْرُقٍ تَاجًا ، وَفِي عُقْنِي تَمِيمَةً مِنْ عَوَادِي الْخَطْبِ وَالْعَدَمِ
 لَفْظُ أَرْقٍ مِنَ الشَّكْوَى ، وَالطُّفُّ مِلَّ عُتْبِي ، وَأَشْهَى مِنَ الْإِبِلَالِ فِي الْأَلَمِ
 جَرَتْ لَطَافَتُهُ مِنْ قَلْبِ سَامِعِهِ مَجْرَى الْهَوَى مِنْ فُؤَادِ الْمَغْرَمِ السَّدِيمِ ^(٥)
 فَصَاحَةٌ أَسْمَعَتْ مَنْ كَانَ ذَا صَمَمٍ وَحُسْنُ مَعْنَى أَفَادَ الْفَهْمَ ذَا اللَّمَمِ ^(٦)
 وَوَشَى خَطِّ حَكِي زَهْرَ الرَّبِيعِ سَرَتْ أَكْأَمُهُ عَنْ بَدِيعِ الْفَضْلِ وَالْحَكَمِ
 لَوْ كَانَ حَالِكُهُ لَوْنُ الشَّبَابِ لَمَّا حَالَتْ نَضَارَتُهُ بِالشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

(١) الناحر : البالي المفتت . والرمة : العظام .
 (٢) أغرب : أتى بالغريب .
 (٣) طارئني فطلته : كنت أطول منه .
 (٤) اللعم : الجنون .
 (٥) العثم : الظلم . والاحتضام : الظلم .
 (٦) أحص : انقاد .
 (٧) الدم محركة : الهم أومع دهم ، أو غيظ مع حزن .

يزيدُ سامِعَها تَكَرَّارُها شَغَفًا بها ، وَكَمْ جَلَبَ التَّكْرِيرُ مِنْ سَأَمٍ
يَا مُوجِدَ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ إِذْ عُدِمَا حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَا نَارَيْنِ فِي عِلْمٍ
مَمْلُوكُكَ الْأَصْغَرُ الْقَنْ الْمُبَالِغُ فِي الْإِخْلَاصِ ، وَالسَّيْرُ مَقْدُودٌ مِنَ الْأَدَمِ^(١)
لَوْ نَالَ مَا يَتَقَيَّ مِنْ مَشِيئَتِهِ مَشَى إِلَيْكَ خُضُوعًا مِشْيَةَ الْقَلَمِ

وكان كتب هذه القصيدة المتقدمة إلى الملك الصالح جواباً عن قصيدة نونية.
كتبها إليه ، وهى هذه :

وَرَدَتْ إِلَيْنَا مِنْكَ "مَجْدَ الدِّينِ" بِيضَاءُ تَخْطُرُ فِي التِّيَابِ الْجُونِ^(٢)
حَرَرَتْ مِنْهَا حُرَّةٌ بَرَزَتْ لَنَا حُسْنًا كَنْظِمُ اللُّوْثِ الْمَكْنُونِ
خَرَسَاءُ صَامِتَةٌ ، وَلَكِنْ أَخْبِرَتْ مِنْهَا الْفَصَاحَةُ عَنْ لِسَانِ حَزِينٍ
غَرَاءُ ، يَلْقَى الشَّكَّ عِنْدَ قُدُومِهَا فَتَنْظِلُ تَكْشِفُهُ بِصَبْحِ يَقِينٍ
تَشْكُو صَبَابَتَكَ الَّتِي آلَتْ إِلَى دَاءٍ تَضُرُّمِ^(٣) فِي الْفَوَادِ دَفِينٍ
أَبَدْتَ إِلَى الْكَرِيمِ الْأَبَابِ^(٤) تَمَسُّكَ بِنَدَى كَفِيلٍ بِالنَّجَاحِ صَّمِينٍ
قَدْ عَلِمْتَ سُمَرَ الْقَنَا أَخْلَاقَهُ فَلِذَاكَ مِنْهَا شِدَّةٌ فِي لِينٍ
إِنْ مِنْ لَمْ يُدْبِعْ صَنَائِعَ جُودِهِ مَنَّا ، وَلَيْسَ نَدَاهُ بِالْمَحْنُونِ^(٥)
تَأْتِي الْقَوَافِي ، وَهِيَ أَبْكَارٌ لَهُ قَضْدًا ، فَتَخْجَلُ لِلْأَيْدَى الْعُونِ^(٦)
حَتَّى إِذَا وَفَدَتْ عَلَيْنَا لَمْ تَجِدْ بَابًا لِعَمْرُكَ مَغْلَقًا مِنْ دُونِي
وَجَوَابُنَا هَذَا عَقِيبَ هَلَاكِ مِنْ وَرَدَ الْمَنِيَّةَ رَانِغَمَ الْعَرِينِ^(٧)
أَمْسَتْ أَكَاذِيبُ الْمَنَى تَقْتَادُهُ حَتَّى رَمَتْهُ إِلَى حَضْبِضِ الْهُونِ
إِذْ ظَنَّ أَنَّا مِثْلُ مَنْ عَنْ مُلْكِهِ قَدْ رَاحَ مِنْهُ بِصَفْقَةِ الْمَغْنُونِ^(٨)

(١) الأدم : جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ .
(٢) الجون : الأسود يريد انلط .
(٣) تضرم : اشتد حرقه .
(٤) الأبَاب : التخالص .
(٥) مَنْ : أَنف . وَالْمَنْ : الْإِتْنَان . وَالْمَحْنُون : الْمَقْطُوع .
(٦) الْعَرِين : الْعُرَيْن .
(٧) الْعَرِين : الْأَنْف .
(٨) الْمَغْنُون : الْمَحْذُوع .

خَلَّى حَلَالَهُ ، وَقَالَ انْفِسْ : مِنْكَ مِنْ صَرَفِ الرَّدَى ^(١) يَكْفِي
أَمْلٌ لَعْمُكَ زَيْتَةً لِعَيْنِهِ خُدْعُ الغُرُورِ ، وَسَكْرَةُ المَفْتُونِ ^(٢)
حَتَّى إِذَا شَيْطَانُهُ قَالَ : ابْدَرْ ورأى بَأْنَ الحَشْدِ صَائِنُ عِزِّهِ
نُدِبَتْ إِلَيْهِ صَابَةٌ مِنْ قَبْلِهَا لَمْ تَسِرْ أَسَادُ الشَّرَى بِعَرِينِ ^(٣)
وَبِأَسْهَمِ خَلَطُوا مَنَى بِمُنُونِ ^(٤) يَجْرِي إِلَى الهَيْجَلِ بِغَيْرِ قَرِينِ
جَلَّتْ غُرَّةُ وَجْهِهِ المِمْرِنِ بِدَمَائِهِ ، كَتَخِطُ المَجْنُونِ
عَدْدًا ، لِحَصْنٍ لَمْ يَكُنْ بِحَصِينِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلُو القَنَا بِرَزِينِ
حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ بِلَادَ الصِّينِ بَابَ الظُّهُورِ عَلَى عُدَاةِ الدِّينِ
غَرْقًا ، وَبِجُرُوحٍ ، وَبَيْنَ طَعِينِ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الطَّبَّ ^(٥) بِضَيْنِ
خَلَطَ القَسَاوِرِ ^(٦) بِالطَّبَّاءِ العَيْنِ ^(٧) تَضْفُو ^(٨) مَلَابِسُ سَرْدِهَا المَوْضُونِ ^(٩)
عِنْدَ الصَّقَالِ لَهَا أَكْفٌ قِيُونَ ^(١٠)

- (١) صرف الردى : نواحيه . (٢) المفتون : الضال . (٣) أذاله : أهانه .
(٤) العرين : مأوى الأسد . والشري : جليل بتهامة كثير السباع . (٥) المون : الموت .
(٦) السميع : السيد الكريم الموطن الأكثاف والشجاع . (٧) داجيا : مظلمًا .
(٨) الطبا : جمع ذابة وهي حد سيف أو سنان أو نحوه . (٩) القساوير : جمع قسورة : الأسد .
(١٠) العيين : جمع عينا ، وهي حسنة العينين واسمعتها . (١١) الضفو : السبوح والكثرة .
(١٢) وطن التي : ثني بعضه على بعضه . والدمرد : اسم جامع للدروع وسائر الخلق . (١٣) القين : الخزاز .

فَلَا خِذْمَ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَوْعٌ مِنْ دُونِهِ فِي الْقَدْرِ فَتَحُ حُصُونُ
وَالطُّرُودُ^(١) لَا يُجِيبِي أَمْرًا مِنْ حَيْنِهِ^(٢) فَلِذَاكَ لَا يُجِيبُهُ عَلَوُ سَفِينِ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ ، فَحَمْدُهُ مُتَوَاصِلٌ مِنِّي لِمَا يُؤَلِّينِي
فَلَوْ أَتَيْتُ رَمْتُ السَّمَاءِ بِحَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَطَلَّتْهَا بِيَمِينِي
فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي ثَنَاءٌ ، لَمْ يَزَلْ يُعْتَادُ مِنْهُ نَفْعُهُ النَّاسِرِينَ^(٣)
وَلَطَالَمَا^(٤) أُولَى الْأَمِيرِ يَدًا إِلَى قَلْبٍ بِكُلِّ مَسْرَةٍ مَشْحُونِ
مَنَا لِنَعْلَمِهِ بِذَاكَ ، لِأَنَّهُ فِي وَدْنَا مَا زَالَ غَيْرَ ظَنِّينِ^(٥)
وَلَهُ التَّوَسُّعُ فِي الْمَقَالِ ، وَشَأْنُهُ فِي نَظْمِهِ وَالشَّعْرِ غَيْرُ شُؤْنِي
وَالْأَهْلُ قَدْ سَارُوا إِلَيْهِ ، وَرَأَيْنَا طَابُ افْتِكَكَ فَوَادِهِ الْمَرْهُونِ
لَمْ يَبْقَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَجَدُ^(٦) فَاغْتَمَّ فَرَحًا أُتِيحَ لِقَلْبِكَ الْمَحْزُونِ
وَأَسْأَلُهُمْ إِنْ شِئْتَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَابْتُهُمُ مِنْ شَجَرِكَ^(٧) الْمَخْزُونِ
وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ فَنُونِكَ مَلَبَسًا عِنْدَ النَّشَاطِ ، فَأَنْتَ رَبُّ فُنُونِ

(٣٢٢)

وقال :

يَا مُنْعِمًا ، مَوْرُدُ إِحْسَانِهِ سَهْلٌ ، فَا فِي مَنَةِ^(٨) مَنْ^(٩)
قَدْ اقْتَدَى بِالْمُزْنِ^(١٠) فِي جُودِهِ بَلْ يَنْدَاهُ يَقْتَدَى الْمَزْنُ
بَسَطَتْ كَفًّا فِي النَّدَى وَالْوَعَى مَا كَفَّهَا بَحْلٌ وَلَا جُبْنُ
فَاسْلَمْ مِنَ الدَّهْرِ ، فَفِيهِ عَلَى كُلِّ كَرِيمٍ مَا جَدِ ضِغْنُ^(١١)

(١) الطُّرُودُ : الجبل . (٢) الحَيْنُ : الهلاك . (٣) النَّاسِرِينَ : ورد .

(٤) الشَّطْرُ الْأَوَّلُ فِي الْأَصْلِ كَذَا : وَلَعَلَّنَا أَوَّلَ الْأَمِيرِ بِذَا إِلَى ... وَلَعَلَّ مَا اخْتَرَنَاهُ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ .

(٥) الظَّنِّينَ : الْمُتَمِّمِ . (٦) الْوَجْدُ : الْحَزَنُ . (٧) الشَّجَرُ : الْحَزَنُ .

(٨) مَنَةٍ : إِعْظَامُهُ . (٩) مَنَةٍ عَلَيْهِ : عُدَّتْ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ مِنْ نَعَمٍ . (١٠) الْمَزْنُ : السَّحَابُ .

(١١) الضِّغْنُ : الْحَقْدُ .

ما قاله مفتخرا ، وتمدح به متأثرا

قافية الراء

(٣٢٣)

أُظِنَّ الْعِدَا أَنَّ ارْتِحَالِي ضَائِرِي ضَلَالًا لِمَا ظَنُّوا، وَهَلْ يَكْسُدُ التَّيْرُ
وَمَا زَادَنِي بُعْدِي سِوَى بُعْدِ هِمَّةٍ كَمَا زَادَ نُورًا فِي تَبَاعُدِهِ الْبَدْرُ
وَلَوْ كَانَ فِي طُولِ الثَّوَاءِ فَضِيلَةٌ لِمَا انْتَقَلَتْ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَلَوْ لَزِمَتْ أَغْمَادُهَا الْبَيْضُ مَا انْجَلَتْ بِهَا غَمَرَاتُ الْحَرْبِ، وَاتَّضَحَ النَّصْرُ
وَهَلْ فِي ارْتِحَالِي عَنْ بِلَادٍ تَنْكَرْتُ لِمِثْلِي أَوْ لِلْسَّاكِنِينَ بِهَا نَخْرُ
وَلِنْ بِلَادًا ضَاقَ عَنِّي فِضَاؤُهَا لِأَرْحَبُ مِنْ أَكْثَافِهَا لِلْعُلَا فِترُ
وَأَرْضًا نَبَتْ بِي، وَهِيَ آهَلَةُ الرُّبَا هِيَ الْفَقْرُ، لَا، بَلْ دُونَ وَحِشَتِهَا الْقَفْرُ
وَهَلْ يُنْكِرُ الْأَعْدَاءُ فَضِيلِي، وَإِنَّهُ لِأَسِيرُ ذَكَرَا أَنْ يُوَارِيهِ الْكَفْرُ^(١)
أَلَسْتُ الَّذِي مَا زَالَ كِهْلًا وَيَافِعًا لَهُ الْمَكْرَمَاتُ الْغُرُ، وَالنَّائِلُ الْغَمْرُ^(٢)
وَخَائِضَ وَقَعَاتٍ، بَوَارِقُهَا الطُّبَا وَوَابِلُ هَاتِيكَ الْبُرُوقِ دَمٌ هَمْرُ^(٣)
يَهْوُلُ الرَّدَى مَنَى تَقْصِمِي الرَّدَى وَيَعْتَادُهُ مِنْ جَأَشَى الرَّابِطِ الذُّعْرُ
وَلَوْ حَكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الطُّبَا رَضِيتُ بِمَا تَقْضِي الْمَهْنَدَةُ الْبُتْرُ^(٤)
وَلَكِنْ تَوَلَّى الْحَاكِمِينَ قَضَاءَنَا فَكَانَ أَبُو مُوسَى^(٥) لَنَا، وَلَهُمْ عَمْرُو

(١) الكفر : السّر والتغطية .

(٢) النائل : ما نلته . والغمر : الكثير .

(٣) همر : منهجر .

(٤) البتر : السيوف القاطعة .

(٥) يريد أبا موسى الأشعري وعمر بن العاص الحكيمين في وقعة صفين .

(٣٢٤)

وكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها :

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَدِينَنَا الدَّهْرُ وَيَخْدُمُنَا فِي مُلْكِ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ
وهي طويلة ، يذكر فيها وقائعهُ وسرايأُ إلى الفَرَجِ ، وتَسِيرَهُ الجيوشَ ،
وأسماءُ مُقَدِّمِيهَا ، ويصفُ نَجْدَتَهُمْ ، فوقف عليها الملكُ العادلُ رحمه الله ، وخرجَ
عليَّ أمرُهُ إلى الأميرِ مجدِّ الدينِ بالإجابةِ عنها ، بمَعَانٍ وقعت الإشارةُ إليها .
فقال هذه القصيدة ، وذكر فيها بعض الفُتُوحات :

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَنَا الْأَمْرُ	لِنَحْيَا بَنِي الدُّنْيَا ، وَيَفْتَخِرَ الْعَصْرُ
وَتَخْدُمُنَا الْأَيَّامُ فِيمَا نَزَّوْمُهُ	وَيَنْقَادَ طَوْعًا فِي أَرْمَتِنَا ^(١) الدَّهْرُ
وَتَخَضَعَ أَعْنَاقُ الْمُلُوكِ لِعِزَّنَا	وَيُرْهِبَهَا مِنَّا عَلَى بُعْدِنَا الذِّكْرُ
بِحَيْثُ حَلَّانَا الْأَمْنُ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ	وَفِي سَائِرِ الْأَفَاقِ مِنْ بَأْسِنَا دُعْرُ
بِطَاعَتِنَا لِلَّهِ أَصْبَحَ طَوْعَنَا الْأَ	نَامُ ، فَمَا يُعْصِي لَنَا فِيهِمْ أَمْرُ
فَأَيَّمَانُنَا فِي السَّلَامِ سُبْحُ مَوَاهِبِ	وَفِي الْحَرْبِ سُبْحُ وَبُلَهْنٍ دَمِّ هَمْرِ ^(٢)
قَضَتْ فِي بَنِي الدُّنْيَا قَضَاءَ زَمَانِهَا	فُسِّرَ بِهَا شَطْرُ ، وَسِئَاءُ بِهَا شَطْرُ
وَمَا فِي مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ مُجَاهِدٌ	سِوَانَا ، فَمَا يَنْتَهِ حَرْزٌ وَلَا قُرُ
جَعَلْنَا الْجِهَادَ هَمًّا وَاشْتَغَالَنَا	وَلَمْ يُبْلِهْنَا عَنْهُ السَّمَاعُ وَلَا الْخَمْرُ
دَمَاءُ الْعَدَا أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ ^(٣) عِنْدَنَا	وَوَقَعَ الْمَوَاضِي ^(٤) فِيهِمُ النَّأْيُ وَالْوَتَرُ
نُؤَاصِلُهُمْ وَصَلَ الْحَبِيبُ وَهُمْ عَدَا	زِيَارَتُهُمْ يَخْطُ عَنَّا بِهَا الْوَزْرُ

(٢) همرة : دمه . والويل : المهر الشديد الضخم القطر .

(٤) المواضي : السيوف البازرة .

(١) أُرْمَةٌ : جمع زمام .

(٣) الرَّاح : الخمر .

وفي سجننا ابن الفئس خيرُ ملوكهم
أسرناه من حصن العريمة^(١) راغماً
وسل عنهم الوادي بإقليس^(٢) إنَّه
هم انتشروا فيه لردِّ رعيننا^(٣)
ونحنُ أسرنا الجوسلين^(٤) ولم يكن
وكانَ يظنُّ الغرُّ أنا نبيعه
فلبا استبحنا ملكه وبلاده
كحلناه، نبغى الأجرَ في فعلنا به
ونحنُ كسرنا البغدوين^(٥) وما لمن
فسله اللعين الحائن^(٦) الذي
وقد ضاقت الدنيا عليه برحبها
أفى غدره بالخيل بعدَ يمينه
دعته إلى نكت اليمينِ وغدره
وقد كانَ لونُ^(٧) الخيلِ شتَّى فأصبحت
توهمُ عجزاً حلماً وأنا تنأ
فلما تمادى غيبه وضلاله
برزنا له كالليثِ فارقِ غيله
وسرنا إليه حينَ هابَ لقاءنا

وإن لم يكن خيراً لديهم ولا يرُ
وقد قتلت فرسانه فهمُ جزرُ
إلى اليومِ فيه من دمانهم عُدرُ
فن تُربه يومَ المعاد لهم نُشرُ
ليخشى من الأيامِ نائبةً تعرُّو
بمالٍ، وكم ظنُّ به يهلك الغرُّ
ولم يبق مالٌ يُستباح ولا تُغرُّ
وفي مثل ما قد ناله يُجزز الأجرُ
كسرناه إبلالُ يرُجى ولا جبرُ
له الغدرُ دينٌ: مابه صنع الغدرُ
فلم يُنجِه برُّ، ولم ينجِحه بحرُ
بأنجيله بين الأنام له عُدرُ
بذمته النفسُ الخسيسة والمكرُ
تُعادُ إلينا، وهى من دمهم سُقرُ
وما العجزُ إلا ما أتى الجاهلُ الغمرُ
ولم يَنْبِه عن جهله النهى والزجرُ
وعادته كسرُ الفرائسِ والمهْصُرُ^(٨)
وبأن له من بأسنا البؤسُ والشرُّ

(١) أهم موضع . (٢) جزر : مخفف جزر يضمنين وهى جمع جزور وهى الناقة المجزورة : الذبيحة

(٣) الرنيل : الجماعة المتقدمة من الخيل . (٤) أحد ملوك الفرنج الصليبيين .

(٥) الحائن : الأحمق . (٦) فى الحاشية قلا عن ولده مزهف «وكانت شيات الخيل شتى ...» .

(٧) المهْصُر : المكسر .

وثير حشايانا الشروج، وقصنا الد
تري الأرض مثل الأفق، وهي نجومه
وهم الملوك البيض والشمر كالدمي^(١)
صوارمنا حمر المضارب من دم
نسير إلى الأعداء^(٢) والطير فوقنا
فأس يذوب الصخر من حر ناره
وجيش إذا لاقى العدو ظنتهم
تري كل شهم في الوعى مثل سهمه
هم الأسد من بيض الصوارم والقنا
برون لهم في القتل خلداً، فكيف بالبقاء لقوم قتلهم عندهم عمر
إذا نسبوا كانوا جميعاً بنى أب
يظنون أن الكفر عصيان أمرنا
لنا منهم إقدامهم وولاؤهم
بنا أيد الإسلام، وازداد عزه
قتلنا البرنس، حين سار بجعله
ولم يبق إلّا من أسرته، وكيف بالبقاء لمن أختت عليه الطبا البتر^(٣)

روغ، ومنصوب الخيام لنا قصر
وإن حسدتها عزها الأنجم الزهر
وهيتا البيض الصوارم والشمر
قوائمها من جودنا نضرة خضر
لها القوت من أعدائنا، ولنا النصر
ولطف له بالماء ينبجس^(٤) الصخر
أسود الشرى عنت لها الأدم^(٥) والغفر
نفوذاً، فإ يئنه خوف ولا كثر
لهم في الوعى التاب الحديد والظفر
برون لهم في القتل خلداً، فكيف بالبقاء لقوم قتلهم عندهم عمر
إذا نسبوا كانوا جميعاً بنى أب
يظنون أن الكفر عصيان أمرنا
لنا منهم إقدامهم وولاؤهم
بنا أيد الإسلام، وازداد عزه
قتلنا البرنس، حين سار بجعله
ولم يبق إلّا من أسرته، وكيف بالبقاء لمن أختت عليه الطبا البتر^(٦)

(١) الدمى : جمع دمية وهي الصورة المنقشة من الرخام . والتمثال . (٢) في هامش الديوان : الهيجا .
(٣) انجيس : تخبر . (٤) الأدم من الطياء : المشربة بإياها . والأعفر من الطياء : ما يعلو بإياه حرة .
(٥) طين شزر : شديد صلب . وضرب هير : يسقط الحرب والهبة : بضعة لحم لا عظم فيها .
(٦) الحجر : الجيش العظيم . (٧) أسنة السيوف القاطعة .

فَوَلَّى يُبَارَى عَائِرَاتِ سِهَامِنَا وَفِي سَمْعِهِ مَنْ وَقَعَ أُسَافِنَا وَقُرُ^(١)
وَحَلَّى لَنَا فُرْسَانَهُ وَحُمَاتَهُ فَشَطَرُ لَهُ قَتْلٌ ، وَشَطَرُ لَهُ أَسْرُ
وَمَا تَنْثَنِي عَنْهُ أَعْنَةُ خَيْلِنَا وَلَوْ طَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِهِ النَّسْرُ
إِلَى أَنْ يَزُورَ الْجَوْسِلِينَ^(٢) مُسَاهِمًا لَهُ فِي دِيَايَ ، مَا لِلْيَلْتِنَا بِفَسْرِ
وَنَزَجَعَ الْقَدَسَ^(٣) الْمُطَهَّرَ مِنْهُمْ وَيُتْلَى بِإِذْنِ اللَّهِ فِي الصَّخْرَةِ الذَّكْرُ
كَأَفْعَالِنَا فِي أَرْضٍ مِنْ حَانَ^(٤) مِنْهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي مَمَالِكِهِمْ شِبْرُ
إِذَا اسْتَعْلَقَتْ شُمُ الْحَصُونِ فَعِنْدَنَا مَفَاتِحُهَا : بَيْضُ ، مُضَارِبُهَا حُمْرُ
وَإِنْ بَلَدٌ عَزَّ الْمُلُوكَ مَرَامُهُ وَرُمَانُهُ ، ذَلَّ الصَّعْبُ وَاسْتَسْهَلَ الْوَعْرُ
وَأُضْحَى عَلَيْهِ لِلْسَّهَامِ وَاللَّظْبَا وَوَقَعَ الْمَذَاكِي^(٥) الرُّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالْقَطَرُ
بَنَّا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَمَّنَ الْعِبَادَ ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا قَهَرُ
فَتَحْنَا الرَّهَآ^(٦) حِينَ اسْتَبَاحَ عِدَاتُنَا حَمَاهَا ، وَسَنَى مُلْكَهَا لَهَا الْخِزْرُ^(٧)
جَعَلْنَا طُلَى^(٨) الْفُرْسَانَ أَغْمَادَ بَيْضِنَا وَمَلَكًا أَبْكَارَهَا الْفَتَكَةُ الْبِكْرُ
وَنَحْنُ فَتَحْنَا نَلَّ بِأَشَرٍ^(٩) بَعْدَهَا وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَكَاْسِرَةُ الْغُرُ
أَتَى سَاكِنُوهَا بِالْمَفَاتِيحِ طَاعَةً إِلَيْنَا ، وَمَسْرَاهُمْ إِلَى بَابِنَا شَهْرُ
وَمَا كُلُّ مَلِكٍ قَادِرٍ ذُو مَهَابَةٍ وَلَا كُلُّ سَاجٍ يَسْتَتِبُّ لَهُ الْأَمْرُ
وَتَلَّ عِرَازِ^(١٠) ، صَبَحَتْهُ جُبُوشُنَا فَلَمْ تَحْمِهِ عَنَّا الرِّجَالُ وَلَا الْجُنْدُ
وَمُنَا إِلَى بُرْجِ الرَّصَاصِ^(٩) وَلِإِنَّهُ لَكَالْسِدِّ ، لَكِنِ الرَّصَاصُ لَهُ قِطْرُ^(١٠)

(١) العائر : كل ما أعل العين ، والوقر : نقل في الأذن . (٢) أحد ملوك الصليبيين .

(٣) في الهامش « البيت المقدس » . (٤) حان : هلك .

(٥) المذاكي من الخيل : التي آتى عليها بعد فروعها سنة أوسنتان . (٦) عاصمة إمارة صليبية بالنام .

(٧) سناء : سهله . والخزير : العدو والخديعة . (٨) الطلى : الأعناق .

(٩) موضع بالنام . (١٠) القطر : النحاس الذائب .

وأُضْحِتْ لَأَنْطَاكِيةَ^(١) حَارِمُ^(٢) شَحْيَى وفيها لَهَا وَالسَّائِكِينَ بِهَا حَصْرُ
وَحِصْنُ كَفَرٍ لَأَنَا وَهَابٌ^(٣) تَدَانِيَا لَنَا ، وَذُرَاهَا لِلْأَنْوَقِ^(٤) بِهِ وَكُرُ
وَفِي حِصْنٍ بِأَسُوطًا وَقَوْرَصٌ ذَلَّتِ الصَّعَابُ لَنَا ، وَالنَّصْرُ يُقَدِّمُهُ^(٥) الصَّبْرُ
وَقَامِيَّةُ^(٦) وَالْبَارَةُ^(٧) اسْتَنْقَذَتْهُمَا لَنَا هِمَّةٌ مِنْ دُونِهَا الْفَرْعُ وَالْغَفَرُ^(٨)
وَحِصْنُ بَسْرِفُودٍ^(٩) وَأَنْتَبُ^(١٠) سَهْلَتِ لَنَا ، وَاسْتَحَالَ الْعُسْرُ ، وَهُوَ لَنَا يُسْرُ
وَفِي تَلٍّ عَمَّارٍ^(١١) ، وَفِي تَلٍّ خَالِدٍ^(١٢) وَفِي حِصْنٍ سَلْقِينَ^(١٣) لِمَلَكَةِ قَصْرِ
وَمَا مِثْلُ رَاوَنْدَانَ^(١٤) حِصْنٌ وَإِنَّهُ لَمَعْنَعٌ ، لَوْلَمْ يَسْهَلْ لَهُ الْقَسْرُ
وَكَمْ مِثْلُ هَذَا مِنْ قِلَاعٍ وَمِنْ قَرْيٍ وَمُزْدَرَعَاتٍ لَا يَحِيطُ بِهَا الْحَصْرُ
فَلَبَّا اسْتَعْدَدْنَا مِنْ الْكُفْرِ عَنُوءَةً وَلَمْ يَبْقَ فِي أَقْطَارِهَا لَهمُ اثْرُ
رَدَدْنَا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ رِبَاعَهُمْ وَأَمْلَأْ كَهمُ ، فَانْزَاحَ عَنْهُمْ بِهَا الْفَقْرُ
وَجَاءَتْهُمْ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَفَاقَةٍ وَقَدْ مَسَّهمُ مِنْ فَقْدِهَا الْبُؤْسُ وَالضَّرُّ
وَمَرَّ عَلَيْهَا الدَّهْرُ ، وَالْكَفْرُ حَاكِمٌ عَلَيْهَا ، وَعُمَرُ مَرَّ مِنْ بَعْدِهِ عُثْمَرُ
فَنَالَهُمْ مِنْ عَوْدِهَا الْخَيْرُ وَالْغِنَى كَمَا نَالْنَا مِنْ رَدِّهَا الْأَجْرُ وَاللُّشْكُرُ
وَنَحْنُ وَضَعْنَا الْمَكْسَ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِمُتَجَرِّهِ السَّفَرُ
وَأَصْبَحَتِ الْآفَاقُ مِنْ عَدَانَا حَمَى فَكُذِرَ قَطَاها^(١٥) لَا يُرَوِّعُهَا صَقْرُ
فَكَيْفَ تُسَامِينَا الْمُلُوكُ إِلَى الْعُلَا وَعَزَمُهمُ سُرٌّ، وَوَقَعَاتُنَا جَهْرُ

(١) أنطاكية : مدينة كانت قسبة العواصم من الثغور الشامية ، موصوفة بالحسن ، وطيب الهواء ، وغذوبة الماء ، وكثرة الفواكه (يا قوت) .
(٢) حارم : مدينة بالشام .
(٣) الأنوق كصير : العقاب .
(٤) موضع بالشام .
(٥) قدم القوم كنعمر : تقدمهم .
(٦) مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حصن .
(٧) فرغ الدلو الملقدم والمؤنر : منزل للقمر . والغفر : منزل للقمر أيضا . (٨) ازدرع : زرع .
(٩) القطا : طائر . والكدي : ضرب من القطا غير الألوان ، رقت الطهور ، صفر الخلق .

وإن وعدوا بالغزو نظماً، فهذه رموس أعادهم بأسيا فإنا نصر
سنلقى العدا عنهم بيض صقالها هداياهم، والبستر^(١) يرهفها البتر^(٢)
وما قولنا عن حاجة، بل يسوءنا إذا لم يكن في غزونا لهم أجر
نزاننا ملأى، وما هي ذخرننا الممعد، ولكن الثواب هو الذخر
ملكاً الذي لم تحوهِ كَف مالِك ولم يعرنا تيه المتوك ولا الكبر
فنحن ملوك البأس والجود، سوقة التواضع، لا بذخ لدينا، ولا نفخر
عرَفنا^(٣) عن الدنيا، على وجدها بنا فمنها لنا وصل، ومنا لها هجر
وأحسن شيء في الدنيا زهد قادر عليها، فإيصيه ملك ولا وفر^(٤)
ولولا سؤال الله عن خلقه الذي رعيناهم حفظاً إذا ضمت الحشر
لملنا عن الدنيا، وقلنا لها: اغربي^(٥) لك الهجر منا، ماتمادي بنا العمر
فأجبر ملك، أنت عنه محاسب ومملكة^(٦)، من بعدها الموت والقبر
فقل للملوك الأرض: ما الفخر في الذي تعدونه من فعلكم، بل كذا الفخر

قافية الفاء

(٣٢٥)

وقال :

يأبى احتمال الضيم لى خلق فيه على ما رأبى صلف
سهل العريكة حين تنصفه صعب المقادة حين يعتسف^(٧)

(١) البتر : السيوف الفاطمة . (٢) البتر : القطع . (٣) عرَفَ عنه : زهد فيه .

(٤) الوفر : النفي . (٥) اغربي : ابعدي .

(٦) في هامش الديوان « وسلطنة » . (٧) اعتسفه : ظله .

خُلِقَ نَمَاهُ أَغْرُ أَرْوَحُ مَيِّمُونَ النِّقِيَّةَ مَاجِدُ أَنْفٍ^(١)
 مِنْ مَعْشِرِ طَابَتْ مَغَارِسُهُمْ فَسَمَا لَهُمْ فَوْقَ السَّهْلِ^(٢) شَرَفُ
 قَوْمٍ إِذَا عُدَّتْ مَنَاقِبُهُمْ كَادَتْ لَهْنَ الشَّمْسُ تَنْكَسِفُ
 لَوْ حَاوَلُوا الْإِفْلَاكَ مَا قَصُرَتْ عَنْهَا أَكْفُهُمْ ، وَلَا ضَعُفُوا
 لَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي جُودِهِمْ لِعَفَائِهِمْ^(٣) سَرَفُ
 أَنِّي يَعْلى فِيهِمْ ، وَهُمْ فَوْقَ الثَّنَاءِ ، وَفَوْقَ مَا أَصْفُ

قافية اللام

(٣٢٦)

وقال :

جُودِي بِمَوْجُودِي عَلَى النِّكَابِ فِي مَالِي أَبِي لِي أَنْ أَعَدَّ بِحَيْلًا
 أَهْبُ الْكَثِيرَ مِنَ الْكَثِيرِ ، فَإِنْ لَحَتْ^(٤) عُودِي وَهَبْتُ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلًا
 كَيْ لَا أَكْذِبَ فِي رَجَائِي آمَلًا إِنَّ الْبَخِيلَ يُكْذِبُ التَّامِيلًا

(١) النقية : الطبيعة . وأنف كفرح : استكف . والأروع : من يعجبك بحسن وجيزة منظره ، أو بشجاعته .
 والميمون : المبارك . ونماه : رضع .
 (٢) السها : نجم .
 (٣) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٤) لحا العود : قشره .

ما قاله في الحماسة ، ووصف به شجاعته وبأسه

قافية الهمزة

(٣٢٧)

قال :

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنْ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ مَرَارًا ، وَلَكِنْ مَا الدِّمَاءُ سَوَاءُ
وَلَكِنْ شَفِينَا النَّفْسَ مِنْ لَاعِجِ الْأَمَى بِقَتْلِهِمْ ، إِنْ كَانَتْ مِنْهُ شِفَاءُ

قافية الباء

(٣٢٨)

وقال ، وقد عرض له ألم في رجله منعه من الركوب :

رَجُلَايَ وَالسَّبْعُونَ قَدْ أَوْهَنْتَ قُوَايَ عَنْ سَعْيِي إِلَى الْحَرْبِ
وَكُنْتُ إِنْ ثَوَّبَ^(١) دَاعِيَ الْوَعَى لَيْتَهُ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
أَشَقُّ بِالسَّيْفِ دُجَى نَقْعِهَا شَقُّ الدَّيَاجِي مِرْسَلُ الشُّهْبِ
أَنَازِلُ الْأَقْرَانِ يُرْدِيهِمْ مِنْ قَبْلِ ضَرْبِي هَامَهُمْ رُغْبِي
فَلَمْ تَدْعَ مِنِّي اللَّيَالِي سَوَى صَبْرِي عَلَى اللَّأْوَاءِ^(٢) وَالخَطْبِ
أَلَيْ الرِّزَايَا رَابِطَ الْجَاشِ فِي أَجْدَانِهَا مَجْتَمَعَ اللَّبِ
مَا خَاتَمِي عَزَمِي ، وَلَا عَزَمِي^(٣) صَبْرِي ، وَلَا ارْتَاعَ لَهَا قَلْبِي

(٢) اللاءاء : الشدة .

(١) الثوب : الدعاء .

(٣) عزمي : غلبي ، فلم يغلني .

قافية الجيم

(٣٢٩)

وقال ، ما كتبه على طوق خُوذة :

أَنَا تَاجُ فُرْسَانَ الْهِبَاجِ^(١) ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ ثَبِتْتُ أَوَاحِي^(٢) مُلْكِ كُلِّ مُتَوَجِّجٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ عَجِبَتْ مِنْ بَحْرِ تَدَافَعٍ فِي لَظَى مُتَوَهِّجٍ
صَبْرٌ إِذَا مَا ضَاقَ مُعْتَرِكُ الْقَنَا فَرَجَتْ سَيُوفُهُمْ مَضِيقَ الْمُنْهَجِ
وَإِذَا رَجَوْتَهُمْ لَنْصِرَ صَدَقُوا بِعَظِيمٍ بِأَسْهِمٍ رَجَاءَ الْمُتَرْجِي

قافية الحاء

(٣٣٠)

وقال :

خَمْسَ عَشْرَةَ نَازَلْتُ الْكُجَّةَ إِلَى أَنْ شَبْتُ فِيهَا ، وَخَيْرُ الْخَيْلِ مَا قَرَحَا^(٣)
أَخْوَضُهَا كَشْهَابِ الْقَذْفِ مَبْتَسِمًا طَلَقَ الْحَيَا ، وَوَجْهُ الْمَوْتِ قَدْ كَاغَا
بِصَارِمٍ ، مَنْ رَأَاهُ فِي قَتَامٍ وَعَى أَفْرَى بِهِ الْهَامَ^(٤) ، ظَنَّ الْبَرْقَ قَدْ لَحَا
أَغْدُو لِنَارِ الْوَعَى فِي الْحَرْبِ إِنْ نَحَدَّتْ بِالْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ وَالْهَامَاتِ مُقْتَدَحَا^(٥)
فَسَلْ كُجَّةَ^(٦) الْوَعَى عَنِّي ، لَتَعْلَمَ كَمْ كَرِبَ كَشَفْتُ ، وَكَمْ ضَيَّقَ بِي أَنْفَسَحَا

(١) الهياج بالكسر : القتال .

(٢) الأحية كناية ويشدد ويخفف : عود في حائط أو في حبل يدفن طرناد في الأرض و يبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة ، الجمع أخايا أو أواحي . والأحية : الطنب .

(٣) قرح الفرس كنع : انتهت أسنانه ، فهو قارج ، وذلك عند إكمال خمس سنين .

(٤) القتام : الغبار . والوعى : الحرب . وأفرى : أشق . والهام : جمع هامة : وهي الرأس .

(٥) اقتدح : رام الإبراء . والبيض : جمع بيضة ، تتخذ من الحديد ، وتلبس في الرأس .

(٦) الكى : الشجاع ، أو لابس السلاح .

قافية الدال

(٣٣١)

وقال من أبيات تقدّمت^(١) :

ولكنني ألقى الحوادثَ وادِّعاً بقلبٍ أريبٍ بأسه يتوقّدُ
أبي على عدلِ الزَّمانِ وجوره غنيٌّ عن الأعوانِ إن قلَّ مُسعدُ^(٢)
فما هو في خطبٍ وإن راعَ جازعُ مروعٌ ، ولا في حادثٍ مُتبلدُ

(٣٣٢)

وقال من قصيدة تقدّم أولها^(٣) :

يا عجبا من وشكٍ بينَ مارَعَتِ^(٤) فيه مطايانا ولا الحادى حدّا
نرى الجمالَ المصحِّباتِ^(٥) بيننا مُهملاتٍ ، والرجالَ بدداً^(٦)
موقفٍ توديعٍ ترى البيضُ به شهباً ، وهابى النّقع ليلاً أسوداً
وللطعانِ فى الكُماةِ أعيناً تهيم على السّردِ^(٧) نجيعاً مُزبداً
فيا له من موقفٍ رقيقه ككائبِ الأعداءِ ، والواشى الرّدى
لو لم تكن عادتي الإقدامَ فى أمثاله ، قضيتُ فيه كمداً
ومنها :

لا تحسبن الرّزءَ أوهى جالدى إنّ النّسيمَ لا يفيضُ^(٨) الجلمداً
وهل يروعُ الخطبُ قلبَ أروعٍ إنّ كلبِ^(٩) الدّهرِ عليه أسداً^(١٠)

(٢) المسعد : المعين .

(١) انظر القطعة (١٢٨) صفحة (٦٢) .

(٤) رغا البعير رغاء بالضم : صوت فضج .

(٣) راجع ص ٦٦ .

(٦) بددا : متفرقة .

(٥) أحصب : اتقاد .

(٧) السرد : اسم جامع للدروع . والتجيع : دم الجوف . (٨) الفض : الكسر بالفتحة . والجلد : الصخر .

(١٠) أسد : صار كالأسد .

(٩) كلب : سفه .

مَتَى رَأَى الشَّامِتُونَ ضَرَعًا لَنَكِيَةٍ تَعْرِفُنِي عَرَقَ الْمُدَى^(١)
 هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّنِي أَصْلَبُ مِنْ صَمِّ الصَّفَا^(٢)، فَمَا عَدَا مَا بَدَا
 هَلْ بَرَّزَنِي الْخَطْبُ سِوَى وَفَرَى الَّذِي كَانَ مُبَاهَاً لِلنَّوَالِ وَالنَّدَى
 إِنْ جَمَعُوا الْمَالَ فَأَوْعَوْا أَتَلَقْتُ يَدِي طَرِيفَ مَا حَوَتْ، وَاتَّلَدَا
 هُمْ يَرُونَ الْمَالَ ذُخْرًا بَاقِيًا وَإِنَّمَا ذُخْرُ الْقَتَى أَنْ يُحْمَدَا

قافية السين

(٣٣٣)

وقال^(٣) :

سَلِّ بِي كُجَاةَ الْوَعَى فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ^(٤) يَضِيقُ بِالنَّفْسِ فِيهَا صَدْرُ ذِي الْبَاسِ
 يَنْبُتُكَ بَأْنَى فِي مَضَايِقِهَا ثَبْتُ، إِذَا الْخَوْفُ هَزَّ الشَّاهِقَ الرَّاسِي^(٥)
 أَخْوَضُهَا كَشَاهِبِ الْقَذْفِ، يَصْحَبُنِي عَضْبُ كَهْرٍ سَرَى أَوْضُوهُ مِقْبَاسِ^(٦)
 إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ قِرْنًا أَنَا زِلُهُ أَوْحَاهُ^(٧) عَنْ عَائِدٍ يَغْشَاهُ أَوْ آسِي^(٨)

قافية الطاء

(٣٣٤)

وقال من قصيدة مضى أكثرها^(٩) :

وَلَكِنْ قَضَتْ فِينَا اللَّيَالِي بِمَجُورَهَا وَعَادَتْهَا كُفْرُ الْفَضَائِلِ وَالْغَمَطُ
 حَكِي حَكْمَهَا الْمِيزَانَ ، لَادَرَدْرُهَا : فَذُو الْقَتَصِ يَسْتَعْلِي ، وَذُو الْفَضْلِ يَخْطُ

(١) الفرع : الخاضع للذليل المستكين . وعرق الغنم : أكل ما عليه من اللحم . والمدي : جمع ندية ، وهي السكين .

(٢) الصفا : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وحجر أعم : صلب .

(٣) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ١٩٥ . (٤) في لباب الآداب : " معرك " .

(٥) الجبل . (٦) العضب : السيف . والمقباس : شعلة ارتقتبس من مظم النار .

(٧) أرحاه : أبعده . وفي لباب الآداب « أرحاه » بمعنى زجره ، ونحاه ، وردده . (٨) الآسي : الطليح .

(٩) راجع ص ٧٨ ، ١٧٤ .

وَعِنْدِي عَلَى مَارَابَ مِنْ حَدَثَانِهَا صَرِيْمَةٌ عَزِيْمٌ ، مَالِمًا عَقَلْتُ نَشْطُ^(١)
تُهَوِّنُ عِنْدِي الْخُطْبَ ، وَالْخُطْبُ هَائِلٌ وَتَقْبِضُ عَنِّي كَفَّهُ ، وَلَهَا الْبَسْطُ

قافية الفاء

(٣٣٥)

وقال^(٢) :

إِنْ يَحْسُدُوا فِي السَّلَامِ مَنْزِلَتِي مِنَ الْعِزِّ الْمُنِيفِ^(٣)
فَبِمَا أَهَيْنُ النَّفْسَ فِي يَوْمِ الْوَعَى بَيْنَ^(٤) الصَّفُوفِ
فَلَطَالَمَا^(٥) أَقْدَمْتُ لِأَقْدَامِ الْخُتُوفِ^(٦) عَلَى الْخُتُوفِ
بِعِزْمَةٍ أَمْضَى عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ مِنَ السُّيُوفِ

قافية القاف

(٣٣٦)

وقال^(٧) :

قَلْبِي وَصَبْرِي لِإِفَانٍ مِذْ خُلِقَ تَقَاسَمًا صَادِقَيْنِ : لَا افْتَرَقَا
(أَمْشِي الْهُوَيْنِي ، وَالْخُطْبُ فِي طَلْبِي يُوضَعُ طَوْرًا ، وَتَارَةً عَنَقًا)^(٨)
مَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ أَنْ أَذِلَّ ، وَلَا تَمْلَأُ قَلْبِي أَهْوَالُهُ فَرَقًا^(٩)

(١) حدثان الدهر : توبه . والعزيمة : العزيمة . وعقل : شد البعير بالعقال . والنشط : الحل .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ولباب الآداب ص ١٨٤ .

(٣) المنيف : العالي المشرف . (٤) في لباب الآداب « يوم » .

(٥) في الخريدة « ولطالما » . (٦) اخطف : الموت .

(٧) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في لباب الآداب ص ٢٠٣ .

(٨) ورد هذا البيت في موضعه هذا في لباب الآداب . ولم يرد في أهل الديوان . وأوضح : أسرع . والعنق :

(٩) هذا البيت ساقط في لباب الآداب . السير الفسيح .

أَحْنُو ضُلُوعِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ^(١) عَلَى فُؤَادٍ لَا يَعْرِفُ الْقَلَقَ
لَا يَزِدُّهُ^(٢) خَوْفُ الْحِمَامِ ، وَلَا عَهْدُهُ فِي مُلْبَةِ خَفَقَا

(٣٣٧)

وقال

قَالُوا تَرَشَّفَتِ اللَّيَالِي مَاءَهُ وَاغْتَالَه بَعْدَ النَّمَامِ حَقُّ
هُوَ جَمْرَةٌ أَفْنَى الزَّمَانِ لَهْيَهَا فَتَضَاءَلَتْ ، وَطَبَأَهَا الْإِحْرَاقُ

قافية اللام

(٣٣٨)

وكتب إليه الملك الصالح^(٣) :

قُلْ لَابِنِ مُنْقِذِ الذِي قَدْ حَازَ فِي الْفَضْلِ الْكَمَالَ
فَلَيْدَاكَ قَدْ أَضْحَى الْأَنَا مُ عَلَى فَضَائِلِهِ^(٤) عِيَالًا
وَقَرِيضُهُ عِنْدَ الظَّمَا يَنْسِيهِمُ الْمَاءُ الزُّلَالَا
كَالدَّرِّ وَالْبَاقُوْتِ ، مَا سَكَنَ الْبَحَارَ ، وَلَا الْجِبَالَ
لَكِنْ يُجَاوِرُ فَيْضَ أَيْمَانٍ ، وَأَحْلَامًا ثِقَالَا :
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ يُحَرِّمَ مِنْهُ لِي السَّحَرَ الْحَلَالَا
كَلَّا ، وَلَا يَشْكُو لِحَمَلِ رَسَائِلِ مَنِي كَلَالَا^(٥)
كَمْ قَدْ بَعَثْنَا نَحْوَكِ الْأَشْعَارَ مُسْرِعَةً عِجَالَا

(١) الازدهاء : الاستخفاف .

(١) في لباب الآداب : حادثة .

في الروضتين : مكرمه .

(٣) النص في الروضتين أيضا : ١١٧ .

(٥) الكلال : الإعياء .

مَثَلُ الْحَسَنِ الْغَيْدِ^(١) تَأْتَتْ فِي مُحَاسِنِهَا دَلَالًا
بَذَلَتْ لَكَ الْمُنَوَّعَ ، ثُمَّ مَنَحَتْكَ مِنْكَ ابْتِدَالًا^(٢)
وَصَدَدَتْ عَنْهَا ، حِينَ رَأَى مِنْ مُحَاسِنِكَ الْوَصَالَ
مَا كَانَ مُرْسَلُهَا ، وَحَقَّقَكَ ، يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَلَالًا
هَلَّا بَذَلْتَ لَنَا مَقَالًا ، حِينَ لَمْ تَبْذُلْ فِعَالًا
مَعَ أَتْنَا نُؤْيِكَ صَبْرًا فِي الْمَوَدَّةِ وَاحْتِمَالًا
وَنَبْذُلُكَ الْأَخْبَارَ ، إِنْ أَضْحَحْتَ قِصَارًا أَوْ طَوَالَ
سَارَتْ سَرَايَانًا لِقِصْدِ الشَّامِ ، تَعْتَسِفُ الرِّمَالُ^(٣)
تَرْجِي إِلَى الْأَعْدَاءِ جُرْدَ الْخَلِيلِ أَتْبَاعًا^(٤) تَوَالِي
تَمْضِي خِيفًا لِلْغَا رِ^(٥) بِهَا ، وَتَأْتِينَا ثِقَالًا
حَتَّى لَقَدْ رَامَ الْأَعَا دِي مِنْ دِيَارِهِمْ ارْتِحَالًا
وَعَلَى الْوُعَيْرَةِ^(٦) مَعَشَرٌ لَمْ يَعْهَدُوا فِيهَا الْقِتَالَ
لَمَّا نَأَتْ عَمَّنْ يُحْفُفُ بِهَا يَمِينًا أَوْ شِمَالًا
نَهَضَتْ إِلَيْهَا خِيَانًا مِنْ مِصْرَ تَحْتَمِلُ^(٧) الرِّجَالَ
وَالْبَيْضَ لَامِعَةً ، وَيَبْضُ الْهِنْدِ ، وَالْأَسَلَ النَّهَالَ^(٨)
فَقَدَّتْ كَأَنَّ لَمْ يَعْهَدُوا فِي أَرْضِهَا حَيًّا حِلَالًا^(٩)
هَذَا ، وَفِي تَلِّ الْعُجُو لِ^(١٠) ، مَلَأَنَّ بِالْقَتْلِ التَّلَالَ

- (١) الغيد : جمع غياد ، وهي الخنثى لنا .
(٢) اعتسف الطريق : خطب على غير هداية .
(٣) الغار : الإغارة .
(٤) أتباع : يأتون بعضها خلف بعض .
(٥) ر : الوعيرة : اسم حصن .
(٦) احتله : حمله .
(٧) النهال : جمع ناهله وهي المختلفة إلى التهل . والأسل : الرماح . والبض : السيوف .
(٨) جمع حلة وهي القوم الزول ، وجماعة بيوت الناس . (٩) موضع بالشم .

إِذْ مَرَّ مُرِي^(١) لَيْسَ يَلْوِي^(٢) نَحْوَ رُفْقَتِهِ اشْتِغَالًا
وَاسْتِنَاقَ عَسْكَرُنَا لَهُ أَهْلًا يُحِبُّهُمْ وَمَالًا
وَسَرِيَّةُ ابْنِ فُرَيْجٍ الطَّا نِي طَالَ بِهَا وَصَالًا
سَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْخَلِيلِ ، فَلَمْ تَدْعَ فِيهَا خِلَالَ^(٣)
فَلَوْ أَنَّ نُورَ الدِّينِ يَجِيءُ هَلْ فَعَلْنَا فِيهِمْ مِثْلًا
وَيُسِيرُ الْأَجْنَادَ جَهْرًا ، كَيْ يُنَازِلَهُمْ^(٤) نِزَالًا
وَيَنْبِي لَنَا ، وَلِأَهْلِ دَوْلَتِهِ بِمَا قَدْ كَانَ قَالًا
لَرَأَيْتَ لِلْإِفْرَنْجِ طُورًا فِي مَعَاظِلِهَا اعْتِقَالًا
وَتَجَهَّزُوا لِلسَّيْرِ نَحْوَ الْغَرْبِ أَوْ قَصَدُوا الشَّامَ
وَإِذَا أَنَى إِلَّا أَطْرَاحًا لِلنَّصِيحَةِ وَاعْتِزَالًا
عُدْنَا بِتَسْلِيمِ الْأُمُورِ لِحُكْمِ خَالِقِنَا تَعَالَى

فأجابه :

يَا أَشْرَفَ الزُّرَّاءِ أَخْلَاقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ فَعَالًا
وَأَعَزَّهُمْ جَارًا ، وَأَمَّ نَعْمَهُمْ حِمَى ، وَأَجَلَّ آلًا
وَأَعَمَّهُمْ جُودًا ، إِذَا جَادُوا ، وَأَكْثَرَهُمْ نَوَالًا
فَلِذَاكَ قَدْ أَضْحَى الْأَنَا مُ عَلَى مَكَارِمِهِ عِبَالًا
وَحِمَى الْبِلَادَ بِسَيْفِهِ عَنْ أَنْ تُدَالَ^(٥) ، وَأَنْ تُدَالَ
وَأَحَلَّ بِالْإِفْرَنْجِ فِي بَرٍّ ، وَفِي بَحْرِ نِكَالًا^(٦)

(١) مري : أحد ملوك الفرنج الصليبيين . (٢) يلوي : ينظر .

(٣) الخلال : جمع خل بالفتح ، وهو الطريق . (٤) هذه رواية الروضين . وفي الأصل : تنازلهم .

(٥) أذاته : أمته . والدولة : انقلاب الزمان . وأداله : أي جعل الزمان يتقلب به .

(٦) النكال ما نكلت به غيرك بأن تصنع ما تحذره به .

حَتَّى لَقَدْ سَمِعُوا لِقَاءَ جِيوشِ مِصْرٍ وَالْقِتَالَ
 نَبَّهَتْ عَبْدًا طَالِمًا نَبِيَّتَهُ ^(١) قَدْرًا وَحَالًا
 وَعَتَبَتَهُ ، فَأَنْلَتْهُ شَرَفًا وَمَجْدًا لَنْ يُنَالَ
 وَكُسُوتَهُ شَرَفًا ، إِذَا مَا طَاوَلَتْهُ الشُّهْبُ طَالَا ^(٢)
 لَكِنْ ذَاكَ الْعَتَبَ يُشْعِلُ فِي جِوَانِحِهِ اسْتِعَالَ
 أَسْفًا بِلَحْدِ مَالٍ عَنْهُ إِلَى مَسَاءَتِهِ ، وَمَالًا
 وَحِمَاهُ ، وَهُوَ الْحَائِمُ الظَّمَانُ ، أَنْ يَرِدَ الزُّلَالَا
 وَأَجَرَ مَقُولَهُ ^(٣) فَصَرَ نَ الْحَادِثَاتُ لَهُ عَقَالَا
 فَلَوْ اسْتَطَاعَ السَّعَى ، وَهُوَ الْفَرُضُ ، لَمْ يَرْضَ الْمَقَالَا
 لَكِنَّمَا الْأَيَّامُ تُوسِعُنَا مَطَالَا وَاعْتِلَالَا
 وَتُسَوِّفُ الرَّاجِي ، وَتُوْ رَدُّذَا الصَّدَى الظَّمَانُ آلَا ^(٤)
 وَالذَّهْرُ لَا يَنْفِكُ يَبْرِي ، أَوْ يَرِيشُ لَنَا النَّبَالَا ^(٥)
 وَيَصِدُّنَا عَمَّا نَحْمَا وَلَهُ جِهَارًا وَاغْتِيَالَا ^(٦)
 وَإِذَا حَمِدْنَاهُ عَلَى حَالٍ تَنْكَرَ وَاسْتَحَالَا ^(٧)
 وَذُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ لَوْ كَاثَرَتْ فِينَا الرَّمَالَا
 بِالْبَصَالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي جَمَعَ الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَا
 مَلَكٌ إِذَا زُغْنَا أَقَا لَ ، وَإِنْ سَأَلْنَاهُ أَنَا لَا
 فَيُبِيحُ جَاهِلَنَا وَسَائِلَنَا نَوَالًا وَاحْتِمَالَا
 فَإِلَيْهِ مَعْدَرَةُ الْمُقْصِرِ ، مِنْ إِسَاءَتِهِ اسْتِقَالَا

(١) تبه باسمه : توه .

(٢) طاولني فطلة : كنت أطول منه .

(٣) أجز مقوله : شق لسانه .

(٤) الصدى : العطش . والآل : السراب .

(٥) يرى الدهم : تحته . وراش الدهم : أزعق عليه الريش . والنبال : الدهام .

(٦) اغتاله : أهلكه .

(٧) استحال : تحول وتغير .

وبفضل مَالِكَةٍ تَعَوَّ ذَا أَنْ يَظُنَّ بِهِ الْمَلَالَا
 أَوْ أَنَّهُ يَشْكُو الْكَلَالَا لَ، لَسَمِعِهِ السُّحْرَ الْحَلَالَا
 وَهُوَ النَّهْضُ بِمَا تَحْمَلُهُ ، وَلَوْ حَمَلَ الْجَبَالَا
 أَمَّا السَّرَايَا حِينَ تَرُ جُعُ بَعْدَ خِصْفَتِهَا نِقَالَا
 فَكَذَلِكَ عَادَ وَفُودُ بَا بِكَ مُثْقَلِينَ نَفَا^(١) وَمَالَا
 وَمَسِيرُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ تَبْتَغِي فِيهَا الْحَبَالَا
 فَكَذَلِكَ فَضْلُكَ مِثْلُ عَدْلِكَ فِي الدُّنْيَا سَارَا وَجَالَا
 فَاسْلَمْنَا ، حَتَّى نَرَى لَكَ فِي بَنِي الدُّنْيَا مِثَالَا
 وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِوَدِّ نُورِ الدِّينِ ، وَالتَّقَى بِهِ الرِّجَالَا
 فَهُوَ الْمُحَامَى عَنْ بَلَا دِ الشَّامِ جَمْعًا أَنْ تُذَالَا^(٢)
 وَمِيبِدُ أَمْلَاكِ الْفَرَنْجِ وَجَمْعُهُمْ حَالًا لِحَالَا
 مِلْكُ يَتِيهِ الدَّهْرُ وَالْدُّنْيَا بِدَوْلَتِهِ اخْتِيَالَا
 جَمْعُ الْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَدْعُ مِنْهَا خِلَالَا
 فَإِذَا بَدَأَ لِلنَّالِمِ يَنْ رَأَتْ عَيُونُهُمْ ، الْكَمَالَا
 فَيَقْتِنَا لِلْمُسْلِمِينَ حِمَى ، وَلِلدُّنْيَا جَمَالَا

وكتب إليه الملك الصالح من قصيدة تقدم أولها^(٣)

ذَا كَرَيْنَ الْفَتْحَ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَالصَّنْعُ مِنْهُ جَمِيلُ
 لَمْ يَزَلْ فَعَلْنَا لَهُ خَالِصًا ، وَهَوَلًا شَاءَ فِي الْأَنَامِ فَعُولُ

(١) النَّثَا : مَا أَخْبَرَتْ بِهِ عَنِ الرَّجُلِ . وَنَا الْحَدِيثُ : حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ .

(٢) أَذَالَهُ : أَهَانَهُ . (٣) انظر صفحة ١٤٠ .

جاءنا بعد ما ذكرناه في كُتُبِ أُنَاكُمْ بهنَّ منَّا الرسولُ
 أَنَّ بعضَ الأسطُولِ نالَ من الإفْرِجِ ما لا يَنَالُهُ التَّامِيلُ
 سَارَ فِي قِلَّةٍ ، وما زالَ بِاللَّهِ ، وَصَدَقَ النِّيَاتِ يَتَنَّى القَلِيلُ
 وَبَقَايَا الأسطُولِ لَيْسَ لَهُ بَعْدُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ وَصُولُ
 فَحَوَى مِنْ عَكَا وَأَنْظَرُ طُوسَ عَدَّةً لَمْ يُحِطْ بِهَا التَّحْصِيلُ
 جَمَعَ دِيوِيَّةٌ^(٢) بِهِمْ كَانَتْ الْإِفْرِجُ تَسْطُو عَلَى الْوَرَى وَتَصُولُ
 قِيدَ فِي وَسْطِهِمْ مَقْدَمُهُمْ ، يُهْدَى إِلَيْنَا ، وَجِيْدُهُ مَغْلُولُ
 بَعْدَ مَتَوَى جَمَاعَةٍ هَلَكْتَ بِالسَّيْفِ ، مِنْهَا الْغَرِيقُ وَالْمَقْتُولُ
 هَذِهِ نِعْمَةُ الْإِلَهِ وَتَعْدِيدُ أَيَادِي الْإِلَهِ شَيْءٌ يَطُولُ
 فَابْلَغْنَ قَوْلَنَا إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، فَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
 قُلْ لَهُ : كَمْ تُمَاطِلُ الدِّينَ فِي الْكَفَّارِ ، فَاحْذَرُ أَنْ يَغْضَبَ الْمَطُولُ
 سِرِّي إِلَى الْقُدْسِ ، وَاحْتَسِبْ ذَلِكَ فِي اللَّهِ ، فَالْأَسِيرُ مِنْكَ يُشَقَّى الْغَلِيلُ
 وَإِذَا مَا أَبْطَأَ مَسِيرُكَ فَاللَّهُ إِذْنَ حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣٣٩)

وقال^(٣) .

بُجْهَلٌ فِي الْإِقْدَامِ رَأْيِي مَعَاشِرٌ^(٤) أَرَاهُمْ إِذَا قَرُّوا مِنَ الْمَوْتِ أَجْهَلًا
 أَرْجُو الْفَتَى عِنْدَ انْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَإِنْ قَرَّ عَنْ وَرْدِ الْمَنِيَةِ مَرَّحَلًا^(٥)

(١) أنظر طوس : بلد ساحل بالشام . (٢) الديوية : لقب لطائفة من الصليبيين .

(٣) ذكر أسامة هذه الأبيات أيضا في باب الآداب صفحة ٢٢٥ .

(٤) في أصل الديوان « رأى معاشر » بالإضافة والتعويص للأستاذ الشيخ أحمد شاكر في باب الآداب .

(٥) زحل عن مكانه كنع : زال .

إِذَا أَنَا هَبْتُ الْمَوْتَ فِي حُومَةِ الْوَعَى ^(١) فَلَا وَجَدْتُ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ مَوْتًا ^(٢)
وَلِيَّ إِذَا نَازَلْتُ كَبِشَ ^(٣) كَتَيْبَةٍ فَلَسْتُ أَبَالِي أَيُّنَا مَاتَ أَوَّلًا

(٣٤٠)

وقال :

قُلْ لِلخَطُوبِ : إِلَيْكَ عَنِّي ، إِنَّ لِي فِي الْخَطْبِ عَزْمًا مِثْلَ حَدِّ الْمُنْصِلِ ^(٤)
لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ مِنْ نَكْبَةٍ طَرَقَتْ ، وَلَا يَعْيا ^(٥) بِأَمْرِ مُشْكِلا
يَلْقَى الْخَطُوبَ ، إِذَا دَجَّتْ أَهْوَالُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَضْمَحَلَّ وَتَنْجَلِي
تَنْجَابُ ^(٦) عَنْهُ الْحَادِثَاتُ إِذَا عَرَتْ عَنْ قُلُوبِ ثَبِتِ الْعَزَائِمِ حَوْلَ ^(٧)
قَدْ جَرَّبَ الْأَيَّامَ حَتَّى خَلَّتْهُ يُبْدِي لَهُ الْمَاضِيَ خَفِيَ الْمُقْبِلِ

قافية الميم

(٣٤١)

وقال :

إِذَا ضَاقَ بِالْخَطَى ^(٨) مُعْتَرِكُ الْوَعَى وَهَالَ الرَّدَى وَقَعَ الظُّلُبَا ^(٩) فِي الْجَمَاجِمِ
سَلِّ الْمَوْتَ عَنِّي ، فَهُوَ يَشْهَدُ أَنِّي عَلَى خَوْضِهِ فِي الْحَرْبِ ثَبِتُ الْعَزَائِمِ

(٣٤٢)

وقال :

مُعِينِ الدِّينِ ، كَمْ لَكَ طَوْقُ مِنْ بِجِيدِي ، مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ
تَعَبَّدَنِي لَكَ الْإِحْسَانُ طَوْعًا وَفِي الْإِحْسَانِ رَقٌّ لِلْكَرَامِ

(١) حومة الوعى : أشد موضع فيه . والوعى : الحرب . (٢) الموتل : اللبأ .
(٣) الكبش : سيد القوم وقائدهم . (٤) المنصل بضمين وككرم : السيف .
(٥) عي بالأمر : لم يتند لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم يطق إحكامه .
(٦) انجباب : انكشف . وعرا : غشى . (٧) حول قلب : محال بصير بتقلب الأمور .
(٨) الخطى : الرمح . (٩) الظلبا : جمع غلبة ، وهي حد سيف أو سنان أو نحوه .

فصارَ إلى مودَّتِكَ انتسابي على أُنَى العِظَامِي العِصَامِي^(١)
ألمَ تَعْلَمَ بَأَنِي لَانْتِمَائِي إِلَيْكَ رَمَى سِوَادِي^(٢) كُلُّ رَامٍ
ولولا أَنْتَ لمَ يُصَحِّبُ^(٣) شَيْئِي لِقَسْرِ^(٤) دُونِ إِعْذَارِ^(٥) الْحُسَامِ
ولكن خِفْتُ من نَارِ الْأَعَادِي عَلَيْكَ فَكُنْتُ إِطْفَاءَ الضَّرَامِ^(٦)

(٣٤٣)

وكتب إليه الملك الصالح :

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمَضَى الْعَزَائِمُ وَتُسْتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدِ عِزِّهِمْ
وَتُغْزَى جِيوشُ الْكُفْرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا وَيُوفَى الْكِرَامُ النَّاذِرُونَ بِنَذَرِهِمْ
نَذَرْنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَفَرٍ، فَمَا بَعْنَاهُ مِنْ مَصْرِ إِلَى الشَّامِ، قَاطِعًا
وَنَاهَيْكَ مِنْ أَرْضِ الْخِفَارِ^(٩) إِذَا التَّظَى وَصَارَتْ عُيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عِزَّةً^(١٢)
فَمَا هَالَهُ بُعْدُ الدِّيَارِ، وَلَا نَنَى يَهْجُرُ^(١٤) وَالْعَصْفُورُ فِي قَعْرِ وَكْرِهِ
وَتَمْضَى لَدَى الْحَرْبِ السِّوْفُ الصَّوَارِمُ وَلَيْسَ سِوَى سُمْرِ الرِّمَاحِ سَلَامٌ
وَيُوطَا حِمَاها، وَالْأَنُوفُ رَوَاغِمُ وَإِنْ بُذِلَتْ فِيهِ النَّفُوسُ الْكَرَائِمُ
مَضَى نَصْفُهُ، حَتَّى أَتَانِي وَهُوَ غَائِمُ مَفَاوِزِ^(٧) وَخَدُّ الْعَيْسِ^(٨) فَبَيْنَ دَائِمٍ
بِجَنْبِيهِ مَشْبُوبُ^(١٠) مِنَ الْقَيْظِ جَاحِمُ^(١١) إِذَا مَا أَتَاهَا الْعَسْكَرُ الْمُتَزَاحِمُ
عَزِيمَتَهُ جَهْدُ الظَّمَا وَالسَّهَامِ^(١٣) وَبَسَرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ، وَالنَّجْمُ نَائِمُ

(١) عظامي عصامي : شريف المنصب والنفس . (٢) السواد : الشخص . (٣) أحصب : أقاد .
وشمس القوس : استعصى على راحته . (٤) القسر : القهر . (٥) أعذر : أنصف . (٦) أضرم النار : ألهبها .
(٧) المفاوز : جمع مفازة وهي الغلاة لا ماء بها . (٨) العيس : الإبل البيض يحاط بياضها شقرة . والوخد :
الإسراع . (٩) الخفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها رخ كلها رمال بيض . (١٠) من شبت النار :
انقذت . والتظى : تلب . (١١) الجاحم : الجحيم . (١٢) عز الشيء : قل . (١٣) السوم : الريح
الحارة تكون غالباً بالنهار ، الجمع سائم . (١٤) هجر : سافر فجأة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس .

إذا ما طوى الرايات وقت مسيره إذا ما طوى الرايات وقت مسيره
تبارى خيولاً ما تزال كأنها تبارى خيولاً ما تزال كأنها
فإن طلبت قصداً تساوين سرعة فإن طلبت قصداً تساوين سرعة
هي الذهم^(٣) ألواناً وصبغ عجاكة هي الذهم^(٣) ألواناً وصبغ عجاكة
تصاحبها علماً بأن سوف تغتدى تصاحبها علماً بأن سوف تغتدى
كما أن وحش القفر ما زال منهم كما أن وحش القفر ما زال منهم
خيولاً إذا ما فارقت مصر تبغى خيولاً إذا ما فارقت مصر تبغى
يسير بها ضرغام^(٥) في كل مأزق يسير بها ضرغام^(٥) في كل مأزق
ورفقتُه عين الزمان ، وحائم روفقتُه عين الزمان ، وحائم
مضى طاهر الأثواب من كل ريبة مضى طاهر الأثواب من كل ريبة
هنيئاً له يستقى الرحيق^(٩) ، إذا غدت هنيئاً له يستقى الرحيق^(٩) ، إذا غدت
ولو أننا نبكى على فقد هالك ولو أننا نبكى على فقد هالك
ولكننا بعنا الإله نفوسنا ولكننا بعنا الإله نفوسنا
تهون علينا أن تُصاب نفوسنا تهون علينا أن تُصاب نفوسنا
وما خام^(١٠) إذ لاقى همام وصنوه وما خام^(١٠) إذ لاقى همام وصنوه
وبرقية^(١٢) شاموا السيوف فلم يعش وبرقية^(١٢) شاموا السيوف فلم يعش

(٢) القوام : ريشات في مقدم الجناح .

(٤) الأذاهم : القيود .

(٥) ضرغام : قائد مصرى آلت إليه الوزارة في أيام الماضد الفاطمى .

(٦) الضرغام : جمع ضرغام : الأسد .

(٧) أسماء قواد ثلاثة .

(٨) السراة : السادة .

(٩) الرحيق : الخمر ، أو أطيبها .

(١٠) خام عنه نجيم : تكس وجين .

(١١) المهممة : الكلام الخفى وتردد الزئير في الصدر من الألم وكل صوت منه ببح .

(١٢) برقة : طائفة من الجيش المصرى قدم أصولهم من برقة .

وأفناء^(١) جُنِدٍ لَوْ تَوَجَّهَ جَمْعُهُمْ
وَجَمْعُ مَمَالِكٍ بِأَفْعَالِنَا اقْتَدَوْا
وَسَنَنْسُ قَدْ شَادُوا الْمَعَالِي بِفَعْلِهِمْ
وَتَعْلَبَةُ^(٢) أَضْحَوْا بِنَا قَدْ تَأَسَّدُوا^(٣)
وَأِنْ جُدَامًا^(٤) لَمْ يَزَلْ قَطُّ مِنْهُمْ
جِيُوشُ أَفْدَنَاهَا اعْتِزَامًا وَنَجْدَةً
إِذَا مَا أَثَارُوا النَّقْعَ ، فَالْتَفَرُّ عَابَسُ
وَلَمَّا وَطُوا أَرْضَ الشَّامِ تَحَالَفَتْ
وَوَاجِهَهُمْ جَمْعُ الْفَرَنْجِ بِمَحَلَّةٍ
فَلَقَوْهُمْ زُرْقَ الْأَسْتَةِ ، وَانْطَوَّأُوا
وَمَا زَالَتِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ^(٥) أَشَدَّهَا
يُسَبِّهُهُمْ مَنْ لَاحَ جَمْعُهُمْ لَهُ
وَحَسْبُكَ أَنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَوْمِ فَارِسُ
وَعَادُوا إِلَى سِلِّ السِّيُوفِ ، فَقَطَّعَتْ
فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ مَخْبِرٌ
كَذَلِكَ مَا يَنْفَكُ تَهْدَى إِلَى الْعِدَا
وَسَرَى لَهُمْ آرَاؤُنَا وَجِيُوشُنَا

لرُومِيَّةٍ جَالَتْ عَلَيْهَا الْمَقَاسِمُ
فَكَلَّهْمُ بِالْطَّعْنِ وَالضَّرِبِ عَالِمُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْعَوَالِي^(٦) دَعَايِمُ
فَمَا لَهُمْ فِي الْمَشْرِكِينَ مُقَاوِمُ
قَدِيمًا لِحَبْلِ الْكُفْرِ بِالشَّامِ جَاذِمُ^(٧)
فَطَاءُنَا مِنْهُمْ ، وَمِنَّا الْعِزَائِمُ
وَأِنْ جَرَّدُوا الْأَسْيَافَ فَالْتَفَرُّ بِأَسْمُ
فَأَضْحَتْ جَمِيعًا عُرْبُهَا وَالْأَعَاجِمُ
تَهَوَّنُ عَلَى الشُّجْعَانِ مِنْهَا الْهَزَائِمُ
عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ الْكُفْرِ نَاجِمُ^(٨)
إِذَا مَا تَلَاقَى الْعَسْكَرُ الْمُتَصَادِمُ
بَلَجَّةٍ بِحَرٍّ مُوجَّهَا مُتَلَاطِمُ
مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا وَهُوَ لَارْمِجٍ حَاطِمُ^(٩)
رَعُوسُ ، وَحَزَّتْ لِلْفَرَنْجِ غَلَاصِمُ^(١٠)
وَلَا قِيلَ : هَذَا وَحْدَهُ الْيَوْمَ سَالِمُ
وَاللُّوْحِشِ أَعْرَاسُ لَهُمْ وَمَاتِمُ
بِدَاهِيَةِ تَبْيِضُ مِنْهَا الْمَقَادِمُ^(١١)

(١) الأفناء من الناس : الأخطا .

(٢) العوالي : أعالي الزمّاح .

(٣) جُدَمَهُ : قطعه . (٤) نَحْمٌ : ظُور .

(٥) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة .

(٦) الحطيم : الكسر .

(٧) الفلصة : اللحم بين الرأس والرقبة أو رأس الخلقوم .

(٨) مقدم العين كحسن ومعظم : ما يلي الأنف ، ومن الوجه ما استقبلته .

نُفِتِلَهُمْ بِالرَّأْيِ طَوْرًا ، وَتَارَةً
وَمَا الْعَازِمُ الْحَمُودُ إِلَّا الَّذِي يُرَى
وَقَدْ غَرَّقَ الْكَفَّارَ مِنْهُ بِقَطْرَةٍ
فَكَيْفَ إِذَا سَأَلْتَ عَلَيْهِمْ سُيُولُنَا
وَمَا نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ
فَقُولُوا لِلنَّوْرِ الدِّينِ ، لَا فُلَّ حُدَّهُ
تَجَهَّزْ إِلَى أَرْضِ الْعِلْوِ وَلَا تَهِنْ
فَمَا مِثْلُهَا تُبْدِي احْتِفَالًا بِهِ ، وَلَا
فَعِنْدَكَ مِنَ الْطَّافِ رَبُّكَ مَا بِهِ
أَعَادَكَ حَيًّا بَعْدَ أَنْ زَعَمَ الْوَرَى
بَوَقْتِ أَصَابِ الْأَرْضِ مَا قَدْ أَصَابَهَا
وَحَيْمٌ جَيْشُ الْكُفْرِ فِي أَرْضِ شَيْزِرٍ
وَقَدْ كَانَتْ تَارِيخُ الشَّامِ وَهْلَكُهُ
فَقُمْ ، وَاشْكُرْ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِنَهْضَةٍ
فَنَحْنُ عَلَى مَا قَدْ عَهَدْتَ : نَرَوْعُهُمْ
وَعَارَاتُنَا لَيْسَتْ تَفْتَرُ^(١) عَنْهُمْ
وَأَسْطُولُنَا أَضْعَافُ مَا كَانَ سَانِرًا

تَدُوسُهُمْ مِنَ الْمَذَاكِ الصَّلَادِمِ^(١)
مَعَ الْعَزَمِ فِي أَحْوَالِهِ ، وَهُوَ حَازِمٌ
سَحَابٌ انتَقَامٍ عِنْدَنَا مُتْرَاكُمُ
وَجَاشَتْ لَنَا تِلْكَ الْبَعَارُ الْخَضَارِمُ^(٢)
وَلَكِنَّا الْإِيمَانُ لِلْكَفْرِ هَادِمٌ
وَلَا حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي الْغَوَاشِمُ^(٣)
وَتُظْهَرُ قُتُورًا أَنْ مَضَتْ مِنْكَ حَارِمُ^(٤)
تُعْضُّ عَلَيْهَا لِللُّوْكِ الْأَبَاهِمُ^(٥)
عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّهُ لَكَ رَاحِمٌ
بِأَنَّكَ قَدْ لَا قَيْتَ مَا اللَّهُ حَاتِمٌ
وَحَلَّتْ بِهَا تِلْكَ التَّوَاهِي الْعِظَائِمُ
فَسِيقَتْ سَبَايَا ، وَاسْتَحَلَّتْ عَحَارِمُ
وَمَنْ يَحْتَوِيهِ أَنَّهُ لَكَ عَادِمُ
إِلَيْهِمْ ، فَشَكَرُ اللَّهِ لِلخَلْقِ لَازِمُ
وَنَحْلِفُ جَهْدًا أَنَّنَا لَا نُسَالِمُ
وَلَيْسَ يُجَبِّي الْقَوْمَ مِنْهَا الْهَزَائِمُ
إِلَيْهِمْ فَلَا حِصْنٌ لَهُمْ مِنْهُ عَاصِمُ

(١) الصلادم كزبرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . والمذاكي من الخيل : ما أتى عليها بعد قرحها سنة أو سنتان .

(٢) الخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير من كل شيء . (٣) الغشم : الظلم .

(٤) حارم : مديّة بالتمام . (٥) الأباهم : جمع إيهام بالكسر (وهذا تناية عن الندم) .

(٦) تفتّر : تقطع وتضعف .

وَنَرْجُو بَأْنَ نَجْتَا^(١) بِأَقِيمِهِ بِهِ
عَلَى أَتْنَا نَلْنَا مِنْ الْمَجْدِ مَا بِهِ
وَلَكُنَّا نَبْغِي الْمَثُوبَةَ جَهْدَنَا
وَنَحْنُمُ بِالْحُسْنَى الْفَعَالِ، وَإِنَّمَا

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةُ :

لَكَ الْفَضْلُ مِنْ دُونِ الْوَرَى وَالْمَكَارِمُ
وَصَلَّتْ، فَأَغْنَيْتِ الْأَنَامَ عَنِ الْحَيَا
وَجُدْتَ عَلَى بُحْلِ الزَّمَانِ، فَأَيْنَ مِنْ
تَكَفَّلْتَ لِلْإِسْلَامِ أَنْكَ مَانِعٌ
فَأَصْبَحْتَ تَرَعَى سِرْحَهُ بِصَرِيحَةٍ^(٢)
وَأَيْدَتَهُ بِالْعَدْلِ، وَالْبَذْلِ، وَالتَّقَى
فَعَدَلُ مُزِيلٌ كُلَّ ظُلْمٍ وَجُودُهُ
رَمَيْتِ الْعَدَا بِالْأَسَدِ فِي أَجْمِ الْقَنَا
بِمَثَلِ أَيْ^(٣) السَّيْلِ، ضَاقَ بِهِ الْفَضَا
يُبَارِينَ مُشَبَّ الْقَذْفِ يَحْمِلُنْ مِثْلَهَا
سَرَايَا كُوجِ الْبَحْرِ، فِي لَيْلٍ عَثِيرٍ^(٤)
تَسِيرُ جِيُوشُ الطَّيْرِ فَوْقَ جِيُوشِهَا

فَقَنْ حَاتِمٌ، مَا نَالَ ذَا الْفَخْرِ حَاتِمٌ
وَصُلَّتْ، نَفَاخَتْ مِنْ سَطَاكِ الصَّوَارِمِ
نَدَاكَ [السُّكُوبِ^(٥)] الْمُسْتَهْلِ^(٦) الْعَلَامِ
حِمَاهُ، مَبِيحٌ مَا حَمَى الْكَفْرُ هَادِمٌ
مِنْ الْعَزْمِ، لَمْ تَبْلُغْ مَدَاهَا الْعَزَائِمُ
وَضَرِبَ الطَّلِي^(٧)، وَالصَّالِحَاتُ دَعَائِمُ
وَجُودٌ مُذِيلٌ^(٨) مَا تَصُونُ الْخَوَاتِمُ
عَلَى الْجُرْدِ، تَقْتَادُ الرَّدَى وَهُوَ رَاغِمٌ
وَضَاقَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهُ الْمُخَارِمُ^(٩)
مِنْ الْخُتْفِ، لِلْبَاغِي الرَّجِيمِ رَوَاجِمُ
بِهِ مِنْ عَوَالِيهِمْ^(١٠) مَجْمُومٌ نَوَاجِمُ
لَهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عِدَاهَا وَلَآئِمُ

(١) الاجتياح : الإهلاك والاستئصال .

(٢) سقط بالأصل ولعله [السكوب] أو كلمة على وزنهما وبمعناها . (٣) استهل المطر : اشتد انصبابه .

(٤) من صرم اليف : احتد . (٥) الطل بالضممة : الأعناق . (٦) أذله : أهته .

(٧) اللاتي : السيل يأتي من موضع بعيد . (٨) المخارم : الطرقة . (٩) العثير : التراب .

(١٠) العوال : جمع عالية وهي أعلى القناة ، أو زراع ، أو النصف الذي على السان .

فإن خَفَضَ الفُرسَانُ لَطْفَينِ في الوغَى
تعرَّضَ منها فوق (غَزَّة) عارضُ
فلانقُجِ سُبُحٌ ، والسيوفُ بوارقُ
بوارقُ منها الغوثُ ، لا الغيثُ ، يُرتجى
فليس لرايحِ غيرِ عَفوكِ ملجأُ
تَزَهَتْ عن أموالِ مَنْ أَنتَ قاتِلُ
فَنَبِكَ أرواحُ تُفَلِّهُمُ^(٤) الظُّبَا
فلا مَوْرِدُ إلَّا يَمَازِجُهُ دَمٌ
فسيُفَكُ لِلنَّصِيمِ المعانِدِ خَاصِمُ
خَلَطَتِ السُّطَا بِالْعَدَلِ ، حَتَّى تَأَلَّفَتْ
يَسْنُ أَبُو الغاراتِ غاراتِ جُودِهِ
وَيَبْعُثُهَا شُعَتَ النِّوَاصِي^(٥) ، كَأَنَّهَا
تُلْطُ^(٦) بأَرْضِ المَشْرِكِينَ ، كَأَنَّهَا
فَوَجَّحَ العَدَا مِنْ بَاسِهَا ، إِنَّمَا سَرَى
فَهُمْ جَزَرُ^(٧) لَلْبَيْضِ ، وَالْبَيْضُ كَالذَّمَى
غَزَوْتَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَبِلَادِهِمْ
فَأَفْنَيْتَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا بِأَسْرِهِمْ
فَلَمَّا أَبَادْتَهُمْ سِيوفُكَ ، وَانجَلَتْ

رِمَاحَهُمْ انْقَضَّتْ عَلَيْهَا الْقَشَاشُ^(٨)
سَحَابُ المَنَابِا فوقَهُ مُتَرَاكِمُ
وَاللِّدَمُ وَبِلٌ ، وَالنَّبَاتُ جَمَاجِمُ
أَشَانِمُ^(٩) ، لَا يَرَوِي بِهَا الدَّهْرُ شَانِمُ^(١٠)
وَلَيْسَ لِعَاصٍ لَمْ يُنَبِّ ، مِنْكَ عَادِمُ
فَقَدْ جُهِلَتْ بَيْنَ الْجِيوشِ الْمُقَاسِمُ
وَسُمِرَ الْعَوَالِي ، وَالْبِلَادُ مَغَانِمُ
وَلَا مَرْتَعٌ إِلَّا رَعْتَهُ الْمَنَاسِمُ^(١١)
وَعَدْلُكَ لِلشُّكُوى وَلِلْجُورِ شَاكِمُ^(١٢)
أَسْوَدُ الشَّرَى وَالْمُطْفَلَاتُ الرِّوَانِمُ^(١٣)
عَلَى مَالِهِ ، وَهُوَ الْمَطْبِيعُ الْمُسَالِمُ
ذَابُ الْفَلَا تُرْدَى ، عَلَيْهَا الضَّرَاعِمُ
صَوَادٍ إِلَى وَرْدٍ ، حَوَانٍ^(١٤) حَوَانِمُ
إِلَيْهَا ، وَلَمْ تَسْعُرْ ، رَدَى وَأَدَاهِمُ^(١٥)
سَبَايَا تُهَادِي ، وَالْبِلَادُ مَعَالِمُ
وَجُفَلُهُمْ فِي أَرْضِهَا مُتَرَاكِمُ
فَنَاجِيَهُمْ مُسْتَسْلِمٌ أَوْ مُسَالِمُ
عَنِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ وَمُظَالِمُ

(١) القشاش: النور . (٢) الأشانم: ضد الأيام . (٣) من شام البرق: نفاذ إليه أين يقصد وأين يحيط .
(٤) فله: أعطاه إياه . (٥) المناصم: جمع منصم كبجس: خف البعير . (٦) خصمه: غلبه . وشاكم: ملجم .
(٧) المطفلات الروانم: يريد بهن الظباء . (٨) النواصي: جمع ناصية وهي قصاص الشعر . واتشعث: تلبد الشعر .
(٩) اللط: اللوم والإلحاح . (١٠) من حتى ظفروه: عطفه . والحوانم: جمع حاتم، وهو العطنان .
(١١) الأدام: القيود . (١٢) الجزر: جمع جزرة وهي الشاة المذبوحة .

غزوتهم في البحر ، حتى كأننا الأساطيل فيه موجه المتلاطم
 بفُرسانٍ بحر ، فوق دُهم^(١) ، كأنها على الماء طير ، ما هنَّ قوادم^(٢)
 يصرفها فُرسانها بأعنة جرت ، حيث لم توصل بين الشكائم^(٣)
 إذا دفعوها قلت : فُرسان غارة سَروا بجياد ، ما هنَّ قوادم
 يسوق أساطيل الفرج اليهم حمام ، وطير للفرج أشائم
 دماؤهم في البحر حمر سوائج وهامهم في البر سيم^(٤) جوائم
 فلم يخف في فج من الأرض هارب ولم ينج في لج من الماء عائم
 وعاد الأسارى مُردفين^(٥) ، وسفنهم ثقاد ، كما قاد المهاري الخزانم^(٦)
 وقد شمر الملكان في الله ، طالبي رضاه ، بعزم لم تعقه اللوائم
 بجِد ، هو العضبُ الحسام ، وحده لعادية الأعداء والكفر حاسم
 وقاما بنصر الدين ، والله قائم بنصرهما ، مادام للسيف قائم^(٧)
 وما دون أن يفنى الفرج ، وتفتح البلاد ، سوى أن يمضي العزم عازم
 فيا ملكا ، قد أحمد الله سعيه ونيتة ، والله بالسر عالم
 تن ثناء ، طبق الأرض نشره هو المسك ، لا ما ضمتته اللطائم^(٨)
 ثناء به يحدو الحداة ، ويُشد الرواة ، وتشدو في الغصون الحمام
 يسير مع الركبان ، أني تيمموا على أنه في ساحة الحي هاجم^(٩)
 أمير الجيوش ، اتمع مقالة بأعج بشرك ، يبدى مثل ما هو كاتم

(١) يريد السفن السود . (٢) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . (٣) الشكائم : جمع شكية ، وهي في الجاء : الحديدة المعترضة في فم الفرس . (٤) سيم : جمع أسيم ، وهو الأسود . (٥) من أردقة : إذا أركبه خلفك . (٦) الخزانم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في ثقب أنف البير . (٧) قائم السيف : مقبضه . (٨) اللطائم : جمع لطيمة ، وهي وعاء المسك . (٩) من هجم : إذا دخل بغير إذن .

يَفْضَلُكَ آلَى صَادِقًا : إِنَّ فِكْرَهُ لِعَاصٍ لَهُ فِي نَظْمٍ مَا هُوَ نَاطِمٌ
كَأَنَّ بَدِيعِي شِعْرَهُ وَبَيَانَهُ حُرُوفُ اعْتِلَالٍ ، وَالْهَمُومَ جَوَازِمُ
عَلَى أَنَّهُ كَالْصِّمِّ^(١) : صَبْرًا ، وَقِسْوَةً تَحْزُ الْمُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ كَاطِمٌ
فَمَا يَعْرِفُ الشُّكُوى وَلَا يَسْتَكِينُ لِلْخُطُوبِ ، وَلَا تُوهِي قَوَاهُ الْعِظَامُ
وَلَوْ كَانَتْ سَحَابًا أَجْرَ لِسَانِهِ^(٢) (أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُخْضَى الْعِزَامُ)
هِيَ السَّحَرُ ، لَا مَسَارَ عَنْ أَرْضِ بَابِلَ هِيَ الدَّرُّ ، لَا مَا أَلْفَتْهُ النَّوَاطِمُ
فَرِيدَةٌ دَهْرٍ ، لِلْقُلُوبِ تَهَافَّتْ عَلَيْهَا ، وَلِلْأَسْمَاعِ فِيهَا تَزَاحَمُ
إِذَا أُشْدَّتْ فِي مَحْفَلٍ قَالَ سَامِعٌ : أَنْفَتُهُ سِحْرٍ ، أَمْ رُفِّي ، وَتَمَانُمُ
وَلَوْلَا رَجَاءُ الصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي بَدَوْلَتِهِ الدَّهْرُ الْمُقْطَبُ بِاسْمِ
وَأَتَى أُمِّي النَّفْسَ لَنَمَ بَنَانُهُ وَمَا كَانَ قَبْلِي لِلْسَحَابِ لِأَنِّمُ
فَقِيهَا مَنَابِيا لِلْأَعَادِي قَوَاصِمُ وَفِيهَا بِحَارٌ لِلْعَطَايا خَضَارِمُ
وَحَطَى رِحَالُ الشُّكْرِ عَنِّي بِبَابِهِ بَحِثُ اعْتِدَا الْآمَالِ فِي الْمَالِ حَاكِمُ
وَيَعْجَبُ مِنِّي النَّاسُ ، حَتَّى يَقُولَ مَنْ رَأَى : إِلَى الْجَنَاتِ قَدْ عَادَ آدَمُ
قَضَيْتُ ، لُبْعَدَى عَنْ ذُرَاهُ ، نَدَامَةً وَلَا عَجَبُ إِنْ مَاتَ بِالْهَمِّ نَادِمُ
أَتَتْكَ ابْنَةُ الْفِكْرِ الْحَسِيرِ^(٣) ، بِوَالْتِمَا تَسِيرُ مَسِيرَ الْبَدْرِ ، وَاللَّيْلِ عَاتِمُ
بِمَدْحٍ بَدِيعٍ مِنْ وَلِيِّ مُمَدِّجٍ جَدِيرٌ بِأَنْ يُغْلَى بِهِ السُّومُ سَائِمُ
تَسُومُ^(٤) بِحِيلِ الرَّأْيِ ، لَا الْمَالِ ، إِنَّهُ بِذَوْلٍ لَهُ فِيمَا قَضَتْهُ الْمَكَارِمُ
تَضْمَنُ رَوْضًا ، زَهْرُهُ مَدْحُ مَجْدِكَ الْعَلِيِّ ، وَأَوْرَاقُ الْكِتَابِ كَمَاثِمُ
قُدِّمَتْ ، وَدَامَتْ هَالَةً ، أَنْتَ بَدْرُهَا وَمُلْكُكَ ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ، دَائِمُ

(١) الصِّم : جمع أصم ، يريد به الحجر .

(٢) أجز لسانه : منعه من الكلام .

(٣) من حَسِرَ إِذَا أَعْيَا .

(٤) سَام : أَرَادَ .

قافية النون

(٣٤٤)

وقال^(١) :

إليك ، فما تَنِي شِئُونُكَ^(٢) شَانِي
ولا تَجَزَعِي من بَغْتَةِ الِينِ ، واصْبِرِي
ولا تَحْمِلِي^(٣) هَمَّ اغْتِرَابِي ، فلم أَزَلْ
وَفِيًّا ، إِذَا مَا حَانَ جَفْنٌ لِنَظِيرِ
فَلْأَسْدٍ غِيْلٌ حَيْثُ حَلَّتْ ، وَإِنَّمَا
ولا تَسْأَلْنِي عن زَمَانِي ، فَإِنِّي
وَلَكِنْ ، سَلِي عَنِي الزَّمَانَ ، فَإِنَّهُ
رَمَتْنِي اللَّيَالِي بِالْخُطُوبِ جَهَالَةً
فَمَا أَوْهَنْتُ عَظْمِي الرِّزَايَا ، وَلَا هَلَا
وَكَمْ نَكِيَّةٍ ظَنَّ الْعِدَا أَنَّهَا الرَّدَى
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ
وَلِإِنْ كَانَ دَهْرِي غَالًا^(٤) وَفَرِي فَلَمْ يَغْلُ

وَلَا تَمْلِكِ الْعَيْنُ الْحَسَانُ عِنَانِي
لَعَلَّ التَّنَانِي مُعْتَمِبٌ لِسَدَانِي
غَرِيبَ وِفَاءٍ فِي الْوَرَى وَبَيَانِ
وَلَمْ تَرَعْ كَفُّ صَحْبَةٍ لِبَنَانِ
يَهَابُ التَّنَانِي قَلْبُ كُلِّ جَبَانِ
أُنْزِرُهُ عَنْ شَكْوَى الْخُطُوبِ لِسَانِي
يُحَدِّثُ عَنْ صَبْرِي عَلَى الْحَدَثَانِ
بَصِيرِي عَلَى مَا نَابَنِي^(٥) وَعَرَانِي
بِحُسْنِ اصْطِبَارِي فِي الْمُلَمِّ يَدَانِ
سَمَتَتْ بِي ، وَأَعْلَتْ فِي الْبَرِيَّةِ شَانِي
وَلَا يَمْلَأُ الْهَوْلُ الْخَوْفُ جَنَانِي
ثَنَانِي ، وَلَا ذِكْرِي بِكُلِّ مَكَانِ

(١) رويت هذه القصيدة في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) الشئون : الدسوع .

(٣) هذا البيت والبيت الذي بعده وردا في ابن عساكر بعد قوله " فلا أسد "

(٤) في ابن عساكر " نالني " .

(٥) غال : أهلك .

وما كَانِ إِلَّا لِلنَّوَالِ وَلِلتَّوَالِيِ وَغَوَّثَا لِلْمُتَّوَالِيِ ، وَفِدْيَةً عَانِ^(١)
حُمِدْتُ عَلَى حَالِي يَسَارٍ وَعُسْرَةٍ وَبَرَزْتُ فِي يَوْمِي نَدَى وَطَعَانِ
وَلَمْ أَذْخِرْ لِلدَّهْرِ ، إِنْ نَابَ أَوْ نَبَأَ^(٢) وَلِلخَطْبِ إِلَّا صَارِي وَسِنَانِي
لَأَنَّ جَمِيلَ الذِّكْرِ يَبْقَى لِأَهْلِهِ وَكُلُّ الذِّى فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَإِنْ

قافية الهاء.

(٣٤٥)

وقال :

كَمْ تَغُصُّ الْأَيَّامُ مِنِّي ، وَتَأْبَى هَمَّتِي أَنْ تَنَالَ مِنِّي مُنَاهَا
أَنَا فِي كِفِّهَا بِكَدْوَةِ نَارٍ كَلَّمَا نُكِّسْتَ تَعَالَى سَنَاهَا

(١) العان : الأسير .

(٢) نبا : فجع .

باب الأدب

قافية الباء

(٣٤٦)

قال :

لا تجزَعَنَّ لخطبٍ فكلُّ دهرٍ خطبُ
وحادثاتُ الليالي مُملَّةٌ ، ما تُغِبُّ
تَروحُ سَلماً ، وتَغدُو على الفَتَى ، وهى حَرْبُ
ولا تَضِقْ باصطبارِ ذَرعاً ، إذا اشتدَّ كَرْبُ
فصبرُ يومِكَ مرٌّ وفى غَدٍ هو عَذْبُ
كم صابرَ الدهرِ قوم فأدرِكوْا ما أَحَبُّوا
وكلُّ نارٍ حريقٍ يُخشى لظاها سَخَبُ

(٣٤٧)

وقال :

أَحْسَبُ دَهْرِي . أَيْ جَزَعْتُ ، لِمَا غَالِ مِنْ نَشِيٍّ (١) وَاتَّهَبَ
فَقَدْ أَخْلَصْتَنِي أَحْدَانُهُ وَبِالنَّارِ يَبْدُو خَلَاصُ الدَّهَبِ
وَمَا حَطَّنِي أَخْذُهُ مَا اسْتَعَادَ ، وَلَا زَادَنِي رِفْعَةُ مَا وَهَبَ
وَمَا لَنَا إِلَّا كَفْؤُ الشَّهَابِ ، إِذَا نَكَّسُوهُ اعْتَلَى وَالتَّهَبَ (٢)

(١) التَّهَبَ : المال الأصيل .

(٢) عبر عن هذا الخاطر بالبيت السابق ص ٢٢٩ ، وهو :
أما في كعها بكنوة ناز كلاً نكتت تعالى ساها

(٣٤٨)

وقال :

لأصبرنَّ لدهرى صبرَ مُحْتَسِبٍ حَتَّى يَرَى غَيْرَ مَا قَدْ كَانَ يَحْسَبُهُ
وَأَسْتَمِيتُ لِمَا تَأْتِي الْخَطُوبُ بِهِ لِيَعْلَمَ الْخَطْبُ أَتَى لَسْتُ أَرْهَبُهُ
إِنْ غَالَبَتْنِي عَلَى وَفْرِ نَوَائِبِهِ لِحَسْنِ صَبْرِي فِي الْأَوَاءِ يَغْلِبُهُ^(١)
أَوْ أَبْعِدْتَنِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي فَأَبْعَدُ الْقَرْجَ الْمَرْجُوَّ أَقْرَبُهُ
وَالدَّهْرُ يَهْدِمُ مَا يَبْنِي ، وَيُخْذِمُ مَا يُورِي^(٢) ، وَيُبْعِدُ مَا يُدْنِي تَقْلِبُهُ

(٣٤٩)

وقال من أبيات :

دَعْ ذَا ، فَمَا عُدْرُ الْفَتَى فِي غَيْهِ ، وَالْفُودُ^(٣) شَائِبُ
وَالْأَرْيَحِيَّةُ تَمْنَعُ الْكُرْمَاءَ أَنْ يَغْشَوْا الْمَعَايِبَ
وَالْجَهْلُ يَأْبَى أَنْ يَكُوْنَ لَهُ أَخُو السَّيِّئِ صَاحِبُ

(٣٥٠)

وقال أول قصيدة كتبها إلى الملك الصالح تقدمت^(٤) :

كَفَّ عَنِّي وَائِشْ ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنْ التَّصَابِي الْمَشِيبُ
وَأُرْتَبِ السُّتُونُ نَهَجِي ، وَقَدْ كَا نَ عَفَا ، وَهُوَ مَهْنَعُ^(٥) مَلْحُوبُ^(٦)
وَانْقَضَتْ شِرَّتِي^(٧) ، وَشَدَّ لِي الْحِلْمُ حُبًّا^(٨) ، لَا يَحْلُهَا مَا يَرِيبُ

(١) الوفرة : الفتى . واللاؤاء : الشدة . (٢) أودى اللد : أوقط .

(٣) الفود : معظم شعر الرأس مما على الأذن . (٤) انظر صفحة ص ٧ .

(٥) طويق مهيع : بين . (٦) لعب الطريق : بيته .

(٧) شَرَّتِي : نشاطي .

(٨) احتبى بالثوب : اشتبل ، أوجع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والاسم الحية و يضم .

وخبرتُ الأيامَ حتى لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا هُوَ الْخَيْرُ الْأَرِيبُ
وعزِزْتُ عَلَى أَنِي وَقَدْ بَرَّ بَتْ دَهْرِي ، لم يَهْدِنِي التَّجْرِبُ
وإذا حُمَّتِ الْمَقَادِيرُ أَخْطَأَ السَّمْرُ فِي الرَّأْيِ ، حيثُ كَانَ يُصِيبُ

قافية الحاء

(٣٥١)

وقال (١) :

لَا تُتَكْرَنُ مَرَّ الْعَنَابِ ، فَتَحَتَهُ شَهِدُ ، جَنَّتَهُ يَدُ الْوِدَادِ النَّاصِحِ
وَتَطَلَّبَ الْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهِ فَالْدُّرُّ يُطَلَّبُ فِي الْأُجَاجِ الْمَالِحِ

(٣٥٢)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا تَخْتَشِي ، أَوْ تَرْجِي تَنْظَرْ بِحُسْنِ سَكِينَةٍ وَنَجَاجِ
أَوْ مَا تَرَى السَّارِينَ لِمَا صَابَرُوا ظَلَمَ السُّرَى أَفْضَلُوا إِلَى الْإِصْبَاحِ

قافية الخاء

(٣٥٣)

وقال :

تَزَهَتْ نَفْسِي عَنْ مَنْ الرِّجَالِ ، وَإِنْ عَلَتْ بِهِمْ رُبُّ الدُّنْيَا ، وَإِنْ شَمَخُوا
إِذَا الْمَطَامِعُ قَادَتْنِي إِلَى طَمَعٍ يُزْرِي (٢) ، فَمَاذَا أَفَادَ الشَّيْبُ وَالشَّيْخُ

(١) هذان البيتان مما يرويهما مسالك الأبحار لأمانة ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أنزى : عاب ..

وقال :

سِرْعَن بِلَادِهِمْ فَقَدْ سَمَتْ بِهَا عَيْسَى مَحُولٌ مُعْرِسَى وَمُنَاخِي^(١)
وَدَعَ الْأَمَانِي ، إِنَّهَا غَرَارَةٌ ووَعُودُهَا لِلطَّامَعِينَ أَوَانِي^(٢)
مَا عِنْدَهَا لِلوَارِدِينَ سَرَابَهَا غَيْرُ الْمَطَالِ بِمَوْعِدٍ مُتْرَانِي

قافية الدال

(٣٥٥)

وقال :

أَنْظُرْ بِعَيْشِكَ ، هَلْ تَرَى أَحَدًا يُلُومُ عَلَى الْمَوَدَّةِ
لِتَرَى أَخْلَاءَ الرَّخَا عِدًّا ، إِذَا نَابَتْكَ شِدَّةٌ
وَلِكُلِّ مَا تَأْتِي وَتَمُوتِي إِنِّ صَبَرْتُ ، مَدَى وَمُدَّةٌ

(٣٥٦)

وقال :

عِنْدِي لِلْأَيَّامِ إِنِّ أَقْبَاتُ عَلَى فَعْلٍ الْخَيْرِ وَالْجُودُ
وَلَمَّا تَوَلَّيْتُ ، فَقَرَّادِي ، كَمَا عَلِمْتَ ، فِي اللَّأْوَاءِ^(٣) ، جُلُودُ
يُصَابِرُ الْأَيَّامَ ، أَوْ تَنْقُضِي خُطُوبَهُنَّ الْبَيْضُ وَالسُّودُ

(١) معزى : من عزس القوم زلوا في آنواله لللاستراحة . والمناخ في الأصل : مراك الإبل . والمحول

المكان الجلب .

(٢) الأوانى : جمع أخية ومى عود في حائط أو في جبل يدفن طارفا . في الأرض و يبرز طرذ كالخلفة تشد فيها الذابة .

(٣) اللاءاء : الشدة .

(٣٥٧)

وقال :

تَيْقَظُ ، فَن يَسْهَرُ لَيْلَهُ وَقَدْ يَخْدَعُ الْبِقْظَانُ مَنْ هُوَ رَاقِدٌ
وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ ، فَإِنَّمَا تَقْدُ شِفَارَ الْمَرْهَقَاتِ الْمَبَارِدُ
وَتُلْقَى الْأَسْوَدُ بِالْخَدِيعَةِ فِي الرَّبَى ^(١) وَلَوْ جُوهَرْتُ لَمْ يَنْجُ مِنْهُنَّ صَانِدُ
وَإِهْمَالُ مَا يُخَشَى مِنَ الْأَمْرِ مُهْلِكٌ وَمَصْرَعُ رِضْوَانٍ بِمَا قُلْتُ شَاهِدُ

(٣٥٨)

وقال ^(٢)

سَانِقٌ وَفَرَى ^(٣) فِي اكْتِسَابِ مَكْرِمْ أَظَلُّ ^(٤) بِهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَخْلَدًا
وَأَسْعَى إِلَى الْهِجَاءِ ، لَا أَرْهَبُ الرَّدَى وَلَا أُنْخَشَى عَامِلًا ^(٥) وَمَهْنَدًا
بِكُلِّ فِتْنٍ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ ضَاحِكًا ^(٦) كَأَنَّ لَهُ فِي الْقَتْلِ ^(٧) عَيْشًا مُجَدِّدًا
فَإِنْ نَلْتُ مَا أَرْجُو فِالْجُودِ ^(٨) ، ثُمَّ لِي وَإِنْ مِتُّ خَلَفْتُ الثَّنَاءَ الْمُؤَبَّدَا

(١) الرَبَى جمع زبية : حفرة للأسد .

(٢) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ٢٠٢

(٣) في لباب الآداب " مَالٍ " .

(٤) في المصدر قسه " أَعِيشَ " .

(٥) شامل الترخ : صدره . والمهتد : السيف .

(٦) في المصدر السابق " بِاسْمَا " .

(٧) " فِي الْمَوْتِ " .

(٨) " ظَلَمَجِدٌ " .

(٣٥٩)

وقال :

لا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ إِذَا شَاهَدَتْهُ وَخَبَرَتْهُ ، لَمْ تُلْفِهِ بِالشَّاهِدِ
وَمَتَى أَرَدْتَ تَكْثُرًا بِدُنُوهِ فَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَمْ تَزِدْ عَنْ وَاحِدٍ

(٣٦٠)

وقال :

تَلَقَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ بِالْإِشْرِ ، إِنَّهُ إِلَى كُرْمَاءِ النَّاسِ أَشْهَى مِنَ الْجَدَا^(١)
عَسَى مِنْ يُرْجَى سَبِيكَ الْيَوْمَ يَغْتَبِي فَتُصْبِحُ فِيمَنْ تَرْتَجِي سَبِيهَ^(٢) غَدَاً

(٣٦١)

وقال :

أَرْضُ الْخُمُولِ ، تَعَشُّ بِهِ فِي نَجْوَةٍ مِمَّا تَخَافُ ، وَمِنْ مُعَانَدَةِ الْعَدَا
دُونَ الْمَعَالَى عُدْوَةٌ^(٣) إِنْ خُضَّتْهَا مَتَحَمًّا^(٤) أَوْرَدَتْ مُهْجَتَكَ الرَّدَى
وَإِذَا سَلِمْتَ وَنَلْتَ أَيْسَرَ بُغْيَةٍ مِنْهَا جَعَلْتَ لَكَ الْبَرِيَّةَ حُسَدًا
فَاسْمَعْ نَصِيحَةً مَنْ يَكَادُ لَعْلَهُ بِالذَّهْرِ يَدْرِي الْيَوْمَ بِالْآتِي غَدًا

(٣٦٢)

وقال :

مَا كَفَّ كَفِّي عَنْ جُودِي بِمَوْجُودِي نَوَائِبٌ ، وَمِلْبَاتٌ لَحَتْ^(٥) عُودِي
فِي الْيُسْرِ أَبْذُلُ مَيْسُورِي ، وَأَبْذُلُ فِي عُسْرِي لَطَالِبِ رِفْدِي شَطْرَ مَوْجُودِي

(١) الجدا : العطية .

(٢) السيب : الدماء .

(٣) العدو : المكان المرتفع .

(٤) متحما : من تعمر في الأمر : روى نفسه فيه بغاة بلا روية .

(٥) لحا العود : قنطرة .

قافية الراء

(٣٦٣)

وقال :

إِنْ فَاجَأَتْكَ اللَّيَالِي بِمَا يَسُوءُ ، فَصَبِرًا
فَالْدَهْرُ يُرْهِقُ عُسْرًا وَيُبْنِعُ الْعُسْرَ يُسْرًا
لَوْ دَامَ مَا سَاءَ مِنْهُ لَدَامَ مَا كَانَتْ سَرًّا

(٣٦٤)

وقال^(١) :

إِنِّي الْخَطُوبَ إِذَا طَرَفَنَ بَقْلِبٍ مُحْتَسِبٍ صَبُورٍ
فَسَيَنْقُضِي زَمَنُ الْحَمَوِ مِ ، كَمَا انْقَضَى زَمَنُ السَّرُورِ
فَمَنْ الْحَالِ دَوَامٌ حَا لٍ فِي مَدَى الْعَمْرِ الْقَصِيرِ

(٣٦٥)

وقال^(٢) :

أُسْتُرُّهُمُومَكَ بِالتَّجْمِيلِ^(٣) ، وَاصْطَبِرْ إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْحَوَادِثِ يَصْبِرُ
كَالشَّمْعِ ، يُظْهِرُ نَوْرَهُ مُتَجَمِّلًا خَوْفَ الشَّمَاتِ ، وَفِيهِ نَارٌ تُسَعِّرُ

(١) هذا الشعر مما روى لأسامة في الغريذة ١ : ١٠٤ ، وياقوت ٥ : ٢٦٤ .

(٢) هذا الشعر مما روى لأسامة في المسالك ١٠ : ٥٠٨ .

(٣) التجميل : التصبر .

(٣٦٦)

وقال :

لا تَأْمَنْنَ كَيْدَ الْعَدُوِّ ، فَأَمْنُ كَيْدِهِمْ غَرَرٌ^(١)
كُنْ مِنْهُ إِنْ كَانَ الْقَوِيُّ ، أَوْ الضَّعِيفُ ، عَلَى حَذَرٍ
فَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ طَبْعًا ، فِي الصَّفَاءِ وَفِي الْكَدْرِ

(٣٦٧)

وقال :

عَشْ وَاحِدًا ، أَوْ فَالْتَمَسْ لَكَ صَاحِبًا فِي مَحْتَدِي وَرَعٍ وَطِيبِ نِجَارٍ^(٢)
وَاحِدًا ، مُصَاحِبَةً السَّفِيهِ ، فَشَرُّ مَا جَلَبَ النَّدَامَةَ صَحْبَةُ الْأَشْرَارِ
وَالنَّاسُ كَالْأَشْجَارِ : هَذِي يُجْتَنَى مِنْهَا النَّارُ ، وَذِي وَقُودُ النَّارِ

قافية السين

(٣٦٨)

وقال :

يَقُولُونَ لِي : أَفْنَيْتَ كُلَّ ذَخِيرَةٍ وَأَنْفَقْتَ مَالًا لَا تَجُودُ بِهِ النَّفْسُ
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَرَقْتُ مَا جَمَعْتُ يَدَيَّ وَأَرْجُو غَدًا يَأْتِي بِمَا أَذْهَبَ الْأَمْسُ

(١) غرر بفسه : عرضها للهلكة . والاسم الفرر .

(٢) المجتد : الأصل والطبع . والنجار : الأصل .

قافية الشين

(٣٦٩)

وقال :

إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَبْوَابِهِ مُتَكَسِّبٌ وَمَعَاشُ
وَأَعْلَمَ بِأَنْهُمْ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، نَارٌ ، وَنَحْنُ قَرَّاشُ

قافية الضاد

(٣٧٠)

وقال :

كُلُّ مُسْتَقْبَلٍ مِنَ الْهَمِّ يُنْسَى إِذَا مَضَى
وَالَّذِي سَاءَ مِنْ زَمَا نِكَ سَهْلٌ مَعَ الرِّضَا
وَأَخُو الْحَزْمِ مَنْ إِذَا أَعْضَلَ الْأَمْرُ فَوْضَا

(٣٧١)

وقال :

أَصْبَحْتُ كَالنَّسْرِ خَانَتَهُ قَوَادِمُهُ لَا تَسْتَقِلُّ^(١) جَنَاحَاهُ إِذَا نَهَضَا
أَرْوَحُ مِنْ نَائِبَاتٍ لَا تُغْبُ وَمِنْ هُمُومٍ عَيْشٍ كَمَا لَا اشْتَهَى غَرَضَا
لَكِنِّي قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(٢) فَمَا يَرَانِي لِحَطْبِ نَابٍ مُنْقَبَضَا
أَلْقَى الْحَوَادِثَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، وَمَقْدُورَ الْقَضَاءِ بِتَسْلِيمٍ لَهُ وَرِضَا
عِلْمًا بِتَغْيِيرِ أَحْوَالِ الزَّمَانِ ، فَكَمْ رَأَيْتُ مُبْرَمَ أَمْرٍ عَادَ مُتَقَبَضَا

(١) استقله : حله ورضه . واستقل الطائر : ارتفع .

(٢) حلب فلان الدهر أشطره : مر به خيره وشره .

قافية العين

(٣٧٢)

وقال :

لا تَسْكُنْ لِلَّهِمَّ ، وَاثْنِ جَمَاحَهُ بعزيمةٍ في الخطْبِ لا تَتَضَعُضَعُ
فَإِذَا أَتَى مَا لَيْسَ يُدْفَعُ فَالْقَهْ بالصَّبْرِ ، فهو دَوَاءٌ مَا لَا يُدْفَعُ

قافية الفاء

(٣٧٣)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ يَسْرُهُمْ مَا سَاءَ نَا : لَا زَايَلَتَكُمْ حَسْرَةٌ وَتَلَهْفُ
سَمِّلِي ، بِحَمْدِ اللَّهِ بَعْدَ تَشْتُّ وَتَفْرِقُ ، مَتَجَمُّعٌ مَتَالِفُ
وَالْمَالُ إِنْ غَالَ الزَّمَانُ تِلَادَهُ وَسَلَنْتُ ، سَدَّ مَكَانَهُ الْمُسْتَطَرَفُ

قافية اللام

(٣٧٤)

وقال :

إِلَى كَمْ تَرْتَجِي عَطْفَ الْمَلُولِ وَتَسْتَجِدِي نَوَالاً مِنْ بَخِيلِ
كَأَنَّكَ فِي الَّذِي حَاوَلْتَ سَاجٍ لِمَجْمَعِ صُحْبَى نَهَارِكَ بِالْأَصِيلِ
لَقَدْ أَوْقَعْتَ قَلْبَكَ فِي عَنَاءٍ كَبِيرٍ فِي رَجَاءٍ جَدًّا^(١) قَلِيلِ

(١) الجدا : العلية .

وفي الأطماع للمعترِ ذُلُّ وحسن البأس عزٌّ للذليل
فلا تعصِ النهى؛ فالخرمُ ناهٍ لملكك عن طلابِ المستحيل
تناسوا، أو نسوا عهدى، وما لؤا إلى بحدِ الهوى كلَّ المِيعِلِ
ولمَّا أن رأوا حسني قبيحًا رأوا غمطَ الجميلِ من الجميلِ
سلوا، وتبدلوا بك، فاسلُ عنهم ودع ما رابَ منهم للبديلِ
ولا تنطلبِ الأعواضَ عنهم فكلُّ الناسِ من أبناءِ جيلِ
ولا تجزعْ لغديرٍ من خليلٍ فقد نُسحِ الوفاءُ من الخليلِ
وأغضِ على القذى عينًا، وسكنِ حشاك على جوى الهمِّ الدخيلِ

(٣٧٥)

وقال :

ولمَّني لعصاة العواذل، لا أرى على شعث^(١) الخللان مستبدلاً خلاً
ضنينٌ بمن صاحبتُ، أحسبُ أنه إذا بان، لا ألقى له أبداً مثلاً

(٣٧٦)

وقال :

أيها الربيعُ المحبُّ جدَّ بي عنك الرحيلُ
لستَ بالدارِ، ولا فيكَ لمن يضحى مَقِيلُ^(٢)
غابَ عني الرشدُ في قَصْدِيكَ والرأى الأصيلُ
تملَّطه كانت، ولطفُ الله ما زالَ يُقِيلُ

(١) شعث : تقعر .

(٢) ضنى كسى : أصابه الشمس . وقال يقيل : نام في وسط النهار . وامم المكان : مقيل .

ما مُقامُ الحرِّ في أرَضٍ بها النَّاسُ قليلُ
بلدٍ فيه عزيزُ القومِ مقهورٌ ذليلُ
لستُ أرجوكَ وقد لا حَتَّ لعنَى المحوُلِ
إنما . يرتادُ أرضَ السَّحْلِ مغرورٌ جهولُ

(٣٧٧)

وقال^(١) :

أَنْ^(٢) غَضَّ دَهْرٌ مِنْ جَمَاحِيٍّ ، أَوْ ثَنَى عِنَايَ ، أَوْ زَلَّتْ بِأَنْخَصَى النَّعْلِ
تَظَاهَرَ قَوْمٌ بِالشَّمَاتِ ، جَهَالَةً وَكَمْ إِحْنَةً^(٣) فِي الصَّدْرِ أَرْزَاهُ^(٤) الْجَهْلُ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا السَّيْفُ فَلَّ حِدَّةَ قِرَاعِ الْأَعَادَى ، ثُمَّ أَرْهَفَهُ الصَّقْلُ

(٣٧٨)

وقال :

تَوَالَى إِلَى السَّائِلُونَ ، وَإِنِّي لَأَنْفُ أَلَا يُدْرِكُ السُّؤْلَ سَائِلِي
وَلَكِنْ مُسْتَوْرِي كَظَاهِرِ حَالِهِمْ فَا حِيلَتِي ، وَالْحِظُّ حَرْبُ الْفَضَائِلِ
وَلَوْ بَسَطْتُ أَيْدِيَ الْحَوَادِثِ مِنْ يَدِي تَلَقَّتْهُمْ قَبْلَ السَّؤَالِ بَنَائِلِي

(١) روى هذا الشعر في خريدة القصر ١ : ١٠١ وياقوت ٥ : ١٩٩ .

(٢) رواية الخريدة وياقوت « لئن غض » . (٣) الإحانة : الحقد والغضب

(٤) في الخريدة « آزرها » .

وقال :

علامَ أخضعُ في الدنيا لمن رفعتُ وما بأيديهمُ رزقي ولا أجلي
ما قدرَ اللهُ لا أسطيعُ أدفعهُ وما لهمُ في سوى المقدور من عملٍ

(٣٨٠)

وقال :

إن سرَّ أعدائي أن عَصَّني دهرِي بما أذهبَ من مالي
فهمَّتِي بالنجمِ معقودةُ ما حطَّها ما حال من حالي
كالنَّارِ إن نكَّسها قابسٌ لم يتنكَّس نورُها العالِي

قافية الميم

(٣٨١)

وقال :

سلوتُ عن كلِّ حالٍ كنتُ ذا شَغَفٍ بها ، ولم أسلُ في حالٍ عن الكَرَمِ
ما غالَ دهرِي وفَرَى في ثقلِهِ إلّا جعلتُ الندى سِتْرًا على العَدَمِ

(٣٨٢)

وقال :

لنا هِجْمَةٌ^(١) للحقِّ إن نابَ، والفَرَى وللجَارِ ما تنفكُ نهباً^(٢) مقسماً
إذا همي لم يعجلِ إلى الضيفِ دَرُّها أدرَ الإيمانِ من عراقيها النِّمّا

(١) الهجمة من الإبل أولها أربعون إل ما زادت . (٢) النهب : الغنيمة .

قافية النون

(٣٨٣)

وقال :

لَا تُودَعَنَّ سَمْعَ أَحَجٍ شَكِيَّةٌ فَالْقَلْبُ أُولَى بِالَّذِي أَجَنَّا^(١)
وَكُلُّ مَا نَشْكُوهُ مِنْ زَمَانِنَا نَزُولُ عَنْهُ ، أَوْ يَزُولُ عَنَّا

قافية الهاء

(٣٨٤)

وقال :

ظَلَمْتُ شَعْرِي ، وَلَيْسَ الظُّلْمُ مِنْ شَيْمِي يُطِيعُنِي حِينَ أَدْعُوهُ ، وَأَعْصِيهِ
يَوْمٌ أَنْ يَذْكُرَ الْقَوْمَ اللَّثَامَ بِمَا فِيهِمْ ، فَازْبِرْهُ عَنْهُمْ ، وَأُنْذِرِهِ
وَلَيْسَ مِنْ خُلُقِي ثَلَبُ الْغَنَى ، وَإِنْ جَنَى ، وَلَا ذِكْرُ ذِي نَقْصٍ بِمَا فِيهِ

قافية اليا

(٣٨٥)

وقال :

لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ هَذَا الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْإِرْيَا
يَعْلُو بِهَا هَذَا ، وَيَسْبِطُ ذَا ، وَقَصْرُهُمُ^(٢) الْمُنَايَا

(١) أجن : ستر . (٢) قصرهم : غابتهم .

ورأيتُه مُسْتَرْجِعًا تَزَرَ المواهب والعطايا
مُتَغَايِرَ الأحوالِ مَخْتَلَفَ الضَّرَائِبِ^(١) وَالسَّجَايَا
لا نعمةً فيه تدو مُ ، ولا ندومُ به البَلَايَا
لم أَعْتَبِطَ فيه بفائدةٍ ، ولم أخشَ الرِّزَايَا

(١) الضَّرَائِبُ : جمع ضَرْبَةٍ وهي الطَّيْئَةُ ،

في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال

قافية الباء

(٣٨٦)

قال :

لو صَبَرْنَا على البلاء احْتِسَاباً لَرَجَوْنَا عنه جَزِيلَ الثَّوَابِ
غير أَنَّ اصْطِبَارَنَا صَبْرٌ عَجْزٌ واضْطِرَارٌ ، كَذَاكَ صَبْرُ الدَّوَابِ
فلَحَى ^(١) الله أَنْفُسًا تَرْفِضِي العَيْشَ ، إِذَا كَانَ فِيهِ ذُلُّ الرِّقَابِ

(٣٨٧)

وقال :

حَسْبِي مِنَ الْعَيْشِ خَيْرُ الْعَيْشِ يُدْرِكُهُ سَوَايَ بِي ، وَلِي الْأَوْصَابُ ^(٢) وَالنَّصَبُ
كَأَتَيْ الْبُؤْ ^(٣) تُسْتَمَرَّى ^(٤) الْعَجُولُ ^(٥) بِهِ وَلِئَمَّا لِسَوَاهُ الدَّرِّ وَالْحَلَبُ

(٣٨٨)

وقال ^(٦) :

[بُعْدًا لِمَنْ] ^(٧) شَرُّهُ أُنْعَمَى ، يُصِيبُ وَلَا يَرَى مَكَانَ الْأَعَادَى مِنْ ذَوَى النَّسَبِ
[كَالْتَارِ تَحْرَقُ] ^(٧) طَبْعًا ، لَا تُثْمِرُ بَيْنَ الْمُنْدَلِ الرُّطْبِ ، فِي الْإِحْرَاقِ ، وَالْحَطَبِ

(١) لحى الله فلانا : فحبه ولعمه . (٢) الوصب : المرض . والنصب : الإعياء والنصب .

(٣) البؤ : جلد الجوار يحشى تبنا ، فيقرب من أم الفصيل ، فتعطف عليه ، فقدر .

(٤) من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر .

(٥) المجول : التكلو والواله من الإبل .

(٦) البتان من مختارات المسالك لأسماء (١٠ : ٥٠٦) .

(٧) سقط بالأصل . والتكفة من مسالك الأبصار .

(٨) المندل : العود ، أو أجوده .

(٣٨٩)

وقال :

أَلَفْتُ الكَجَاوَةَ^(١) بعد الثُّفُورِ ، وطَابَتْ ، وما خَلَّتْهَا لى تَطِيبُ
وَصَرَفُ الزَّمَانِ ، كما قَدْ عَلِمْتَ ، أَمَنَّكَ اللهُ مِنْهُ ، عَجِيبُ
يُعِيدُ صَدِيقَكَ ، وهو الْعَدُوُّ وَيَنْبِئُ بِغِيْضِكَ وهو الْحَبِيبُ

(٣٩٠)

وقال :

أما ترى المَاجِدَ الْمُفْضَالَ تَرْفَعُهُ أَيَّامُهُ ، وهو بِالْإِحْسَانِ مُقْتَرِبُ
طَوَعَ الْقِيَادِ كُفْصَنِ الْبَانِ يَجْذِبُهُ مَرُّ النَّسِيمِ ، على ضَعْفٍ ، فيَنْجَذِبُ

(٣٩١)

وقال وقد رأى نَمَلًا يَجْذِبُ زَهْرَةً ، كَلِمًا أَخَذَتْهَا نَمْلَةً أَنْزَعَتْهَا مِنْهَا أُخْرَى :
شَاهَدْتُ نَمَلًا قَدْ مَجْذَبَ زَهْرَةً ذَا قَدْ تَمَلَّكَهَا ، وَهَذَا يَسْلِبُ
مِثْلَ الْمُلُوكِ مَجْذُبُوا الدُّنْيَا ، فَكَا حَصَلَتْ لِمُغْلُوبٍ وَلَا مَنْ يَغْلِبُ

قافية الجيم

(٣٩٢)

وقال :

يَا آلِفَ الْهَمِّ ، لَا تَقْنَطْ ، فَأَيَّاسُ مَا تَكُونُ يَا تَيْكَ لُطْفُ اللهِ بِالْفَرَجِ
ثِقْ بِالَّذِي يَسْمَعُ النَّجْوَى ، وَيُنْجِي مِنَ الْبَلَاءِ ، وَيَسْتَنْقِذُ الْغَرَقَى مِنَ الْخَجِّ

(١) الكجاوة (بالفارسية) : الخودج . فاعله يريد هنا : الاثراء والبعد عن الناس .

(٣٩٣)

وقال :

ثَقَلِي إِذَا نَادَيْتَنِي لِمَلَّةٍ أَجْدَى مِنَ الْمَتَسَرِّعِ الْهَلْبَاجِ^(١)
إِنَّ الْأَنَاةَ مِنَ الْخَيْرِ بِمَا أَتَى تَغْنِيكَ عَنْ سَيْرٍ ، وَعَنْ إِدْلَاجِ^(٢)
مَا فِي شَرَارِ النَّارِ نَفْعٌ يُرْتَجَى وَالْجَمْرُ فِيهِ فَضِيلَةُ الْإِنْفَاجِ

قافية الحاء

(٣٩٤)

وقال

لَوْلَا الَّذِي جَرَتْ الْأَقْلَامُ قَبْلُ بِهِ مَا نَالَ ذُو الْجَهْلِ ، دُونَ الْحَازِمِ ، الْمَنَعَا
لَكِنَّ اللَّحْظَ مِيزَانًا تَرَفَّعَ ذُو النِّقْصَانِ فِي وَزْنِهِ ، وَانْحَطَّ مِنْ رَجَحَا

قافية الدال

(٣٩٥)

وقال^(٣) :

قَالُوا : نَهَمَ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُورُ ثَمَّتَ يَهْتَدِي
لَمْ ضَلَّ^(٤) فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهُ وَضَحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَفْصَدِ
وَإِذَا عَدَدْتُ سَنِيَّ ثُمَّ نَقَصْتُهَا زَمَنَ الْمَهْمُومِ فَتِلْكَ سَاعَةُ مَوْلَدِي

(١) في القاموس : الهلجاجة : الأحمق .

(٢) الدلج : السير من أول الليل .

(٣) هذا الشعر ما روى في خريدة القصر ١ : ١٠٠ ، ومعجم الأدياب ٥ : ١٩٥ ، ورسائل الأبحار ١٠ : ٥١٠ .

(٤) رواية باقوت وخريدة القصر « جار » .

(٣٩٦)

وقال :

أصبحتُ في زمنٍ يَشِيبُ لجَوْرِه فودُّ الجَنِينِ، ويَهْرَمُ المولودُ
وإذا شكونا اليومَ، ثم أتى غدٌ قلنا : ألا ياليتَ أمسِ يعودُ

(٣٩٧)

وقال :

ودّع أخا العزمِ مصرّاً، لالميسَ، وخُضَّ بالسَّابِحَاتِ بحارَ المهمةِ البِيدِ^(١)
وَمِرَّ عَنْ الأرضِ تَنبُو بالكرامِ، فقد طال انتظارُ الجَنَى من يابسِ العودِ

(٣٩٨)

وقال :

صديقُ لي ، تنكَّرَ بعد وُدِّ وأُمُّ الغَدْرِ في الدنْيَا وَلُودُ
أراه مَلالَهُ حَسَنِي قبيحاً فصَدَ ، وأيسرُ الغَدْرِ الصُّدُودُ
وذمَّ اليومَ ما حمدته مني نَجَارِبُهُ ، وأمسٍ به شهِيدُ
ولستُ ألومُهُ فيما أتاه أَسَاءَ ، فراهُ الفعلُ الحميدُ
وقد يَمِيدُ المريضُ الماءَ مرّاً بفيه ، وهو سلسالُ برودُ

(١) المهمة : الحفازة البعيدة . واليد : جمع يدا . وهي الغلاة .

وقال :

مَضَتْ لِدَاتِي^(١) وَإِخْوَانِي ، وَأَفْرَدَنِي دَهْرِي ، فَعَشْتُ وَحِيدًا مَيِّتًا كَدَا
وَمَا أَرَى لِي بِحُسْنِ الصَّبْرِ بَعْدَهُمْ وَإِنْ تَجَلَّدْتُ خَوْفَ الشَّامِتِينَ ، يَدَا
وَالْقَبْرِ أَرْفُقُ مَسْكُونٍ وَنَكَرُهُ إِذْ كَانَ يَسْكُنُهُ الْإِنْسَانُ مَفْرَدًا

(٤٠٠)

وقال :

تَنْظُرُ الْعَاجِزَ الْخَطُوطُ فَيَسْتَعْلِي ، وَتَعْمَى عَنْ حَازِمٍ مَحْدُودٍ^(٢)
فِي اعْتِلَاءِ الشَّرَارِ عَنْ رَاكِدِ الْجَمْرِ دَلِيلٌ أَنَّ الْعُلَا بِالْجُدُودِ^(٣)

قافية الراء

(٤٠١)

وقال :

إِنْ يَسْتَرُوا وَجْهَ إِحْسَانِي بِكُفْرِهِمْ فَالشَّمْسُ أَدْنَى سَجَابٍ عَنْ^(٤) يَسْتَرُهَا
وَإِنْ هُمْ كَدُّوا صَفْوَى بَغْيِهِمْ فَالْعَيْنُ أَدْنَى الْقَذَى^(٥) فِيهَا يَكْدِرُهَا

(٤٠٢)

وقال :

إِنْ كُنْتُ فِي مَصْرَ مَجْهُولًا ، وَقَدْ شُهِرْتُ فَضَائِلِي بَيْنَ بَنِي النَّاسِ وَالْحَضِيرِ
فَمَا عَلَى الشَّمْسِ مِنْ عَارٍ تُعَابُ بِهِ إِذَا اخْتَفَى ضَوْؤُهَا عَنْ غَيْرِ ذِي بَصِيرِ

(١) اللدات : جمع لدة ، وهو الترب . (٢) المحدود : المحروم والمنوع من الخير .
(٣) الجدد : الخطوط . (٤) عن : ظهر . (٥) القذى : ما يقع في العين .

(٤٠٣)

وقال :

كفى حزنًا أن الحوادث قصرت يدِي ولساني عن نوالٍ وعن أمرٍ
فما يَحْتَشِي الأعداءُ بأسي وسطوتي ولا يرتجى الإخوانُ نفي ولا نصري
إذا نابهم خطبٌ فكلُّ استِطاعتي تلهبُ^(١) أنفاسَ أحرَّ من الجمرِ
ولا خيرَ في الدنيا بئلي ولو صفت إذا كان لا يُرجى لنفعٍ ولا ضررٍ

(٤٠٤)

وقال^(٢) :

سهلٌ على العارِفِ بالدَّهرِ مانابٌ من مُستَضَعِبِ الأُمُرِ
وكلُّ ما استُعْظِمَ من حادِثٍ مُستَضَعِرٌ في جانبِ الصَّبرِ

(٤٠٥)

وقال^(٣) :

أنظر إلى حسنِ صَبْرِ الشَّمْعِ ، يُظهرُ لا رآئينَ نُورًا ، وفيهِ التَّارُ تَسْعُرُ
كذا الكريمُ : تراه ضاحِكًا جدًّا وقلبه بدخيلِ الهَمِّ^(٣) مُنْفَطِرُ

(١) في هامش الديوان "تغرم" رواية .

(٢) هذان البيتان مما روى لأسماء في الخريدة ١ : ١٠١ ، وياقوت ٥ : ١٩٩ .

(٣) رواية بياقوت "النم" .

(٤٠٦)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا كَرِهْتَ تَحْتَ بِمَا تَهْوَى ، فَمَا جَارِعُ بِمَعْدُورٍ
إِنَّ اصْطِبَارَ الْجَنِينِ فِي ظُلْمِ الْأَحْ - شَاءَ أَفْضَى بِهِ إِلَى النَّوَرِ

(٤٠٧)

وقال :

إِنِّي لِأَعْرِفُ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ وَإِنْ أَبْدَى الْمُدَاجَاةَ^(١) ، مَا تُخْفِي صَمَائِرُهُ
كَالْحَطِّ يَلْحَظُهُ الْقَارِي ، فَيُرِصُّلُ مَعْنَاهُ إِلَى قَلْبِهِ فِي الْوَقْتِ نَاطِرُهُ

قافية الزاى

(٤٠٨)

وقال :

اصْبِرْ تَنْلِ مَا تُرْجِيهِ ، وَتَفْضُلُ مَنْ جَارَاكَ شَاوِ الْعُلَا سَبْقًا وَتَبْرِيزًا
فَالْتَبِرُ أَحْرِقَ بِالنِّيرَانِ مُصْطَبِرًا عَلَى لَفْظَاهَا ، إِلَى أَنْ عَادَ لِإِبْرِيَا^(٢)

(١) المداجاة : المداواة .

(٢) التبر : فوات الذهب . والإبريز : الذهب الخالص .

قافية السين

(٤٠٩)

وقال :

اصبرِ إِذَا تَابَ خُطْبٌ، وانتظرِ فَرَجًا يأتي به اللهُ بعدَ الرِّثِّ^(١) واليَّاسِ
إنَّ اصْطِبَارَ ابْنَةِ العُنُقُودِ، إِذْ حَاسَتْ في ظُلْمَةِ القَارِ، أَدَّاهَا إِلَى الكَاسِ

(٤١٠)

وقال :

الضَّرُّ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ كَاللَّيْلِ يَغْشَى سَائِرَ النَّاسِ
وَكُلُّهُمْ رَاضٍ، وَفَوْقَ الرُّضَا يُبَاغَةِ الطَّاعِمِ وَالكَاسِي
وَدُونَ مَا يَرْجُوهُ مَا نَبِعُ يَلْقَى وَجُوهَ النَّاسِ بِالْيَاسِ

قافية الطاء

(٤١١)

وقال :

أَرَانِي أَسْتَطِيلُ مَدَى حَيَاتِي وَمَا فِي مَفْرِقِي لِلشَّيْبِ وَخَطُ
وَلَوْ أَسْقَطْتُ مِنْهُ زَمَانٌ هُمِّي لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا الشَّخْصُ سَقَطُ

(١) الرِّث : الإبطاء .

قافية العين

(٤١٢)

وقال :

لا تُخَدَعَنَّ بِأَطْمَاحٍ تُزَنِّعُهَا لَكَ الْمَنَى بِحَدِيثِ الْمَيْنِ^(١) وَتُخَدِّعُ
فَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الْمَوْتِ بِأَجْمَعِهِمْ وَجَدْتَ مُلْكَهُمْ فِي الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ

(٤١٣)

وقال :

وَمُمَازِقٍ^(٢) رَجَعُ النَّدَاءِ جَوَابُهُ فَإِذَا عَرَا خُطْبُ فَا بُعْدُ مَنْ دُعِيَ
مِثْلُ الصَّدَى ، يَخْفَى عَلَى مَكَانِهِ أَبَدًا ، وَيَمْلَأُ بِالْإِجَابَةِ مِسْمَعِي

قافية القاف

(٤١٤)

وقال :

قَوْمٌ يَمُوتُ النَّاسُ عِنْدَهُمْ ضُرًّا ، وَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى فَرْقٍ^(٣)
كَالْبَحْرِ يَهْلِكُ فِيهِ رَاكِبُهُ عَطَشًا ، وَيَخْشَى الْمَوْتَ بِالْفَرْقِ

(١) المين : الكذب .

(٢) مُمَازِق : لم يخلصه .

(٣) الفرق : الخوف .

(٤١٥)

وقال :

لنا صديقٌ يَغُرُّ الأصدقاءَ، وما رأيتُهُ قَطُّ في وُدِّ امرئٍ صَدَقَا
صديقُهُ أبداً منه على وَجَلٍ^(١) كراكب البحرِ، يَخْشَى دهرَه الغَرَقَا

(٤١٦)

وقال :

لا تَقْرَبَنَّ بابَ سُلْطَانٍ، وإنْ مَلَأَتْ هِبَاتُهُ غَيْرَ مَمْنُونٍ بها الطُّرُقَا
وَإِنَّ أبوابَهُمْ كالْبَحْرِ : رَاكِبُهُ مَرُوعُ الْقَلْبِ، يَخْشَى دهرَه الغَرَقَا

(٤١٧)

وقال :

أُسْتُرْ بِصَبْرِكَ ما تُخْفِيهِ من كَمَدٍ وإنْ أَذَابَ حَشَاكَ الهمُّ والحُرْقُ
كَالْشَّمْعِ يُظْهِرُ أنوارَ التَّجَمُّلِ، والدُّ مَوْعٌ مِنْهَلَةٌ ، والجِسمُ مُحْتَرِقُ

قافية الكاف

(٤١٨)

من رُزْقِ الصَّبْرِ نال بُغْيَتُهُ ولاحظتُهُ السَّعُودُ في الفَلَكِ
إِنَّ اضْطِبَّارَ الزُّجَاجِ لِلْسَّبكِ والنَّ سِرَانِ أدناه من فَمِ الْمَلِكِ

(١) الوجَل : الخوف .

قافيه اللام

(٤١٩)

وقال ^(١) :

أُنْظُرْ إِلَى صَرْفِ دَهْرِي ، كَيْفَ عَوَّدَنِي بَعْدَ الْمَشِيبِ سِرْوَى عَادَاتِي الْأَوَّلِ
وَفِي تَغَايِرِ صَرْفِ الدَّهْرِ مَعْتَبَرٌ وَأَيُّ حَالٍ عَلَى الْأَيَّامِ لَمْ تَحُلْ
قَدْ كُنْتُ مِسْعَرَ حَرْبٍ ، كُلَّمَا اخْتَدْتُ أَضْرَمْتُهَا بِاقْتِدَاجِ الْبَيْضِ فِي الْقَائِلِ ^(٢)
هَمِّي مَنَازِلَةُ الْأَقْرَانِ ، أَحْسِبُهُمْ فَرَائِسِي ، فَهَمُّ مَنَى عَلَى وَجَلِ
أَمْضَى عَلَى الْهَوْلِ مِنْ لَيْلٍ ، وَأَهْجُمُ مِنْ سَبِيلٍ ، وَأَقْدُمُ فِي الْهَيْجَاءِ مِنْ أَجَلِ
فَصَرْتُ كَالْعَادَةِ الْمِكْسَالِ : مُضْجَعُهَا عَلَى الْحَشَا يَا وَرَاءَ السَّجْفِ ^(٣) وَالْيَكِيلِ
قَدْ كَدْتُ أَغْفَنُ مِنْ طَوْلِ النَّوَاءِ كَمَا يُصْدِي الْمَهْنَدُ طَوْلُ الْمَكِثِ فِي الْخِلَلِ ^(٤)
أَرْوَحُ بَعْدَ دُرُوعِ الْحَرْبِ فِي حُلٍّ مِنْ الدَّبِيقِ ^(٥) فَيُؤْسَأُ لِي وَلِلْحُلَلِ
وَمَا الرِّفَاقَةُ مِنْ رَأْيِي وَلَا أَرْبَى وَلَا التَّنْعُمُ مِنْ هَمِّي وَلَا شُغْلِي
وَلَسْتُ أَهْوَى ^(٦) بُلُوغَ الْمَجْدِ فِي رَفَةٍ وَلَا الْعُلَادُونَ حِطَمَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) رويت هذه القصيدة لأسامة في تاريخ دمشق لابن عساكر : ٥ : ١٧٤ .

(٢) القائل : الجماعات من الناس . والقلة بالضم : أهل الرأس والجمع قتل . والبيض : السيوف . وسعر الحرب :

أوقدها . (٣) السجف : السر .

(٤) الخلة : جفن السيف انثنى بالأدم والجمع خال .

(٥) الدبيق : كأمير بلد بمصر منها الثياب الدبيقية .

(٦) في هامش الديوان « أرضى » .

(٤٢٠)

وقال ^(١) :

إذا ما عرا خطبٌ من الدهرِ فاصطبرْ فإنَّ اللَّياليَ بالخطوبِ حواملُ
فكلُّ ^(٢) الذي يأتي به الدهرُ زائلٌ سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائلُ

(٤٢١)

وقال :

كلُّ شيءٍ تراه في هذه الدنْيا يا خيالُ إذا انتهت يزولُ
ما يدومُ النعيمُ فيها ، ولا البؤسُ ، مناعُ الدنْيا مناعٌ قليلُ
والذي يصرفُ الهمومَ إذا ما ضقت ذرعاً بهنَّ صبرٌ جميلُ

(٤٢٢)

وقال ^(٣) :

إني وثقتُ بأمرٍ غرَّني أُملي فيه ، وقد قيل : كم من واثقٍ خجلِ
عادتُ إلى الأمانِ منه آيسةٌ فيا حياءَ المني من خيبة الأملِ

(١) روى الطيان في تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) رواية ابن عساكر « وكل » .

(٣) روى هذان الطيان في مساند الأوصار ١٠ : ٥٠٨ .

(٤٢٣)

وقال :

لا دَرَّ دُرُّكَ من رَجَاءٍ كاذِبٍ يَفْتَرُنَا بِوَرُودٍ لَامِعٍ آهِ (١)
أَبْدًا يُسَوِّفُنَا بِنُصْرَةٍ خَائِلٍ ووفاء خَوَّانٍ ، وَعَظْفَةٍ قَالٍ (٢)
وَنَرَى سَبِيلَ الرُّشْدِ ، لَكِن مَالَنَا عَزَمٌ مع الأَمْوَاءِ والآمَالِ

(٤٢٤)

وقال :

لا تَعْنِينَ مَنْ مَلَّ ، إِنَّ عَنَابَهُ كَثِيفٌ (٣) مُعَوِّجُ الظَّلَالِ المَائِلِ
يَلْقَى العِنَابَ بِسَمْعٍ لَاهٍ صَادِفٍ (٤) ويرى الخُضُوعَ بِطَرَفٍ سَاهٍ غَافِلِ
فَإِذَا أَقْتَدَيْتَ دَلِيلَ قُبْحِ فَعَالِهِ دَفَعَ العِيَابَ بِجُبَّةِ المتَجَاهِلِ

(٤٢٥)

وقال :

لا يُؤْسِفُنْكَ مَا غَالَ الزَّمَانُ ، فَمَا يَرْضَى بِمَا (٥) غَالَ : مَنْ وَقِرٍ وَمِنْ مَالٍ
وإِنَّمَا هُوَ بِالْتَدْرِيجِ يَنْقُلُنَا نَقَلَ المُخَادَعِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَلَيْسَ يَرْضَى بِمَا دُونَ النُّفُوسِ . وَمَا تُفْدَى إِذَا غَالَهَا ، حَاشَاكَ ، بِالْغَالِي

(٢) القائل : المبهض .

(١) الآل : السراب .

(٣) تقفه : سراه .

(٥) في الأصل (إذا) تحريف .

(٤) صدق : أعرض .

(٤٢٦)

وقال :

يا جاعلَ الأشغالِ عُدَّ رَأً في مُدافَعَتِي ومَطَرٍ
شُغْلِي إِلَيْكَ إِذَا اشْتَغَلْتُ، فَإِذَا^(١) فَرِغْتَ فَأَنْتَ مَشِي

(٤٢٧)

وقال :

إِلَى كَمْ أَجُوبُ الْأَرْضَ مَالِي مُعَرَّسٌ وَلَا لِمُسِيرِي فِي الْبِلَادِ قُفُولُ
كَأَنِّي فِي الدُّنْيَا قَدْ ذَاةٌ بِمَقْلَةٍ تَرَدَّدُ فِي أَرْجَانِهَا ، وَتَجُولُ
أَشِيمُ بِهَا بَرَقَ الْحَيَاةِ^(٢) ، وَهُوَ خُلْبٌ وَأَرْتَادُ أَرْضَ الرُّوضِ ، وَهِيَ مَحُولُ
وَمَا مِنْ تَكَالُيفِ الْحَيَاةِ وَبُؤْسِهَا خَلَاصٌ بِغَيْرِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ مَهُولُ

(٤٢٨)

وقال :

زَهَّدَنِي فِي الْعَقْلِ أَتَى أَرَى عُنَايَةَ الْأَيَّامِ بِالْجَهْلِ
وَالدَّهْرِ كَالْمِيزَانِ : ذُو الْفَضْلِ يَنْحَطُّ ، وَذُو النِّقْصَانِ يَسْتَعْلِي

(٤٢٩)

وقال :

رَفَعُ الْحُظُوظِ لِمَنْ أَصَبَنَ ، وَحَطُّ مَنْ أَخْطَأَنَّهُ ، فِيهِ يَحَارُ الْعَاقِلُ
يُعْطَى الْغَنَى ، وَيُحْرَمُ النَّدْبُ^(٣) الْفَتَى كَالَّذِيكَ تُوجَّ ، وَالْبُرْأَةُ عَوَاطِلُ

(١) فِي الْأَمَلِ (فَإِذَا) . نَحْرِيف .

(٢) الْحَيَاةُ : الْمَطَرُ . وَالْخُلْبُ : الْمَطْمَعُ الْخُلْفُ .

(٣) النَّدْبُ : الْخَفِيفُ فِي الْحَاجَةِ الْظَرِيفُ الْجَبِيبُ .

قافيه الميم

(٤٣٠)

وقال^(١) :

بِـ مَوْلَى صَحْبِهِ مُذْهَبَ الْعُمَرِ^(٢) ، فلم يَرَعَ حُرْمَتِي وَذِمَامِي
ظَنَنْتِي ظِلَّهُ أَصَاحِبُهُ الدَّهْرَ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ وَاحْتِرَامٍ
فَاقْتَرَفْنَا كَأَنَّهُ كَانَ طَيْفًا وَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ

(٤٣١)

وقال :

لَوْ كَانَ رِزْقُ الْفَقَى بِقُوَّتِهِ نَازَلَتْ ضَارِي الْأُسُودِ فِي الْأَجَمِ
لَكُنْتُ عَنْ مَشِيئَةٍ سَبَقَتْ فِي انْخِلَاقِ تَجْرِى فِيهِمْ عَلَى الْقَسَمِ

(٤٣٢)

وقال :

لَحَى اللَّهُ أَرْضًا يَرْشُفُ الْمَرْءُ رِزْقَهُ بِهَا مُكْرَهَا رَشَفَ الذُّعَافِ مِنَ السَّمِ
تُسَيِّبُ حَبَاتِ الْقُلُوبِ بِجَوْرِهَا وَتُهْرَمُ إِنْسَانُ الْعُيُونِ مِنَ الْهَمِّ

(١) رويت هذه الأبيات الثلاثة في الخريدة ١ : ١٠٦ ومساكن الألبصار ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أى العمر القاهب .

(٤٣٣)

وقال :

لَا تَأْسَفَنَّ لِذَاهِبٍ أَوْ فَاتٍ يُرَجَى ، وَلَا تُتْبِعْهُ زُفْرَةَ نَادِمٍ
وَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثَانِ صَبْرَ مُسْلِمٍ مُتَيَقِّنٍ أَنْ لَيْسَ مِنْهُ بَسَائِلِمٌ
فَغَضَارَةُ الدُّنْيَا كَظَلٍّ زَائِلٍ وَالْعَيْشُ فِيهَا مِثْلُ حُلْمٍ النَّائِمِ
وَالدَّهْرُ يَمْنَحُ ، ثُمَّ يَمْنَعُ نَزْرًا مَا أُعْطِيَ ، وَيَبْذُلُ بِالسُّرُورِ الدَّائِمِ
وَالنَّاسُ مَنْ لَمْ يَصْطَبِرْ لِمَصَاهِرِهِ صَبْرَ الرُّضَا صَبْرَ اصْطِبَارِ الرَّاعِمِ

(٤٣٤)

وقال :

قُلْ لِلرَّجَاءِ : إِلَيْكَ ، قَدْ أَتَعَبْتَنِي بَعْدَ الْكَرَامِ
قَدْ عَمَّ دَاءُ الْبُخْلِ ، حَتَّى شَاعَ فِي كُلِّ الْأَنَامِ
فَاكْفُهُم بِالْبُخْلِ مُقْفَلَةً عَلَى سُمِّ^(١) الْحُطَامِ
فِي الْأَمِّ تَرْتَادُ الْحُورَ لَ ، وَتَرْتَجِي رِيَّ الْجَهَامِ^(٢)

(٤٣٥)

وقال :

يَا أُنْحَى الشَّاكِي لِمَا أَشْكُوهُ وَالْحَامِلَ هَمِّي
وَنَسِيبَ الْوُدِّ لِأَنَّهُ بَعْدَ آبَاءِ وَعَمِّ

(١) السحت : الحرام .

(٢) الجهام : السحاب لآما ، فيه .

ظلمتني دولةُ العد ل ، فن يكشف ظلمي
ومتى يُحكّم لي بالعد ل ، والحاكم خصمي

(٤٣٦)

وقال :

لأتطلعن لسانَ شكوى بائحٍ ضجراً على سرِّ الفؤاد الكاتم
واعلم بأن جميع ما فيه بنو الله نيا يزول زوال حلم النائم

قافيه النون

(٤٣٧)

وقال :

اصطبر للزمان إن حاف حيناً أو تلقاك بالخاف حيناً
إن صبر الكليم^(١) وهو طريد الـ مخوف أفضى به إلى طور سيناً

(٤٣٨)

وقال :

من مل فاهجره ، فقد أبدى لك اليأس المينا
أعيا شماس أنحى التلؤن والملال الرائضينا^(٢)
لن يرجع الفخار بعد تلافه بالكسر طينا

(١) الكليم : موسى عليه السلام .

(٢) الشماس : عدم الاقياد . وراض الفرس : ذلله .

(٤٣٩)

وقال :

يا شاربَ الخمرِ بعدَ النّسكِ والدينِ وبعدَ ما تَابَ عما رابَ مُذَ حينِ
أفسدتَ دينَكَ، والسبعونَ أفسدتَ الدنيا، فليستَ بذى دُنيا ولادينِ
ولمّا أنتَ نَحَارَ تَكسّرُ، لا يُرجى لنفجٍ ، ولا يُعَدُّ فى الطّينِ

(٤٤٠)

وقال :

كم تقصِدُ المساجِدَينَ الفاضِلينَ، وكم تُعلِّمُ الكرماءَ البُخلَ يازمَنُ
إذا تَوالتَ عليهم نائبَاتُكَ، واجتاحتَ^(١) فواضِلَ ما يُولونه المحنُ
فكيفَ بالجوْدِ والأحداثِ تُسَلِّبُ ما يُولى به العرفُ، أو تُسدَى به المننُ
شُغلُ الزّمانِ بأهلِ النقصِ يرفعُهُم حتّى يُيمَرَ للسُّرَّاتِ ما نَحَزُّوا
ألهاهُ عن كُرماءِ النَّاسِ، فهو على ذوى المكارمِ والأفضالِ مُضْطَغِنُ^(٢)

قافية الهاء

(٤٤١)

وقال :

لا تَحْضَنَ رَغْباً ولا رَهْباً، فما المَرْجُو والمُخْشَى إلّا اللهُ
ما قد قضاهُ اللهُ مالَكَ من يدٍ يدِفِعه ، وسواهُ لا تُخْشاهُ

(١) الاجتناب : الاستئصال والإهلاك .

(٢) اضطنن : انطوى على الحقد .

(٤٤٢)

وقال :

نِلْتُ فِي مَصْرٍ كُلِّ مَا يَرْجَى الْآ مَلُ : لِمَنْ رَفْعَةٍ ، وَمَالٍ ، وَجَاهٍ
فَاسْتَرَدْتُ مَا خَوَّلَنِي^(١) ، وَمَا أَسْرَعَ نَقْصَ الْأُمُورِ عِنْدَ التَّنَاهِي
كَنتُ فِيهَا كَأَنِّي فِي مَنَامٍ زَالَ مِنْهُ مَا سَرَّ عِنْدَ انْبِئَاهِي

(١) قوله الله مالا : أخطأ .

في الكبر والمشيب وخلع رداء الشباب القشيب

قافية الباء

(٤٤٣)

قال :

وشانمة برقاً بفودى راعها وما كل برق لاح يؤذن بالخصب
رأت شعراتٍ أخلقت بعد جدّة ونفساً سلت بعد الغواية في الحب
فقلت : هناك الشيبُ عن مَرَجِ الصبا وردّاك بعد الجونِ دهرُك بالعصب^(١)
فقلت : نعم أصبحت طوعَ عواذلى وأصبحت لا أصبو للهوى ولا أصبى
ولا عجبٌ : ليلٌ تبلّج بخره وحلمٌ رمى شيطانَ جهلى بالشهب
وهمٌّ ورى بين الجوانح زنده أضاء له في مفرقٍ لامع اللهب

(٤٤٤)

وقال :

أما ترى الشيبَ قد ردّاك بعد دُجى فوديك ، واهاً لِدَاكِ الليلِ ، بالعصب
وأسمعتك الليالى فى مواظها أنّ ابنَ سبعين من ورد على قُرب
أعرضتُ عن صَبَوَاتٍ كنتُ ذا شغفٍ بها ، وجانبتُ ما يدنى من الرّيب
وسرّتُ طوعَ النّهى ، تُرضى أنا قى فى سبرى ، ومرى فى شدى وفى خبى^(٢)

(١) الجون : الأسود . والعصب : ضرب من البرود يظهر أنه أبيض .

(٢) الشّة : العدو . والخيب : ضرب منه .

(٢٤٥)

وقال^(١):

لو كان صدّ مغاضباً^(٢) ومُعَاتِباً أَعْتَبْتُهُ^(٣) ، ووضعتُ حَدِيَّ تَائِباً
لكن رَأَى تلك النَّضَارَةَ قد ذَوَتْ^(٤) لما غَدَا ماءُ الشَّيْبَةِ نَاضِباً^(٥)
وتعاقَبُ الأَيَّامِ أَعْقَبَ لِمَتِي^(٦) من حَالِكٍ جَذِلٍ^(٧) شَكِيرًا^(٨) شَابِياً
ورَأَى النُّهْيَ بعد الغَوَايَةِ صَاحِجِي فَنَنِي العِنَانَ ، يُرِيقُ^(٩) غَيْرِي صَاحِبَا
وأَبِيهِ ، ما ظَلَمَ المشِيبُ ، وإِنَّهُ أَمَلِي ؛ فَقُلْتُ: عَسَاهُ عَنِّي رَاغِبَا
أَنَا كَالدُّجَى ، لما اتَّهَى نَشَرْتُ لَهُ أَيْدِي الصَّبَاحِ من الضِّيَاءِ ذَوَائِبَا
نَحْمَسُونَ من عُمرِي مضَتْ لم أَتَّعْظُ فِيهَا ، كَأَنِّي كُنْتُ عنها غَائِبَا
لم أَتَّعَمَّ بِجِبَارِي فِيهَا عَلَى أَنِّي لَقِيتُ من الزَّمَانِ عَجَائِبَا
وَأَتَتْ عَلَى بِمَصَرٍ عَشْرٍ بَعْدَهَا كَانَتْ عِظَاءً كُلُّهَا وَتَجَارِبَا
شَاهَدْتُ من لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ وَتَقَلُّبِ الدُّنْيَا الرُّقُوبِ^(١٠) عَجَائِبَا

قافية التاء

(٤٤٦)

وقال :

صحّاً ، وللجهلِ أوقاتٌ ومِيقَاتُ وللغَوَايَاتِ والأَهْوَاءِ غَايَاتُ
رَأَى المشِيبَ كَبِيضَ الهِنْدِ لَامِعَةً لها عَلَى فَوْدِهِ الغَرِيبُ^(١١) إِصْلَاحَاتُ^(١٢)

(١) روى ياقوت في معجم الأدياب: ٥: ١٩٧ والخريدة ١: ١٠٠ البيت الأول والأبيات من الثالث إلى السادس.
(٢) في ياقوت والخريدة « معاتباً ومناضياً » . (٣) أعتبته : طلبت إليه العتي وهو الرضا .
(٤) ذوى النفس : ذبل . (٥) نضب الماء : غار . (٦) انقمت : الشعر المجاوز شمة الأذن .
(٧) الجذل : الشعر الكثير الملتف . (٨) الشكير : الشعر اللين الرقيق . (٩) يريق : يريد .
(١٠) الرقوب : التي لا يعيش لها ولد . (١١) الغريب: الشديد السواد . (١٢) أصلت السيف : جرده .

فراجعَ الحلمَ ، وانجابت ^(١) غوايته وفي النهى للهوى المُردي نهاياتُ
والشيبُ شهبُ رمت شيطانَ شرته ^(٢) فأقصَدته ^(٣) ، وكم تجو الرميَّاتُ
لله دُرُ الصِّبا ، لو دَامَ رونقه فما كأوقاته في العمرِ أوقاتُ
ولارعى الشَّيبَ من زورٍ ^(٤) إذا نزل السَّموى نأتُ ، وسرت عنه المسراتُ
طوالعُ الشَّيبِ إن رآقتك واضحةٌ طلائعُ قدَمتهن المنيَّاتُ
(٤٤٧)

وقال :

مالى رأيتُ الثلجَ عَمَّ شيبُهُ قُلِّلَ ^(٥) الرُّبا ، فزهت بحسن نَبَاتِها
رَاقَ العيونَ ، وشيبُ فودى راعها حتى كانَ الشَّيبَ ونخرُ ^(٦) قذَّاتِها

قافية الجيم

(٤٤٨)

وقال :

دغ ما نهى الشَّيبُ والسبعونَ عنه ، فترَ بأك : الصِّبا ، والشَّبابُ الغضُّ قد درَجَا ^(٧)
واعترضت من فتك أخذانِ الصِّبا ورعًا ومن جهالةِ أيامِ الشَّبابِ حجا
عذرت ، إذ جُرَّت في ليلِ الشَّبابِ ، فهل عذُرٌ ، وشيبُك قد أذكى لك السُّرجَا
وما أساءت بك الأيامُ إذ جعلت فوديك دُرًا ، وكانا ^(٨) قبله سبجًا ^(٩)

(٢) شرة الشباب : نشاطه .

(٤) الزور : الزائر .

(٦) الرنخ : الطن لا يكون اندا .

(٨) في الأصل (كانت) تحريف .

(١) انجابت : انكشف .

(٣) أقصد فلانا : طعنه فلم يحطه .

(٥) قلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل والريوة .

(٧) درج : مات .

(٩) السج : خرز ، لعله أسود .

مافية الدال

(٤٤٩)

وقال ، وقد غسل رأسه في بركة ، فرأى شعرا أبيض قد سقط من رأسه
على وجه الماء :

أرى شعراتٍ يَنْتَبِذْنَ^(١) ، كأنَّها على الماءِ صَدْعٌ في الزُّجاجةِ بادٍ
وعَهْدِي بها فيما مَضَى ، وكأنَّها على الفِضَّةِ البيضاءِ نَقْشٌ سَوَادٌ

(٤٥٠)

وقال :

إذا ما جَلَا اللَّيْلُ النَّهَارُ بِنُورِهِ تَعَقَّبَهُ لَيْلٌ أَحْمُ^(٢) رَكُودٌ
فما لي أرى لَيْلَ الشَّبَابِ إذا جَلَا وجاءَ نهارُ الشَّيْبِ لَيْسَ يَعُودُ

(٤٥١)

وقال

نَظَرْتُ بِيَاضَ مَفَارِقِي ، فَاسْتَرْجَعْتُ أَسْفًا ، وَقَالَتْ : أَيْنَ ذَاكَ الْأَسْوَدُ
قُلْتُ : اضْمَحَلَّ ، فَاطْرَقْتُ ، وَتَنَفَّسْتُ نَفْسًا تُصْعِدُهُ حُشًّا تَتَوَقَّدُ
قَالَتْ : قَهْلٌ مِنْ مَوْعِدٍ لِلْقَائِنَا فَأَرَى نَذِيرَ الْبَيْنِ ، قُلْتُ : الْمَوْعِدُ^(٣)

(١) الانتباذ : التثني . (٢) الأحمر : الأسود من كل شيء .

(٣) يريد بالموعد يوم القيامة .

قافية الراء

(٤٥٢)

وقال :

يقولون : جارَ عليك المشيبُ ومن ذا يُجِيرُ^(١) إذا الشيبُ جَارَا
وما كنتُ مغتبطاً بالشباب وهل كان إلا رداءُ مُعارَا
ولسكتي ساءنى فقده فواهاً له ، أئى همُّ أثارَا
وما ساءنى أن أحالَ الزمانُ لئلى نهاراً ، وجَهلٍ وقَارَا
ولكن يقولون : عصرُ الشباب يكونُ لكلِّ سرورٍ قَرَارَا
وما زلتُ منذُ تردُّيْتهُ تَخَاطِبُ ليلٍ أعانى العنَارَا
أكابدُ دهرًا يُشيبُ الوليدَ وهماً يَشُبُّ بأحشائى نَارَا
فوجدى أئى فارقته ولم أبلُ^(٢) ما يزعمون اختِيارَا

(٤٥٣)

وقال :

تَصَامَمْتُ عن لَويمِ العذولِ ، كَأَنَّمَا رَمَى الوجدُ يومَ البينِ سَمْعِي بِالْوَقْرِ^(٣)
وقد كنتُ معذوراً بَانِفَةً^(٤) الصَّبَا فَهَلْ لى بَعْدَ الشَّيْبِ فى الجَهِلِ مِن عَذْرِ
وغيرُ ملومٍ مدبجٌ^(٥) ضَلَّ ، إِنَّمَا يُلَامُ إِذَا مَا ضَلَّ فى وَضَحِ الفَجْرِ

(١) أجار : أتمد . (٢) أبلو : أخبر . (٣) الوقر : ذهاب السمع .
(٤) آفة الصبا : ميمه وأوليه . (٥) التلج : السير من أول الليل .

(٤٥٤)

وقال :

رَأَيْتُ مَا تَلْفِظُ الْمَوْسَى ، فَاسْفَنَى إِذْ عَادَ حَالِكُهُ كَالْتَّلَجِ مُشَوَّرَا
فَقُلْتُ إِذْ رَأَيْتَنِي تَغْيِيرُ صَبْغَتِهِ : سَبْحَانَ مَنْ رَدَّ ذَاكَ اللَّذَّ كَافُورًا^(١)

(٤٥٥)

وقال :

إِذَا تَقَوَّسَ ظَهْرُ الْمَرْءِ مِنْ كِبَرٍ فَعَادَ كَالْقَوْسِ يَمْشَى ، وَالْعَصَا الْوَتْرُ
فَالَمُوتُ أَرْوَحُ آتٍ يَسْتَرْجِي بِهٍ وَالْعَيْشُ فِيهِ لَهُ التَّعْذِيبُ وَالضَّرَرُ

(٤٥٦)

وقال :

إِذَا عَادَ ظَهْرُ الْمَرْءِ كَالْقَوْسِ ، وَالْعَصَا لَهُ حِينَ يَمْشَى ، وَهِيَ تَقْدُمُهُ ، وَتَرُ
وَمَلَّ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَطُولَهَا وَأَضْعَفَهُ مِنْ بَعْدِ قُوَّتِهِ الْكِبَرُ
فَإِنَّ لَهُ فِي الْمَوْتِ أَعْظَمَ رَاحَةٍ وَأَمْنًا مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يُنْتَظَرُ

(١) اللذ : العنبر . والكافور : طيب خشبه أبيض هش .

قافية القاف

(٤٥٧)

وقال :

لَدَيّْ وإِخْوَانُ الشَّبَابِ مَضَوْا قَبْلِي ، وَكَمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبْقَى
كُنَّا كَأَفْرَاسِ الرِّهَانِ جَرَوْا فِي غَايَةِ ، فَتَقَدَّمُوا سَبْقًا
وَهُمْ إِذَا بَلَّغُوا الْمَدَى وَقَفُوا حَتَّى تَضُمَّ الْحَلْبَةُ^(١) الْخَلْقًا

(٤٥٨)

وقال :

تَلَجَّ النَّبَاتُ فِرَاقَ لَوْنٍ مَشِيهِ فَعَلَامَ لَوْنِ الشَّيْبِ لَيْسَ يَرُوقُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْتَ ذَا دَاغٍ إِلَى طَيْبِ السَّرُورِ ، وَذَاكَ عَنْهُ يَعُوقُ
وَإِذَا أَخُو الشَّيْبِ اسْتَجَابَ لِلذَّةِ وَمَسْرَّةٍ ، فَسُرُورُهُ مَسْرُوقُ

قافية اللام

(٤٥٩)

وقال :

لَمْ تَتْرَكِ السَّبْعُونَ فِي إِقْبَالِي مِنِّي سِوَى مَا لَا عَلَيْهِ مُعَوَّلُ
حَتَّى إِذَا مَا عَامَهَا عَنِّي انْقَضَى وَوُطِئَتْ فِي الْعَامِ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

(١) الحلبة : مجال الخيل للسباق .

حَطَمْتُ قَوَايَ، وَأَوْهَنْتُ مِنْ نَهَضَتِي وَكَذًا بِمَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ تَفَعُلُ
كَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْحُرُوبِ؛ فَلَيْتَنِي فِي بَعْضِهَا مِنْ قَبْلِ نَكْسِي أُقْتَلُ
وَالْقَتْلُ أَحْسَنُ بِالْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلِي، وَيُفْنِيَهُ الزَّمَانُ، وَأَجْمَلُ
وَأَبْيَكَ مَا أَجْمَعْتُ عَنْ خَوْضِ الرَّدَى فِي الْحَرْبِ، يَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ الْمُنْصَلُ^(١)
وَإِذَا قَضَاءُ اللَّهِ أَتَّحَرْنِي إِلَى أَجَلِي الْمُؤَقَّتِ لِي فَمَاذَا أَعْمَلُ

(٤٦٠)

وقال :

وَضَحَّ الصَّبَاحُ لِنَاطِرِ الْمَتَامِلِ فَلِإِلَامٍ تُوَضِّعُ فِي الطَّرِيقِ الْمَجْهَلِ^(٢)
أَوْ مَا نَهَتْكَ السَّنُّ عَنْ مَرَحِ الصَّبَا وَالْخَوْضِ فِي غَيِّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
تَزَّهَ بِيَاضَ الشَّيْبِ عَنْ دَنَسِ الْهَوَى فَقَدْ ارْتَدَيْتَ الدَّرَجَةَ غَيْرَ مُفْصَّلِ
وَاعْفِ الْعَذُولَ عَنِ الْمَلَامِ، فَلَوْمَهُ غَيْرُ الْمَلَمِّ يَسْمَعُ مَنْ لَمْ يَجْهَلِ

(٤٦١)

وقال :

نَضًا^(٣) صَبِغُ الشَّبَابِ، فَلَسْتُ أَدْرَى لَصِبِغِ حَالٍ، أَمْ تَغْيِيرِ حَالِ
وَمَا أَبْيَضَ الْغَرَابُ الْجَوْنَ إِلَّا لِنَعْبَ بَانْتِقَالِ وَارْتِحَالِ

(١) المنصل : السيف . (٢) أرض مجهل كقوله : لا يُهْتَدَى فيها . وأوضع : أسرع في سيرة .

(٣) نضا : ذهب .

(٤٦٢)

وقال :

إِنْ ضَعُفَتْ عَنْ حَمَلٍ ثِقَلِي رَجُلِي وَرَأَيْتُ عِثَارُهَا فِي السَّهْلِ
أَمْشَى كَمَا يَمْشَى الْوَجِي^(١) فِي الْوَحْلِ مَشَى الْأَسِيرِ مُثْقَلًا بِالْكَبْلِ^(٢)
فَلِلْعَصَا عِنْدِي عُذْرُ الْمُبْلَى^(٣) إِنْ عَجَزْتُ ، أَوْ ضَعُفْتُ عَنْ حَمَلِي

قافية الميم

(٤٦٣)

وقال :

قَالَتْ وَأَحْزَنَهَا بِيَاضُ مَفَارِقِي : مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : تَرْيِكُهُ^(٤) الْآيَامُ
فَبَكْتُ ، وَقَالَتْ : هَلْ لَهَا مِنْ وَارِدٍ أَوْ رَائِدٍ يَوْمًا ؟ فَقُلْتُ : حَبَابِي

(٤٦٤)

وقال :

أَنْظُرْ إِلَى لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَكُنْهُمْ وَكَأَنَّهُ أَحْلَامُ
قَدْ كَانَ كَنَفِي مَأْلَفًا لِمَهْنَدٍ تُعْرَى^(٥) الْقُلُوبُ لَهُ وَتُعْرَى^(٦) الْهَامُ
وَلَا تُنْمِرُ لَدُنِ الْكَعُوبِ ، وَجَارُهُ^(٧) حَيْثُ اسْتَمَرَ الْفِكْرُ وَالْأَوْهَامُ

(١) الوجي : الحفا . وجي كرضى وجي فهو وج وجي . (٢) الكبل : القيد .

(٣) أبلاء عذرا : أداء إليه فقبله . (٤) التريكة : روعة يُعْقَلُ عَنْ رَعِيهَا .

(٥) تُعْرَى من العروى وهي : الزعدة . (٦) فراد يفره : شقه .

(٧) الوجار في الأصل : حجر الضيع وغيرها .

تَزَالُ الأبطالُ عَنِّي ، مَثَلًا تَفَرَّتْ مِنَ الأسدِ الهصورُ نَعَامُ
فَرَجَعْتُ أَحْمَلُ بَعْدَ سَبْعِينَ العَصَا فَأَعْجَبَ لِمَا تَأْتِي بِهِ الأَيَّامُ
وَإِذَا الحِمَامُ أَبَى مُعَاجَلَةَ الفَتَى لِحَيَاتِهِ . لَا تُكْذِبَنَّ ^(١) ، حِمَامُ

(٤٦٥)

وقال مخاطبا لصديق :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي فَلَا نَ الدِّينَ ، والأنباءُ تَنْمِي
أَنْتَ هَجَرْتُكَ لَا كَظَمْتَكَ طَائِعًا ، لَكِنْ بَرَعِي
أَوْهَتْ خُطُوبُ الدهرِ مِنْ هِمَمِي ، وَفَلَّتْ حَدَّ عَزَمِي
وَرَمَنِي الأَيَّامُ عَنْ قَوْسِي ، فَأَرَدْتَنِي بِسَهْمِي
وَعَدَا الَّذِينَ بِهِمْ أَسَ لِي الهَمُّ حِينَ يُلْمُ ، هَمِي

(٤٦٦)

وقال ، وقد رزق ابنة ، سَمَّاها أُمَ فُرُوقَ ، بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزَ أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً
أَفَكَّرُ فِي فُرِيَّةٍ مَا تُتَلَّقَى مِنْ الدُّنْيَا فَتَغْشَانِي الْهُمُومُ
وَتَصْعَدُ زَفَرِي أَسْفًا ، لَعَلِّي بِمَا يَلْقَى مِنَ البُؤْسِ الْيَتِيمُ
وَقَدْ أَوْدَعْتُهَا رَبًّا كَرِيمًا وَمَا يَنْسَى وَدِيعَتَهُ الْكَرِيمُ

(١) كَذَبَ الرَّجُلُ : أَخْبَرَ بِالْكَذِبِ .

قافية النون

(٤٦٧)

وقال في المعنى أيضا :

لما مَخَطَّنِي السَّبْعُونَ مُعْرِضَةً وساوَرَ الضَّعْفُ بعد الأَيْدِ^(١) أَرْكَانِي
وَأُدْخِلْتَ كَانِي شُكْرِي وفي صِفَتِي واستَرَجَعَ الدَّهْرُ ما قَدْ كَانَ أُعْطَانِي
رُزِقْتَ فَرَوَةً ، والسَّبْعُونَ تُخْبِرُهَا أَنْ سَوْفَ تَبْتَئِمُّ عَنْ قُرْبٍ ، وَتَتَعَانِي
وهي الضَّعِيفَةُ ، مَا تَنْفُكُ كَاسْفَةً ذَلِيلَةً ، تَمْتَرِي^(٢) دُمْعِي وَأَحْزَانِي
مَا كَانَ ، عَمَّا سَنَلَقَاهُ وَعَنْ جَزَعِي لما سَنَلَقَاهُ ، أَغْنَاهَا وَأَغْنَانِي

(٤٦٨)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقْلِي فِي السَّهْلِ الْعَصَا وَنَبَتْ بِي ، حِينَ حَاوَلْتُ الْحَزُونََا
وَإِذَا رَجَلِي خَائِتْنِي ، فَلَا لَوْمْ عِنْدِي لِلْعَصَا فِي أَنْ تَخُونَا

(٤٦٩)

وقال ، وَكَتَبَهَا بِخَطِّ يَدِهِ :

نُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ ، وَحَطَّنِي إِلَهُ بَعُونَ لَمَّا أَنْتَ عَلْتَ سِئِي
وغيَّرْتَ خَطِّي ، فَأَضْحَى كَمَا تَرَى ، وَكَمْ قَدْ غَيَّرْتَ مِنِّي
وَالْمَوْتُ فِيهِ رَاحَةٌ مِنْ أَذَى الدُّنْيَا ، فَمَا أَغْفَلَهُ عَنِّي

(٢) اتمتري الشيء : استخرجه .

(١) الأيد : القوة .

قافية الهاء

(٤٧٠)

وقال :

نَظَرْتُ مُبِیْضَ فَوْدِي ، فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : مَا الَّذِي بَعْدِي عَرَاهُ
قُلْتُ : هَذِي صِبْغَةُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَصْبِغُ الْأَسْوَدَ مِیْضًا سِوَاهُ

(٤٧١)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقْلِي بَعْدَ مَا شَبْتُ الْعَصَا فَتَحَمَّلَنِي تَحْمَلُ الْمُتَكَرِّرِ
وَمَشَتْ بِهِ مَشَى الْحَسِيرِ ^(١) بِوَقْرِهِ ^(٢) لَا يَسْتَقِلُّ ^(٣) ، مَقْبِداً بِعِثَارِهِ
مَا آدَهَا ^(٤) ثِقْلِي ، وَلَكِنْ ثِقْلُ مَا أَبَقَ الشَّبَابُ عَلَيَّ مِنْ أَوْزَارِهِ
وَرَجَايَ مَعْقُودٌ بِمَنْ أَعْطَى أَخَا السَّبْعِينَ عُهْدَةً ^(٥) عَتَقَهُ مِنْ نَارِهِ

(١) حسر كعرب وفرح : أعيا ، فهو حسير .

(٢) الوقر بالكسر : الحمل الثقيل .

(٣) يستقل : ينهض .

(٤) آده الأمر : بلغ منه المجهود .

(٥) العهدة : كتاب البيع .

في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار

قافية الباء

(٤٧٢)

قال :

يَا رَبِّ حُسْنُ رَجَائِي فِيكَ حَسَنًا لِي تَضِيعَ وَقْتِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
وَأَنْتَ قُلْتَ لِمَنْ أَضْحَى عَلَى ثِقَةٍ بِحَسَنِ عَفْوِكَ : إِنِّي عِنْدَ ظَنِّكَ بِي

قافية التاء

(٤٧٣)

وقال :

يَا غَافِلِينَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ . أَفَيَقُومُوا ، فَلَانُومَ هَبَّاتُ
مَاذَا السَّكُونُ إِلَى دُنْيَا حَوَادِثُهَا لَهَا عَلَى الْخَلْقِ غَدَوَاتٌ وَعَدَوَاتُ
كَيْفَ الْبَقَاءُ بِدَارٍ لِلْفَنَاءِ بِهَا عَلَى الْخَلَائِقِ كَرَاتٌ وَغَارَاتُ
وَأَنْتَ ، يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَالِكٌ فِي الدُّ نِيَا مِنَ النَّاسِ غَيْرِ الْبَعْدِ مَنَاجَا
يَسْرُكُ الْبَشَرُ مِنْهُمْ حِينَ تُبْصِرُهُمْ وَلَوْ خَبَّرْتَ لِسَاءَ تَكِ الطَّوَيَّاتُ
فَاقْطَعْ حَبَالَكَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ ، فَهَمُّ فِي كُلِّ حَالٍ مَنْ دَانُوا حَبَالَاتُ^(١)

(١) حباله ككتابة : انصدة .

واحدَر من النَّاسِ ، إِنِّي قد خَبَرْتُهُمْ ولا يَغْرَنكَ خَبٌ ^(١) فيه إِخْبَاتٌ ^(٢)
 لا تَرْجُهُمْ في مِلِّاتِ الزَّمانِ ؛ فما تُلِمُّ إِلَّا مِنْ النَّاسِ الْمِلِّاتُ
 وكلَّهمْ ، وهمُ الْأَحْيَاءُ ، إنْ بُعِثُوا ^(٣) على الْحَيَاءِ وفِعْلِ الْخَيْرِ ، أَمْواتُ
 وقد سَمِعْنَا أَنَّ الْأَرْضَ كانَ بِها ناسٌ كَرَامٌ ، ولكن قَبْلَ : قد ماتوا
 ولستُ أَدْرى صَحِيحًا ما تَضَمَّنَتْ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ أَمْ فِيها صَمَانَاتُ ^(٤)
 وأغْلِبُ الظَّنِّ أَنَّ الْقَوْمَ قد جَمَعُوا لِلْبَاحِلِينَ حَدِيثَ الْبُهْتِ ^(٥) : أَى هاتُوا
 لو كانَ ما جَمَعُوا يَبْقَى لَهُمْ لَقَضَتْ عَلَيْهِمُ بِالْمُؤاساةِ المِروءَاتُ
 فكَيْفَ ، وهى عَوَارٍ تُسْتَرَدُّ ، وَأَفْأَياءُ ^(٦) تُنْقَلُها في النَّاسِ دَوْلَاتُ

قافية الحاء

(٤٧٤)

وقال :

لا تَرْتَجِ الْخَلْقَ ، فالأَبوابُ مُرْتَجَّةٌ دُونَ الْحُطَّامِ ، وبابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ
 وَالرِّزْقُ لو كانَ في أَيْدِي الْأَنامِ أَبْوا أَنْ يَشْرَبَ الْماءُ مِنْ طُوفانِهِ نوحُ
 لَكِنَّه في يَدَي مَنْ فَضَّلَهُ أَبْداً لِلطَّاعِينَ وَالْعاصِينَ مَمْنُوحُ

(١) الخب : الخداع .

(٢) أخبت : خشم وتواضع .

(٣) بعث على الشيء : حمله على فعله .

(٤) الضمة بالضم وكسابة وسجاية : المرضي .

(٥) البهت بالضم : الكذب .

(٦) أفيا : جمع في د وهو الظل .

قافية الدال

(٤٧٥)

وقال :

مُذْ بَصَّرْتَنِي تَجَارِي ، وَنَبَّهَنِي خُبْرِي بدهري ، فَقَدْتُ العَيْشَةَ الرِّغْدَا
كَأَنِّي كُنْتُ فِي حُلُمٍ ، فَأَيْقَظَنِي خَوْفِي ، وَآلَى عَلَى جَفْنِي لَارْقَدَا

(٤٧٦)

وقال :

عَجَزْتُ عَنِ الدُّنْيَا ، فَمَا لِيَ مِنْ يَدٍ بِهَا ، وَلِيَ الْإِيدُ^(١) الْمُسَاعِدُ وَالْيَدُ
وَلَكِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْهَا ، فَأَرْعَوِي وَلَا نِلْتُ مِنْهَا مَا أَوَدُّ ، وَأَقْصِدُ
شَقِيتُ بِمَا أَحْرَزْتُهُ : مِنْ فَضَائِلٍ بِأَيْسَرِهَا يَحْطَى الشَّقِيُّ وَيَسْعُدُ
وَفِي النَّفْسِ ، إِنْ نَاجَيْتُهَا بِاطْرَاحِهَا وَبِالزُّهْدِ فِيهَا ، فَتَرْدُ وَتَرْدُ
فِيَارِبِ أَهْلِهَا الرِّشَادَ بَرَكِهَا فَإِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَشَاءُ وَتُرْشِدُ

(٤٧٧)

وكتب على حائط مسجد ، بظاهر منبج ، وهو متوجه إلى الحجاز :

زَلْنَا بِهِ ، حَتَّى إِذَا يَوْمُنَا انْقَضَى رَحَلْنَا عَلَى الْعَيْسِ النَّجَائِبِ وَالْجُرْدِ^(٢)
نُؤْمُ بِهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، وَنَبْتَغِي مِنَ النَّارِ عِتْقًا جَاءَ فِي سَابِقِ الْوَعْدِ
فِيَا مَنْ قَصَدْنَا بَيْتَهُ وَنِيَّهِ بِكَ الْعَوْدُ ، يَا مَوْلَايَ ، مِنْ خَيْبَةِ الْقَصْدِ

(١) الأيد : القوة .

(٢) فرس أجرد : قصير الشعر رفقه . والعيس : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة .

(٤٧٨)

وقال من قصيدة تقدمت^(١) :

أما رأوا تقأب الدنيا بنا وفتكها بمن إليها أخلدا^(٢)
 كم نسفت أيدي الخطوب جبلا وصيرت لجئة ببحر تمدا^(٣)
 ولم أعادت ذا ثراء مفعما وذا قيل وعديد مفردا
 علمت ما لم يعلموا ، ونظرت عيناى دهرى مصدرا وموردا
 فما رأيت غير ظل زائل كل يمد نحوه ، جهلا ، يدا

(٤٧٩)

وقال^(٤) :

مُتَوَبِّةُ الْفَاقِدِ عَنْ فَقْدِهِ بِصَبْرِهِ أَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِ
 يَبْكِيهِ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ ، فَهَلْ يَطْمَعُ فِي التَّخْلِيدِ مِنْ بَعْدِهِ
 مَا حِيلَةُ النَّاسِ ؟ ! وَهَلْ مِنْ يَدٍ لَهُمْ بِدْفَعِ الْمَوْتِ أَوْ صَدِّهِ
 وَرُودُهُ لَا بَدَّ مِنْهُ ، فَلَمْ^(٥) تُنْكِرْ مَا لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ^(٦)
 سِهَامُهُ لَمْ يَسْتَطِعْ رَدَّهَا دَاوُدُ بِالْحُكْمِ مِنْ سَرْدِهِ

(١) أول القصيدة : أنهم فيكم لاني وأنجدا وما أفاد سلوة إذ فندا راجع ص ٦٦ .

(٢) أخذ إليه : مال .

(٣) الحمد : الماء القليل .

(٤) رويت هذه القصيدة في خريدة القصر ١٠٤٠ .

(٥) رواية الخريدة " فما " .

(٦) ينظر فيه إلى قول المتنبي : نحن بنو الموتى ، فما بالنا نناف ما لا بد من ورده

ولا سليمان ابنه ردها بملكه والحشد من جنده
عدل تساوى الخلق فيه ، فما يميز المالك عن عبده
كل له حد ، إذا ما انتهى إليه وأفاه على حده
تجمعنا الأرض ، فكل^(١) امرئ في لحده كالطفل في مهده
أما ترى ورادنا^(٢) عرسوا^(٣) بمنزل دان على بعده
تبوءوا الأرض ، ولم يخبروا عن حرّ منوائهم ولا برده
لحادث أسكتهم أمسكوا عن ابتداء القوم أو رده
لو نطقوا قالوا : التقي خيرما تزود المرء إلى لحده
فارجع إلى الله ، وثق بالذي وآفأك في الصّادق من وعده
للصّابرين الأجر ، والأمن من عذابه ، والفوز في خله

(٤٨٠)

وقال :

تبارك اسمك ، كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعلى الصمد
ما يصبغ الأسود الغريب غيرك مبيضاً ، ولا يتعاطى صبغه أحد

(١) في الحرية " وكل " .

(٢) في المصدر " أسلفنا " .

(٣) عرس القوم في المنزل : إذا تزولوا .

قافية الراء

(٤٨١)

وَكَتَبَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ بِصُورٍ^(١) :

اَحْذَرُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْعُمُرِ الْقَصِيرِ
وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَنْ صَرَغَتْهُ مَنَا بِالْغُرُورِ
عَمُّرُوا ، وَشَادُوا مَا تَرَا هُ : مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ
وَتَحَوَّلُوا مِنْ بَعْدِ سُكْنَانَهَا إِلَى سُكْنَى الْقُبُورِ

(٤٨٢)

وقال :

لَا تَغْتَبِطْ بِسُرُورٍ دَا ، يَا ، مَا يَدُومُ بِهَا سُورُ
وَكَذَلِكَ لَا تَجْزَعُ لِحَا دَلَّةَ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
بِجَمِيعِ مَا فِيهِ الْآنَا مُ ، أَلَيْسَ أَنْحَرَهُ الْقُبُورُ

(٤٨٣)

وقال :

أَرَى الْعَيْنَ تَسْتَحْلِي الْكَرَى ، وَأَمَامَهَا كَرَى لَيْسَ تَقْضِيهِ إِلَى دَاعِي الْحَشْرِ
وَلَيْسَ يَنَامُ الْخَائِفُونَ ، فَالْهَا تَنَامُ عَلَى عَظِيمِ الْخَافَةِ وَالذَّعْرِ

(١) روى هذا الشعر في كتاب الروتين ١ : ١٢٧ ، وقد ذكر أن أسامة كتب هذا الشعر بمدينة صور حين دخل دار ابن أبي عقيل محمد بن عبد الله بن عياض صاحب صور ، فقرأها تهديت ، وتغير زخرفا ، فكتب هذه الأبيات على لوح من رخام .

(٤٨٤)

وقال :

دنيائى ناشِرةٌ^(١) ، فإن فارقتها طوعاً ، وإلا فارقتى كإِرها
 إنّا لنُنْكَرُ سوءَ عاقبةِ الورى فيها ، ونَهْوَها على إِنْكَارها
 كُلُّ بِها كَلَفٌ ، ومن يزهد يكن فى زُهْدِه متكلفاً مُتْكَارها
 أَذْكَرْتُ نَفْسِي مَضْرَعِ الآباءِ من قَبْلِ ، فَمَا أَصْغَتْ إلى إِذْكَارها
 وَعَجِبْتُ مِنْها ، كَيْفَ لم يَجِرِ الذِّى خُلِقَتْ لَهُ يَوْمًا على أَفْكَارها
 وَالْمَوْتُ إِن لم يَأْتِ فى إِمْسائِها وَافَى مع الإِصْباحِ فى إِبْكَارها
 وَأَمَامَها السَّفَرُ البَعِيدُ ، وَقَطَعَهُ بِالسِّرِّ ، لا يَقْرُومُها^(٢) وَبِكَارها^(٣)
 وَالدَّهْرُ يَطْرُقُ بِالْخَطُوبِ ، وَمَالَنَا بِعَوَانِها^(٤) أَيْدٍ ، ولا أَبْكَارها
 وَالتُّرْبُ أَوْكَارُ الأَنامِ ، وَكُنَّا كالطَّيْرِ ، رائحةً إلى أَوْكَارها

(٢٨٥)

وقال . وكتبها على حائطِ مسجدِ سَبْرينَ ، بظاهِرِ مدينةِ حلب^(٥)

لَكَ الحمدُ يا مولاى . كَمْ لَكَ مِنَّةٌ عَلَى ، وَفَضلاً^(١) لا يَقومُ به شُكْرى
 نَزَلَتْ بِهَذَا المَسْجِدِ العَامَ قَافِلاً من الغَزْوِ ، موفورَ النَّصِيبِ من الأَجْرِ

(١) نَشَرَتْ المِراة : اسْتَحْت على رُوجِها .

(٢) القِرم : بِالْفَتْحِ الفِعلُ ، وَجَمْعُهُ قِروم .

(٣) البِكرةُ بفتح وسكون ويحرك : الجَماعةُ الفَتيةُ من الإِبِلِ ج بَكَار .

(٤) العِوانُ من النِّساءِ : من كانَ لَهَا زَوْجٌ . وَالْأَيْدِ : الشِّدةُ والقُوَّةُ .

(٥) روى هذا الشَّعرُ فى الرُّوضَتَيْنِ ١ : ٢٧٠ ، وَقَدْ كَتَبَها أَسَاعةُ سَنَةِ ٥٥٧ هـ .

(٥) هذه رواية الأَصلِ فى الرُّوضَتَيْنِ " وَفَضْلٌ " .

ومنه رحلت العيس في عالمي الذي مضى نحو بيت الله ذي الركن والحجر
فأذيت مفروضي، وأسقطت نفل ما تحملت من وزر السن على ظهري

(٤٨٦)

وقال :

أيها الظالم ، مهلاً أنت بالحاكم غر
كل ما استعذبت من جورك تعذيب وجر
ليس يلقي دعوة المظلوم دون الله ستر
خف الله ، فإني يخفي عليه منه سر
يجمع الظالم والمظلوم بعد الموت حشر
حيث لا يمنع سلطان ، ولا يسمع عذر
أو ما ينالك عن ظلمك موت ، ثم قبر
بعض ما فيه من أهوال فيه لك زجر

قافية الطاء

(٤٨٧)

وقال :

الناس كالطير ، والدنيا شباكهم وهم بها بين ركاض ومخبط^(١)
والموت قناصهم ، يأتي على مهل إهلكهم بين مذبوح ومغبط^(٢)

(١) الخبط - السير على غير هدى . (٢) اعتبط الذبحة : نحرها من غير علة ، وهي سمية قبة .

وقد شُغِنَا بِدُنْيَانَا وَزُخْرِهَا فَالْخَلْقُ مَا يَنْ مَحْزُونٍ وَمُعْتَبِطٍ
هَذَا يُسْرٌ بِحَالٍ لَا تَدُومُ ، وَذَا يَبْكِي عَلَى الْقَوْتِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْقَرْطِ
وَلَيْسَ يَسْوَى ^(١) الَّذِي نَالَ الْمُلُوكُ مِنَ الدَّ نِيَا ، فَدَعَّ غَيْرَهُمْ ، كَفًّا مِنَ الْعَبْطِ ^(٢)

(٤٨٨)

وقال :

مَا زِلْتُ فِي غِبْطَةٍ عَيْشِي عَالِمًا أَن سَيُزُولُ بِالْهَمِّ مَا غَبَطَ ^(٣)
وَأَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يَأْتِي بِالَّذِي سَاءَ اعْتِمَادًا ، وَبِمَا سَرَّ غَاظَ
بَيْنَا الْقَتَى تَعَلُّوْا بِهِ جُدُودَهُ إِذْ أَسْلَمَتْهُ لَارْزَايَا ، فَهَبَطَ
حَتَّى يَرْقَ حَاسِدٌ لِحَالِهِ مِنْ بَعْدِ مَا تَأَفَّسَ فِيهَا ، وَغَبَطَ ^(٤)

قافية العين

(٤٨٩)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ الْمَعْتَرِّ ^(٥) وَالْقَانِعِ وَابْنِ السَّبِيلِ النَّازِعِ النَّازِعِ ^(٦)
أَنَّ النَّدَى قَدَمَاتِ ، فَاسْتَعْصِمُوا بِالْيَاسِ ، مِنْ دَانٍ ، وَمَنْ شَاسِعِ

(١) يسوى : يساوى . (٢) العبط : البعر اليابس القديم .

(٣) غبط : مر . والغبطة : النعمة والسرور .

(٤) غبط هنا بمعنى حسد ، يقال غبط الرجل يغبطه غبطاً وغبطة : حسده .

(٥) المعتَر : الضيف الزائر ، والمتعرض للسؤال من غير طلب . (٦) النازع : المشتتا

لا يَبْذُلْنَ ذُو فَاقَةٍ وَجْهَهُ لَذِي ثَرَاءٍ بَاخِلٍ بِأَخِيعٍ^(١)
 ما يَظْفَرُ الرَّاجِي نَدَى كَفَّهُ بغيرِ ذُلِّ الخاشعِ الخاضِعِ
 هل يَنْفَعُ الظَّامِي إِذَا مَا طَمَأَ أَجَاجُ بَحْرِ لَيْسَ بِالنَّاقِيعِ^(٢)
 لله دَرُّ الْيَاسِ مِنْ نَاصِجٍ لَيْسَ بِغَرَّارٍ ، وَلَا خَادِعٍ
 وَلَا سَقَى الْأَطْعَامِ صَوْبُ الْحَيَا فَإِنَّهَا مَهْلَكَةُ الطَّامِعِ
 لَا تَرْجُونَ خَلْقًا ، فَكُلُّ الْوَرَى يَقْبِضُ كَفَّ الْمَانِعِ الْجَامِعِ
 وَمَا حَوَتْ أَيْدِيهِمْ فَهَوَ فِي مِثْلِ لَمَآةٍ^(٣) الْأَسَدِ الْجَائِعِ
 قَدْ سَمِعُوا بِالْجُودِ ، لَكِنَّهُ لِبِخْلِهِمْ مَا لَدَّ لِلْسَّامِعِ
 وَكَثْمُهُمْ إِنْ أَنْتَ كَشَفْتَهُمْ مِثْلُ سَرَابِ الْقَيْعَةِ^(٤) اللَّامِعِ
 فَدَعُهُمْ ، وَاطْلُبْ مِنْ اللَّهِ مَا ضَنَوَا بِهِ : مِنْ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ
 فَمَا لِمَا يَقْطَعُ مِنْ وَاصِلٍ وَلَا لِمَا يُوْصِلُ مِنْ قَاطِعِ
 قَدْ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ الْوَرَى فِي مُتَعَبٍ سَاجٍ ، وَفِي وَادِعِ
 كَثْمُهُمْ يَأْتِيهِ مِنْ رِزْقِهِ كَفَايَةً ، لَوْ كَانَ بِالقَانِعِ
 لَكَثْمُهُمْ مِنْ حِرْصِهِمْ قَدْ عَمُوا عَنِ الطَّرِيقِ الْمُهْمِيعِ^(٥) الشَّارِعِ
 لَوْ أَيْقَنُوا أَنَّ لَهُمْ رَازِقًا لَيْسَ لِمَا يُعْطِيهِ مَنْ مَانِعِ
 وَلَا لِمَا يَرْفَعُ مِنْ خَافِضٍ وَلَا لِمَا يَخْفِضُ مِنْ رَافِعِ
 مَا طَلَبُوا مِنْ غَيْرِ مُعْطٍ ، وَلَا دَعَوْا إِذَا اضْطَرُّوا سِوَى السَّامِعِ

(٢) الناقع : القاطع للعطش .

(٤) القاع : أرض مهلهة مطمئة انخرجت عنها الجبال

(٥) المهيع : البين .

(١) الباخع : المبالغ ، يريد المفرط في البخل .

(٣) اللامعة : اللوعة المشرقة على الخلق .

والآكام ، ج قيع ، وقعة وقيعان .

وقال :

أَيُّهَا الْغَافِلُ ، كَمْ هَذَا الْهَجُوعُ أَعَانَ الدَّاعِيَ ، فَهَلْ أَنْتَ سَمِيعُ
أَنْتَ عَمَّا هُوَ آتٍ غَافِلُ وَكَأَنَّ قَدْ فَاجَأَ الْخَطْبُ الْقَطِيعُ
نَحْنُ فِرْعُ لَأَصُولٍ ذَهَبَتْ كَمْ تُرَى مِنْ بَعْدِهَا تَبْقَى الْقُرُوعُ
وَزُرُوعُ لَلنَّايَا ، حُصِدَتْ بِيَدِهَا قَبْلَنَا مِنْ زُرُوعُ
بَادِرِ الْخَوْفِ ، وَقَدِمَ صَالِحًا مَا لِمَنْ مَاتَ إِلَى الدُّنْيَا رُجُوعُ
نَحْنُ سَفَرٌ سَارِمًا سَلَفُ وَعَلَى آثَارِهِمْ يَمْضِي الْجَمِيعُ
وَالِى الْمُورِدِ مِيعَادُهُمْ يَلْتَقِي فِيهِ بَطْئٌ وَسَرِيعُ
أَمَّنَا الدُّنْيَا رَقُوبٌ^(١) ، يَسْتَوِي عِنْدَهَا فِي الْفَقْدِ كَهْلٌ وَرَضِيعُ
مَا رَأَيْنَا نَاكِلًا مِنْ قَبْلِهَا مَا لَهَا فِي إِثْرِ مَفْقُودٍ دُمُوعُ
كَثْنَا مِنْهَا ، وَمَنَّا كَثُهَا فَهِيَ لَا تَشْعُ أَوْ نَحْنُ صَرِيعُ
بِئْسَ الْأُمُّ رَمَتْ أَوْلَادَهَا بَرَزَايَاهَا ، أَلَا بِئْسَ الصَّنِيعُ
مَا هَنَاهُمْ فَوْقَهَا نَوْمُهُمْ فَهَمُّ فِيهَا إِلَى الْحَشْرِ هُجُوعُ
أَبْدًا تَجْفُو عَلَيْنَا ، وَلَنَا نَحْوَهَا الدَّهْرُ حَيْنٌ وَزُرُوعُ
هِيَ لَيْلَى ، وَالْوَرَى أَجْمَعُهُمْ قَيْسُهَا ، كُلُّ بِهَا صَبٌّ وَوُوعُ
جَدٌّ يَامْطُوبُ ، مِنْ جَدِّ نَجَا إِنَّ ذَا الطَّالِبِ مِدْرَاكُ تَبُوعُ

(١) رَقُوبٌ : لَا يَنْقُضُهَا وَلَدُ .

ليس يُجَبِّىَ الجُحْلُ الجُرَّارُ من يده الطُولى ، ولا الحصنُ المنيعُ
يأخذُ السلطانَ ذا الجمعِ ، فلا يدفعُ السلطانُ عنه ، والجموعُ
ليسَ يرعى حرمةَ الجارِ ، ولا ينقذُ الشَّاسِعَ فى البُعدِ الشُّسُوعُ^(١)
ما مع السَّبعينَ تسويفُ ، فلا ينجذعُكَ الأملُ . اِرهى الخدوعُ
قد تَحَمَّلتَ على ضعفِكَ من نفلِ أوزارك مالا تَسْتَطِيعُ
وتَقصَّتْ^(٢) عنكَ أيامُ الصُّبا وعلى مفركِ الشَّيبِ الشُّنُيعُ
ثم أفضتَ مدَّةَ الشَّيبِ إلى هريم يُعقبه الموتُ الدَّرِيعُ
صَوَّحَ^(٣) المرعى ، فاذا ترتجى بعد ما صَوَّحَ مرعاك المَرِيعُ^(٤)
هل ترى إلَّا هشيمًا ذاويا نجتويه^(٥) العينُ إن ولَّى الربيعُ

تافية القاف

(٤٩١)

وقال ، وقد تتابعت الزلازل بجماة^(٦) .

أياها الغافلونَ عن سكرةِ الموتِ ، وإذ لا يسوغُ فى الخلقِ ريقُ
كَمَ إلى كَمَ هذا التَّشاغلُ والغفلةُ ، حارَ السَّارى ، وضلَّ الطريقُ
إنَّما هزَّتِ الزلازلُ هذى الأَرْضَ ، بالغافلينَ ، كي يَسْتَهَيِّقُوا

(١) الشُّسُوعُ : البعد . (٢) من الفصو وهو البعد . (٣) صَوَّحَ : جف .

(٤) المَرِيعُ : الخصب . (٥) اجتواه : كره .

(٦) كان ابتداء هذه الزلازل ، كافى الروميين (١ : ١٠٥) فى شهر رجب سنة إحدى ، وخمسين وخمسة مائة ، وذلك بها نحو من عشرة آلاف نسمة .

قافية الكاف

(٤٩٢)

وقال :

سلوتُ عن صَبَوَاتٍ كُنْتُ ذَا شَعْفٍ بها ، ومِلْتُ إلى الإِخْبَاتِ^(١) والنُّسُكِ
لكنْ لِقَلْبِي مِنْ تَذْكَارِهَا قَلَقٌ وزَوْءٌ ، كاخْتِبَاطِ الطَّيْرِ فِي الشَّرَكِ
هَذِي عَقَابِيلُ^(٢) دَاءٌ ، كَانَتْ يَمِطُّنِي ولمْ أزلْ مُشْعِمًا مِنْهُ عَلَى الْهُلُكِ
حَتَّى إِذَا الشَّيْبُ رَدَّانِي تَصَرَّمَ ذَا لَكَ الدَّاءُ عَنْ شَانِبِ الْفُودَيْنِ مُحْتَكِ^(٣)

قافية اللام

(٤٩٣)

وقال :

أرى الموتَ يَسْتَقْرِئُ^(١) النَّفُوسَ ، وَلَا أَرَى سِوَى مَا نَجَى مَافِي يَدَيْهِ بِخَيْلِ
فِيَا عَجَبًا لِلْبَاخِلِينَ ، وَإِنَّمَا قَلِيلُهُمْ لِلْإِرْثِ بَعْدَ قَلِيلِ

(١) الإِخْبَات : الخُضُوعُ لِلَّهِ وَالْخُشُوع . (٢) الْعَقَابِيل : بقايا العلة .

(٣) حَكَتِ الدَّنْ وَحَكَتِ الْأُمُور : عَادَ مَجْرِبًا فَاحْتَكَ ، وَرَجَلَ مَحْنَكًا وَمَحْنَك .

(٤) يَسْتَقْرِئُ : يَتَنَجَّى .

قافية الميم

(٤٩٤)

وقال :

إذا ما عرّا مالا أطبقُ دَفَاعَه وأرْمَضَنِي^(١) الْفَكْرُ الْمَسْهَدُ^(٢) وَالْهَمُّ
دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ مُوسَى لِدَفْعِ مَا يَحَازِرُ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَانْفَرَقَ الْيَمُّ^(٣)
وَنَادَيْتُ مَنْ نَادَاهُ ذُو النَّوْنِ وَائِقًا بِهِ فِي ظِلَامِ الْبَحْرِ، فَانْكَشَفَ الْغَمُّ^(٤)

(٤٩٥)

وقال من قصيدة تقدمت^(٥) :

فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارٌ سِوَى جَنَّةِ عَدْنٍ ، أَوْ لَطَا تَضَرَّمُ^(٦)
وَالْمَوْعِدُ الْحَشْرُ، وَتُجْزَى عَنِ الْأَ عَمَالٍ ، وَالْغَبْنُ لِمَنْ يَنْدُمُ
وَيُنْصَفُ الْمَظْلُومُ مِنْ خَصْمِهِ وَيَسْتَوِي السُّلْطَانُ وَالْمُعْدِمُ
وَيُشَخَّصُ الْخَلْقُ إِلَى حَاكِمٍ يُحْكَمُ فِيهِمْ بِالَّذِي يَعْلَمُ
وَلِلَّيَالِي وَاعْظُ صَامِتٌ يُسْمَعُنَا ، لَوْ أَنَّنَا نَقْهَمُ
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا نِيَامٌ، وَمَا أَسْرَعَ مَا يَسْتَبْقِظُ النَّوْمُ
وَيَقْدَمُ الْخَلْقُ عَلَى وَزْرِ مَا تَقَلَّدُوا أَوْ أَجَرِ مَا قَدَّمُوا

(١) أَرْمَضَهُ : أَوْجَعَهُ وَأَحْرَقَهُ . (٢) الْمَسْهَدُ : الْمَوْزُق .

(٣) راجع القرآن الكريم سورة الشعراء، الآية ٦٣ . (٤) راجع القرآن الكريم سورة الأنبياء، الآية ٨٧ و ٨٨ .

(٥) لعل أول القصيدة قوله ، مَا أَنْصَفُوا فِي الْحَبِّ إِذْ حَكَمُوا... راجع القطة (٩١) ص ٤٤ .

ثم انتقل من الغزل إلى المديح فقال : ومير إلى بحر خضم له... راجع القطة (٣١٨) ص ١٩٣ .

(٦) ضَرَمَ كَفَرَح . اشْتَدَّ حَرَهُ .

(٤٩٦)

وقال في الزلازل المتتابعة بحماسة^(١) :

نمنا عن الموت والمعاد، فأصبحنا نَظُنُّ اليقينَ أحلاماً
فحزكتنا هذى الزلازلُ أنْ تيقظوا ، كم ينأى من نأما

(٤٩٧)

وقال .

فروض الأمر راضياً جف بالكائن القلم
ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
دل رزق الضعيف وهو كالحم على وضم
وافتقار القوي ترهبه الأسد في الأجم
أنت للخلق خالقاً لا مردُّ لك حكم

(٤٩٨)

وقال .

أوبقت^(٢) نفسك يا ظلو م بما احتقت^(٣) من المظالم
أظننت أن المال لا يفنى ، وأن الملك دائم
ميهات ، أنت وما جمعت كلاً كما أحلام نائم

(١) انظر ما سبق ص ٢٨٧ .

(٢) أوبى : أهلك .

(٣) احتقت : اذخر .

تَفْنِي ، وَيَفْنِي ، وَالَّذِي يَبْقَى الْخَطَايَا وَالْمَأْتَمُ
وَعَدًا يُنَاقِشُكَ الْحَسَابَ عَلَى الْحَقِيرِ مِنَ الْجَرَائِمِ
مَلِكٌ تُنَاجِيهِ الْقُلُوبُ بُ مِنْ الذُّنُوبِ بِمَا تُكَاتِمُ
عَدْلُ الْقَضَاءِ ، بِكُلِّ مَا تُخْفِي صُدُورُ الْخَلْقِ عَالِمٌ .

(٤٩٩)

وقال :

مَاذَا الْوُقُوفُ عَلَى دَارٍ بِذِي سَلَمٍ عِجَاءً ، أَوْ قَدْ عَرَاهَا عَارِضُ الْبَكَمِ
أَحَالَهَا الدَّهْرُ عَمَّا كُنْتَ تَعَهَّدُهُ وَغَالٍ مُسْتَوِطِنِهَا غَائِلُ الْأُمَمِ
حَتَّى لَقَدْ أَظْلَمْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَلَقَدْ غَنَوُا^(١) بِهَا ، وَهُمْ الْأَقَارُ فِي الظُّلَمِ
بَلُّوا كَمَا بَلَيْتَ آثَارُهُمْ ، وَلَكُمْ أُنْبِئِي دِيَارًا وَأَهْلًا سَالَفُ الْقَدَمِ
أَمَلِي الزَّمَانُ لَهُمْ حِينًا ، وَغَرَّهِمْ مَا خُوِّلُوهُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَدُمْ^(٢)
مَضُوءًا ، وَمَا اسْتَصْحَبُوا مَالًا وَلَا نَعَاءً وَنُوقِشُوا عَنْ حِسَابِ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
لَمْ يَخْصُلُوا حِينَ وَاقَاهُمْ حِمَامُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى النَّدَمِ
وَصَبُوءُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا وَشُغْلُهُمْ عَمَّا سَبَقَ بِمَا يَفْنِي مِنَ اللَّحْمِ^(٣)

قافية النون

(٥٠٠)

وقال :

لَا تَغِيظُنْ أَهْلَ بَيْتِ سَرَّهْمُ زَمْنٌ فَسَوْفَ يَطْرُقُهُمْ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ
يُعِيرُهُمْ كُلُّ دُنْيَاهُمْ ، وَيَنْهَبُ مَا أَعَارَهُمْ بِيَدِ الْآفَاتِ وَالْمَحَنِ

(١) غنى بالمكان كرمى : أقام به .

(٢) أمل له في غيه : أطال وأمهل . وغرَّوه : أعطوه .

(٣) الم : الجنون .

حتى يروحوا بلا شيء ، كما خلِقُوا كأنَّ ما خُوِّلوه أمِس لم يكن
لا يصحبُ المرءَ مما كان يملكه في ظُلمةِ اللحدِ إلَّا خِرقةُ الكفنِ
يُسْتَنْزَعُ المالُ منه ، ثم يُسألُ عن جميعه ، يالها من حَسرةِ الغَيبِ^(١)

قافية الهاء

(٥٠١)

وقال^(٢) :

أيُّها المغرورُ ، مهلاً بلَغَ العُمُرُ مداهُ
كَمْ عَسَى من جاوزَ السَّبعينَ يبقَى ، كم عساهُ
أُنْسِبَتَ اللهُ^(٣) ، أم أَمَّسَكَ اللهُ لُظَاهُ
[تَظَلُّمٌ]^(٤) النَّاسَ لِمَن تَرجوه ، أو تُخَشَى سُطَاهُ
أَنْتَ كالتَّنُّورِ : يَصِلَى النَّارَ في نَفْعٍ سِوَاهُ

(٥٠٢)

وقال :

أَفِ لِلدُّنْيَا ، فَمَا أَوْبَا^(٥) جَنَاهَا لَيْسَ يَخْلُو مَنْ رَأَاهَا مِنْ أَذَاهَا
خَدَعْتَنَا بِأَبَاطِيلِ الْمُنَى فَارْتَكَسْنَا^(٦) فِي هَوَانَا لِهَوَاهَا
وَاسْمًا لَتَنَا بِوَعْدٍ كَاذِبٍ فَتَمَسَّكْنَا بِوَاهٍ مِنْ عُرَاهَا

(٢) رويت هذه القطعة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

(٤) سقط بالأصل والتكلمة من الخريدة .

(٦) ارتكس : انتكس ووقع .

(١) غيبه غيبنا ويحرك : خدعه .

(٣) في الخريدة « أنسبت الموت » .

(٥) وبشت الأرض : كثرفها المرض .

وَعَدْتَنِي بِاللَّهِ ^(١) لِأَهِيَةٍ فَاشْتَغَلْنَا بِتَقَاضِينَا لَهَا مَا
 وَهِيَ إِنْ جَادَ بَنَزَرَ بِوَمُهَا غَدَا مُسْتَرْجِعٌ نَزَرَ جَدَاهَا ^(٢)
 يَنْسِتُ الْأُمُّ رَقُوبٌ ^(٣) أَكْثَرَتْ وَلَدَهَا ، ثُمَّ رَمَتْهُمْ بِقِلَاحَا ^(٤)
 وَغَدَا تَنْقُلُنَا مِنْهَا إِلَى مُظْلِمِ الْأَرْجَاءِ ضَنْكَ ^(٥) مِنْ ثَرَاهَا
 وَالَّذِي يَتَّبِعُنَا مِنْ سُخْتِهَا ^(٦) تَبَعَاتٌ مُوْبَقَاتٌ ^(٧) مِنْ شَذَاهَا ^(٨)
 وَتَحْوزُ الْمَالَ بِالْإِثْرِ ، وَمَا حَازَتْ الْمِيرَاثَ مِنْ أُمِّ سِوَاهَا
 فَإِذَا اللَّهُ رَعَى وَالِدَةً ذَاتَ بَرٍّ وَحَنٍ ، لَا رَعَاهَا
 أوردتنا النَّارَ ، لَا مَأْوَى لَنَا مِنْ لَظَاهَا ، وَيَحْ مِنْ يَصَلَى لَظَاهَا
 أَمَرْتَنَا بِالْمَعَاصِي ، فَإِذَا وَفَّقَ اللَّهُ امْرَأً مِنْهَا عَصَاهَا
 آه مِنْ تَفْرِيطِنَا ، شُغْلًا بَهَا عَنْ فَعَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ ، آهًا

(١) اللّٰه : العطايا . (٢) الجدا : العطية . (٣) الرقوب : التي لا يبق لها ولد .
 (٤) القلى : البغض . (٥) الضنك : الضيق .
 (٦) السحت : ما عبت من المكاسب فلم عنه الدار . (٧) موبقات : مهلكات .
 (٨) الشذى : الأذى . (٩) صلى النار : قاسى حرها . والاطى : لمب النار .

باب المراثي

قافية الباء

(٥٠٣)

قال :

قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ ، لَكِنْ خِلْتُهُ مَثَلًا : أَنْ اللَّيَالِي يَصْدُنُ الصَّبْرَ بِالْخَرْبِ^(١)
وَأَنْ أُبْدِيَهَا شِلَّتْ ، وَلَا انْبَسَطَتْ إِذَا صَرَبَتْ كَسْرُنَ النَّبْعِ^(٢) بِالْغَرْبِ^(٣)
حَتَّى رَأَيْتُ النَّعَامَ الرُّبْدَ^(٤) قَدْ قَتَلَتْ اسْدَ الْعَرِينِ ، فَيَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ
كَأَنَّ سَقَبَ^(٥) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، فَمَاتُوا جَمِيعًا جِيرَةَ الصَّقَبِ^(٦)
لَمْ تُغْنِ نَجْدَتُهُمْ^(٧) ، إِذْ حَانَ^(٨) يَوْمُهُمْ عَنْهُمْ ، وَلَمْ تَحْمَهُمْ مِنْ سَطْوَةِ النَّوْبِ

(٥٠٤)

وقال ، وكتب بها من مصر إلى أخيه عز الدولة ، وقد ماتت له بنتٌ بشير ، وهو غائب عنها بدمشق ، وأعمامها وأخوها غيب :

وَيَحِ الْغَرِيبَةَ ، وَالْدِّيَارُ دِيَارُهَا لَمْ تَرْتَحِلْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَتَغَرَّبِ
مَاتَتْ غَرِيبَةً وَحْدَةً : مِنْ تَرِبِهَا وَشَقِيقِهَا ، وَمِنْ الْعُمُومَةِ ، وَالْأَبِ
فَهِيَ الْوَحِيدَةُ ، وَالْأَقَارِبُ حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَعِيدَةُ فِي الْمَحَلِّ الْأَقْرَبِ
فَإِذَا تَضَرَّعَ^(٩) فِي الْجَوَانِحِ ذِكْرُهَا قَالَ الْأَسَى : يَا عَيْنُ اسْكُنِي

(١) الحرب محركة : ذكر الحباري . والشطر مقبوس من المنبي .

(٢) النبع : شجر للقي وللسهام بنبت في قلة الجبل .

(٣) الغرب بالتحريك : شجر . وهو مقبوس من المنبي أيضا .

(٤) الربد بالضم : لون إلى الغبرة . (٥) السقب : ولد الناقة .

(٦) الصقب : القرب . (٧) النجدة : الشجاعة .

(٨) حان : جاء وقتهم . (٩) تضرعت النار : اشتعلت .

(٥٠٥)

وقال في ولده أبي بكر ، وقد توفي صغيرا :

لَهَفَ نَفْسِي لِـهَلَالِ طَالِحٍ ما اسْتَوَى فِي أَفَقِهِ حَتَّى غَرَبَ
لَوْ رَأَى مَا حَلَّ بِي مِنْ بَعْدِهِ مِنْ هُمُومٍ غَشِيَتْنِي وَكُرْبَ
لَبَكَّى لِي نَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَبَكَاءِ الْمَيِّتِ لِلْحَيِّ عَجَبَ
أَنَا مَيِّتٌ مِثْلُهُ ، لَكِنَّهُ مُسْتَرِيحٌ ، وَمَمَاتِي فِي تَعَبِ

(٥٠٦)

وقال :

يَا نَفْسُ ، أَيْنَ جَمِيلُ صَبٍ بِرِكَ حِينَ أَطْرُقُكَ الْخُطُوبُ
أَيْنَ احْتِمَالِكَ مَا تَكَا دُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ تَذُوبُ
وَبَاتُ جَاشِكَ حِينَ تَضْطَرُّ الْجَوَانِحُ وَالْقُلُوبُ
مَاذَا دَهَاكَ ، إِلَى مَنْ هَذَا التَّأْسُفُ وَالنَّحِيبُ
كَيْفَ اسْتَرْلَكَ^(١) بَعْدَ صَدِّ قِ يَقِينِكَ الْأَمَلُ الْكَذُوبُ
أَرْجَوْتُ أَنْ سَيَّرُدُّ مَنْ غَالِ الرَّدَى دَمْعُ سَكُوبُ
أَمْ خِلْتُ أَنَّ نَوَائِبَ الدُّ نِيَا لَغَيْرِكَ لَا تَنُوبُ
هِيَاةً ، كُلَّ الْخَلْقِ مِنْ نَجَابَتِهَا لَهُمْ نَصِيبُ
وَبِكَلِّ قَلْبٍ مِنْ حَوَا دِهَا ، وَأَسْمُهَا تَذُوبُ^(٢)
مَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لَهُ حَيَبُ

(١) زلت قدمه : زلقت . واستزله غيره .

(٢) تذوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

لكن يُسَلِّى النَّفْسَ أَنْ لَحَاقَنَا بِهِمْ قَرِيبٌ
وإليهم ، من بَعْدِ غَيْبِهِمْ ، وإن طالت ، نَتُوبُ

(٥٠٧)

ومن قصيدة الملك الصالح المتقدمة^(١) :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارِ مِنَ السُّكَّانِ أَقْوَتْ^(٢) ، فَلَيْسَ فِيهَا عَرِيبٌ^(٣)
وَلَكَمْ حَاطَهَا ، فَأَنْسَتْهُ أَوْطَا نَ صِبَاهُ وَالْأَهْلَ يَوْمًا ، غَرِيبٌ
فَاحْتَسَبَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مَجْدَ الدِّينِ ، وَاصْبِرْ ، فَالْحَادِثَاتُ ضُرُوبُ
هَكَذَا الدَّهْرُ : حَكْمُهُ الْجَوْرُ ، وَالْقَصْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ ، وَالْمَحْبُوبُ
إِنْ تَخَصَّصْكُمْ نَوَائِبُ مَا زَا لَتْ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَتُوبُ
فَكَذَاكَ الْقَنَاءُ : يُكْسِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْهَا صَدْرٌ ، وَتَبْقَى كُعُوبُ

قافية التاء

(٥٠٨)

وقال :

يَا دَهْرُ ، كَمْ هَذَا التَّفَرُّ قُ ، وَالتَّغَرُّ ، وَالشَّتَاتُ
أَبْدًا عَلَى سَيْرِ كَأَنَّ الشَّمْسَ ، لَيْسَ لَهَا ثَبَاتُ
مَتَقَلَّلُ الْعَزَمَاتِ كَالْمَطْلُوبِ أَفْرَقَهُ^(٤) الْبَيَّاتُ
نَاوٍ عَنِ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْطَانِ ، وَالْأَتْرَابِ^(٥) مَاتُوا

(٢) أقوت الدار : خلت .

(١) راجع ص ١٥٣ و ١٦٤ .

(٣) ما فيها عريب : ما فيها أحد . (٤) أفرقه : أفرقه . (٥) الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد ملك .

وَلَيْسَ عَيْشُ الْمَرْءِ قَا رَقَهُ الْأَحِبَّةُ وَاللَّدَاتُ
فَالْأَمَّ أَشَقَى بِالْبَقَا ، وَكَمْ تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ

قافية الراء

(٥٠٩)

وقال في ولده أبي بكر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو رَوْعِي^(١) وَرَزِيَّتِي وَحُرْقَةَ أَحْشَانِي لَفَقْدِ أَبِي بَكْرٍ
خَلَا نَظَرِي مِنْهُ ، وَكَانَ سَوَادَهُ وَلَمْ يَخُلْ مِنْ حَزْنِي وَوَجَدِي بِهِ صَدْرِي
خَشِبْتُ عَلَيْهِ الْيَتَمَ ، لَكِنَّ مُثْلَهُ وَلَوْعَتَهُ لَمْ يَخْطُرَا لِي عَلَى فِكْرِي
فِيالْيَتَمَ لَاقَى الَّذِي كُنْتُ أَخْتَشِي عَلَيْهِ ، وَأَتَى دُونَهُ صَاحِبُ الْقَبْرِ
فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَهُ لِي رَاحَةٌ فَيَا طَوَّلَ حَزْنِي إِنْ تَطَاوَلَ بِي عُمْرِي
وَلَمْ تُسَلِّنِي الْإَيَّامُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا سُلِّوِي بِمَا أَرْجُو مِنَ الْأَجْرِ فِي الصَّبْرِ

(٥١٠)

وقال فيه :

أُعَاتِبُ فِيكَ الدَّهْرَ ، لَوْ أَعْتَبَ^(٢) الدَّهْرُ وَأَسْأَلُ عَنْ نَهْجِ السُّلُوكِ ، وَقَدْ بَدَأَ
وَأَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ ، وَلَا صَبْرُ وَكَيْفَ التَّسْلِي ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
لَعَنِي ، إِلَّا أَنْتَ مَسْلَكُهُ وَرَمْتَنِي فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ نَكْبَةً
إِذَا مَا انْقَضَى أَمْرٌ يَسُوءُ أَمْرُ عَلَى حِينِ أَقْفَى الدَّهْرُ قَوْمِي ، وَاتَزَلَّ
لَهُمْ ذِرْوَةُ الْعِلْيَاءِ وَالْعَدَدُ الدَّيْ^(٣)

(١) الروعة : الفزع .

(٢) أعتب : أعطى العني ، وهي الرضا

(٣) الدر : الكثير من كل . . .

إذا حاربوا فالأسدُ محمى عرينها
تُبَيْحُ وتُحْمَى منذ كانت سيوفهم :
مَضَوْا ، وانطَوَّتْ دُنْيَاهُمْ ، وتَصَرَّمتْ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُمْ ، وتَأَسَّفِي
وأصبحتُ لا آلَ يُلبونَ دعوتي
كأني من غير الترابِ ، فليس لي
رُزْتُ أَبَا بَكْرٍ ، على شَغَفِي به
لِسِجٍ مَضَتْ من عُمرِهِ ، غَالَهُ الرَّدَى
وَقُلْتُ : عَتِيقٌ من خُطوبِ زِمَانِهِ
فَعَاجَلَهُ قَبْلَ التَّامِ حَامُهُ
وَيَأْمُرُنِي فِيهِ الْأَخِلَاءُ بِالْأَمَى ^(١)
يَقُولُونَ : كَمْ هَذَا الْبَكَاءُ ، وَلَوْ بَدَأَ
وَكُنْتُ أَظُنُّ الدَّمَعَ يُرِيدُ غُلِّي
أَبَا بَكْرٍ ، مَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِمَنْقُضٍ
أُطَلَّتْ عَلَى اللَّيْلِ ، حَتَّى كَانَمَا
وَإِنِّي لَأَسْتَدْعِي الْكَرَى ، وَهُوَ نَافِرٌ
أَعْلَ خَيْالاً مِنْكَ يَطْرُقُ مَضْجَعِي
تُمِثِّلُكَ الْأَفْكَارُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ

وإن سالموا كان التَّبْتُلُ والدِّكْرُ
يُبَاحُ بها تَغَرُّ ، وَيُحْمَى بها تَغَرُّ
كَأَنَّهُمْ مَا عُمُرُوا ، وَلَهَا نَشْرُ
عَلَيْهِمْ ، وَلَنْ يَبْقَى النَّاسُفُ ، والدِّكْرُ
ولا وطنٌ آوَى إِلَيْهِ ، وَلَا وَفَرُ
من الأرضِ ذَاتِ العَرَضِ دُونَ الْوَرَى شِيرُ
فِيَا لَهْفَتَا ، مَاذَا جَنَى الْحَادِثُ الْبَكْرُ
وَكُنْتُ أُرِحِّي أَنْ يَطُولَ بِهِ الْعُمُرُ
عَتِيقٌ بِهَذَا يَنْخَبِرُ الْفَالُ وَالزَّجْرُ
وَلَا عَجَبٌ ، قَدْ يُخَصِّدُ ^(١) الْغُصْنُ النَّصْرُ
وَهِيَّاتَ ، مَالِي بِالْأَمَى بَعْدَهُ خَبْرُ
ضَمِيرُ الَّذِي لِي ، رَقَّ لِي ، وَبَكَى الصَّخْرُ
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي أَنْ دَمَعَ الْأَمَى بِحَرِّ
طَوَالَ اللَّيَالِي ، مَا انْقَضَى الْيَوْمُ وَالشَّهْرُ
زَمَانِي لَيْلُ كُلِّهِ ، مَالَهُ بِحَرِّ
بِهِ مِنْ جُفُونِي أَنْ يَلِمَ بِهَا دُعْرُ
فَاشْكُوا إِلَيْهِ مَا رَمَانِي بِهِ الدَّهْرُ
وَتَوَنَّنِي أَشْبَاهُكَ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ

(١) خَصَّصَ الْوَدَّ : كَسَرَهُ .
(٢) جَمْعُ أَمْوَةٍ : وَهِيَ الْقُدْرَةُ .

إِذَا بَلَغَ بِي شَوْقُ أُتَيْتَكَ زَائِرًا
وَمَا الْقُرْبُ مِنْ قَبْرِ أَجْنَكَ نَافِعِي
أَقُولُ لِنَفْسِي ، حِينَ جَدَّ نِزَاعُهَا :
أَلَسْنَا بَنَى الْمَوْتَى ، إِلَيْهِمْ مَأَلْنَا
فَنَحْنُ كَمَسْفَرٍ عَرَّسُوا ، وَوَرَاءَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ أَتَشْنُنَا ، وَفِيهَا مَعَادُنَا
هِيَ الْأُمُّ ، لَا بَرٌّ لَدَيْهَا ، وَرَدُّنَا
ثُكُولٌ ، وَلَا دَمْعٌ لَهَا لِثَرِّ هَالِكٍ
أَضَلَّ الْوَرَى حُبَّ الْحَيَاةِ ، فَخَازِمُ
فَلَا يَأْمَنُ غَدْرَ اللَّيَالِي أَمِنْ
تُعِيرُ ، وَبِالْقَسْرِ الْعَنِيفِ ارْتِجَاعُهَا
وَنَحْنُ عَائِيهَا عَاكِفُونَ ، وَابَسَ فِي
فَا بَالُنَا فِي سَكْرَةٍ مِنْ طَلَاهِيَا
مَضَى مِنْ مَضَى مِمَّنْ حَبْتَهُ ، فَأَكْثَرَتْ
وَمَا نَالَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مِنَ الْغِنَى
يُحَاسِبُ عَنْ قِطْمِيرِهِ^(٦) وَنَقِيرِهِ^(٧)

فَارْجِعْ كَالْخَبُولِ دَلَّاهُ السَّحَرُ
إِذَا كَانَتْ فِيمَا بَيْنَنَا لِلثَّرَى سِتْرُ
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، إِنَّ أَمَكْنَ الصَّبْرُ
بَلَا مَرِيَّةٍ ، وَالْفَرْعُ يَجْذِبُهُ النَّجْرُ^(١)
رِفَاقٌ ، إِذَا وَافَوْهُمْ رَحَلَ السَّفَرُ
وَمِنْهَا يَكُونُ النَّشْرُ ، وَالْبَعْثُ وَالْحَشْرُ
إِلَى بَطْنِهَا بَعْدَ الْوِلَادِ هُوَ الْبَرُّ
وَكُلُّ رَقُوبٍ^(٢) تَاكُلُ دَمْعَهَا هَمْرُ^(٣)
خَيْرٌ سِوَاءٍ فِي الضَّلَالَةِ وَالْغَرِّ
وَإِنْ امْهَلْتَهُ ، إِنَّ إِمَهَالَهَا خَيْرٌ^(٤)
وَلَا خَيْرَ فِي عَارِيَّةٍ رَدَّهَا الْقَسْرُ
مَوَاهِبَا عُقْبَى تَسْرُ ، وَلَا يُسْرُ
وَمَنْ نَالَهَا مَنَّا يَزِيدُ بِهِ الشُّكْرُ
وَرَاحَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا جَمَعَتْ صَفْرُ
عَنْ^(٥) الْفَقْرِ ، فِي يَوْمِ الْمَعَادِ هُوَ الْفَقْرُ
وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُ كُثْرٌ وَلَا تَزْرُ

(١) النجر : الأصل كالنجار بكسر النون وضمها .

(٢) الرقوب كصبور : المرأة التي لا يبق لها ولد أو مات ولدها .

(٣) همر : منهر .

(٤) الخمر : الخديعة .

(٥) في الأصل (هو) واصل ما اخترناه أول .

(٦) القطمير : القشرة الرقيقة التي على النواة بين النواة .

(٧) النقيير : النكته في ظهر النواة والنقر .

وهذا هو الخسر المين ، فما لنا
وقد كانت في آبائنا زاجر لنا
تفانوا ، فبطن الارض من بعد وحشة
وقد درست آثارهم وقبورهم
فهل لي في هذى المواعظ واعظ
يحث على الصبر الجميل ، فإنه
ومن زعت أبدى المنية من يدى
حراص على أمر عواقبه خسر
يبصرنا ، لو كانت يردعنا الزجر
بهم أهل مستأس ، وخلا الظهر
كما درسوا فيها ، فليس لها أثر^(١)
يرد ما يخفى من الكم الصدر
ينال به حسن المعوضة والاجر
هو الذخر لى ، فى يوم ينفعني الذخر

(٥١١)

وقال فيه :

أزور قبرك مشتاقاً ، فيحببني
فأنثى ، ودموعى من جوى كبدي
ماهبل فوقك من ترب وأججار
تفيض ، فأعجب لماء فاض من نار

قافية الزاى

(٥١٢)

وقال :

تخرمت^(٢) الأيام أهل مودتي
وأفردت منهم ، فارتياحى لفقدهم
فنفسى عن أس السرات ناشز
برتهم بكارى القوس ، جذالذى انحنى
كروعة ثكلى أوجعتها الحناز
فقد أبرزنى للحوادث ، ليس لي
عليها ، إلى أن نالها وهى بارز
إذا مارمتني حاجز أو محاجر

(١) الأثر بضم الهزرة : ما - الوجه وروقه .

(٢) تخرمتهم الأيام : أخذتهم واستأصلتهم .

قافية العين

(٥١٣)

وقال ^(١) ووصله كتاب بموت صديق :

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إِخْوَانِي وَفُرْقَتِهِمْ غَدْرٌ، وَأَجَلُ بِي مِنْ صَبْرِي الْجَزَعُ
تَقَاسَمْتُهُمْ نَوَى شَطَّتْ بِهِمْ، وَرَدَّى فَالْحَى كَلِمَتِ، مَا فِي قُرْبِهِ طَمَعُ
وَأَصْبَحْتُ وَحْشَةَ الْغَبَاءِ ^(٢) دُونَهُمْ مِنْ بَعْدِ أُنْسِي بِهِمْ، وَالشَّمْلُ مَجْتَمَعُ
وَعِشْتُ مُنْفَرِدًا مِنْهُمْ، وَأَقْسَمَ مَا يَكَادُ مُنْفَرِدٌ بِالْعَيْشِ يَنْتَفَعُ

(٥١٤)

وقال :

وَقَفْتُ عَلَى رَسَمِ بَيْدَاءَ بَلْقَعٍ ^(٣) خَلِي مِنَ النَّادَى صَمُوتٌ إِذَا دَعَى
نَبَتْ عَنْهُ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ لَهَا الْهَوَى : هِيَ الدَّارُ، فَاسْتَمَرَى شُتُونُكَ ^(٤)، وَادْمَعَى
وَلَا تُنْكِرِي لِلدَّهْرِ إِخْلَاقَ ^(٥) جِدَّةٍ وَتَسْتَيْتِ أَلْفَ، وَإِيحَاشَ مَجْمَعِ
فَالْمَوْتُ سَكَّانَ الدِّيَارِ، وَلِلَّيْلِ مَنَازِلَهُمْ، وَشَمْلَهُمْ لِلتَّصَدُّعِ
فَصَبْرًا فَإِنْ عَزَّتْ ^(٦) نَوَائِبُ دَهْرِنَا وَأَحْدَانُهُ حُسْنَ التَّصَبُّرِ فَاجْزَعِ

قافية الفاء

(٥١٥)

وقال في ولده أبي بكر ^(٧) :

أَزُورُ قَبْرَكَ ، وَالْإِنْجَانُ تَمْنَعُنِي أَنْ أَهْتَدَى لَطَرِيْقِي حِينَ أَنْصَرِفُ
فَا أَرَى غَيْرَ أَجَارٍ مُنْضَدَّةٍ قَدْ احْتَوَتْكَ، وَمَاوَى الدُّرَّةَ الصَّدْفُ

(١) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ .

(٢) الغباء : الأرض . (٣) البلقع : الأرض الفعر .

(٤) مَرَى الشئ : استخرجه . والشئون : الدموع . (٥) أخلق الجديدي : أبلاه .

(٦) عزه : غلبه . (٧) هذه القصيدة مما روى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

فانثنى ، لستُ أدري أين منقلبي كأنني حائر^(١) في الليل مُعتسف^(٢)
 إن قصر العمر بي عن أن أرى خلفاً له ، ففي الأجر عند الله لي خلف
 أقول للنفس إذ جد النزاع بها : يا نفس وينحك ، أين الأهل والسلف
 أليس هذا سبيل الخلق أجمعهم وكلهم بورود الموت مُعترف
 كم ذا التأسف ، أم كم ذا الحنين ، وهل يرد من قد حواه قبره الأسف

قافية الكاف

(٥١٦)

وقال^(٣) :

أصبحتُ لأشكو الخطوبَ ، وإثماً أشكو زماناً لم يدع لي مُشكئ
 أفنى أخلاقي وأهل مودتي وأباد إخوان الصفاء وأهلكا
 عاشوا براحتهم ، ومث لفقدهم فعلى يبكي ، لا عليهم ، من بكي
 بقيت بعدهم كأنني حائر بمفازة ، لم يلق فيها مسلكاً

(٥١٧)

وقال في ولده أبي بكر :

وسّع صبري عن عتيق الإسي^(٤) من بعد ما ضاق بي المسلكُ
 أسلمته ، إذ لم أجد لي يداً بدفع من يطلب ما يملكُ

(١) في الخريدة (خائف) . (٢) المعتسف : الخابط على غير هدى .

(٣) هذا الشعر دوى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٤ . (٤) الإسي : جمع إسوة وهي القلعة .

عاريةً كانت ، وما كلُّ ما يُعار ، يُستَقنى ^(١) ، ويُستَمَلَكُ
أعاره مُشترطاً رده والشرط ما بين الورى أملك

قافية اللام

(٥١٨)

وقال فيه :

كيف أنساك يا أبا بكر ، ام كيف اصطبارى ؟ ما عنك صبري جميل
أنت ، حيث اتجهت ، في أسودنى عيني وقلبي ، ممثلاً ، لا تزول
وعلام الأسي ؟ ونحن كسفّر بعضنا سائر ، وبعض تزول
عرّس الأولون ، والآخرا لنا لي إليهم عما قليل يؤول
وإلى حيث عرس السلف الأوّل ل ميعادنا ، ومنه القفول

(٥١٩)

وقال أيضا فيه :

أحدت عنك بالسّلوان نفسي وهل تسلو موهنة نكول
إذا ناجيتها بالصبر حنت كما حنت إلى بو عجول ^(٢)
إذا نظرت إليه أنكرته وتعطفها الصبابة والغليل
ولي في الموت يأس مستين ولكن حال وجدى لا تحول
أحن إلى أبي بكر ، وما لي إلى رؤياه في الدنيا سبيل

(١) الفنية بالضم والكسر : ما اكتسب ، الجمع قنى . وقنى المال : اكتسبه .

(٢) البو : جلد الحوار يحشى بنا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فندد . والعجول : الواله من الإبل .

فيا لله من يأسٍ مُبينٍ يخالفُ حاله الصبرُ الجليلُ
يغالبني على عقلي حينٌ إليه ، لا تُغالبُه العقولُ
فإنسيني يقينَ اليأسِ منه كما تُنسى مُعاقرها الشمولُ^(١)
ويَلْحَاني العَدُولُ، وليس يدرى بما أُخفي من الكَمَدِ العَدُولُ
إذا نامَ الخَلْيُ أراحَ^(٢) همي وأسهرَ ليلي الحزنُ الدَخِيلُ
كأنَّ نجومَ ليلي مَوثِقَاتُ فليستُ من أماكنها تَزُولُ
وما في الصُّبْحِ لى رَوحٌ^(٣)، ولكن به يتعلَّلُ الدَّنِفُ^(٤) العَلِيلُ
نَهَارِي لا يَلْأَمُّني سُلُوٌّ ويلي لا يُفارِقني العويلُ

(٥٢٠)

وقال فيه :

لعمرك ما يُنسيني الدَّهْرُ روعتي^(٥) يفقد أبي بكرٍ حَيَاتِي، ولا يُسلي
خَشِيتُ عليه اليُتمَ بعدى، فليتنى رُميتُ بما أخشى، ولم أُرَمَ بالشُّكْلِ
فكلُّ بعيدٍ يُرتجى جَمْعُ شمله وبعدُ المنايا غيرُ مُجْتَمِعِ الشَّمْلِ

(٥٢١)

وقال ، يندب وطنه وأهله الهالكين في الزلازل بحصن شيزد^(٦) :

حيًّا رُبوعك ، من رُبِّي ومنازلِ سَارِي الغَامِ بكلِّ هامٍ هَامِلِ
وسَقَتِكَ يادَارَ الهَوَى بعد التَّوَى وطَفَاءُ^(٨) تَسْفَحُ بالهَتُونِ الهَاطِلِ

(١) الشمول : الخمر . ومعاقرها : المدين على شربها .

(٢) أراح الحزن همي : أى أعاد الحزن همي على عشية ، من أراح الراعي الإبل على أهلها .

(٣) الروح . الراحة . (٤) تعلل بالأمر : تشاغل به . والدنف : المرض .

(٥) الروعة : الفزعة . (٦) انظر ما سبق ص ٢٨٧ . (٧) هملت عينه : فاضت .

(٨) صحابة وطفءاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هي الدائمة السح .

حَتَّى تُرَوِّضَ^(١) كُلَّ مَا حِجِلٍ عَافٍ ، وَتُرَوِّى كُلَّ ذَاوِ ذَابِلٍ
أَبْكِيكَ ، أَمْ أَبْكِي زَمَانِي فِيكَ ، أَمْ
مَاقِدْرُ دَمْعِي أَنْ يَقْسِمَهُ الْأَسَى
أَنْفَقَتُهُ سَرَفًا ، وَهَا أَنَا مَائِلٌ
وَإِذَا فَرَعْتُ إِلَى الْعَزَاءِ دَعْوَتُ مَنْ
أَيْنَ الطَّيَّاءِ عَهْدَتَهُنَّ كَوَانِسًا
التَّافَرَاتُ مِنَ الْأَنْبَسِ تَكْرُمًا
مَنْ كُلِّ مَكْرُوهِ اللَّقَاءِ مُنَازِلٍ
مُتَمَنِّعٌ صَعِبٌ عَلَى أَعْدَانِهِ
عَزَّوْا عَلَى الدُّنْيَا ، وَخَالَفَ فِعْلُهُمْ
حَتَّى إِذَا اغْتَالَتْهُمْ بِخَطْوِيهَا
دَرَسَتْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ
وَاهًا لَهُمْ مِنْ عَالِمٍ وَمَعَالِمٍ
كَانُوا شَبِيَّ فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدٍ
غَوَاً لِلْمُهِوِّفِ ، وَمُلْجَأً لِأَجْيٍ
ذَهَبُوا ذَهَابَ الْأَمْسِ مَا مِنْ مُخْبِرٍ
وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ حَلِيفَ كَلَابَةٍ
سَعَدُوا بِرَاحَتِهِمْ ، وَهَا أَنَا بَعْدَهُمْ
فَاعْجَبْ لَشَقْوَةٍ مُتَعَبٍ بِمُقَامِهِ

عَافٍ ، وَتُرَوِّى كُلَّ ذَاوِ ذَابِلٍ
أَهْلِيكَ ، أَمْ شَرَحَ الشَّبَابِ الرَّاحِلِ
وَالْوَجْدُ بَيْنَ أَحِبَّةٍ وَمَنَازِلِ
فِي مَاحِلٍ ، أَبْكِي بِحُفْنِ مَاحِلٍ^(٢)
لَا يَسْتَجِيبُ ، وَرُمْتُ نَصْرَةَ خَاذِلِ
بِكَ فِي ظِلَالِ السَّمْهَرِيِّ الذَّابِلِ^(٣)
وَالْآسَاتُ بِكُلِّ لَبِثٍ بِأَسَلِ
رَحِبِ الْفَنَاءِ لَطَارِقٍ أَوْ نَازِلِ
سَهْلِ الْمَقَادَةِ لِلخَلِيلِ الْوَاصِلِ
أَفْعَالَهَا ، فَبَغَتْهُمْ بِغَوَائِلِ^(٤)
وَرَمَتْهُمْ بِجَوَادِثِ وَزَلَزِلِ
مَأْنُوسُ أُنْدِيَةِ وَعِزُّ مُحَافِلِ
وَمُنْتَعَاتِ عَقَائِلِ وَمَعَاقِلِ
وَقَذَى يَجُولُ بَعِينَ كُلِّ مُحَاوِلِ
وَجَوَارِ رَبِّ جَرَائِرِ وَطَوَائِلِ^(٥)
عَنْهُمْ ، وَزَالُوا كَالظَّلَالِ الرَّائِلِ
مُسْتَوْرَةٍ بِخُجْمِلِ^(٦) وَتَحَامِلِ
فِي شَقْوَةٍ تُضْنِي ، وَهُمْ دَاخِلِ
مَنْ بَعْدَ أَسْرَتِهِ ، وَرَاحَةِ رَاحِلِ

(١) رَوِّضَ الْمَكَانَ : جَعَلَهُ رَوْضَةً . (٢) يَرِيدُ بِمَاحِلِ الْأَوَّلِ : الْمَنْزِلَ الْجَدْبَ . وَبِمَاحِلِ الثَّانِيَةِ الْجَامِدَ الَّذِي لَا يَدْمَعُ .

(٣) كَسَسَ الظَّالِمُ : دَخَلَ فِي كِتَابِهِ . وَهُوَ مُسْتَرْهَى فِي الشَّجَرِ . وَالسَّمْهَرِيُّ : الرِّيحُ الصَّالِبُ . وَالذَّابِلُ : الرَّقِيقُ .

(٤) الْغَوَائِلُ : الْفَوَاحِشُ . (٥) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَائِدُ . وَالطَّالَةُ : التَّرْدُ . (٦) التَّجْمِلُ : التَّصْبِيرُ .

دَعَا ، فَأَنْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَرَوَةٌ^(١) تَلْقَى الرِّزَايَا عَالِمًا كَالْجَاهِلِ
وَاصْبِرْ ، فَمَا فِيهَا أَصَابَكَ وَصْمَةٌ كُلُّ الْوَرَى غَرَضٌ لِسَهْمِ النَّابِلِ^(٢)

قافية النون

(٥٢٢)

وقال في المعنى أيضا :

حَامِئِ الْأَيْكِ^(٣) هَيَّجُنْ أَشْجَانَا
كَمْ ذَا الْحَيْنُ عَلَى مَرِّ السِّنِّينِ؟! أَمَا
هَلْ ذَا الْعَوِيلُ عَلَى غَيْرِ الْهَدِيدِ^(٤) ، وَهَلْ
مَا وَجَدُ صَادِحَةً فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
كَمَا وَجَدْتُ عَلَى قَوْمِي تَحَوَّنَهُمْ
إِذَا نَهَى الصَّبْرُ دَمْعِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
قَالُوا : تَأَسَّ ، وَمَا قَالُوا بِمَنْ ، وَإِذَا
مَا حَدَّثْتَنِي بِالسُّلُوبِ بَعْدَهُمْ
مَا اسْتَدْرَجَ الْمَوْتُ قَوْمِي فِي هَلَاكِهِمْ
فَكُنْتُ أَصْبِرُ عَنْهُمْ صَبْرَ مُحْتَسِبٍ
وَأَقْتَدِي بِالْوَرَى قَبْلِي ، فَكَمْ فَقَدُوا
فَلَيْكَ أَصْدُقُنَا بَنًا وَأَشْجَانَا
أَفَادَكُنْ قَدِيمُ الْعَهْدِ نِسْيَانَا
فَقِيدَكُنْ أَعَزُّ الْخَلْقِ فَقْدَانَا
تُرْجِعُ النَّوْحَ فِي الْأَفْتَانِ أَلْحَانَا
رَيْبُ الْمُنُونِ وَدَهْرُ طَالٍ مَا خَانَا
قَالَ الْأَسَى : فَضْ ، وَجُدْ سَخَا وَتَهْتَانَا
أَفَرِدْتُ بِالرُّزَى مَا أَنْفَكَ أُسْوَانَا^(٥)
نَفْسِي ، وَلَا حَانَ سُلُوبِي وَلَا آتَانَا
وَلَا تَخْرَمَهُمْ^(٦) مَتْنِي وَوُحْدَانَا
وَأَحْمِلُ الْخَطْبَ فِيهِمْ عَزَّ أَوْ هَانَا
أَخَا ، وَكَمْ فَارَقُوا أَهْلًا وَجِيرَانَا

(٢) النَّابِل : صَاحِبُ النَّبَالِ . وَالْوَصْمَةُ : الْعَارُ .

(١) الْمَرَوَةُ : حِجَابَةٌ بِيضٌ بَرَّاقَةٌ .

(٣) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ الْكَثِيرُ .

(٤) الْهَدِيدُ : فَرْخُ حَامٍ زَعَمُوا أَنَّ جَارِحًا مِنَ الطَّيْرِ صَادَهُ فَا مِنْ حَامَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ .

(٦) تَخْرَمُهُمْ : اسْتَصَلَهُمْ .

(٥) الْأُسْوَانُ : الْحَزِينُ .

لَكِنَّ سَقَبَ^(١) المَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ
وَفَاجَأَتْهُمْ مِنْ الْإَيَّامِ قَارِعَةٌ
مَاتُوا جَمِيعًا كَرَجَجِ الطَّرْفِ، وَانْقَرَضُوا
أَعَزَزَ عَلَى بَهِمٍ مِنْ مَعَشِرٍ صَبْرٌ
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
فَلَوْ رَأَوْنِي لَقَالُوا : مَاتَ أَسْعَدُنَا
لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتُ مِنْهُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي
بَادُوا جَمِيعًا ، وَمَا شَادُوا ، فَوَا عَجَبًا
هَذِي قُصُورُهُمْ أَمْسَتْ قُبُورُهُمْ
وَمِجَ الزَّلَازِلِ ، أَفْنَتْ مَعَشِرِي ، فَإِذَا
بَنِي أَبِي ، إِنْ تَبَيَّدُوا ، أَنْ عَدَا زَمَنٌ
فَلَنْ يَبِيدَ جَوَى^(٢) قَلْبِي وَلَا كَمَدِي
أَفْسَدْتُمْ عَمْرِي الْبَاقِي عَلَى ، فَمَا
أَفْرَدْتُ مِنْكُمْ ، وَمَا يَصِفُو لِمَنْفَرِدٍ
فَلَيْتِي مَعَهُمْ ، أَوْلَيْتَ أَتَهُمُ
لَقِيتُ مِنْهُمْ تَبَارِجَ^(٣) الْعُقُوقِ ، كَمَا

رَغَا ، نَفَرُوا عَلَى الْأَذْفَانِ إِذْعَانًا
سَقَتَهُمْ بِكُتُوسِ الْمَوْتِ ذَيْفَانًا^(٤)
هَلْ مَا تَرَى تَارِكَ لِلْعَيْنِ لِنَاسِنَا
عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لُوتَةٍ^(٥) لَنَا
قَلْبًا أَجْشَمُهُ صَبْرًا وَسَلَوَانًا
وَعَاشَ لِلَّهِمُ وَالْأَحْزَانِ أَشْقَانًا
عَنْهُمْ ، فَبُوضِحَ مَا لَاقَوْهُ تَيْبَانًا
لِلخُطْبِ ، أَهْلَكَ عُمَرَاءَ وَعُمَرَاءَ
كَذَاكَ كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ سُكَّانًا
ذَكَرْتُهُمْ ، خِلْتَنِي فِي الْقَوْمِ سَكَرَانًا
عَلَيْكُمْ دُونَ هَذَا الْخَلْقِ عُدَوَانًا
عَلَيْكُمْ أَوْ يُبِيدَ الدَّهْرُ نَهْلَانًا^(٦)
أَنْفَكَ فِيهِ كَثِيبَ الْقَلْبِ وَلَهَانًا
عَبَسَ ، وَلَوْ نَالَ مِنْ رِضْوَانِ رِضْوَانًا
بَقُوا ، وَمَا بَيْنَنَا بَاقٍ كَمَا كَانَا
لَقِيتُ مِنْ بَعْدِهِمْ هَمًّا وَأَحْزَانًا

(١) الذيفان بفتح الذال وبكسرهما : السم القاتل .

(٢) السقب : ولد الناقة .

(٣) اللوة بالضم : الاسترخاء والبطء والضعف . وهو مجزيت لقريط بن أنيف النبيري .

إذا لقام بنصري معشر عشن عند الحفيظة إن ذو لوتة لانا

(الحاسة ١٤)

(٥) تيلان : جيل .

(٤) الجوى : شدة الوجد .

(٦) تبارج العقوق : شدة .

لَوْلَا شِمَاتُ الْأَعَادَى عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
أُرْدُ فَيَضَ دُمُوعِي فِي مَسَالِكِهَا
لَا أَلْتَقَى الدَّهْرَ مِنْ بَعْدِ الزَّلَازِلِ مَا
أُنْخَسَتْ عَلَى مَعَشِرِي الْأَدْنَى، فَاصْطَلَمْتُ^(١)
كَمْ رَامَ مَا أَدْرَكَتُهُ مِنْهُمْ مَلَكُ
لَمْ يَحْمِمْهُمْ حِصْنُهُمْ مِنْهَا ، وَلَا رَهْبَتْ
أَتَاهُمْ قَدْرُ لَمْ يَنْجِهِمْ حَذَرُ
إِنْ أَقْفَرْتُ شِيزُ مِنْهُمْ ، فَهَمَّ جَعَلُوا
هُمْ حَمَوْهَا ، فَلَوْ شَاهَدَتْهَا ، وَهُمْ
كَانُوا لِمَنْ خَافَ ظُلْمًا أَوْ سَطَا مَلِكُ
عَلَوْا بِمَجْدِهِمْ سَيْفَ بَنِي زَيْنِ
كَانُوا مَلَاذًا لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَلَةٍ
إِذَا أَتَيْتَهُمْ أَلْفَيْتَ شَطْرَهُمْ
تَرَاهُمْ فِي الْوَعَى أَسْدًا ، وَيَوْمَ نَدَى
حَاوَلْتُ كِتْمَانِ بَنِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ
لَعَلَّ مَنْ يَعْرِفُ الْأَمْرَ الَّذِي بَعْدَتْ
يَقُولُ بِالظَّنِّ ، إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا خُلِقِ
أَسَامَةٌ لَمْ يَسُوْهُ فَقَدْ مَعَشِرِهِ

لَغَادَرْتُ أَدْمِي فِي الْأَرْضِ غُدْرَانًا
فَتَسْتَجِيلُ مِيَاهَ الدَّمْعِ نِيرَانًا
بَقِيْتُ إِلَّا كَسِيرَ الْقَلْبِ حَيْرَانًا
مِنْهُمْ كَهَوْلًا ، وَشَبَابًا ، وَوَلَدَانًا
فَعَادَ بِالْيَأْسِ مَا رَامَ لَهْفَانًا
بِأَسَا تَنَازَرَهُ^(٢) الْأَقْرَانُ أَزْمَانًا
مِنْهُ ، وَهَلْ حَذَرُ مُنْجٍ لِمَنْ حَاذَ^(٣)
مُنْجٍ أَسْوَارَهَا بَيْضًا وَخُرْصَانًا^(٤)
بِهَا ، لَشَاهَدْتُ أَسَادًا وَخَفَانًا^(٥)
كَهَفًا ، وَلِلْجَانِي الْمَطْلُوبِ جِيرَانًا
كَمَا عُلْتُ شِيزُ فِي الْعِزِّ غَمْدَانًا^(٦)
وَبَائِسٍ فَاقِدِ أَهْلًا وَأَوْطَانًا
مُسْتَرْفِدِينَ^(٧) وَزُورًا وَضَيْفَانًا
غِيثًا هَتُونًا ، وَفِي الظُّلُمَاءِ رُهْبَانًا
فَلَمْ يُطِقْ قَلْبِي الْحَزُونَ كِتْمَانًا
بَعْدَ النَّصَاقِبِ مِنْ جَرَّاهُ دَارَانًا
وَلَا مُحَافَظَتِي مِنْ حَانَ^(٨) أَوْ بَانَ :
كَمْ أَوْغَرُوا صَدْرَهُ غِيظًا وَأَضْغَانًا^(٨)

(١) اصطلمه : استأصله .

(٢) تناذروا : أُنذِر بعضهم بعضًا .

(٣) حان : هلك .

(٤) الخرصان : الزمخ .

(٥) الخفان : مأسدة .

(٦) سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن . وغمدان : قصر ضخم باليمن .

(٧) مسترفدين : طالين للرفد ، وهو العطاء والصلوة . (٨) الأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد .

وما درى أنَّ فى قلبي لفقدهمُ نارا تَلْظَى ، وفى الأَجْفَانِ طُوفَانَا
 بنو أبى ، وبنو عمى ، دَمِي دَمُهُمْ وَإِنِ ارْوَنِي مُنَاوَةً وَشَتَانَا^(١)
 كانوا جَنَاحِي ، فَحَصَّنَهُ^(٢) الْخَطُوبُ ، وَإِخْوَانِي ، فَلَمْ تُبْقِ لِي الْآيَامُ إِخْوَانَا
 كانوا سُيُوفِي ، إِذَا نَازَلْتُ حَادِثَةً وَجَّتِي ، حِينَ أَلْقَى الْخَطْبَ عُرْيَانَا
 بهم أَصُولُ عَلَى الْأَمْرِ الْمَهُولِ ، إِذَا عَمَّا ، وَأَلْقَى عَبُوسَ الدَّهْرِ جَذْلَانَا
 فكيف بالصبرِ لى عنهم ، وَقَدْ نَظَّمُوا دَمَعِي عَلَى فَقْدِهِمْ دُرًّا وَمَرْجَانَا
 يُطَيِّبُ النَّفْسَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَحَلُوا وَخَلَّفُونِي عَلَى الْآثَارِ بَعْلَانَا^(٣)
 سَقَى نَزْرِي أَوْدَعُوهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ مَنَوَى قُبُورِهِمْ رَوْحًا وَرِنْحَانَا
 وَأَبْسَ اللَّهُ هَاتِيكَ الْعِظَامَ ، وَإِنِ بَلَيْنَ نَحْتِ الثَّرَى ، عَفْوًا وَغُفْرَانَا

(٥٢٣)

وقال :

حَسْبِي مِنَ الْعَيْشِ ، كَمْ لَا قَيْتُ فِيهِ أَذْيُ أَقْلُهُ فَقَدْ أَتْرَابِي وَخُلَانِي
 لَمْ يَبْقَ لِي مُشْتَكِي بِثِّ أَحْمَلُهُ هَمِّي ، وَلَا مَنْ إِذَا اسْتَصْرَحْتُ لَبَانِي
 وَصُمَّ عَنِّي صَدَى صَوْتِي ، وَأَفْرَدَنِي ظَلِّي ، وَمَلَّ الْكَرَى وَالطَّيْفُ غِشْيَانِي
 وَمَا نَظَرْتُ إِلَى مَا كَانَ يُبْهِنِي إِلَّا شَجَانِي ، وَآسَانِي^(٤) ، وَأَبْكَانِي

(٢) الخصى : حلق الشعر .

(١) الشَّانُ : البغض .

(٤) شجاء : حزنه والأسا : الحزن .

(٣) المجلان : التاكل الواله .

(٥٢٤)

وقال :

نَاحَتْ ، فَبَاحَتْ فِي فُرُوجِ الْبَانِ عَنْ لَوْعَتِي وَعَنْ جَوَى أَحْزَانِي
بِخَيْلَةِ الْعَيْنَيْنِ بِالْدَّمْعِ ، وَلِي عَيْنٌ تَجُودُ بِالنَّجْعِ ^(١) الْقَانِي
إِذَا دَعَتْ أَجْبَتْهَا بَرُوعَةٌ ^(٢) وَرُقٌّ ^(٣) تَدَاعَتْ فِي ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَحَسَرْتَنِي أَنَّ الزَّمَانَ غَالَ مَنْ كُنْتُ إِذَا دَعَوْتُهُ لِبَّانِي

أخر ما تضمنته الأبواب المذكورة من شعره

(١) النجيع : دم الجوف .

(٢) البروعة : الفرعة .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحماة .

مسمّطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة

(٥٢٥)

قال مسمطا^(١) شعرا لقيس بن ذريح :

كعهديك بانأت الحمى فوق كُنْهِها
ودارُ الهوى تحمى العدا سرح سربها
أقولُ، وسمرُ الخطِّ مجبُّ لحبِّها :
سقى طلل الدار التي أتم بها حَنَاتِمُ^(٢) وبلى صِفِّ وربيعُ
بِدَارِكِ ما بى : من بلى الشوقِ، والهوى
وبى ما بها : من وحشة اليين، والنوى
سأروى ثراها من دُموعى إن ارتوى
وخيأتكِ اللاتي بمنعرج اللوى بِلينِ إلى لم تبْلَهَنَّ رُبوعُ
وما الجورُ عن نهج السُلُوِّ أعاجنى
على ذى أثافٍ^(٣) كالحمَامِ الدَّواجِنِ
ولكن وفاءً ، ورده غير آجِنِ^(٤)
ولو لم يَهْجِنِ الظَّاعِنُونَ لهاجِنِي حاتمُ ورقُ في الدِّيارِ وقُوعُ

(١) التسميط : أبيات تجمعها فافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات .

(٢) الحناتم : السحاب السود .

(٣) الأثافى : جمع أثفية ، وهى الجر يوضع عليه القدر .

(٤) الآجِن : الماء المتغير العلم واللون .

هَوَاتِفُ يَذْكُرْنَ الشَّجِيَّ أَخَا الْجَوَى
زَمَانَ التَّدَانِي قَبْلَ رَائِعَةِ النَّوَى
وَطِيبَ لِيَالِهِ الْحَمِيدَةِ بِاللَّوَى
تَدَاعَيْنِ، فَاسْتَبْكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
نَوَائِحُ لَمْ تَذْرِفْ لَهَبَ دُمُوعُ
إِذَا مَا نَسِيمُ هَبَّ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى
أَقُولُ، وَأَشْوَاقِي تَزِيدُ تَضَرُّمًا:
عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ، وَلَعَلَّهَا
وَإِنِّ انْهَمَالَ الدَّمْعُ يَا لَيْلُ كُلَّمَا ذَكَرْتُكَ وَحْدَى خَالِيًا لَسَرِيعُ
وَلَوْ عَادَ يَوْمٌ مِنْكَ يَا لَيْلَ ، قَدْ خَلَا
بُعْمَرَى أَوْ شَرَحَ الشَّبِيبةَ مَا ذَلَا
وَقَدْ عَزَقَتْ نَفْسِي عَنِ الْمَجَرِّ وَالْقَلَى
وَسَوْفَ أَسْلَى النَّفْسَ عَنْكَ، كَمَا سَلَا عَنْ الْبَلَدِ النَّانِي الْخَوْفُ تَزْيِيعُ^(١)
أَيَرْجُو لِي اللَّاحِي مِنْ الْحَبِّ مَخْلَصًا
وَقَائِي إِذَا مَا رُضْنُهُ بِالْأَمْسَى عَصَى
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلِقَ الْحَصَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةَ شَقَّتِ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى ، وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ

(١) التزيع : الغريب ، كالتأزيع .

أَطَاعَتْ بِنَا لَيْلَى اقْتِرَاءَ التَّكْذُوبِ
 وَصَدُّ التَّجَنِّيِ غَيْرُ صَدِّ التَّعْتِبِ^(١)
 فَيَا لَكَ مِنْ دَهْرٍ كَثِيرٍ التَّقْلُبِ
 مَضَى زَمْنٌ ، وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْفَوْ شَنِيعُ
 الْأَنْغَبَةِ^(٢) مِنْ بَرْدِ أَنْبَاهِهَا الْعُلَى
 وَرَدُّ زَمَانٍ كَالْأَهْلَةِ يُجَنَلَى
 فَقُولَا لَهَا : جَادَتِكَ وَاهِيَةُ الْكُلَى^(٣)
 أَرَا جِعَةً يَا لَيْلَى أَيَا مَنَا الْأُلَى بِذِي الرِّمْتِ^(٤) أَمْ لَا ، مَا لَهْنُ رُجُوعُ
 أَعَاذَتْنِي ، مَالِي ، هُدَيْتِ ، وَمَالِكَ
 لَقَدْ سَاءَ فَنِي أُنِي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
 ذَرِينِي ، فَلَوْ بِي ضَلَّةٌ مِنْ ضَلَالِكَ
 لَعَمْرُكَ ، إِنِّي يَوْمَ جِرْعَاءِ^(٥) مَالِكٍ لَعَاصٍ لَامِرِ الْعَاذِلَاتِ مُضْيعُ
 أَعِدْ ذِكْرَهَا ، أَحْبِبْ إِلَى بِذِكْرَهَا
 وَدَعْ ذَنْبَهَا ، فَالْحُبُّ مُبْدٍ لِعُذْرَهَا
 فَمَا زِلْتُ فِي حَالِي وَفَانِي وَغَدْرَهَا
 إِذَا أَمَرْتَنِي الْعَاذِلَاتُ بِهِجْرَهَا هَفْتُ كَيْدُ عَمَّا يَقْلُنَ صَدِيعُ^(٦)

(١) تجنى عليه : أذى ذنباً لم يفعله . والتعتب : مخاطبة الأدلال . (٢) النبية : الجرعة ويضم ، أو الفتح لمرة والضم للامم .

(٣) كلية السحاب : أسفله . (٤) الرمت في الأصل : مرعى للإبل من الحمض ، وشجر يشبه النضى ، وهذا مكان .

(٥) الجرعاء : الأرض ذات الخزوة تشاكل الرمل ، أو الكتيب جانب منه رمل وجانب هجارة .

(٦) هفا : ذهب في إثر الشيء . موصدع : مشقوقة .

يَزِيدُ هَوَى لَيْلَى رِضَاَهَا، وَعَتْبُهَا
وَبُعْدُ نَوَاهَا، إِن تَنَاءَتْ، وَقُرْبُهَا
وَلَمْ يَنْهِنِي صَدَقُ اللّوَا حِي، وَكَذْبُهَا
وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتِ، وَحُبُّهَا يُورِقْنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ

(٥٢٦)

وقال يسمط شعرا للجنون :

أَيَا لَأَنَّمِي فِي وَقْفَةِ الْمُتَلَوِّذِ^(١)
عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ، بِالْحَمَرِ مُحْتَدِي
أَقْلَبُ فِي عِرْقَانِهَا النَّاطِرَ الْقَدِي
لَعْمُكَ ، إِنَّ الْبَيْتَ بِالظَّاهِرِ الَّذِي مَرَرْتُ ، فَلَمْ أُتِمِّ بِهِ ، لِي شَائِقُ
يُرَاجِعُ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَاهُ جَهْلَهُ
وَيَرْكَبُ صَعْبَ الْأَمْرِ فِيهِ وَسَهْلَهُ
وَيَسْفَحُ فِيهِ مَذْمَعِي مُسْتَهْلَهُ
وَلِمَنْ مُرُورِي ، لَا أَكَلَّمُ أَهْلَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا ذَائِقُ
وَفِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ
حِذَارَ وَشَاةِ الْحَيِّ أَدْمَاءُ مُغْزِلُ^(٢)
يَجِدُّ هَوَاهَا بِالنَّفُوسِ وَتَهْزِلُ
وَبِالْخُرْجِ مِنْ أَعْلَى الْجُنْبَيْنَةِ مَزْلُ فِسِيحُ ، شَجِي صَدْرِي بِهِ مُتَضَائِقُ

(١) لاذبه : لجا ، ولا يوذ ملاوذة : استتر .

(٢) الأدمة في الغلباء : لون مشرب يابسا . وغلبة مغزل : ذات غزال .

سَاعِلِينَ ، وَالْمَصْدُورُ لَا بَدَّ يَنْفُتُ
صَمَانَةً^(١) حُبِّ بِالْجَوَارِحِ تَضْبِثُ^(٢)
يُقَاسِمُنِي صَبْرِي عَلَيْهَا وَيَحْتُ
وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَحْدُثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا : إِنِّي لَكَ عَاشِقُ
هَوَى فِي عَفَافٍ لَمْ تُدْنَسْهُ رِيَّةُ
كَمَا كَانَ يَهْوَى قَيْسُ لُبْنَى وَتَوْبَةُ
أَقُولُ ، وَلِلْوَاثِي سَهَامٌ مُصِيبَةٌ:
أَجَلٌ ، صَدَقَ الْوَاشُونَ ، أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَى ، وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكِ الْخَلَائِقُ
سَاخِضُ لِلطَّيْفِ الْمَلْمِ بَعْتِكُمْ
وَالصِّقُ خَدَيَّ فِي الدِّيَارِ بِتُرْبِكُمْ
وَمَا زِلْتُ فِي حَالِي نَوَاتُمْ وَقُرْبِكُمْ
يَضُمُّ عَلَى اللَّيْلِ أَوْصَالَ حَرِّكُمْ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبَنَاتُ^(٣)
هِيَ الدَّارُ ، مَنْ لِي أَنْ أُسَوِّفَ^(٤) تُرَابَهَا
وَأَبْكِي لَيَالِيَنَا بِهَا وَانْقِلَابَهَا
وَسُمِّرًا بِهَا نَحْيُ الْأَعَادِي قِبَابَهَا
كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخُمْرَ شَابَهَا بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ^(٥)

(١) الضمة بالقسم ، وكسحاب ومجاجة : المرض .

(٢) ضبث به يضبط : قبض عليه بكفه .

(٣) البنية : جيب القميص .

(٤) السوف : التمس .

(٥) الذوق : ما يشرب بالعشى — غبق : لقاء ذلك .

نَاوَا ، وَعَسَى تَدْنُو بِهِمْ نِيَّةٌ ، عَسَى
بِشَمْسٍ تَرَدَّتْ فِي الظَّهْرِ حِنْدَسَا^(١)
كَأَنَّ فِيهَا الرُّوضُ لَيْلًا تَنْفَسَا
وَمَا دُقْنَهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفْرَسَا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ

(٥٢٧)

وقال مصرعا قصيدة مهيأ^(٢) :

أَسَاءَتْهَا لِلْبَيْنِ وَهُوَ عَجُولُ
تَأَنَّ ، فَمَا هَذَا الْمَسِيرُ قُفُولُ
وَقُلْ لِي ، فَإِنَّ الْمُسْتَهَامَ سُئُولُ
لِمَنْ طَالَعَاتُ فِي السَّرَابِ أَفُولُ يَقُومُهَا الْحَادُونَ ، وَهِيَ تَمِيلُ
تَجَانَفْنَ عَنْ وَغْتِ الطَّرِيقِ وَسَهْلِهِ^(٣)
وَأَعْرَضْنَ عَنْ خِصْبِ الْمَرَادِ^(٤) وَمَحْلِهِ
فَهُنَّ عَلَى جَوْرِ الْغَرَامِ وَعَدْلِهِ
نَوَاصِلُ^(٥) مِنْ «جَوْرٍ»^(٦) خَوَاضُ مِثْلِهِ صُعُودُ عَلَى حَكَمِ الطَّرِيقِ^(٧) تُزُولُ

(١) الخندس : الطلعة . (٢) رويت هذه القصيدة في جمهرة الإسلام ج ٢ ص ٢٥٥ مخطوطة دار الكتب

٩٣٢٣ أدب وذكرها تحت الباب الثالث من الخمس . وقصيدة مهيأ ربدوانه المطبوع بدار الكتب ٣ : ١٨٨ .

(٣) في الجمهرة « مهله » تحريف . وتجانف : تمايل . والوعث : الطريق العسر .

(٤) المراد : موضع الارتداد وهو طلب الكلاء . (٥) في الجمهرة « فواصل » تحريف . ونصل : نرج .

(٦) جو : موضع . (٧) في ديوان مهيأ (الزمان) .

إِذَا أَجْفَلْتُ فِي الْبَيْدِ جُفْلَ نَعَامِهَا
 كَأَنَّ أَقَاعِي الرَّمْلِ تُخَيِّرُ زِمَامِهَا
 ثَنَّتْ لَيْتَهَا ^(١) تَحَوُّ الصَّبَا وَانْتَسَامِهَا
 هَوَاهَا وَرَاهَا ، وَالسَّرَى عَنْ ^(٢) أَمَامِهَا فَهِنَّ صَحَبَاتُ النَّوَظِرِ حَوْلُ
 بِهَا مِثْلَ مَا بِالظَّاعِنِينَ كَابَةٌ
 وَصَبْرُهُمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ خِلَابَةٌ ^(٣)
 وَلِلشَّوْقِ مِنْهَا ، مَا ^(٤) دَعَاها ، إِجَابَةٌ
 تَضَاعَى ^(٥) ، وَفِي قَرْطِ التَّضَاعَى صَبَابَةٌ وَتَرْغُو ، وَفِي طُولِ الرُّغَاءِ غَلِيلُ
 أَهْلَةٌ بِيَدٍ ، وَالْأَهْلَةُ فَوْقَهَا
 إِذَا لَحَتْ أَجْبَالَ سَلَمَى وَرَوَّقَهَا ^(٦)
 كَفَى شَوْقُهَا شَلَّ ^(٧) الْحُدَاةَ وَسَوْقَهَا
 تُرَادُّ عَلَى "نَجْدٍ" ، وَيَجْذِبُ شَوْقُهَا مَظْلَّ عِرَاقِي الثَّرَى وَمَقِيلُ
 أَلَّا قَلْبًا تَصْفُو مَعَ الْبَيْنِ عَيْشَةً
 وَفِي الشَّوْقِ لِلنَّائِي هُمُومٌ مُطِيشَةٌ
 وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الْمُفَارِقِ بَيْشَةٌ ^(٨)
 وَمَا جَهِلْتُ أَنَّ "الْعِرَاقَ" ^(٩) مَعِيشَةٌ وَرَوْضُ تَرْبِيَةِ صَبٍّ وَقَبُولُ ^(١٠)

(١) الليث بالكسر : صفحة المتق .
 (٢) في الديوان (من) .
 (٣) خلبه : خدعه .
 (٤) في الجهرة (إذ) .
 (٥) تضاعى : تصبج .
 (٦) الروق : مقدم البيت ورواقه .
 (٧) الشل : الطرد ، وفي الجهرة نرس ، ونساء : زجره ، وساقه . (٨) واد بطريق اليمامة مأسدة .
 (٩) في الديوان (الجاز) .
 (١٠) القبول : ربح الصبا .

وفي الركبِ مسلوبُ العِزاءِ فقيدُهُ
 يزيدُ إذا هبَّ النَّسيمُ وقُوده
 وما كلُّ أسبابِ الغرامِ تقوده
 ولكنَّ سحرًا "بَابِلِيًّا" عُقوده تُحلِّلُ ألبابُ به وعُقُول
 وقد حَمَلَتْ لَدَنَ القوامِ رشيقة
 حكى المسكُ فاهه، والمدامَةُ ريقه
 فأضْحَى بها نَانِي الحِلِّ سحيقه
 نجائبُ إنَّ ضَلَّ الحِمَامُ طريقَه إِلَى أَنْفُسِ العُشَّاقِ فَهِيَ دَلِيلُ
 وَإِنِّي لِأَشْكُو مِنْ فِرَاقِكَ هَزَّةً
 وَرَوْعَةً شَوْقٍ لِلْحِشَا ^(١) مُسْتَفِزَّةً
 وَقَدْ وَقَرَّتْ فِي الْقَلْبِ عَيْسُكَ حَزَّةً
 حَمَلَنَ وَجُوهًا فِي الْخُدُورِ أُعِزَّةً وَكُلُّ عَزِيزٍ يَوْمَ رُخَنٍ دَلِيلُ
 كَتَمْتُ هَوَى ظَمِيَاءٍ كَتَمَانَ مُعَانٍ
 وَنَهْنَهْتُ دَمْعًا عَاصِبًا غَيْرَ مُذْعَنٍ
 وَقَدْ قَالَتِ الْأَطْعَانُ لِلْسَّلْوَةِ : اظْغَنِي
 فَسَمَنَ ^(٣) الْعُقُولَ فِي السُّتُورِ ^(٤) بِأَعْيُنٍ قَوَاتِلَ ، لَا يُوْدَى ^(٥) لَهْنٌ قَتِيلُ

(١) في الجهرة (في الحشا) . (٢) الغامياء من الشفاه : الدابة في سمرة .

(٣) هذه رواية الديوان ، وفي الأصل (يسن) تحريف .

(٤) في الجهرة (كاستور) . تحريف . (٥) يودي : تدفع دية .

محبٌ إِذَا مَا اللَّيْلُ غَارَتْ نَجْمُهُ
 تَأَوَّبَهُ^(١) بَثُّ الْهَوَى وَهَمُّهُ^(٢)
 وَفِي الْخِدرِ بَدْرٌ آفَلٌ ، لَا يَرِيهِ^(٣)
 وَفِيهِنَّ حَاجَاتٌ وَدَيْنٌ غَرِيْمُهُ مَلِيٌّ^(٤) ، وَلَكِنَّ الْمَلُولَ^(٥) مَطْوُلٌ
 لُبَانَةٌ^(٦) نَفْسٍ مُسْتَمِرٌّ عَنَاؤُهَا
 عِيَاءٌ عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي دَوَاؤُهَا
 قَضَى جَبْهًا أَلَا يَصَابُ شِفَاؤُهَا
 يَخِفُّ عَلَى أَهْلِ الْقَبَابِ قَضَاؤُهَا لَنَا ، وَهِيَ مَنْ فِي الرُّقَابِ ثَقِيلٌ
 وَقَفْتُ عَلَى رِيعٍ لَظْمِيَاءٍ أَقْفَرًا
 سَقَنَهُ دَمْعِي مَا أَرَا ضَ وَنَوْرًا
 فَقُلْتُ لِحَدَنِي الْخَلِيَيْنِ أَغْنَرَا
 أَبِي الرَّكْبُ «بِالْيَضَاءِ» إِلَّا تَنَكَّرَا^(٧) وَقَدْ تُعْرِفُ الْآثَارُ ، وَهِيَ مُحُولٌ
 سَأَلْتُ سَيَالَاتٍ^(٨) الْحَمَى ، قَتَامَلَتْ
 كَمُوحَدَةٍ مِنْ جَبَرَةٍ قَدْ تَزَايَلَتْ
 قَفَاضَتْ دَمْعٌ كَالْغُرُوبِ تَسَاجَلَتْ^(٩)
 وَلَمَّا وَقَفْنَا بِالذِّيارِ تَسَاكَلَتْ^(١٠) جُسُومٌ بَرَّاهُنَّ إِلَيَّ وَطُلُولٌ

(١) تَأَوَّبَهُ : أَنَاهُ لَيْلًا .
 (٢) لَا يَرِيهِ : لَا يَرِيحُهُ .
 (٣) فِي الدِّيْوَانِ (الْحَمَى) .
 (٤) هَذِهِ دَوَايِهُ الدِّيْوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ (تَذَكَّرَا) .
 (٥) فِي الْجَهْرَةِ «تَسَايَلَتْ» وَالْغُرُوبُ جَمْعُ غَرَبٍ وَهُوَ الْقُلُوبُ .
 (٦) فِي الدِّيْوَانِ (تَشَابَهَتْ) .
 (٧) رَدَّدَ هَذَا الشَّرْطِي الْجَهْرَةُ مَتَأَخَّرًا عَنْ تَالِيهِ .
 (٨) الْحَمَى : الْفَقَى .
 (٩) الْقَبَابَةُ : الْحَاجَةُ .
 (١٠) السَّيَالُ كَسَحَابٍ : مَا طَالَ مِنَ السَّرِّ :

دَعَا أَلْهَوَى وَاسْتَوْقَفْتَنَا الْمَعَارِفُ
وَأَدْمَى الْحَشَا ، وَالشُّوقُ لِلْكَلَمِ^(١) قَارِفُ
حَمَائِمُ وَرِقٍ فِي الْغُصُونِ هَوَاتِفُ
فَبَاكِ بَدَاءٍ بَيْنَ جَنِيهِ عَارِفُ وَبَاكِ بِمَا جَرَّ الْفِرَاقُ جَهُولُ
نَعَمْ ، هَذِهِ الْأَطْلَالُ ، قَفَرُ قَارِبِجٍ^(٢)
وَجَدَّدَ بِهَا عَهْدَ الْمَشُوقِ الْمَوْدِعِ
سَأَسْتَقِي ثَرَاهَا الرِّىَّ مِنْ سُحْبٍ أَدْمِي
وَأَسْأَلُ عَنْ ظَمِيَاءِ^(٣) صَمَاءٍ لَا تَبَى فَارَضَى^(٤) بِمَا قَالَتْ ، وَلَيْسَ تَقُولُ
تُصَدِّقُ ظَمِيَاءَ الْعُدُولِ إِذَا اقْتَرَى
وَأَكْذِبُ سَمِيٍّ فِي هَوَاهَا وَمَا أَرَى
وَأَقْنَعُ مِنْهَا بِالْخَبَالِ إِذَا سَرَى
وَيُعْجِبُنِي مِنْهَا بُزْنُهَا الْكَرَى دُنُوٌّ إِلَى طُولِ الْبِعَادِ يَتَوَلَّى
مَلَلْتُ ، فَكَأَنَّ تَدْنِي إِلَيْكَ شَفَاعَةٌ
وَعِنْدَكَ لِلْوَاشِينَ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ
وَحَفِظْتُ عَهْدَ الْغَادِرِينَ لِإِضَاعَةٍ
وَمَا أَنْتِ يَا ظَمِيَاءُ إِلَّا يَرَاعَةٌ^(٥) تَمِيلُ مَعَ الْأَرْوَاحِ حَيْثُ تَمِيلُ

(١) الكَلَمُ : المَرْحُ . وَالْقَرَفُ : التَّكْسُّ فِي الْمَرْضِ . (٢) رَجَعَ كَتَعَ : وَقَفَ وَانْتَظَرَ وَتَحَبَّسَ .

(٣) الظَّمِيَاءُ : مَنْ الشِّفَاءُ : الذَّالِبَةُ فِي سِمَةِ .

(٤) فِي الْأَسْلِ « قَرَضَى » . وَرَوَاهُ هَذَا الْبَيْتُ مُضْطَرِبَةً فِي دِيْوَانِ مِهْيَارَ . (٥) الْيَرَاعَةُ : الْفَقْصَةُ .

لَأَنْتِ لِنَفْسِي دَاوُهَا وَدَوَاوُهَا
وَرَاخَتْهَا، لَوْ نَلَتْهَا وَشَفَاوُهَا
إِذَا بِنْتُ ضَاقَتْ أَرْضَهَا وَسَمَاوُهَا
فَإِنْ كَانَ سُؤْلًا لِلنَّفُوسِ بِلَاوُهَا فَإِنَّكَ لَلْبَلَاوَى ، وَإِنَّكَ سُؤْلُ

(٥٢٨)

وَقَالَ يُسَمِّطُ قَصِيدَتَهُ الْمِيمِيَّةَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي مَظَانِّهَا مِنْ هَذَا الدِّيَّانِ^(١) :

تَوْهْمٌ مَا أَرَانِي الدَّهْرُ ، أَمْ حُلْمٌ
وَصَبُوءَةٌ كُلُّ هَذَا الْوَجْدُ أَمْ لَمَمٌ^(٢)
أَحْيَيْتُ قَوْمًا، وَإِفْرَاطُ الْهَوَى نَدَمٌ
وَلَوْ ، فَلَبَّ رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلُمُوا فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عُلُوا
سَاوَى حُضُورَهُمْ عِنْدِي مَغْيِيهِمْ
وَصَشْتُهُمْ فِيهِمَا عَمَّا يَبِيهِمْ
وَمُنْذُ قَالَ الْوَرَى : هَذَا حَيِيهِمْ
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيهِمْ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمُ
كَمْ رُضْتُ نَفْسِي بِالسُّلُوانِ ، فَا مَتَنَعْتُ
وَكَمْ أَضَاعُوا مَوَاتِقَ الْهَوَى ، وَرَعْتُ
فَمَا نَقَمْتُ عَلَيْهِمْ غَدْرَةً، فَضَعْتُ^(٣)

وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطْلَعْتُ عَلَى وَدَائِهِمْ فِي صَدْرِي التَّهَمُ

(١) ضما : اختبأ واستتر .

(٢) الم : الجنون .

(٣) راجع ص ٤٠

مِنْ فَرَطٍ وَجَدِي بِهِمْ أَحَبُّتُ غَدَرَهُمْ
 وَاللَّوْمُ فِيهِمْ لَسَمِعِي مِنْهُ ذِكْرَهُمْ
 وَصَنْتُ حَتَّى عَنْ الْأَوْهَامِ سِرَّهُمْ
 فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَا اسْتَوْجَبْتُ هَجْرَهُمْ مَلُّوا ، فَصَدَّهُمْ عَنْ وَصْلَى السَّامِ
 مَا صَرَحُوا لِي بِأَسْبَابِ الْقَلَى ، وَكَنَّوْا
 إِلَّا وَقَالَ الْهَوَى : مَهْلًا ، سَوَاكَ عَنَّا
 وَكَلَّمَا أَهْمَلُوا حَفَظَ الْهَوَى ، وَوَنَوَا
 حَفَظْتُ مَاضِيَعُوا ، أَغْضَبْتُ حِينَ جَنَوَا وَفَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصَلْتُ إِذْ صَرَمُوا
 كَمْ قَدْ سَعَيْتُ حَرِيصًا فِي مُرَادِهِمْ
 وَتَمَّ رَعَيْتُ هَوَاهُمْ فِي بَعَادِهِمْ
 فَمِنْ أَصْبَحْتُ طَوْعًا فِي قِيَادِهِمْ
 حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو : مِنْ وَدَادِهِمْ مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرِي بِهِ الْقَسَمُ
 أَوْطَنُتُهُمْ خَلْبٌ ^(١) قَلْبِي ، دُونَ مَوْطِنِهِمْ
 فَأَخْرَجُوا ^(٢) بِالْتَجَنِّي رَحْبَ مَسْكِنِهِمْ
 حَتَّى لَعْنَدَ مُسَيِّنِيهِمْ وَمُحْسِنِهِمْ
 مَحَاسِنِي ، مُنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ قَذَى ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَمٌّ
 هُمْ أَبَاحُوا الضَّنَى جِسْمِي ، وَكَانَ حِمِّي
 وَأَمْطَرُوا مُقْلَتِي بَعْدَ الدُّمُوعِ دَمًا
 وَمَا رَعَوَا فِي الْهَوَى عَهْدًا وَلَا ذِمًّا
 وَبَعْدُ ، لَوْ قِيلَ لِي : مَاذَا تُحِبُّ ، وَمَا مُنَاكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، لَقُلْتُ هُمْ

(١) الخلب : لحية رفيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد .

(٢) أخرجوا : ضيقوا .

رَاعُوا قَوَادِيَّ الْهَاجِرَانِ حِينَ أَمِنَ
 وَكَانَ بِالْوَصْلِ مِنْهُمْ ، لَوْ رَعَوْهُ ، قِنٌ ^(١)
 وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهُمْ بِالشَّبَابِ غِنٍ
 هُمُ مَجَالُ الْكَرَى مِنْ مُقَاتَلَتِي ، وَمِنْ قَلْبِي مَحَلُّ الْمُنَى ، جَارُوا ، أَوْ اجْتَرَمُوا
 لَمْ يَتْرِكْ الْوَجْدُ لِي فِي غَيْرِهِمْ أَمَلًا
 وَلَمْ أُطِغْ فِيهِمْ نُضْحًا وَلَا عَدَلًا
 وَبَعْدَ مَا أَشْعُرُونِي فِي الْهَوَى خَبَلًا
 تَبَدَّلُوا بِي ، وَلَا أَبْنَى بِهِمْ بَدَلًا حَسْبِي بِهِمْ ، أَنْصِفُوا فِي الْحُكْمِ ، أَوْ ظَلَمُوا
 فَقُلْ لِسَارِي الدَّبْحِ تَهْدِيهِ ظُلْمَتُهُ
 وَاللَّيْلُ كَالْبَحْرِ ، تَعْلُو الْأَرْضُ جُمُتُهُ ^(٢)
 تُغْرِى الْفَلَا وَالدَّبْحِ وَالْهَوْلَ عَزَمَتُهُ
 يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ الْبِيدَاءَ هُمْتُهُ وَالْعَيْسُ تَعَجِزُ عَمَّا تَدْرِكُ الْهَمُّ
 إِذَا وَصَلْتَ ، وَقَاكَ اللَّهُ مَهْلَكَةً
 وَذَادَ عَنْكَ الرَّدَى ، إِنْ خَضْتَ مَعْرَكَةً
 فَمَا سَلِمْتَ فَقَدْ مُلِكْتَ مَمْلَكَةً
 بَلِّغْ أَمِيرِي مَعِينَ الدِّينِ مَأْلَكَةً ^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ لَكِنْ وَدَّهْ أُمُّ ^(٤)

(١) قِن : خَلْقٌ وَجَدِيرٌ .

(٢) الْبَلْمُ : الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، كَالْبَلْمِ . وَمِنْ الظُّهيرةِ وَالْمَاءِ ، مَعْظَمُهُ : بِكَيْفِهِ .

(٣) الْمَأْلَكَةُ : الرِّسَالَةُ .

(٤) الْأُمُّ : الْقَرَبُ . وَفِي هَذَا الدِّوَانِ أَنَّ أَسَامَةَ أَسْقَطَ هَذَا بَيْتًا لَمْ يَرْضَهُ تَصْرِيفُهُ . وَالْبَيْتُ هُوَ :

وَقُلْ لَهُ أَنْتَ خَيْرُ الْتَرَكِ ، فَضْلُكَ الْحَيَاءُ ، وَالْدِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالْكَرَمُ

(وَانْظُرِ الْقِطْعَةَ ٢٦٦ مِنْ هَذَا الدِّوَانِ صَفْحَةُ ١٤٦) .

لَمَّا وَلَيْتَ الرَّعَايَا سُرَّ كُلِّ وَلِيٍّ
وُسُسَتْهُمْ بِالتَّقَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
تُمْضِي الْقَضَايَا بِلَا حَيْفٍ وَلَا زَلَلٍ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مَنْ يُشْكَى إِلَيْهِ ، وَلِيٍّ شَكِيَّةً أَنْتَ فِيهَا الْخُصْمُ وَالْحَكَمُ

فَاسْمَعْ قَضِيَّةً مَأْخُوذٍ بِجُلَّتِيهِ^(١)
وَفَاؤُهُ لَكَ أَرَدَاهُ بِغُلَّتِيهِ^(٢)
وَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا فِي طَبِّ عِلَّتِهِ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَا مَنْ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ يَنْ الْوَرَى عِلْمُ
أَمْ فِي كَرِيمِ السَّجَايَا ، وَهِيَ قَدْ فُقِدَتْ
أَمْ فِي الْعَلَا ، وَهِيَ بِالْعُدْوَانِ قَدْ عُدِمَتْ
وَسَاءَ هَا ، فَلَحَتْ^(٣) ، مِنْ بَعْدِ مَا حَمِدَتْ
تَضْيِيعُ وَاجِبٍ حَتَّى بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْحِدْمُ

يَا لَهْفَ نَفْسِي ، وَلَهْفُ طَالَمَا شَفَّتْ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي تَجَارِييَ وَمَعْرِقِي
حَتَّى اغْتَرَرْتُ بِأَمَالٍ مَزْنَعَرِفَةٍ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ

(١) الخلة بالضم : الصداقة المخصصة لا خلل فيها .

(٢) الغلة : حرارة الحب .

(٣) لحاه : لاهمه .

يَا مَنْ إِذَا اسْتَأْذَنَ السَّاعَى عَلَيْهِ أَذْنُ
 إِذَا الْغَدِيرُ أَقَامَ الْمَاءُ فِيهِ أَجْنُ ^(١)
 وَلَمْ يَطْلُ مَكْتُ مِثَاقِي، فَكَيْفَ أُسْنُ ^(٢)
 وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنَى وَبَيْنَكَ: مَنْ وَدَّ، وَإِنْ أَجْلَبَ ^(٣) الْأَعْدَاءُ، يَنْصَرُّ
 وَكَمْ رَمَانِي الْعِدَا بَغْيًا يِلْفَكِهِمْ ^(٤)
 فَلَمْ أَرْقَ، وَلَمْ أَفْرُقْ ^(٥) لِبَغْيِهِمْ
 وَكَمْ سَعَوَا بِي، فَلَمْ أَحْضِلْ بِسَعْيِهِمْ
 لَكِنْ ثِقَاتُكَ مَا زَالُوا بِغَشَّهِمْ حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 مَا كَانَ أَبْعَدَهُمْ فَهَمًّا، وَأَجْهَلَهُمْ
 مَالُوا، وَمَالُوا ^(٦) عَلَى مَنْ كَانَ مَوْتُهُمْ
 وَقَبْلَهُ خَوَلَا كَانُوا نَفَوْتُهُمْ ^(٧)
 بَاعُواكَ بِالْبَخْسِ، يَرْجُونَ الْغَنَى، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدَمُوكَ، الْوَيْلُ وَالْعَدَمُ
 كَيْفَ اغْتَرَرْتُ بِهِمْ فِيمَا أَمَرْتَهُمْ
 حَتَّى كَانَتْ يَوْمًا مَا خَبَرْتَهُمْ
 وَغَوْرُهُمْ كَانَ يَبْدُو لَوْ سَبَرْتَهُمْ ^(٨)
 وَاللَّهُ مَا نَصَحُوا، لَمَّا اسْتَشَرْتَهُمْ وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ
 كَانَ التَّحَامُلُ مِنْهُمْ فِي إِشَارَتِهِمْ
 وَالتَّقْصُصُ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عِبَارَتِهِمْ
 وَكُلُّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ تَجَارَتِهِمْ
 كَمْ حَرَفُوا مِنْ مَقَالٍ فِي سِفَارَتِهِمْ وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ، ضَلَّ سَعْيُهُمْ

(١) أَجْنُ الْمَاءُ: تَغِيرَ طَعْمَهُ وَلَوْنَهُ. (٢) أُسْنُ: أَجْنُ. (٣) أَجْلَبَ: تَوَعَّدَ بِشَرٍّ.
 (٤) الْيَلْفُ: الْكَلْبُ. (٥) فَرَقَ كَفَرَحَ: فَرَحَ. (٦) مَالُوا عَلَيْهِ: اجْتَمَعُوا.
 (٧) الْخَوْلُ: الْعَيْدُ. وَخَوَلَا: أَعْطَاهُ مَفْضَلًا. (٨) السَّبَرُ: اسْتِئْذَانُ غُورِ الْجَرْحِ وَغَيْرِهِ.

قالوا : الأميرُ وفيّ بالعهود ؛ فلذ
 بذى الحميّة^(١) ، إن خطبُ ألم ، وعذ
 والوصفُ فى السمع قبلَ الإمتحانِ يَلذ
 أين الحميّة ، والنفسُ الأبيّة ، إذ سَامُوكَ خُطّةُ خَسِفَ عَارُهَا يَصُمُ ؟!
 لمّا رأيتَ لصرفِ الدّهرِ وَاِظّةُ
 للخيرِ والشرِّ ما تنفكُ حافظّةُ
 حتى تَشيعَ سماعاً أو ملاحظّةُ
 هَلّا أَتقتَ حياءً أو محافظّةُ^(٢) من فعل ما أنكرته العُربُ والعجمُ ؟!
 أثبتَ فينا ، وما اقتادتك موجدّةُ^(٣)
 إساءةٌ هى للإحسانِ مُفسدةُ
 أغربتَ^(٤) فيها ، بجاءت وهى مُفردةُ
 أسلمتنا ، وسيوفُ الهندِ مغمدةُ ولم يروِ سنانُ السمهريُّ^(٥) دُمُ
 ما شُبتُ حُسنَ ظُنُونِي فيكَ بالثّهمِ
 ولم تَمُرَّ بِفكرِي نَجلةُ النّدمِ
 وأن إلفك الأعداى مُخفّرُ^(٦) ذِمّى
 وكنتُ أَحسبُ مَنْ والاك فى حَرَمٍ لا يَعتريه به شَيْبٌ ولا هَرَمُ

(١) الحميّة : الأثقة .

(٢) المحافظة : الدب عن المحارم .

(٣) الموجدّة : النصب .

(٤) أغربت : آذ بالغريب .

(٥) السهري : الرع الصلب .

(٦) مخفّزى : ناقض عهدى .

يَأْوِي إِلَى حُسْنِ عَهْدٍ مِنْكَ مَا بَتُدَلَا
 وَلَا ابْتَغِي بِصَدِيقٍ صَادِقٍ بَدَلَا
 وَلَا رَأَى الْخَلْلُ مِنْهُ سَاعَةً مَلَلَا
 وَأَنْ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمَوَى ، لَا يَخْشَى الْأَعَادَى ، وَلَا تَغْتَالَهُ النَّقْمُ^(١)
 إِسَاءَةً جَتَّهَا ، وَاللَّهُ يَغْفُرُهَا
 يَذِيْعُهَا الدَّهْرُ فِي الدَّنْيَا ، وَيُنْشُرُهَا
 وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ يَا بَاهَا ، وَيُنْكِرُهَا
 هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا لَا يُكْفِرُهَا عُذْرٌ ، فَإِذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرُمُ
 مَا زِلْتَ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْسِنًا وَرِعًا
 تَرَى الْإِسَاءَةَ فِي وَجْهِ الْعَلَا طَبْعًا^(٢)
 لَكِنْ فَعَلَكَ فِيهِمْ جَاءَ مُبْتَدَعًا
 الْقَتِيَمَ فِي يَدِ الْإِفْرَنْجِ مُتَّبِعًا رِضًا عِدَا يُسْخِطُ الرَّحْمَنَ فَعِلُّهُمْ
 أَخْفَى الْهَوَى عَنْكَ بَعْدَ الْكُشْفِ أَمْرُهُمْ
 حَتَّى لَا تُنْكِرْتَ يَا مُخْدَوِعُ مَكْرَهُمْ
 وَسَوْفَ تَعْرِفُ بَعْدَ الْفَوْتِ غَدْرَهُمْ
 هُمْ الْأَعَادَى ، وَقَالَكَ اللَّهُ شَرَّهُمْ وَهُمْ ، بَزَعْمَهُمُ ، الْأَعْوَانُ وَالْخَلْدُمُ

(١) أسقط أسامه بعد هذا البيت يتا لم يسطه وهو :

وما طمان بأول من أسامه بالـ « سوفاء » ، لكن جرى بالكائن القلم

(واظن القصيدة ٢٦٦ ص ١٤٧) .

(٢) الطبع : الوح الشديد والعيب .

ما أنصفوك ، أتوا ما لست تجهله
 وما استقلوا^(١) بعبء أنت تجهله
 وخالفوا كل خير كنت تفعله
 إذا نهضت إلى مجد تؤله^(٢) تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
 صدقتهم ، وعهود القوم كاذبة
 وكل أحلامهم في الغدير عازبة^(٣)
 لغير دولتك الغراء طالبة
 وإن عرتك من الأيام نائبة فكلهم للذي يبيك مبتسم
 ضلالة قد أظلتهم غوايتها
 ودولة رفعت بالغدير رايتها
 دنت لكفرانها النعمى نهايتها
 حتى إذا ما انجلت عنهم غيايتها بحد عزمك ، وهو الصارم الخدم^(٤)
 وأصبحوا في نعيم ما له خطر
 ما يعترى عيشهم بؤس ولا ضرر
 ولم يرع سرحهم^(٥) خوف ولا حذر
 رشفت آجن عيش ، كله كدر ووردتهم من نذاك الساسل الشيم^(٦)

(١) لا يستقل بالأمر : لا يطيعه .

(٢) أنل ماله : أصله .

(٣) عازبة : بعيدة .

(٤) غيبة كل شيء : ما سترك منه . والخدم : القاطع .

(٥) السرح : فناء الدار .

(٦) الشيم : البارد .

أَحْلَتَهُمْ غَلَطًا أَعْلَى ذُرَا الْأَفُقِ
فَلَمْ يَرَوْا حَقَّ تِلْكَ الْأَنْعَمِ الدُّفُقِ
وَعَامِلُوكَ بَغِيشِ الْغِلِّ وَالْمَلَقِ
وإِنْ أَنَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُحْتَلَقٍ وَاشْ ، فَذَاكَ الَّذِي يُحِبِّي وَيُحْتَرِّمُ

أَخْفَوْا مِنَ الْغِلِّ مَا أَخْفَوْهُ ، ثُمَّ عَلَنَ
وَأَضْمَرُوا مَحْنًا مِنْ غِشِّهِمْ وَمَا حَنَ^(١)
وَأَنْكَرُوا نِعْمًا طَوَّقَتْهُمْ ، وَمَنْ
وَكُلُّ مَنْ مَلَتْ عَنْهُ قَرْبُوه ، وَمَنْ وَالَاكَ فَهُوَ الَّذِي يُقْصَى وَيُهْتَضَمُ^(٢)

مَا زِلْتَ فِي وَدَّهِمْ تَجْرِي عَلَى سَنَنِ
وَهُمْ بِذَاكَ فِي اللَّهِ لِلْغَبَنِ
أَعْوَابُ عَادِيَةِ الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
بَغْيًا وَكُفْرًا لِمَا أُولَيْتَ مِنْ مَنْ وَمَرَاتِعِ الْبَغْيِ ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمُ

أَخْفَيْتَ بِأَدَى مَسَاوِيهِمْ لَتَسْتَرْهُمْ
وَلَوْ كَشَفْتَهُمْ لَمْ تَرْضَ مَكْسَرَهُمْ^(٣)
فَاكْشِفْ بِجَنِّكَ مَا أَخْفَوْا لَتُنْكَرَهُمْ
جَرِيَهُمْ مِثْلَ تَجْرِي لَتُخْبِرَهُمْ فَلِلرَّجَالِ - إِذَا مَا جَرَّبُوا - قِيمُ

(١) الإحْن : جمع إحنة ، وهي الحقد والغضب .

(٢) الَاهْتِضَام : الظلم .

(٣) الْمَكْسَرُ : المخبور والأصل .

مازلتُ، منذُ كنتُ، في عينِ العدوِّ قَذَى
 يرى محلي فوق النجم مُنْتَبِذًا^(١)
 فسلمهم بي تَزِدُّهم من جَوَى وأذى
 هل فيهم رجلٌ يُغْنِي غِنَايَ، إِذَا جَلَّى الحوادثُ حَدَّ السَّيْفِ والقَلَمِ

أَمْ فيهم من يُجَلِّي حِنْدَسَ الشُّبَّه
 يَعْزِمُ أَرْوَعَ^(٢) مِدْرَأَكُ لِمَطْلَبِهِ
 ماضٍ على الهولِ مُسْتَوِطٍ^(٣) لِمَرْكِه
 أَمْ فيهم مَنْ لَهُ فِي الخَطْبِ ضَاقٌ بِهِ ذَرْعُ الرِّجَالِ يَدُ يَسْطُو بِهَا وَفُمُ

عرفتَ غَشْمُهُمْ فِي السَّرِّ والعَلَنِ
 وَأَنْتَ نِيَّاتِهِمْ مَلَأَيْ مِنَ الدَّرَنِ^(٤)
 وَلَمْ تَزَلْ عَاكِفًا مِنْهُمْ عَلَى وَثْنٍ^(٥)
 لَكِنَّ رَأْيَكَ أَذْنَاهُمْ وَأَبْعَدَنِي فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقْتَسِمُ

لَمَّا خَلَطْتَ يَقِينَ الْوُدِّ بِالشُّبَّه
 رَعَيْتَ عَهْدِي بِطَرْفٍ غَيْرِ مُنْتَبِهٍ
 وَمَلْتَ بِالْوُدِّ عَنْ مَلْحُوبٍ^(٦) مَذْهَبِهِ
 وَمَا سَخَطْتُ بِعَادِي، إِذْ رَضِيتَ بِهِ وَلَا بِالْجُرْحِ، إِذَا أَرْضَاكُمُ، أَلَمْ

(١) الاتِّبَازُ : التَّحْيِي .

(٢) الأَرْوَعُ : مَنْ يَعْجَبُكَ بِحَسَنِهِ ، أَوْ بِشَجَاعَتِهِ .

(٣) اسْتَوَطَّاهُ : وَجَدَهُ وَطِيًّا ، أَيْ عَلَى حَالَةِ لَيْتَةٍ .

(٤) الدَّرَنُ : الْوَسْخُ .

(٥) الْوَثْنُ : الصَّمَمُ .

(٦) لَحَبُ الطَّرِيقِ : بَيْتُهُ .

لَا تَحْسَبَنَّ الرَّزَايَا ضَعُفَ جَلْدِي
وَلَا النَّوَى عَنْ دَمَشِقٍ فَتَّ فِي عَضْدِي
أَنْتَى نَوَى اللَّيْثُ فَهُوَ الْخَبِيسُ ^(١) لِلْأَسَدِ
وَلَسْتُ أَمَى عَلَى التَّرْحَالِ عَنْ بَلَدٍ شُهْبُ الْبَرَاةِ سِوَاةٍ فِيهِ وَالرَّحْمُ ^(٢)
أَقُولُ إِذْ فَاتَ حَزِي عَزْمَةُ الرَّشْدِ
وَقَدْ بَدَا لِي مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلْدِي:
لِلَّهِ دَرْكٌ ، لَوْلَا الْغَبْنُ ، مِنْ بَلَدٍ
تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَدِي ثُمَّ أَنْتَنَتْ ، وَهِيَ صِفْرٌ ^(٣) ، مِلْؤُهَا نَدَمٌ
كَمْ عَزَّنِي ^(٤) أَمَلِي فِيهِ ، وَسَوْفِي ^(٥)
وَكَمْ وَنَقْتُ بِمِعَادٍ فَأَخْلَفَنِي
حَتَّى تَلَاشَى رَجَائِي فِيهِ ، ثُمَّ قَنِي
لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي ، وَآسَفَنِي فَنِي الْجَوَانِحِ نَارُ مِنْهُ تَضْطَرِمُ
وَمِثْلُ وَجْدِي لُبْعْدِي عَنْكَ لَمْ أَجِدْ
وَكَمْ شَجِيتُ بِتَرْحَالٍ وَمُفْتَقَدٍ ^(٦)
فَمَا تَنْكَرَ لِي صَبْرِي وَلَا جَلْدِي
فَاسْلَمْ ، فَمَا عِشْتَ لِي فَالْذَّهْرُ طَوَّعَ يَدِي وَكُلُّ مَا نَأْتِي مِنْ بُؤْسِهِ نَعَمُ

(١) الخبيس بالكسر : موضع الأسد ، كالثبيّة .

(٢) البازي : ضرب من العقود . والشهية : يياض يصلحه سواد . والرحم : جمع رنحة ، وهو طائر ضعيف .

(٤) عزّه : غلبه .

(٣) صفر : خالية .

(٦) انتقده : طلبه عند غيبته .

(٥) سوفى : مطلق .

نجز ديوان الأمير: مؤيد الدولة أسامة بن منقذ (رحمه الله) ،
بحمد الله ومنه ، لتسع بقين من صفر ، سنة ثمان وثمانين وستمائة .
كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن أحمد العجمي ،
حامدا لله على نعمه ، ومصليا على نبيه محمد وآله ، ومسلما .

الفهارس

١

فهرس القوافي مرتب على أغراضه الشعرية

في الغزل الباء

الصفحة	البحر
٥١	وتجاف عن تعنيفهم إن أذنبوا الكامل
٥١	وبعد التقال غير بعد السباب الطويل
٥٢	إيماض بارقة خلوب الكامل
٥٢	عن الحب لم يستحسن الظلم في الحب الطويل
٥٣	كانت قطيعته جوابي الكامل
٥٣	فألم وهو بودننا مراتب الكامل
٥٤	فكيف حال من الدنيا تعذبه البسيط
٥٤	لك مسعد فالهجر يظهر حوبه الكامل
٥٤	دم هذا بدمع هذا مشوب الخفيف
٥٥	واصدف عن الواثي المراقب الكامل
٥٥	ونظم الدر بين الراح والحب البسيط
٥٦	فلن رآه اكتن في السحب السريع
٥٦	دعائي قل لي علام ذا الغضب البسيط
٥٧	فمن العناء قياد غير المصحب الكامل
٥٧	ونهاني عن التصابي المشيب الخفيف
	صاحبهم بترفق ما أصحبوا
	بنفسى قريب الدار والهجر دونه
	حتى متى أنا شائم
	نشدتكما يا مدعئين سلوة
	قمر إذا عاتبته
	ذكر الوفاء خيالك المتتاب
	نفسى بزهرة دنياها معذبة
	واعص اصطبارك إن تكفل أنه
	ليس طرفي جارا لقلبي ولكن
	أطع الهوى واعص المعاتب
	من زين الاقحوان الرطب بالشنب
	مهفهف ينجل بدر الدجى
	أدعو على ظلمي فيغضب من
	لا تكثرن عتاب من لم يعتب
	كف عسى واش وأغضى رقيب
	فأجابه :
	بابي شخصك الذي لا يغيب

التاء

٥٨	فاليأس ينقض كل ما أبرمته الكامل
	يا معمل الآمال دع خدع المنى

البحر الصفحة

الجيم

وقائل رأبه ضلالي عن نهجي والحب ما له نهج الخفيف ٥٩

الحاء

نفسى فدت بدر تمام إذا
باح بشكوى ما به فاستراح
أرته غرته في الهجر مصلحتي
عقائل الحسي أم سرب المها سنا
عاتبني بالجد أو بالمزاح الخفيف ٥٩
فهل عليه في الهوى من جناح الخفيف ٦٠
جهلاً فأفسد مني كل ما صلحا البسيط ٦١
أفسدن ما كان بالسليوان قد صلحا البسيط ٦١

الدال

حتام أرغب في مودة زاهد
إن خان عهدك من توده
يا ملولاً قلما يرعى
مروع بالقل والصد ليس له
لا تحسبن اللوم أجدى
قل لمن لم يرع عهدي
حال عما عهدته من ودادي
وأروم قرب الدار من متباعد الكامل ٦٢
ونأى فلا يحزنك فقدته الكامل ٦٣
لمن يهواه عهدا الرمل ٦٤
صبر على الهجر والأعراض يسعده البسيط ٦٤
بل زاده كلفا ووجدا الكامل ٦٥
والذي ضيع ودّي الرمل ٦٥
واعتدى في قطيعتي وبعادي الخفيف ٦٦

الراء

كم إلى كم أكاتم الناس
أيرجع لي شرخ الشباب وعصره
ما هاج هذا الشوق غير الذكر
دعاني إلى هجري بثينة حقبة
ويح العواذل لا خلاق لهم
يا حاضراً بفؤاد ناء غائب
وها ليل خلتنى من طيبه
هبوني كما زعموا مذنباً
يا جائراً وهواي يعذره
ما حيلتي في الملول يظلمني
وجدي ويظهر الخفيف ٦٦
وكيف رجوع الليل قد لاح فجره الطويل ٦٦
وزورة الطيف سرى من مصر الرجز ٦٧
من الدهر خوفي هجرها آخر الدهر الطويل ٦٨
وهموا ولم تصدقهم الفكر السريع ٦٩
والنجم أقرب من ملول حاضر الكامل ٦٩
متفياً في ظل طير طائر الكامل ٧٠
أسأت وقد جئت أستغفر المتقارب ٧٠
منك الذنوب ومنى العذر السريع ٧٠
وليس إن جار منه لي جار المنسرح ٧١

البحر الصفحة

- لا صبر لي عن بدر تم مشرق
أنا أفدي مغرى بصدي وهجري
من عاذر لي ومن للصب يعذره
حتام قلبي بالكآبة مكمد
من عذيري من شادن لم أطلق عند
قالوا اتسلو عن حبيب
ظبي تغار الشمس من حسنه
- أضحى له البين المشت سرارا الكامل ٧١
وهو شمسي ضحى وفي الليل بدري الخفيف ٧١
من ناقض العهد ينساني وأذكره البسيط ٧٢
باك ووجهي للتجمل مفسر الكامل ٧٢
مع النسك والتعلم صبرا الخفيف ٧٢
ك قلت لا والله ، عمري الكامل ٧٣
ماء الحيا من خده يقطر الكامل ٧٣

الشين

- لا ترتج النجح من مواعده
فهي صباح ينجاب عن غبش المنسرح ٧٣

الصاد

- يا من مودته سحاب زائل
وعهوده في الحب ظل قالص الكامل ٧٤
يا غادرين إلام ينسي هجركم
وملالكم أمني بجذ ناكص الكامل ٧٤

الضاد

- صدّ عني وأعرضا
وتناسى الذي مضى الخفيف ٧٤

الطاء

- لك أن أطيعك راضياً أو ساخطاً
وأصون شرك راجياً أو قانطاً الكامل ٧٥
يقر بالذنب يجنيه فأحسبه
قد جاء مستدركاً بالعذر ما فرطاً البسيط ٧٥

الظاء

- أحفظتم قلبي بغدركم
والقلب أدنى الغدر يحفظه السريع ٧٦

العين

- يا موعدي بالوصل وعدا لا يرى
فيه المؤمل للتقاضي موضعاً الكامل ٧٦

البحر الصفحة

أطيع هوى عصماء وهو يضلني وما أنا فيها للنهي يطيع الطويل ٧٦

الفاء

أطاع ما قاله الواشي وما هرفا فعاد ينكر منا كل ما عرفا البسيط ٧٧
ومهفف بي من قسور جفونه سكر يقصر عنه سكر الفرقف الكامل ٧٨
لا تغترر بنحول خصر أهيف فاللوت في حد الحسام المرفف الكامل ٧٨
مستغفر الذنب إن عدت إساءته وكلمها في الحشا يدمي وينقرف البسيط ٧٨
قل للوائم كفوا عن ملامكم فإنه يستثير الهمم والأسفا البسيط ٧٩
باحث بسرك أدمع تكف فاللام تنكر وهي تعترف السريع ٧٩
ما بالملاحة حين تعرض من خفا إن لم تخن فابلغ رضاك من الجفا الكامل ٨٠

القاف

حتى متى يا قلب لا تستفيق حسبك قد حملت ما لا تطيق الرجز ٨١
قمر إذا عاتبته شغفا به غرس الحياء بوجنتيه شفيقا الكامل ٨١
انظر شاتة عاذلي وسروده بكسوف بدري واشتهار محافه الكامل ٨١
يثينه ما أعرضت عنك ملالة ولا أنا عما تعلمين مفق الطويل ٨٢
لله ليلتنا التي رجبت لنا فيها المرة في مجال ضيق الكامل ٨٢
يا لائمي انظر الى قمر في الأرض في وجناته شفق السريع ٨٢
وغزال في فيه راح ودر وعقيق رطب ومسك فتيق الخفيف ٨٣

الكاف

عاديطني حين عاديته الوري فيكا هجر القل والتجني كان يكفيكا البسيط ٨٣

اللام

أما في الهوى حاكم يعدل ولا من يكف ولا يعذل المتقارب ٨٤
قالوا : قلاك وملا فقلت : حاشا وكلا المجتث ٨٦
كم ذا التجني وكثرة العلل لا تأمنوا من حوادث الملل المنسرح ٨٦
قل للملول الذي أعيا تلونه ترى ملالك هذا غير ملول البسيط ٨٦
كيف الخلاص لقلبي من يدي قمر أسير ناظره بالوجد مغلول البسيط ٨٧

البحر الصفحة

- ٨٧ غدرا فودي غير متقل السريع
 ٨٧ لأكرمها عن عرضة اللوم والعذل الطويل
 ٨٨ فما الذي أطمع عدالي السريع
 ٨٨ واسأل معالمها بدمع سائل الكامل
 ٨٩ فأسد فاه العذب بالقليل السريع
 ٨٩ وفي على فمه يقبله السريع
 ٨٩ كتان فيض المدمع الهامل السريع

أحبابنا إن كان هجركم
 يلومونني في حب ليل وإنني
 ما خطر السلوان في بالي
 وإذا مررت على الديار فقف بها
 نفسي القداء لمن يعاتبني
 نفسي القداء لمن يعاتبني
 كتمت بشي غير ان لم أطق

الميم

- ٩٠ فليتهم حكموا فينا بما علموا البسيط
 ٩٠ وناصر العاشقين متهم المنسرح
 ٩٢ فقواك تضعف عن صدور دائم الكامل
 ٩٢ ما عسى دولة الصبا أن تدوما الخفيف
 ٩٢ وجسم مشعر سقما الوافر
 ٩٣ وضاع ودي في الظن والنهم المنسرح
 ٩٣ وخافراً حرمة الدمام البسيط
 ٩٣ إلى هواكم وفاء لست أسأله البسيط
 ٩٤ وبع فما الحب في حال بمكتتم البسيط
 ٩٤ سلوا وقلبي بهم مغرم السريع
 ٩٥ ف رقيه لي منه قسما الكامل
 ٩٥ يغضب أن أدعو على ظلمي السريع
 ٩٦ وألزموني الذنب والجاني هم الرجز

ولوافلما رجونا عدلهم ظلموا
 أقصر فلومي في حبه لم
 لا تستعر جلدأ على هجرانهم
 قل لمن ناء بالجمال علينا
 جفون تستهل دما
 مل وأبدى تهم السام
 يا ناسياً عشرة التصافي
 يريني ما أرى منكم ويعطفني
 أجب دواعي الهوى بالأدمع السجم
 ما أنصفوا في الحب إذ حكموا
 قسما بمن لم يبق خو
 قولاً لذا الغضبان يا ظالما
 لما رأوا وجدي بهم تجرموا

النون

- ٩٦ وبارق مسم أم برق مزن الوافر
 ٩٧ والياس منك الى السلوان أجنبي البسيط
 ٩٨ على قد لج في صدي وهجراني البسيط
 ٩٨ إليه وفاء بالأخاء ضنين الطويل
 ٩٨ ويا مبيح الدمع أجفاني السريع
 ٩٩ وأدفع بالشك عنك اليقينا المتقارب
 ٩٩ يا مرشدي عن منهج السلوان الكامل

عيا ما أرى ام بدر دجن
 إصلاح قلبك اعياني فأحياني
 يا رب خذ بيدي من ظلم مقتدر
 إذا أوحشتني جفوة الخلل ردي
 بالله يا مغرى بهجراني
 إلى كم أرجم فيك الظنونا
 زندي جوى يا حبه وأضلني

البحر الصفحة

- أيا هاجراً كلما زدت في
يا معرضاً راضياً وغضبانا
يا فتنة عرضت لي بعد ما عزفت
أحببتها في عنفوان الصبا
خضوعي له زاد هجرانه المتقارب ٩٩
وهاجري هاجماً ويقظانا المنسرح ١٠٠
نفسى عن اللهو واقتاد الهوى رمنى البسيط ١٠٠
وقلت إن الشيب يسليني السريع ١٠٠

الهاء

- يا هلالاً إذا تبدى يراه الـ
قل لمن أوحش بالهجر
تحفنى عليّ ذنوبه في حبه
نبئت انهم بعد العباد نسوا
حوري لا يمل رآؤه منه الخفيف ١٠١
جفوني من كراها الرمل ١٠١
ويرى ذنوبي قبل أن أجنيها الكامل ١٠٢
عهدي وقالوا مضى أمس بما فيه البسيط ١٠٢

الياء

- يغالطني فيكم هواي فأنشي
يا سائلي عما به
يا قمر أعجب ما فيه
إليكم على إنكار ما قد بدا ليا الطويل ١٠٣
سر المحب علانيه الكامل ١٠٣
در بديع النظم في فيه السريع ١٠٣

٢

شكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق

الباء

- أحبابنا من غاب عمن يوده
ألمياء إن شطت بنا الدار عنوة
يا آمري بالصبر إـ
يا دهر مالك لا يصد
علام يا دهر بالعدوان تحبسنى
رمتنا الليالي بافتراق مشئت
إلى الله أشكو عيشة قد تنكدت
إلى كم أعني بالسرى والسبابس
أميت مثل الشمع يشرق نوره
فسيان عندي بعده واقترا به الطويل ١٠٤
فداراك أجفاني القريحة والخلب الطويل ١٠٤
ن البين موعده الغروب الكامل ١٠٥
ك عن إساءتي العتاب الكامل ١٠٥
في غير جنسي ولم أفتقد ولم أغب البسيط ١٠٦
أشت وأنأى من فراق المحصب الطويل ١٠٦
علي ودهراً قد ألحت نوابه الطويل ١٠٦
ويصدع شملي بالنوى والنوابس الطويل ١٠٧
والنصار في أحشائه تلهب الطويل ١٠٧

الجيم

- لم ينهه العذل لكن زاده لهجا
والعذل مما يزيد المستهام شجى البسيط ١٠٧

الحاء

- كتم الجوى القلب القريح فأذاعه الدمع الفضوح الكامل ١٠٨
يا نازحين واصطباري والأسى يحم ذا دمعي وهذا ينزح الكامل ١١٠

الذال

- يا دار إن بخلت على مغناك سارية العهد الكامل ١١٠
أنظن صبرك منجداً إن أنجدوا هيات ليس لمستهام مسعد الكامل ١١١
ما ينكر الأخلاء من كمدي لا جزعي مسعدي ولا جلدي المنسرح ١١٢
دعوني أبح ما مثل وجدي يجحد عسى جمرات في الجوانح تحمد الطويل ١١٢
أيلام مسلوب الفؤاد فقيده جحد الغرام فأنبتته شهوده الكامل ١١٣
ولما تصافينا وأخلصى ودنا ورد بيأس كاشع وحسود الطويل ١١٣
أسير إلى أرض الأعداء وفي الحشا لبغضهم نار تلظى وقودها الطويل ١١٤
إذا مر ذراكم بقلبي تضايقت ضلوعي عما تحتهن من الوجد الطويل ١١٤
عليك بالصبر يا قلبي فإن خفيت سبيله عنك فاسأل عنه من فقدا البسيط ١١٤
هب أن مصر جنان الخلد ما اشتهد النفوس فيها من اللذات موجود البسيط ١١٥
بنفسي بعيد الدار بي من فراقه جوى أو رآه البعد رق لي البعد الطويل ١١٥
تشاءت بنا عن أرض نجد وأمله نوى غربة كالصدع في الحجر الصلد الطويل ١١٥
أقول لعيني يوم توديعهم وقد جرت بنجيع فوق خدي مزبد الطويل ١١٦
قد مرنت قلوبنا على النوى فما تشكي من أليم الوجد الرجز ١١٦
أنهم فيكم لا تمى وأنجدا وما أفاد سلوة إذ فندا الرجز ١١٦

الذال

- صدوه وهو صدى الفؤاد إليهم ظام يحوم عليهم ويلوذ ١١٨

الراء

- لا غرو إن هجر الخيال الزائر ما يستزير الطيف طرف ساهر الكامل ١١٨
تناموا وما شطت بنا عنهم الدار ومالت بهم عنا خطوب وأقدار الطويل ١١٩
ما أنت أول من تناءت داره فعلام قلبك ليس تحبو ناره الكامل ١٢٠
أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر فليس له نهى عليه ولا أمر الطويل ١٢٢

البحر الصفحة

١٢٤	الطويل	سوى أنسي باق وليي حاضر	أحبابنا ما أشتكي بعد بعدكم
١٢٤	البيط	بكاء عن لذة التوديع والنظر	يا عين في ساعة التوديع يشغلك الـ
١٢٥	البيط	ولا أجالتك خلواتي بأفكاري	يا مصر ما درت في وهمي ولا خلدي
١٢٥	الكامل	العيش مذ بنتم غرور	يا غائبين رجاي طيب
١٢٥	البيط	فقد ترى قلة أنصاري	يا دمع أنجدني على بعدهم
١٢٦	الطويل	جفوني وأذكت بالهموم ضميري	إلى الله أشكو فرقة دميت لها
١٢٦	الطويل	وراجعني حلمي ووازنسي صبري	وجدد وجدي بعد ما كان قد عفا
١٢٧	الطويل	بسمعي عن غير اعتماد لكم ذكر	كأنني عجلول أو نكول إذا جرى
١٢٧	المنسرح	ومثلهم لقلبك الفكر المنسرح	ناوياً فادنتك منهم الذكر
١٢٧	الطويل	ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهر	غرضت من الهجران والشميل جامع
١٢٧	الخفيف	فارغ البال من همومي وفكري	وصف الصبر لي جهول بأمري

الضاد

١٢٨	الكامل	ودعته حذرا بطرف معرض	في ذلك الحى المعرض لي هوى
-----	--------	----------------------	---------------------------

الطاء

١٢٨	الطويل	ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا	أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شطوا
١٣١	الطويل	مساغاً ولا طول البكاء يميطة	إلى الله أشكو من جوى لم أجد له

العين

١٣١	الكامل	نفس تقوم له حنايا أضلعي	أحبابنا لي عند خطرة ذكركم
١٣٢	البيط	وفي التجارب بعد ألغي ما يزع	يا قلب دهمهم فقد جربت غدرهم
١٣٢	الرجز	مروعا	إلى متى أمسي وأضحى
١٣٢	الكامل	ومضان ذاك البارق اللماح	أرأيت بين معاطف الأجراع
١٣٢	الكامل	شوق دعا أفلا أجب الداعي	ما أنكروا من عزمتي وزماعي

الغين

١٣٣	الكامل	يصني إلى نصح ووعظ بالغ	يا لائس المشتاق دعه فقلها
-----	--------	------------------------	---------------------------

الفاء

- أسير نحو بلاد لا أسر بها
يا لائم المشتاق تعني
أحبابنا من لي لو
أذكرهم الود إن صدوا وإن صدفوا
ما منهم لك معاض ولا خلف
- إذا تبدت لعيني هيجت أسفي البسيط ١٣٣
ف المشوق الصب عنف الكامل ١٣٤
دام التداني والجفا الرجز ١٣٤
إن الكرام إذا استعطفتهم عطفوا البسيط ١٣٥
فكيف يصبر عنهم قلبك الكلف البسيط ١٣٦

القاف

- لو أحسنوا في ملكنا أو أعتقوا
يا قلب كم يستخفك القلق
ماذا يروعك من وجدي ومن قلقي
ولما وقفنا للوداع عشية
ألف القل وأجاب داعية النوى
رفقا بقلب الصب رفقا
أقول للعين في يوم الفراق وقد
من مبلغ النائي المقيم تحية
أحبابنا ما لي إلى الصبر عنكم
إن تقطع الأيام منك علائقي
طالت يد البين في تفريق ألفتنا
بالغور أهلك يا بشين وأهلنا
كم ترزمني وكم تحني يا ناق
ليت من يسأل جيران النقا
أشتاقكم فإذا نظرت إليكم
خليلي زورابي رويقة إنني
- لصفا لهم من ودنا ما رنفوا الكامل ١٣٧
غير جميل بمثلك الخرق المنسرح ١٣٨
أم ما يريك من أجفاني الدفق البسيط ١٣٩
وطرفي وقلبي أدمع وخفوق الطويل ١٤٠
فليت منه بهجرة وفراق الكامل ١٤٠
هو دونكم بالبين يشقى الكامل ١٤٠
فاضت بدمع على الخدين مستبق البسيط ١٤٠
من راحل شاك جوى أشواقه الكامل ١٤١
دليل وقد ضلت على طريقه الطويل ١٤١
فأنا المواصل بالوداد الصادق الكامل ١٤١
فيا لها قصرت عن جمع ما افترقا البسيط ١٤٢
بالأبرقين فأين أين الملتقى الكامل ١٤٢
حسبك قد هجت الجوى والأشواق السريع ١٤٢
هل لنا بعد افتراق ملتقى الرمل ١٤٣
زاد الدنو صبابتي وتشوقي الكامل ١٤٣
اليها على قرب الزيارة شيق الطويل ١٤٣

الكاف

- نافقت دهري فوجهي ضاحك جذل
يا قلب مت كمدا على
- طلق وقلبي كئيب مكمد باك البسيط ١٤٤
من غبت عنه وغاب عنك الكامل ١٤٤

اللام

- لا ذنب للصب المشوق إذا بدت
أسراره يوم النوى للعدل الكامل ١٤٤

البحر الصفحة

- نفسي الفداء لمن قبلته عجلا
ونازح في فؤادي من هواه صدى
بنفسي عذول لام فيكم فرد لي
والبين يعجب من وجدي ومن عجل
لم يرو غلته بالعلل والنهل
بذكركم روح الحياة عذول الطويل

الميم

- ما استجهلتك معالم ورسوم
إن لم تطيقا يوم رامة
إن لم أبح بهواك قلن لوائمي
أحبابنا مذ أفردتني منكم
قل للذين نأوا والقلب دارهم
كم قد جزعت لبين من فارقه
وهاج لي الشوق القديم حمامة
سهرت بخزبترت فطال ليلي
ما لي وللجبل الأغر وإنما
إلا ليعلمن شرك المكتوم الكامل ١٤٦
أن تسعدا فذرا الملامة الكامل ١٤٧
ذا مبطل ما الكتم شيمة هائم الكامل ١٤٨
صروف الليالي أفردتني بالهم الطويل ١٤٨
وجداننا كل شيء بعدكم عدم البسيط ١٤٨
وصبرت عنه والحشا يتضرم الكامل ١٤٩
على غصن في غيضة تترنم الطويل ١٤٩
علي ولم يطل ليل النيام الوافر ١٤٩
كل الهوى جبل أشم بهيم الكامل ١٤٩

النون

- ما يريد الشوق من قلب معنى
يا ناق شطت دارهم فحني
اعلمت ما فعلت به أجفانه
أهكذا أنا باقي العمر مغترب
أين السرور من المروع بالنوى
قسم الهوى دهر المزرع بالنوى
منصور دارك أضحت منك موحشة
وقد أفردتني الحادثات فليس لي
ذكر الآلاف والوصل فحنا الرمل ١٥٠
وأعلنني الوجد الذي تجنى الرجز ١٥١
سحت فباحث بالهوى أشجانه الكامل ١٥٢
ناء عن الأهل والأوطان والسكن البسيط ١٥٤
أبدأ فلا وطن ولا خلان الكامل ١٥٤
شطرين بين شثونه وشجونه الكامل ١٥٤
قد أقفرت بعد سكان وجيران البسيط ١٥٥
أنيس ولا في طارق الخطب أعوان الطويل ١٥٥

الهاء

- سلا قلبه ما غال حسن سلوه
ألا من لصاد والموارد حمة
بكاء مثلي من وشك النوى سفه
يا قلب رفقا بما أبقيت من جلدي
ما وجد من فارق أحبابه
بأبي هوى فارقه ولثله
ورده في الهوى وغلوه الطويل ١٥٥
له علل من بردها لم يروه الطويل ١٥٦
وأمر صبري بعد البين مشبه البسيط ١٥٦
كم ذا الحنين إلى من أنت مثواه البسيط ١٥٧
كوجد من فارق روح الحياة السريع ١٥٧
لو كان يوجد مثله خلق الهوى الكامل ١٥٨

المكاتبات والمعاتبات

الهمزة

لئن غربت شمسي المنيرة في النوى فليلي وصبحي في الظلام سواء الطويل ١٥٩

الباء

لم يبق لي في هواكم أرب سلوتكم والقلوب تنقلب المنسرح ١٥٩
وقد كنت أرجو أن أراك وبيننا مفاوز أذناها الشناخيب والسهب الطويل ١٦٠
تبذل حتى قد مللت عتابه وأعرضت عنه لا أريد اقترابه الطويل ١٦٠
أيا نازحاً لم أحتسب بعد داره وقد كان لو نلت المنى قربه حسبي الطويل ١٦٠
يا من به سلوتي عن كل مفقود ومن مودته أدنى من النسب البسيط ١٦١
أيا غائباً يدنيه شوقي على النوى لأنت إلى قلبي من الفكر أقرب الطويل ١٦١
وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رضيت بعد السديار من القرب الطويل ١٦٢
لئن فرق الدهر المشتت شملنا فأصبحت في شرق وأمست في غرب الطويل ١٦٤
أبا البركات لي مولى جواد مواهبه كمنهل السحاب الوافر ١٦٤
لي صديق أفضي إليه بسري وخبايا صدري ومكنون قلبي المديد ١٦٤

التاء

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت الوافر ١٦٥

الثاء

أيا منقذي والحادثات تنوشني ودافع همي إذ ترادف بعثه الطويل ١٦٥

البحر الصفحة

يا ثانياً للنفس وهـ و لناظري أعز ثالث الرجز ١٦٦

البدال

يا من هواه على التنا ئي والتداني في ازدياد الكامل ١٦٧
أسكن قلبي والمهامه بيننا وإنسان عيني والمزار بعيد الطويل ١٦٨
أبا حسن وافي كتابك شاهرا صوارم عتب كل صفح لها حد الطويل ١٦٨
ألا أبلغنا عني أناساً صحبتهم فما حفظوا عهداً ولا راعوا الودا الطويل ١٦٨

الراء

أحبابنا خطب التفرق شاغل عن العتب لكن جاش بالكمد الصدر الطويل ١٦٩
وكتاب منك فاجأني كبشير جاء بالظفر المديد ١٧٠
يا بعيداً أحله الشوق قلبي وناظري الخفيف ١٧٠
يكأثر ماء الرزم عند أدكاركم دموعي ولكن ذا برود وذو قطر الطويل ١٧٠
أشمس الدولة اسمع بث شوق يضيق بمثله ذرع الصبور الوافر ١٧١
أحبابنا ما مصر بعدكم مصر ولكنها قفر إليكم بها فقر الطويل ١٧١
تذكره أحبابه الأنجم الزهر فيا ويحه ماذا به صنع الذكر الطويل ١٧١
لأشكرن اهتماماً منك يذكرنني في البعد حتى كأنني مصقب الدار البسيط ١٧٢
أصبحت بعدك يا شقيق النفس في بحر من الهم المبرح زاخر الكامل ١٧٣

السين

كتابي ولولا أن يأسى قد نهي اشتياقي لذاب الطرس من حر أنفاسي الطويل ١٧٣

المين

ما لي وللشفعاء فيما أرجي من حسن رأيك في وهو شفيعي الكامل ١٧٤

البحر الصفحة

نظام الدين لا سقيا لخطب رمانا بالنوى بعد اجتاع الوافر ١٧٤

الفاء

مواصلتي كسبي إليك تزيدني إليك اشتياقا بل عليك تأسفا الطويل ١٧٤
وابتزني رأي عز الدين مستلما من بعد ما عملي إحسانه وضفا الطويل ١٧٥
لكنتي أشكو قوارص من تلقائهم قلبي لها يجف السريع ١٧٦

القاف

يا بن الألى جمع الفخار لبيتهم ما شئتوه من العطاء وفرقوا الكامل ١٧٧
إيهأ بحقك مجد الدين تعلم أن الصبر عنك أو السلوان من خلقي البسيط ١٧٩
أحبابنا هلا سبقتم بوصلنا صروف الليالي قبل أن نفرقا الطويل ١٨٠
بعدت مسافة بيننا وتوحشت حتى على طيف الخيال الطارق الكامل ١٨١
أبا حسن لولا التعلل بالمتى قضى كمدا قلب إليك مشوق الطويل ١٨١
لا تغمدن نصيحتي بشقاق وأبيك ما السلوان من أخلاقي الكامل ١٨١
أتظن أني بعد بعدك باقي أجزي عن الأشواق بالأشواق الكامل ١٨٣
يا راكب الشدنية الغيداق ومتابع الزملان بالإعناق الكامل ١٨٣
قد كنت أحسب أن أمد منتهى أمد الفراق الكامل ١٨٥
ضياء الدين ما شوق دعاني فأسمعني بمصر من العراق الوافر ١٨٥
كم إلى كم يلحى المحب المشوق وهو من سكرة الهوى لا يفيق الخفيف ١٨٦
نظام الدين كم فارقت خلا وكم صليت حشاي لظى اشتياق الوافر ١٨٧
أبا الحارث أسلم من حوادث دهرنا ومن حر أنفاس المشوق المفارق الطويل ١٨٧

اللام

أبا حسن قدرا بعد بعدكم على القلب هم ما أراه يزول الطويل ١٨٨

البحر الصفحة

- | | | |
|-----|-------------------------------------|---------------------------|
| ١٨٨ | بفتح سبل اللقاء الزجر والقال البسيط | وافى كتابك مفتوحاً فبشرني |
| ١٨٩ | وما استقلت بكم للين أجمال البسيط | أبا المظفر أشواق مبرحة |
| ١٨٩ | وصدقت لي في علياء آمال البسيط | يا خير من علفت كفي مودته |
| ١٩٠ | أنا بالهجر والنوى مشغول الخفيف | أين سمعي عما يقول العذول |

الميم

- | | | |
|-----|---------------------------------------|----------------------------------|
| ١٩١ | أغرى الزمان بكم عرامه الكامل | أبني السرى والبيد لا |
| ١٩١ | سرت سرى الطيف من مصر إلى الشام البسيط | وكيف أشكر من أسدى إلى يدا |
| ١٩٣ | وما كذا يفعل الإخوان والخدم البسيط | قصرت في خدمي تقصير معترف |
| ١٩٤ | حتى يخلصه السلطان والحكم البسيط | يلط بالدين من مولاه مسلمه |
| ١٩٤ | وبالمودة منكم إنها رحم البسيط | أقسمت بالجود منا إنه قسم |
| ١٩٦ | والعيس تعجز عما تدرك الهمم البسيط | يا راكباً تقطع اليباء همته |
| ١٩٩ | يغني ندى كفه عن وابل الديم البسيط | يا ناصر الدين يا بن الاكرمين ومن |

النون

- | | | |
|-----|----------------------------------|---------------------------|
| ٢٠٠ | أوطانها ونبت به أوطانه الكامل | هذا كتاب فتى أحلته النوى |
| ٢٠٠ | حنين ألوف بان عنها قرينها الطويل | أحسن إليكم والمهامه بيننا |
| ٢٠١ | عني عوادي الهم والأشجان الكامل | نفي الفداء لمن أدود بذكره |
| ٢٠١ | وفي شيزر أحبابه وشجونه الطويل | وإن امرأ أضحى بإربل داره |

الهاء

- | | | |
|-----|----------------------------------|-----------------------|
| ٢٠١ | وإن أغب صدعني معرضاً ولها البسيط | إن ألقه سره قربي وآسه |
|-----|----------------------------------|-----------------------|

الياء

- | | | |
|-----|-------------------------------------|--------------------------|
| ٢٠٢ | قدحت زناداً في الجوانح واريا الكامل | وافى كتابك معلناً بملامة |
|-----|-------------------------------------|--------------------------|

٤

الأوصاف

الباء

رقصت أرضه عشية غنى الر عد في الجو والكريم طروب الخفيف ٢٠٣

الذال

وماحب لا تمل الدهر صحبته يشقى لنفمي ويسعى سعى مجتهد البسيط ٢٠٣

العين

أنيسي في ليل القطيعة مشهي نحولا وتسهيذا ولونا وأمعما الطويل ٢٠٤
ومفردة تبكي إذا جن ليلها خفانا وفي أحشائها النار واللدغ الطويل ٢٠٤

القاف

وصل عنك المموم إن طرقت بينت كرم في الكأس تأتلق المنسرح ٢٠٤
أعجب لمحتجب عن كل ذي نظر صحبته الدهر لم أسبر خلائقه البسيط ٢٠٥

الميم

وافتك حالكة السواد يخالها صيغ الشباب الناظر المتوسم الكامل ٢٠٥

٥

الملح

الباء

قولا لريم في حلة العرب إليك أشكو ما يصنع اسمك بي المنسرح ٢٠٦

البحر الصفحة

الشاء

متى أرى الطوبان قد مهدت حيطانه السود المحارث السريع ٢٠٧

الراء

شبيهة حبات القلوب لك الهوى وهل لفؤاد عن سويدائه صبر الطويل ٢٠٧
انظر إلى الأيام كيف تقودنا قرأ إلى الإقرار بالأقدار الكامل ٢٠٧

الشين

أميرنا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الطاعات منكش البسيط ٢٠٨

الصاد

رمان مصر كأنه ذرة أكله شاخص من الغصص السريع ٢٠٨

القاف

إذا صاحبت عمراً في طريق فقد سايرت ظلك في الطريق الوافر ٢٠٨

اللام

عابوا هوى شادن في رجله قصر من سكر الحافظه في مشبه ثمل البسيط ٢٠٩

الميم

نزلت بأرض بالوا وهي حصن علا حتى تمنطق بالنجوم الوافر ٢٠٩
عتيق كالهلال إذا تبدي لساري الليل من تحت الغيوم الوافر ٢١٠

النون

يا ساكني جنة رضوان خازنها العيش في روج وريحان البسيط ٢١٠
وصفوا لي بغداد حيناً فلما جئها جئت أحسن البلدان الخفيف ٢١١

المديح

الباء

- لقد عم جود الأفضل السيد الورى
وأغنى غناء الغيث حيث يصبوب الطويل ٢١٢
غرني لامع السراب وهذا البحر
ر دوني عذب المياه شروب الخفيف ٢١٢
يا أخلاي بالشأم لئن غبتم
فشوقي إليكم لا يغيب الخفيف ٢١٤

الجيم

- يا منتهى الأمل امتدت مطارحه
ويا حمى من إليه في الخطوب لجا البسيط ٢١٧

الحاء

- فيا أخوا العزم يطوي اليد متصلنا
في سيره عن مسير العاصفات وحى البسيط ٢١٨

الذال

- كناس سرب المها عريسة الأسد
فكيف بالوصل للمستهتر الكمد البسيط ٢١٨

الراء

- يا منقذي ويد الزمان تنوشي
ومقيل جدي وهو كابٍ عائر الكامل ٢١٩
كل يوم فتح مبین ونصر
واعتلاء على الأعادي وقهر الخفيف ٢٢٠
صديق لنا كالليل يستر الد
خان وييدي النور للمتور الطويل ٢٢١
يا من يمين المال في كسب العلا
ويرى الثناء أجل ذخـر يذخر الكامل ٢٢١
لكن مكانسي من أنعم الملك الصـالح لا تهدي له الغير المسرح ٢٢٢
سأرحل عن جنابك غير قال
بشكر يفغم الأفـاق نشر الوافر ٢٢٣

السين

- لله درك من فتى أبدت به
أيامنا بشر الزمان العابس الكامل ٢٢٣

البحر الصفحة

الطاء

ومن علقته بالصالح الملك كفه فليس له دون العلا والغنى شرط الطويل ٢٢٤

العين

لئن شئت أيدي الحوادث شملنا فوجود أبي الغارات للشمل جامع الطويل ٢٢٨
فإليك بنت الفكر من بعد المدى تهدي فشرها بحسن سماع الكامل ٢٢٨

الفاء

هو الجواد الذي يلقاه مادحه وإن غلافوق ما أثنى وما وصفا البسيط ٢٢٩
من كان لي من حماء خيس ذي لبد ضار ولي من نداه روضة أنف البسيط ٢٢٩
آدابك الغر بحر ما له طرف في كل سمع بدا من حسنه طرف البسيط ٢٣١
دع ذا وقل لبني الآمال قد وضحت لكم سبيل الأمانى وانجلي الأسف البسيط ٢٣٣
علومك البحر غمرا ليس تنتزف أساعنا لمعاني درها صدف البسيط ٢٣٥

القاف

تهمي مواهبه والسحب جامدة فمن يديه مصاب الوابل الغدق البسيط ٢٣٨
مثل منهل أنعم الملك الصا لح يروي دان به وسحيق الخفيف ٢٣٨

اللام

أبا تراب دهرنا جاهل يرفع للشبه ذوي الجهل السريع ٢٣٩
أبا حسن في طي كل مساء من الله صنع للعباد جميل الطويل ٢٣٩
يا مستقل الغنى فيما تجود به ومن مواهبه كالعارض المظل البسيط ٢٤٠
فتي التجى إليه من الخط ب وذخري إن غال وفري غول الخفيف ٢٤١
زدني علا لا أرتضي باللهي حسي ما نولت من مال السريع ٢٤٢
والجور في حكم الصباية جائز بخلاف أحكام الملك العادل الكامل ٢٤٢

الميم

وسر إلى بحر خضم له من عزمه سيف وغى مخذم السريع ٢٤٣

البحر الصفحة

٢٤٣	سات لأمر عرا ومهم ألم المتقارب	دعوتك يا عمر المكرم
٢٤٤	قضاء فرضك عما فات من خلدي البسيط	لو استطعت ولو ملكت أمري في
٢٤٤	أخلاقك الغر يا ذا البأس والنعم البسيط	خلق تحل به سلمان بينك من
٢٤٩	سهل فما في منه منّ السريع	يا منعماً مورد إحسانه

٧

الافتخار

٢٥٠	ضلالاً لما ظنوا وهل يكسد التبر الطويل	أظن العدا أن ارتحالي ضائري
٢٥١	لتحيا بنا الدنيا : ويفتخر العصر الطويل	أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر

الفاء

٢٥٦	فيه على ما رايتني صلف السريع	يأبى احتمال الضيم لي خلق
-----	------------------------------	--------------------------

اللام

٢٥٧	مالي أبى لي أن أعد بخيلا الكامل	جودي بموجودي على النكبات في
-----	---------------------------------	-----------------------------

٨

الحماسة

الهمزة

٢٥٨	مراراً ولكن ما الدماء سواء الطويل	قتلنا بقتلنا من القوم مثلهم
-----	-----------------------------------	-----------------------------

الباء

٢٥٨	قواي عن سعي الى الحرب السريع	رجلاي والسبعون قد أوهنت
-----	------------------------------	-------------------------

الجيم

٢٥٩	ثبتت أواخي ملك كل متوج الكامل	أنا تاج فرسان الهياج ومن بهم
-----	-------------------------------	------------------------------

البحر الصفحة

الحاء

لخمس عشرة نازلت الكماة إلى أن شبت فيها وخير الخيل ما قرحا البسيط ٢٥٩

الذال

ولكنني ألقى الحوادث وادعا بقلب أريب بأسه يتوقد الطويل ٢٥٩
يا عجباً من وشك بين ما رغت فيه مطايانا ولا الحادي حدا الرجز ٢٦٠

السين

سل بي كماء الوغى في كل معركة يضيق بالنفس فيها صدر ذي الباس البسيط ٢٦١

الطاء

ولكن قضت فينا الليالي يجورها وعادتها كفر الفضائل والغمط الطويل ٢٦١

الفاء

إن يحسدوا في السلم منز لتي من العز المنيف الكامل ٢٦٢

القاف

قلبي وصبري إلفان مذ خلقا تقاسما صادقين لا افترقا المنسرح ٢٦٢
قالوا ترشفت الليالي مائه واغتاله بعد التمام محاق الكامل ٢٦٣

اللام

قل لابن منقذ الذي قد حاز في الفضل الكمالا الكامل ٢٦٣
يا أشرف الوزراء أخلاقاً وأكرمهم فعالا الكامل ٢٦٥
يجهل في الإقدام رأيي معاشر أراهم إذا فروا من الموت أجهلا الطويل ٢٦٨
قل للخطوب إليك عني إن لي في الخطب عزماً مثل حد المنصل الكامل ٢٦٩

الميم

إذا ضاق بالخطى معترك الوغى وهال الردى وقع الظبا في الجاهم الطويل ٢٦٩

البحر الصفحة

- معين الدين كم لك طوق من
 ألا هكذا في الله تمضي العزائم
 لك الفضل من دون الورى والمكارم
- بجيدى مثل أطواق الحمام الوافر ٢٦٩
 وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم الطويل ٢٧٠
 فمن حاتم ما نال ذا الفخر حاتم الطويل ٢٧٤

النون

- إليك فما تشني شئونك شاني
 ولا تملك العين الحسان عناني الطويل ٢٧٨

الهاء

- كم تغص الأيام منى وتأيى
 همتي أن تنال منى مناها الخفيف ٢٧٩

٩

الأدب

- لا تجزعن لخطب
 أيحسب دهرى أني جزع
 لأصبرن لدهرى صبر محتسب
 دع ذا فما عذر الفتى
 كف عني واش واغضى رقيب
- فكل دهرك خطب المجتث ٢٨٠
 ت، لما غال من نشبي وانتهب المتقارب ٢٨٠
 حتى يرى غير ما قد كان يحسه البسيط ٢٨١
 في غيه والفود شائب الكامل ٢٨١
 ونهاني عن التصابي المشيب الخفيف ٢٨١

الحاء

- لا تنكرون مر العتاب فتحته
 اصبر على ما تحتثي أو تترجي
- شهد جتته يد السوداد الناصح الكامل ٢٨٢
 تظفر بحسن سكينه ونجاح الكامل ٢٨٢

الخاء

- نزعت نفسي عن من الرجال وإن
 سر عن بلادهم فقد سئمت بها
- علت بهم رتب الدنيا وإن شملخوا البسيط ٢٨٢
 عيسى محول معرسي ومناخي الكامل ٢٨٣

الدال

- انظر بعيشك هل ترى
 أحداً يدوم على المودة الكامل ٢٨٣

البحر الصفحة

٢٨٣	على فعل الخير والجود السريع	عندي للأيام إن أقبلت
٢٨٤	وقد يندع اليقظان من هو راقد الطويل	تيقظ فمن يشناك يسهر ليله
٢٨٤	أظلم بها بعد الميات مخلدا الطويل	سأنفق وفري في اكتساب مكارم
٢٨٥	وخبرته لم تلفه بالشاهد الكامل	لا ترغبين فيمن إذا شاهده
٢٨٥	إلى كرماء الناس أشهى من الجدا الطويل	تلقى ذوى الجاحات بالبشر إنه
٢٨٥	مما تخاف ومن معاندة العدا الكامل	أرض الخمول تعش به في نجوة
٢٨٥	نوائب وملها لحت عودي البسيط	ما كف كفي عن جودي بموجودي

الراء

٢٨٦	بما يسوء فصبرا المجتث	إن فاجأتك الليالي
٢٨٦	قن بقلب محتسب صبور الكامل	ألق الخطوب إذا طر
٢٨٦	إن الكريم على الحوادث يصبر الكامل	استرهمومك بالتجمل واصطبر
٢٨٧	و فامن كيدهم غرر الكامل	لا تأمنن كيد العد
٢٨٧	في عتدى ورع وطيب نجار الكامل	عش واحداً أو فالتمس لك صاحباً

السين

٢٨٧	وأنفقت مالا لا تجود به النفس الطويل	يقولون لي أفنيت كل ذخيرة
-----	-------------------------------------	--------------------------

الشين

٢٨٨	أبوابه متكسب ومعاشر الكامل	إياك والسلطان لا يدنيك من
٢٨٨	مضى الخفيف	كل مستقبل من الهـمـ ينسى إذا
٢٨٨	إذا نهضا البسيط	أصبحت كالنسر خاتنه قواده

العين

٢٨٩	بعزيمة في الخطب لا تتضعف الكامل	لا تستكن للهم واثن جماعه
-----	---------------------------------	--------------------------

الفاء

٢٨٩	لا زابلتكم حسرة وتلفه الكامل	قل للذين يسرهم ما ساءنا
-----	------------------------------	-------------------------

البحر الصفحة

السلام

٢٨٩	الوافر	وتستجدي نوالا من بخيل	إلى كم تر تحيي عطف الملول
٢٩٠	الطويل	على شعث الخلان مستبدلا خلا	وإني لعصاء العواذل لا أرى
٢٩٠	الرميل	جد بي عنك الرحيل	أيها الربيع المحيل
٢٩١	الطويل	عناني أو زلت بأخصي النعل	أثن غصن دهر من جمحي أوثنى
٢٩١	الطويل	لأنف ألا يدرك السؤل سائلي	توالى إلى السائلون وإني
٢٩٢	البسيط	وما بأيديهم رزقي ولا أجلي	علام أخضع في الدنيا لمن رفعت
٢٩٢	السريع	دهري بما أذهب من مالي	إن سر أعدائي أن عضني

الميم

٢٩٢	البسيط	بها ولم أسل في حال عن الكرم	سلوت عن كل حال كنت ذا شغف
٢٩٢	الطويل	وللجار ما تنفك نهبا مقسما	لنا هجمة للحق إن ناب والقرى

النون

٢٩٣	الرجز	فالقلب أولى بالذي أجنا الرجز	لا تودعن سمع أخ شكية
-----	-------	------------------------------	----------------------

الهاء

٢٩٣	البسيط	أدعوه وأعصيه البسيط	ظلمت شعري وليس الظلم من شيمي يطيعني حين
-----	--------	---------------------	---

الياء

٢٩٣	الكامل	هــ هذا الدهر تلعب بالبرايا الكامل	لما رأيت صروف
-----	--------	------------------------------------	---------------

١٠

الشواهد والأمثال

الباء

٢٩٥	الخفيف	لرجونا عنه جزيل الثواب الخفيف	لو صبرنا على البلاء احتسابا
-----	--------	-------------------------------	-----------------------------

البحر الصفحة

٢٩٥	البيسط	سواي بي ولي الأوصاب والنصب	حسبي من العيش خير العيش يدركه
٢٩٥	البيسط	يرى مكان الأعادي من ذوي النسب	بعدا لمن شرع أعمى يصيب ولا
٢٩٦	المتقارب	ر وطابت وما خلقتها لي تطيب	ألفت الكجاوة بعد النفو
٢٩٦	البيسط	أيامه وهو بالإحسان مقترب	أما ترى الماجد المفضال ترفعه
٢٩٦	الكامل	ذا قد تملكها وهذا يسلب	شاهدت غملا قد تجاذب زهرة

الجيم

٢٩٦	البيسط	تكون يأتيك لطف الله بالفرج	يا الف المهم لا تقنط فأياس ما
٢٩٧	الكامل	أجدي من المتسرع الهلباج	ثقل إذا ناديتني للممة

الحاء

٢٩٧	البيسط	ما نال ذو الجهل دون الحازم المنحا	لولا الذي جرت الأقلام قبل به
-----	--------	-----------------------------------	------------------------------

الدال

٢٩٧	الكامل	وأخو المشيب يجور ثمت يهتدي	قالوا نته الأربعون عن الصبا
٢٩٨	الكامل	فود الجنين ويهرم المولود	أصبحت في زمن يشيب لجوره
٢٩٨	البيسط	بالسباحات بحار المهمة البید	ودع أخا العزم مصرأ لالميس وخض
٢٩٨	الوافر	وأم الغدر في الدنيا ولود	صديق لي تنكر بعد ود
٢٩٩	البيسط	دهري فعشت وحيداً ميتاً كمدا	مضت لداتي وإخواني وأفردني
٢٩٩	الخفيف	تنظر العاجز الحظوظ فيستعـلي وتعمى عن حازم محدود	

الراء

٢٩٩	البيسط	فالشمس أدنى سحب عن يسترها	أن يستروا وجه إحساني بكفرهم
٢٩٩	البيسط	فضائي بين بدو الناس والحضر	إن كنت في مصر مجهولاً وقد شهرت
٣٠٠	الطويل	يدي ولساني عن نوال وعن أمر	كفى حزناً أن الحوادث قصرت
٣٠٠	السرير	ما ناب من مستصعب الأمر	سهل على العارف بالدهر
٣٠٠	البيسط	ثين نوراً وفيه النار تستمر	انظر إلى حسن صبر الشمع يظهر للرا
٣٠١	المنسرح	تهوى فما جازع بمعذور المنسرح	اصبر على ما كرهت تحفظ بما
٣٠١	البيسط	أبدى المداجاة ما تخفى ضباثه	إنني لأعرف من وجه العدو وإن

البحر الصفحة

الزاي

اصبر تنل ما ترجيه وتفضل من جارك شأو العلا سبقا وتبريزا البسيط ٣٠١

السين

اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا يأتي به الله بعد الريث والياس البسيط ٣٠٢
الضر في أيامنا هذه كالليل يغشى سائر الناس السريع ٣٠٢

الطاء

أراني أستطيل مدى حياتي وما في مفرقي للشيب وخط الوافر ٣٠٢

العين

لا تحرعن بأطباع تزخرها لك المنى بحديث المين والخذع البسيط ٣٠٣
وماذق رجع النداء جوابه فإذا عرا خطب فأبعد من دعي الكامل ٣٠٣

القاف

قوم يموت الناس عندهم ضراً وهم منهم على فرق السريع ٣٠٣
لنا صديق يغر الأصدقاء وما رأيته قط في ود امرئ صدقا البسيط ٣٠٤
لا تقربن باب سلطان وإن ملأت هباته غير ممنون به الطرقا البسيط ٣٠٤
استر بصبرك ما تخفيه من كمد وإن أذاب حشاك الهم والحرق البسيط ٣٠٤

الكاف

من رزق الصبر نال بغيته ولاحظته السعود في الفلك المنسرح ٣٠٤

اللام

انظر إلى صرف دهري كيف عودني بعد المشيب سوى عاداتي الأول البسيط ٣٠٥
إذا ما عرا خطب من الدهر فاصطبر فإن الليالي بالخطوب حوامل الطويل ٣٠٦
كل شيء تراه في هذه الدنيا خيال إذا انتهت يزول الخفيف ٣٠٦
إنني وثقت بأمر غربي أمني فيه وقد قيل كم من واثق خجل البسيط ٣٠٦
لا در درك من رجاء كاذب يغترنا بورود لامع آل الكامل ٣٠٧

البحر الصفحة

٣٠٧	الكامل	كثاف معوج الظلال المائل	لا تعتين من مل ان عتابه
٣٠٧	البيسط	يرضى بما غال من وفر ومن مال	لا يؤسفك ما غال الزمان فما
٣٠٨	الكامل	في مدافعتي ومطلي	يا جاعل الاشغال عذرا
٣٠٨	الطويل	ولا لسيري في البلاد قفول	إلى كم أجوب الأرض ما لي معرس
٣٠٨	السرير	عناية الأيام بالجهل	زهدني في العقل أنى أرى
٣٠٨	الكامل	أخطائه فيه يحار العاقل	رفع الخطوط لمن أصبن وحط من

الميم

٣٠٩	الخفيف	فلم يرع حرمتي وذمامي	لي مولى صحبتته مذهب العمر
٣٠٩	المنسرح	نازلت ضاري الأسود في الأجم	لو كان رزق الفتى بقوته
٣٠٩	الطويل	بها مكرها رشف الذعاف من السم	لحى الله أرضاً يرشف المرء رزقه
٣١٠	الكامل	يرجى ولا تتبعه زفرة نادم	لا تأسفن للذهب أو فائت
٣١٠	الكامل	أتعبتني بعد الكرام	قل للرجاء إليك قد
٣١٠	الكامل	والحامل همي	يا أخي الشاكي لما أشكوه
٣١١	الكامل	ضجراً على سر الفؤاد الكاتم	لا تطلعن لسان شكوى بائع

النون

٣١١	الخفيف	أو تلقاك بالمخاوف حيناً	اصطبر للزمان إن حاف حيناً
٣١١	الكامل	أبدى لك اليأس المينا	من مل فاهجره فقد
٣١٢	البيسط	وبعد ما تاب عما راب مذ حين	يا شارب الخمر بعد النسك والدين
٣١٢	البيسط	تعلم الكرماء البخل يا زمن	كم تقصد الماجدين الفاضلين وكم

الهاء

٣١٢	الكامل	جو والمخنى إلا الله	لا تخضعن رغبا ولا رهبا فما المر
٣١٣	الخفيف	مل من رفعة ومال وجاء	نلت في مصر كل ما يرتجى الا

١١

الكبر والمشيب

الباء

٣١٤	الطويل	وما كل برق لاح يؤذن بالخصب	وشائمة برقاً بفودي راعها
-----	--------	----------------------------	--------------------------

البحر الصفحة

- أما ترى الشيب قد رداك بعد دجى
فوديك واهما لذاك الليل بالعصب البسيط ٣١٤
لو كان صد مغاضبا ومعاتباً
أعتبه ووضعت خذي ثائباً الكامل ٣١٥

التاء

- صحاً وللجهل أوقات وميقات
وللغوايات والأهواء غايات البسيط ٣١٥
ما لي رأيت الثلج عمم شبيه
قلل الربا فزهت بحسن نباتها الكامل ٣١٦

الجيم

- دع ما نهى الشيب والسبعون عنه فتر
باك الصبا والشباب الغض قد درجا البسيط ٣١٦

الذال

- أرى شعرات يتبذرن كأنها
على الماء صدع في الزجاجية باد الطويل ٣١٧
إذا ما جلا الليل النهار بنوره
تعقبه ليل أحمر ركود الطويل ٣١٧
نظرت بياض مفارقي فاسترجعت
أسفا وقالت أين ذاك الأسود الكامل ٣١٧

الراء

- يقولون جار عليك الشيب
ومن ذا يحير إذا الشيب جاراً المتنارب ٣١٨
تصامت عن لوم العذول كأنما
رمى الوجد يوم البين سمعي بالوفر الطويل ٣١٨
رأيت ما تلفظ الموسى فأسفني
إذ عاد حالكه كالثلج مثنوراً البسيط ٣١٩
إذا تقوس ظهر المرء من كبر
فعاد كالقوس يمثي والعصا الوتر البسيط ٣١٩
إذا عاد ظهر المرء كالقوس والعصا
له حين يمثي وهي تقدمه وتر الطويل ٣١٩

القاف

- لدتي وإخوان الشباب مضوا
قبي وكم من بعدهم أبني السريع ٣٢٠
ثلج النبات فراق لون مشبه
فعلام لون الشيب ليس يروق الكامل ٣٢٠

اللام

- لم تترك السبعون في إقبالها
مني سوى ما لا عليه معول الكامل ٣٢٠

البحر الصفحة

٣٢١	فإلام توضع في الطريق المجهل	الكمال	وضح الصباح لناظر المتأمل
٣٢١	لصبغ حال أم تغيير حال	الوافر	نضا صبغ الشباب فلست أدري
٣٢٢	ورابني عثارها في السهل	الرجز	إن ضعفت عن حمل ثقلي رجلي

الميم

٣٢٢	ماذا فقلت تريكة الأيام	الكمال	قالت وأحزنها بياض مفارقي
٣٢٢	فكأنهم وكأنه أحلام	الكمال	انظر إلى لعب الزمان بأهله
٣٢٣	ن الدين والأنباء تنمي	الكمال	من مبلغ عني فلا
٣٢٣	من الدنيا فتغشاني الموموم	الوافر	أفكر في فرية ما تلاقي

النون

٣٢٤	وساور الضعف بعد الأيد أركاني	البيسط	لما تحطنتني السبعون معرضة
٣٢٤	ونيت بي حين حاولت الحزونا	الرمل	حملت ثقلي في السهل العصا
٣٢٤	ون لما ان علت سنى	السريع	نكست في الخلق وحطنتني السبع

الهاء

٣٢٥	ثم قالت ما الذي بعدي عراه	الرمل	نظرت مبيض فودي فبكت
٣٢٥	فتحملته تحمل المتكاه	الكمال	حملت ثقلي بعد ما شبت العصا

١٢

الزهد والمواعظ

الباء

٣٢٦	تضييع وقتي في لهو وفي لعب	البيسط	يا رب حسن رجائي فيك حسن لي
-----	---------------------------	--------	----------------------------

التاء

٣٢٦	له أفيقوا فللنوم هبات	البيسط	يا غافلين عن الأمر الذي خلقوا
-----	-----------------------	--------	-------------------------------

الحاء

لا ترتج الخلق فالأبواب مرتجة دون الخطام وباب الله مفتوح البسيط ٣٢٧

الدال

مذ بصرتني تجاريي ونهني خبري بدهري فقدت العيشة الرغدا البسيط ٣٢٨
عجزت عن الدنيا فما لي من يد بها ولا الأيد المساعد واليد الطويل ٣٢٨
نزلنا به حتى إذا يومنا انتضى رحلنا على العيس النجائب والجرد الطويل ٣٢٨
أما رأوا تقلب الدنيا بنا وفتكها بمن إليها اخلدا الرجز ٣٢٩
مثوبة الفاقد عن فقده بصبه انفع من وجده السريع ٣٢٩
تبارك اسمك كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعلي الصمد البسيط ٣٢٩

الراء

احذر من الدنيا ولا تغتر بالعمر القصير الكامل ٣٣١
لا تغتبط بسرور دنيا ما يدوم بها سرور الكامل ٣٣١
أرى العين تستحلي الكرى وأمامها كرى ليس تقضيه ان داعي الخشر الكامل ٣٣١
دنياي ناشرة فإن فارقتها طوعاً وإلا فارقتني كارها الكامل ٣٣٢
لك الحمد يا مولاي كم لك منة علي وفضلاً لا يتوم به شكري الطويل ٣٣٢
أيها الظالم مهلا أنت بالحاكم غر الرمل ٣٣٣

الطاء

الناس كالطير والدنيا شباكهم وهم بها بين ركاض وغتبط البسيط ٣٣٣
ما زلت في غبطة عيش عالماً أن سيزول بالهموم ما غبط الرجز ٣٣٤

العين

من مبلغ المعتر والقانع وأبن السبيل النازح النازع السريع ٣٣٤
أيها الغافل كم هذا المهجوع أعلن الداعي فهل أنت سميع الرمل ٣٣٦

القاف

أيها الغافلون عن سكرة المو ت وإذ لا يسوغ في الخلق ريق الخفيف ٣٣٧

البحر الصفحة

الكاف

سلوت عن صبوات كنت ذا شغف بها وملت إلى الإخبات والنسك البسيط ٣٣٨

اللام

أرى الموت يستقري النفوس ولا أرى سوى مانع ما في يديه بخيل الطويل ٣٣٨

الميم

إذا ما عرامالا أطيح دفاعه وأرمضني الفكر المسهد والهـم الطويل ٣٣٩
 فليس بعد الموت دار سوى جنة عدن أو لظاً تـضـرم السريع ٣٣٩
 نمنا عن الموت والمعاد فأصبح لنا نظن اليقين أحلاما الخفيف ٣٤٠
 فوض الأمر راضيا جف بالكائن القلم الخفيف ٣٤٠
 أو بقت نفسك يا ظلو م بما احتقبت من المظالم الكامل ٣٤٠
 ماذا الوقوف على دار بذي سلم عجماء أو قد عراها عارض اليكم البسيط ٣٤١

النون

لا تغبطن أهل بيت سرهم زمن فسوف يطرقهم بالهم والحزن البسيط ٣٤١
 أيها المغرور مهلا بلغ العمر مداه الرمل ٣٤٢
 أف للنديا فما أوبا جناها ليس يخلو من رآها من أذاها الرمل ٣٤٢

١٣

المراثي

الباء

قد كنت أسمع لكن خلته مثلا أن اللبالي يصدن الصقر بالخرب البسيط ٣٤٤
 ويح الغريبة والديار ديارها لم ترتحل عنها ولم تغرب الكامل ٣٤٤
 لهف نفسي لهلال طالع ما استوى في أفقه حتى غرب الرمل ٣٤٥
 يا نفس أين جيل صـ برك حين تطرقك الخطوب الكامل ٣٤٥

البحر الصفحة

هلف نفسي على ديار من الد - كان أقوت فليس فيها عريب الخفيف ٣٤٦

التاء

يا دهر، كم هذا التفر ق والتغرب والشتات الكامل ٣٤٦

الراء

إلى الله أشكو روعتي ورزيتي وحرقة أحشائي لفقد أبي بكر الطويل ٣٤٧
أعاتبك الدهر لو أعتب الدهر وأستجد الصبر الجميل ولا صبر الطويل ٣٤٧
أزور قبرك مشتاقاً فيحجين ما هيل فوقك من ترب وأحجار البسيط ٣٥٠

الزاي

تخرمت الأيام أهل مودتي فنفسي عن أنس المسرات ناشز الطويل ٣٥٠

العين

صبري على فقد إخواني وفرتهم غدر وأجمل بي من صبري الجزع البسيط ٣٥١
وقفت على رسم ببداء بلقع خلي من النادي صموت إذا دعى الطويل ٣٥١

الفاء

أزور قبرك والأشجان تمنعني أن أهتدي لطريق حين أنصرف البسيط ٣٥١

الكاف

أصبحت لا أشكو الخطوب وإنما أشكو زماناً لم يدع لي مشتكى الكامل ٣٥٢
وسم صبري عن عتيق الأسى من بعد ما ضاق بي المسلك السريع ٣٥٢

اللام

كيف أنساك يا أبا بكر أم كيف اضطباري ما عنك صبري جميل الخفيف ٣٥٣
أحدث عنك بالسوان نفسي وهل تسلو موهبة تكول الوافر ٣٥٣

البحر الصفحة

٣٥٤	الطويل	بفقد أبي بكر حياتي ولا يسلي	لعمرك ما ينسيني الدهر روعتي
٣٥٤	الكامل	ساري الغمام بكل هام هامل	حيا ربوعك من ربي ومنازل

النون

٣٥٦	البيسط	فليك أصدقنا بنا وأشجانا	حمام الأيك هيجتن أشجانا
٣٥٩	البيسط	أقله فقد أترابي وخلاني	حسي من العيش كم لاقيت فيه أذى
٣٦٠		عن لوعتي وعن جوى أحزاني	ناحت فباحث في فروع البان

المسمطات

٣٦١	الطويل	كعهدك بانسات الحمى فوق كثيها
٣٦٤	الطويل	أيا لائمي في وقفة التلوز
٣٦٦	الطويل	أسائتها للبين وهي عجول
٣٧١	البيسط	توهم ما أراني الدهر أم حلم

(٢)

فهرس الاعلام

(س)

ابن سبراي ٥٨ .
السموئل ١٩٧ .

(أ)

أحمد بن علي بن الزبير (القاضي الرشيد)
٤٢١/١٢١ .

(ش)

شمس الدولة عبد الرحمن ابن أخي
١٩٩/١٨٧/١٧١/١٥٩ .
شوق (جارية) ٢٠٦ .

(ب)

أبو بكر بن أسامة ٣٥٣/٣٥٢/٣٥١/٣٤٧/٣٤٥ .
بهاء الدولة بن منقذ أخو أسامة
١٧٣/١٧٠/١٦٧/١٦٥ .

(ص)

أبو صالح بن المهذب ٢٠٦ .

(ت)

تاج الدولة عبد الله بن منقذ (ابن عم أسامة) ١٩٨ .

(ج)

ابن الجباب = عبد العزيز .

(ح)

حاتم (قائد) ٢٧١ .

حيلرة بن نجم الكاتب ٢٣٩ .

(ز)

زيد بن محمد نقيب الطالبين ١٨٥ / ١٨٩ / ١٩٣

(ض)

ضياء الدين = زيد بن محمد

(ط)

طمان ١٩٧ .

(ع)

الأفضل عباس ١١٦ / ١٩٩ / ٢٢٨ .

عبد العزيز بن الحسين (ابن الجباب) ١٣٢ .

عتيق ٢١٠ .

عز الدولة أخى أسامة ١٥٩ / ١٦١ / ١٦٧

١٦٨ / ١٨١ / ١٨٨ / ١٨٠ / ١٨١ / ٣٤٤ / ٣٤٤ .

(ف)

فخر الملك بن طليب (أمير) ٢٠٧ .

(ق)

أبو القاسم بن المغربي ١٧٣ .

القاضي الرشيد = أحمد بن علي .

القيسان (ابن الملوح وابن ذريح) ١٣٩ .

قيس بن ذريح ٣٦١ .

(م)

معد الدين (أمير) ٢٥١ .

مجنون ليل ٣٦٤ .

المحسن بن الحسين بن أبي المضاء

١٦٢ / ١٧٤ / ١٨٧ .

مرهف بن أسامة ١٧٤ .

معين الدولة أنر ٢٢٠ .

الملك الصالح ٥٧ / ٨٨ / ١٢٧ / ١٢٨ / ١٣٥

١٦١ / ١٦٢ / ١٨٦ / ١٩٠ / ١٩٣ / ٢٠٣ / ٢١٢

٢٢٢ / ٢٢٤ / ٢٢٨ / ٢٤٧ / ٢٤٧ / ٢٥١ / ٢٦٣

٢٦٧ / ٢٧٠ / ٢٨١ / ٣٤٦ .

(ن)

نظام الدين (الوزير) = المحسن بن الحسين .

الفهرس

٥	مقدمة
٤١	ديوان أسامة
٤٧	مقدمة صاحب الديوان
٥١	باب الغزل
١٠٤	ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق
١٥٩	ما قاله في المكاتبات ، وما يخطر في سلكها من المعاتبات
٢٠٣	باب الأوصاف
٢١٢	باب المديح
٢٥٠	ما قاله مفتخراً ، وتمدح به متأثراً
٢٨٠	باب الأدب
٢٩٥	في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال
٣١٤	في الكبر والمشيب ، وخلع رداء الشباب القشيب
٣٢٦	في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار
٣٤٤	باب المراثى
٣٦١	مسمطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة
٣٨٣	فهرس القوافي
٤١٤	فهرس الاعلام
٤١٦	الفهرس